

كِتَابُ
أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ

تأليف الشيخ الإمام أبي بكر، عبد الفاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي

تفقدته الله يغفر لي

المنوفى سنة ٤٧١ = أوسنة ٤٧٤ هـ

قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

أبو فهر

محمود محمد شاكر

مِنَ النَّاسِ مَن لَفَّظَهُ لَوْلُوٌّ يَبَادِرُهُ اللَّفْظُ إِذْ يُلْفَظُ
وَبَعْضُهُمْ قَوْلُهُ كَالْحِصَا يُفْتَالُ فِي لَفْنِي وَلَا يُحْفَظُ

شيخ الفسرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام مجد الإسلام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي رحمة الله عليه ورضوانه :

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

فاتحة الكتاب
وفضيلة البيان

١ - اعلم أن الكلام هو الذي يُعطى العلوم منازلها ، ويُبين مراتبها ، ويكشف عن صورها ، ويجني صنوف ثمرها ، ويدل على سرائرها ، ويُبرِّز مكنون ضمائرها ، وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان ، ونبه فيه على عظم الامتنان ، فقال عز من قائل : (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) [سورة الرحمن : ١ - ٤] ، فلولا لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالمه ، ولا صحَّ من العاقل أن يفتق عن أزهير العقل كائمه ، ولتعتلَّت قُوى الخواطر والأفكار من معانيها ، واستوتت القضية في موجودها وفانيتها . نعم ، ولوقع الحى الحساس في مرتبة الجماد ، ولكان الإدراك كالذى ينافيه من الأضداد ، وليقيت القلوب مُقفلة تتصوَّن على ودائعها ،^(١) والمعاني مسجونة في مواضعها ، ولصارت القرائح

(١) « تصوَّن » في المخطوطة ، وحذفها ريتر لأنه لم يحسن قراءتها ، وهي ساقطة في مخطوطته الأخرى ، وفي طبعة رشيد رضا . و« تصوَّن » ، أى تحكم الصيَّانة على ودائعها .

عن تصرفها معقولةً ، والأذهان عن سلطانها معزولةً ، ولما عُرف كفرٌ من إيمان ، وإساءةً من إحسان ، ولما ظهر فرقٌ بين مدح وتزيين ، وذمٌ وتهجين . ثم إن الوصفَ الخاصَّ به ، والمعنى المثبتَ لنسبه ، أنه يريك المعلومات بأوصافها التي وجدها العلم عليها ، ويقرّر كیفياتها التي تتناولها المعرفة إذا سمّت إليها .

وإذا كان هذا الوصفُ مقومٌ ذاته وأخصَّ صفاته ، كان أشرف أنواعه ما كان فيه أجلى وأظهر ، وبه أولى وأجلد . ومن ههنا يتبين للمحصل ، ويتقرّر في نفس المتأمل ، كيف ينبغي أن يحكم في تفاضل الأقوال إذا أراد أن يقسم بينها حظوظها من الاستحسان ، ويعدل القسمةً بصائب القسطاس والميزان .

٢ - ومن البين الجلي أن التباين / (١) في هذه الفضيلة ، والتباعد عنها

٣

إلى ما ينافيها من الرذيلة ، ليس بمجرد اللفظ . كيف ؟ والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ، ويُعمد بها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب . فلو أنك عمّدت إلى بيت شعرٍ أو فصلٍ نثرٍ فعددت كلماته عدداً كيف جاء وأتفق ، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بُنى ، وفيه أفرغ المعنى وأجرى ، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد ، وبنسقه المخصوص أبان المراد ، نحو أن تقول في :

البيان لا يقوم
باللفظ وحده

(١) في رأس هذه الصفحة من المخطوطة كتب : « ناقص كراس » ، وكتب فوقه بخط فارسيّ « خطّ الخفاجي ، شارح الشفاء العياضي ، وشارح البيضاوي » . و « الخفاجي » هو الشهاب الخفاجي ، [وهو أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجي المصري : (٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ)] ، وله كتاب « نسيم الرياض ، في شرح شفاء القاضي عياض » ، و « عناية القاضي وكفاية الراضي » وهو حاشية على تفسير البيضاوي في ثمانى مجلدات . وله ترجمة طويلة في « خلاصة الأثر » ١ : ٣٣١ - ٣٤٣ . وكانت للشهاب الخفاجي مكتبة عظيمة القدر ، تملك أكثرها تلميذه عبد القادر البغدادى صاحب « خزانة الأدب » : انظر خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ .

« قفا نُبِّك من ذِكْرَى حبيب ومنزل »^(١).

« منزل قفا ذكرى من نبك حبيب » ، أخرجته من كمال البيان ، إلى مجال الهديان . نعم ، وأسقطت نسبته من صاحبه ، وقطعت الرّجْم بينه وبين مُنشئه ، بل أَحَلَّتْ أن يكون له إضافة إلى قائل ، وَنَسَبَ يَخْتَصُّ بِمَتَكَلِّم . وفي ثبوت هذا الأصل ما تُعلم به أنّ المعنى الذى له كانت هذه الكلم بيت شعرٍ أو فصلٍ خطابٍ ، هو ترتيبها على طريقة معلومة ، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة . وهذا الحُكْمُ - أعنى الاختصاص فى الترتيب - يقع فى الألفاظ مرتباً على المعانى المرتبة فى النفس ، المنتظمة فيها على قضية العقل . ولا يتصوّر فى الألفاظ وجوبٌ تقديم وتأخير ، وتخصُّص فى ترتيب وتنزيل ،^(٢) وعلى ذلك وُضِعَت المراتبُ والمنازلُ فى الجمل المركبة ، وأقسام الكلام المدوّنة ، فقيل : من حق هذا أن يسبق ذلك ، ومن حق ما ههنا أن يقع هناك ، كما قيل فى المبتدأ والخبر والمفعول والفاعل ، حتى حُظِرَ فى جنس من الكلم بعينه أن يقع إلّا سابقاً ، وفى آخر أن يوجد إلا مبنياً على غيره وبه لاحقاً ، كقولنا : إن الإستفهام له صدر الكلام ، وإن الصفة لا تتقدم على الموصوف إلا أن تُزال عن الوصفية = إلى غيرها من الأحكام .

٣ - فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً / أو يستجيد نثراً ، ثم يجعلُ الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حُلُوٌّ رَشِيْقٌ ، وَحَسَنٌ أُنِيْقٌ ، وَعَذْبٌ سَائِغٌ ، وَغُلُوْبٌ رَائِعٌ ، فأعلم أنه ليس يُنبئك عن أحوالٍ ترجعُ إلى أجراس

(١) مطلع معلقة امرئ القيس .

(٢) فى المخطوطة ومطبوعة رشيد رضا : « ولن يتصور فى الألفاظ ... » وهو كلام غير مستقيم .

الحروف ، وإلى ظاهر الوضع اللغوي ، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده ، وفضل
يَقْتَدِحُهُ الْعَقْلُ مِنْ زِنَادِهِ .

٤ - وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شريك من المعنى فيه ،
وكونه من أسبابه ودواعيه ، فلا يكاد يَعْلُو نَمَطًا وَاحِدًا ، وهو أن تكون اللفظة مما
يتعارفه الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وَحْشِيًّا غَرِيبًا ، أو
عَامِّيًّا سَخِيفًا ، سَخْفُهُ بِإِزَالَتِهِ عَنْ مَوْضِعِ اللُّغَةِ ، وإخراجه عما فرضته من
الحكم والصفة ، كقول العامة « أَشْعَلْتُ » و« انفسد » . وإنما شرطت هذا
الشرط ، فإنه ربما استُسخِف اللفظ بأمر يرجع إلى المعنى دون مجرد اللفظ ، كما
يحكى من قول عبيد الله بن زياد لما دُهِش : « افتحوا لي سيفي » ، ^(١) وذلك أن
« الفتح » خلاف « الإغلاق » ، فحقه أن يتناول شيئًا هو في حكم المَغْلَقِ
والمسلود ، وليس السيف بمسلود ، وأقصى أحواله أن يكون كونه في الغمد بمنزلة
كُونِ الثوبِ فِي الْعِكْمِ ، والدرهم في الكيس ، والمتاع في الصندوق . و« الفتح »
في هذا الجنس يتعدى أبدًا إلى الوعاء المسلود على الشيء الحاوي له لا إلى ما فيه ،
فلا يقال « افتح الثوب » ، وإنما يقال : « افتح العِكْمَ » ^(٢) و« أخرج الثوب »
و« افتح الكيس » .

نمط واحد
لاستحسان اللفظ

...

٥ - وههنا أقسام قد يُتَوَهَّمُ فِي بَدْءِ الْفِكْرَةِ ، وَقَبْلَ إِتْمَامِ الْعِبْرَةِ ، أَنَّ
الْحُسْنَ وَالْقُبْحَ فِيهَا لَا يَتَعَدَّى اللَّفْظَ وَالْجَرَسَ ، إِلَى مَا يُنَاجِي فِيهِ الْعَقْلَ النَّفْسَ ،

مواقع استحسان
اللفظ

(١) انظر البديع لابن المعتز : ٢٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢١ ، ونقااض جرير والأخطل : ٦ - ٨

(٢) « العِكْمُ » ، ثَوْبٌ يَبْسُطُ وَيَجْعَلُ فِيهِ الْمَتَاعَ ثُمَّ يُطَوَّى وَيُسْتَدُّ بِحَبْلِ .

ولها إذا حُققَ النظرَ مَرَجِعٌ إلى ذلك ، ومُنصَرَفٌ فيما هنالك ، منها : « التجنيس »
و « الحشو » .^(١)

٦ - أما « التجنيس » فإنك لا تستحسن تجانسَ اللفظتين إلا إذا كان
موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمَى بعيداً ،
أترك استضعفت / تجنيس أى تمام فى قوله :
[من الكامل]

ذَهَبَتْ بِمُذْهِبِ السَّمَاحَةِ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ أَمْذَهَبٌ أَمْ مُذْهَبٌ^(٢)

واستحسنَت تجنيسَ القائل :

[من الرجز]

• حتى نَجَا من خَوْفِهِ وَمَا نَجَا .^(٣)

[من الخفيف]

وقول المحدث :

ناظِراه فيما جَنَى ناظِراه أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بِمَا أودَعَانِي^(٤)

= لأمرٍ يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيتَ الفائدةَ ضَعُفَتْ عن الأوَّلِ
وقويتَ فى الثانى ؛ ورأيتك لم يزدك « بمذهب ومذهب » على أن أسمعك حروفاً
مكررةً ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولةً منكراً ، ورأيتَ الآخر قد أعاد

(١) انظر « الحشو » فيما سياتى (ص : ١٩) .

(٢) فى ديوانه ؛ وفى شرح البيت كلام كثير . وانظر دلائل الإعجاز : ٥٢٣ .

(٣) انظر كتاب « دلائل الإعجاز » : ٥٢٣ ، وما قلته فى التعليق عليه . و « نجا » الأولى من
« النجو » ، وهو ما يخرج من البطن من الغائط ، يريد أنه من خوفه أحدث ، ثم لم ينبج ، من
« النجاة » .

(٤) ثانى بيتين يرويان لشمسوية البصرى ، ولشداد بن إبراهيم الجزرى ، وفى ثلاثة أبيات لأبى
الفتح البستى ، ديوانه « أبو الفتح البستى ، ديوانه وشعره » ص : ٣٢٢ . وانظر أيضاً : « دلائل
الإعجاز » : ٥٢٣ .

عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويُوهِمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفّأها ، فهذه السريرة صار « التجنيس » - وخصوصاً المستوفى منه المتَّفَق في الصورة - من حُلَى الشعر ، ومذكورًا في أقسام البديع .

٧ - فقد تبين لك أن ما يُعطي « التجنيسُ » من الفضيلة ، أمر لم يتم إلا بُصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسنٌ ، ولما وُجد فيه معيبٌ مُستهجنٌ . ولذلك ذم الاستكثار منه والولوعُ به .

وذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدَمُ المعاني والمُصرفَةُ في حكمها ، وكانت المعاني هي المالكة سياستها ، المستحقة طاعتها . فمن نصّر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة الاستكراه ، ^(١) وفيه فتح أبواب العيب ، والتعرُّضُ للشين .

الألفاظ خدَم
المعاني

ولهذه الحالة كان كلامُ المتقدمين الذين تركوا فضل العناية بالسجع ، ولزموا سجية الطبع ، أمكن في العقول ، وأبعد من القلق ، وأوضح للمراد ، وأفضل عند ذوى التحصيل ، وأسلم من التفاوت ، وأكشَف عن الأغراض ، وأنصَرَ للجهة التي تنحو نحو العقل ، وأبعد من التعمُّل الذي / هو ضربٌ من الخِدَاع بالتزويق ، ^(٢) والرضى بأن تقع النقيصة في نفس الصورة . وإن الخِلقة ، ^(٣)

ترك المتقدمين
العناية بالسجع

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « مظنة من الاستكراه » ، وحذف « من » أجود وأحق بيان

عبد القاهر .

(٢) في المطبوعة : « وأبعد من التعمُّد ... » بالدال المهملة ، وتبع ريت ، نسخة رشيد رضا ، وأثبت ما في المخطوطة لأنه أجود ، ومعناه : التعمُّد والتكلف . وسأقي كثيرًا في كلام عبد القاهر .

(٣) في المطبوعتين : « وذات الخِلقة ... » ، كأنه معطوف على قوله « في نفس الصورة » : فهو

عندئذ سياق ضعيف . وفي المخطوطة : « وداب » غير منقوطة الحرف الأخير : وهو تحريف ما أثبت . =

إذا أكثر فيها من الوشم والنقش ، وأثقل صاحبها بالحلى والوشى ، قياس الحلى على السيف الددان ، ^(١) والتوسيع فى الدعوى بغير برهان ، كما قال : [من الطويل]
إذا لم تُشاهد غير حُسن شيبانها وأعضائها فالحُسنُ عنك مُعيب ^(٢)

المتأخرون وخطوهم
فى الحرص على البديع

٨ - وقد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بأموه ترجع إلى ما له أسم فى البديع ، إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول لييين ، ويخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عناه فى عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده ، كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها .

العارفون بحرصون
على سلامة المعنى

٩ - فإن أردت أن تعرف مثلاً فيما ذكرت لك ، من أن العارفين بجواهر الكلام لا يعرجون على هذا الفن إلا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته ، وإلا حيث يأمنون جنابةً منه عليه ، وانتقاصاً له وتعويقاً دونه ، فأنظر إلى خطب الجاحظ فى أوائل كتبه / هذا - والخطب من شأنها أن يعتمد فيها الأوزان والأسجاع ، فإنها تُروى وتتناقل وتناقُل الأشعار ، ومحلها محل النسب والتشبيب

خطب الجاحظ
فى أوائل كتبه

= وسياق الكلام عندئذ : « وإن الخلقه ... قياس الحلى .. » ، فهو كلام مستقيم جيد ، يطابق ما بعده فى الاستشهاد ببيت المتنبي وما يليه . و« الخلقه » هى صورة الإنسان التى خلق عليها ، وجمعها المتنبي فى قوله :
حولي بكل مكانٍ منهمُ خلقٌ تُخطى إذا جئت فى استفهامها بمن

جمع « خلقه » . وتقول : « هو حسن الخلقه » ، أى صورة الخلق .

(١) و« الددان » ، السيف الكليل الذى لا يمضى فى الضريبة ولا يقطع ، ولا خير فيه ، وإنما يُحلى ليبر وهو كهام ، إنما هو حديد لا سيف .

(٢) للمتنبي فى ديوانه .

من الشعر الذى هو كأنه لا يُرادُّ منه إلا الاحتفالُ فى الصنعة ، والدلالةُ على مقدار شَوْطِ القَرِيحَةِ ، والإحْبَارُ عن فَضْلِ القُوَّةِ ، والاعتدالُ على التفتُّنِ فى الصفة

— قال فى أول كتاب الحيوان :

« جَنَّبَكَ اللهُ الشُّبُهَةَ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الحَيِّرَةِ ، وجعل بينك وبين المعرفة سَبِيًّا ، وبين الصدق نَسَبًا ، وحبَّبَ إليك التُّبَّتَ ، وزَيَّنَ فى عينك الإنصافَ ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عِزَّ الحقِّ ، وأودع صدرك بَرْدَ اليقين ، وطَرَّدَ عنك ذُلَّ اليأسِ ، وعَرَّفَكَ ما فى / الباطل من الذلَّةِ ، وما فى الجهل من القلَّةِ » .^(١)

= فقد ترك أولاً أن يوفق بين « الشبهة » و « الحيرة » فى الإعراب ، ولم يرَ أن يقرن « الخلاف » إلى « الإنصاف » ، ويشفع « الحق » « بالصدق » ، ولم يُعَنَ بأن يطلب « لليأس » قرينةً تصل جناحه ، وشيئاً يكون رديفًا له ، لأنه رأى التوفيقَ بين المعانى أحقَّ ، والموازنة فيها أحسنَ ، ورأى العناية بها حتى تكون إخوةً من أب وأمٍّ ؛ ويدرِّها على ذلك تتفق بالوداد ، على حسب اتفاقها بالميلاد ، أولى من أن يدعها ، لتصرَّ السجع وطلبِ الوزن ، أولادَ غلَّةٍ ،^(٢) عسى أن لا يوجد بينها وفاق إلا فى الظواهر ، فأما أن يتعدى ذلك إلى الضمائر ، ويُخلص إلى العقائد والسرائر ، ففى الأقلِّ النادر .

(١) الحيوان ١ : ٣ ، ودلائل الإعجاز : ٩٧ .

(٢) « أولادُ غلَّةٍ » ، أبوهم واحدٌ ، وأمَّهاتهم شتى غير متقاربن .

التجنيس والسجع
لا يستحسن حتى
يطلبه المعنى

١٠ - وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، ولا سجعاً حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغى به بدلاً ، ولا تجد عنه جواً ، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهيب لطلبه ، أو ما هو - لحسن ملاءمته ، وإن كان مطلوباً - بهذه المنزلة وفى هذه الصورة ، وذلك كما يمثلون به أبداً من قول الشافعى رحمه الله تعالى وقد سئل عن التبييد فقال : « أجمع أهل الحرمين على تحريمه » . وما تجده كذلك قول البحترى :

[من الكامل]

يَعْشَى عَنِ الْمَجْدِ الْغَيْبِ وَلَنْ تَرَى فِي سُودِدِ أَرْبَا لَغَيْرِ أَرِيْبِ (١)

[من الوافر]

وقوله :

فَقَدْ أَصْبَحَتْ أَغْلَبَ تَغْلِيْبِي عَلَى أَيْدِي الْعَشِيرَةِ وَالْقُلُوبِ (٢)

[من الكامل]

ومما هو شبيهه به قوله :

وَهَوَى هَوَى بَدْمُوْعِهِ فَتَبَادَرَتْ نَسَقًا يَطَّانَ تَجَلُّدًا مَغْلُوبًا (٣)

[من الكامل]

وقوله :

مَا زِلْتُ تَقْرَعُ بَابَ بَابِكَ بِالْقَنَا وَتَزُورُهُ فِي غَارَةِ شَعْوَاءِ (٤)

(١) فى ديوانه .

(٢) فى ديوانه .

(٣) فى ديوانه .

(٤) فى ديوانه .

[من الكامل]

وقوله :

ذَهَبُ الْأَعَالَى حَيْثُ تَذْهَبُ مُقْلَةٌ فِيهِ بِنَاطِرِهَا حَدِيدُ الْأَسْفَلِ (١)

١١ - / ومثال ما جاء من السجع هذا المجيء وجرى هذا المجرى في لين مقادته ، وحل هذا المحل من القبول قول القائل : « اللهم هب لي حمداً ، وهب لي مجداً ، فلا مجد إلا بفعالٍ ، ولا فعال إلا بمالٍ » ، (٢) وقول ابن العميد : « فإن الإبقاء على تحدم السلطان عدل الإبقاء على ماله ، والإشفاق على حاشيته وحشمه ، عدل الإشفاق على ديناره ودرهمه » .

٨
مثل السجع
المتحسن

ولست تجد هذا الضرب يكثر في شيء ويستمر ، كثرت واستمراره في كلام القدماء ، كقول خالد : (٣) « ما الإنسان ، لولا اللسان ، إلا صورة ممثلة ، وبهيمة مُمَهَمَلَةٌ » ، وقول الفضل بن عيسى الرقاشي : « سئل الأرض فقل : من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فإن لم تُجيبك حواراً ، أجابتك اعتباراً » (٤)

(١) في ديوانه .

(٢) هو مشهور من دعاء قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه ، صحاحي . وهذا الدعاء رواه الجاحظ في البيان والتبيين ٣ : ٢٨٤ ، وهو مذكور في ترجمته أيضاً . ولكن أضح منه أنه من دعاء أبيه سعد بن عبادة ، رواه ابن سعد قال : « أخبرنا أبو أسامة قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه أن سعد بن عبادة كان يدعو » وذكر الدعاء ، وتامه عنده : « اللهم لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه » طبقات ابن سعد ٣/٢/١٤٣ .

(٣) هو خالد بن صفوان الخطيب : قُتل سنة ١٣٥ هـ ، وكلمته في البيان والتبيين ١ : ١٧٠ ،

٣٥٣

(٤) في البيان والتبيين ١ : ٨١ ، ٣٠٨ .

وإن أنتَ تتبَّعته من الأثر وكلام النبي ﷺ ، تُثبِّقُ كُلَّ الثقة بوجودك له على الصِّفة التي قَدِمْتُ ، وذلك كقول النبي عليه السلام : « الظُّلم ظُلُماتٌ يوم القيامة » ، ^(١) وقوله صلوات الله عليه : « لا تزلُ أمتي بخيرٍ ما لم ترَّ الفَيءَ مَغْنَمًا ، والصدقة مَغْرَمًا » ، ^(٢) وقوله : « يا أيُّها الناس ؛ أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيامًا ، تدخلوا الجنة بسلام » . ^(٣)

فأنت لا تجد في جميع ما ذكرتُ لفظًا اجْتَلِبَ من أجل السجع ، وترك له ما هو أحقُّ بالمعنى منه وأبرُّ به ، وأهدى إلى مذهبه .

ولذلك أنكَّر الأعرابي حين شكَّا إلى عامل الماء بقوله : « حُلِّيتُ رِكابِي ، وشَقَّقْتُ ثيابِي ، وضربتُ صِحاغِي » ، ^(٤) فقال له العامل : « أوتسَّجِع أيضًا » = ^(٥) إنكارَ العامل السجع حتى قال : « فكيف أقول ؟ » ، وذلك أنه

(١) من حديث عبد الله بن عمر ، في البخارى ، « كتاب المظالم » « باب الظلم ظلمات يوم القيامة » ، (الفتح ٥ : ٧٣) ، وفي مسلم أيضًا : « كتاب البر » ، « باب تحريم الكلام » وأخرجه مسلم في كتاب البر أيضًا عن طريق جابر بن عبد الله ، مطوَّلًا .

(٢) هو مشهور بهذا اللفظ في كتب الأدب ، وأما داود ابن الحديث ففي الترمذى ، في كتاب الفتن ، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف ، من حديث علي بن أبى طالب : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ، فقبل ما هي يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المَعْنَمُ دُوْلًا ، والأمانة مَغْنَمًا ، والزكاة مَغْرَمًا » وقال الترمذى : « هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث علي بن أبى طالب إلا من هذا الوجه » . ثم ضعف راوية الفرج بن فضالة .

(٣) رواه الترمذى من حديث عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، في أبواب صفة القيامة ، « باب منه » وقال : « هذا حديث صحيح » والمستدرک للحاكم ٣ : ١٣ . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

(٤) في المظهرتين : « حَلَّيْتُ رِكابِي ، وشَقَّقْتُ ... وضربتُ » بالإسناد للفاعل المخاطب .

ولكن هنا ضبط ما في البيان والتبيين ١ : ٢٨٨ .

(٥) السجاعي : « أنكَّر الأعرابي ... إنكبر العامل السَّجِع » .

لم يعلم أصلح لما أراد من هذه الألفاظ ولم يَرَهُ بالسجع مُخْلًا بمعنى ، ^(١) أو مُخِدِّثًا في الكلام استكراهًا ، أو خارجًا إلى تكليف واستعمال لما ليس بمُعْتَادٍ في غرضه . وقال الجاحظ : « لأنه لو قال « حُلِّقْتُ إِبِلِي » أو « جمالي » أو « نوقى » / أو « بُعْرَانِي » أو « صيرمتي » لكان لم يعبر عن حق معناه ، وإنما حُلِّقْتُ رِكَابَهُ ، فكيف يدع « الرِّكَاب » إلى غير الرِّكَاب ؟ وكذلك قوله : « وشَقَّقْتُ ثِيَابِي ، وضُرِبْتُ صِحَابِي » .

•••

١٢ - فقد تبين من هذه الجملة أن المعنى المقتضى اختصاص هذا إرسال المعنى على سجنه هو الذي يحسن التجنيس والسجع

المعنى إليهما ، وعثر به عليهما ، حتى إنه لو رام تركهُما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع ، لدخل من عُقُوق المعنى وإدخال الوَحْشَةِ عليه ، في شبيه بما يُنْسَبُ إليه المتكلف للتجنيس المستكره ، والسجع الثافر . ولن تجد أئمنَ طائرًا ، وأحسنَ أولًا وآخرًا ، وأهدى إلى الإحسان ، وأجلب للاستحسان ، من أن تُرسل المعاني على سجنيتها ، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تُركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها . ^(٢) فأما أن تُضَع في نفسك أنه لا بُدَّ من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين ، فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه ، ^(٣) وعلى خطير من الخطأ والوقوع في الذم ،

(١) وقوله : « لم يَرَهُ » ، أى : لم يَرِ نَفْسَهُ مُخْلًا ، وضبطها ريتر : « يَرَهُ » وهو خطأ .
 (٢) « المعارض » جمع « معترض » بكسر الميم وفتح الراء ، وهو ثوب جيد تُعرض فيه الجارية وتُجَلَى فيه .
 (٣) « العَرَض » ، الأمر الذى يجعلك عُرضَةً لشيء بعينه ، أى معروضًا له ، أو مهيا له .

فإن ساعدك الجد كما ساعد في قوله : « أو دعاني أمت بما أودعاني » ، (١) وكما ساعد أبا تمام في نحو قوله :

وأنجدتهم من بعد إتهام دارم فيادمع أنجدني على ساكبي نجد (٢)
وقوله :

هـن الحمام ، فإن كسرت عيافة من حائهن فإنهن حمام (٣)
فذاك ، وإلا أطلقت ألسنة العيب ، وأفضى بك طلب الإحسان من حيث لم يحسن الطلب ، إلى أفحش الإساءة وأكبر الذنب ، ووقعت فيما ترى من ينصرك ، لا يرى أحسن من أن لا يرويه لك ، ويؤد لو قدر على نفيه عنك ، وذلك كما تجده لأبي تمام إذا أسلم نفسه للتكلف ، ويرى أنه إن مر على آسم موضع يحتاج إلى ذكره ، أو يتصل بقصة يذكرها في شعره ، من دون أن يشتق / منه تجنيساً ، أو يعمل فيه بديعاً ، فقد باء بائم ، وأخل بفرض حتم ، من نحو قوله :

سيف الإمام الذي سمته هبته لما تحرم أهل الكفر محترماً (٤)

(١) مر منذ قليل : ص : ٧ .

(٢) في ديوانه .

(٣) في ديوانه ، ولا يظهر لطف هذا التجنيس إلا بذكر البيتين قبله :

أتضعضعت غيرات عينك أن دعت ورقاء حين تضعضع الإظلام
لا تشجن لها فإن بكاءها ضحك ، وإن بكاءك استغرام

وقوله : « استغرام » ، أى : داع للغرام ، وهو الهلاك .

(٤) ديوانه . وفي المخطوطة والمطبوعتين .

سيف الأنام الذي سمته هيبته لما تحرم أهل الأرض محترماً =

إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمَّا صَالَ كُنْتُ لَهُ خَلِيفَةَ الْمَوْتِ فِيمَنْ جَارَ أَوْظَلَمًا
قَرَّتْ بِقُرَّانَ عَيْنِ الدِّينِ وَأَشْتَرَّتْ بِالْأَشْتَرِّينَ عُيُونَ الشَّرِكِ فَاصْطَلَمًا^(١)

وكقول بعض المتأخرين : [من الكامل]

• الْبَسُّ جَلَابِيبَ الْقَنَاءِ • عَةٍ إِنَّهَا أَوْقَى رِدَاءٍ •
• يُنْجِيكَ مِنْ دَاءِ الْحَرِيصِ مَعًا مِنْ أَوْقَارِ دَاءٍ •

وكقول أبي الفتح البستي : [من السريع]

جَفُّوا فَمَا فِي طِينِهِمُ لِلذِّي يَعْصِرُهُ مِنْ بِلَّةٍ بِلَّةً^(٢)

وقوله : [من الوافر]

أَخَّ لِي لَفْظُهُ دُرٌّ وَكُلُّ فِعَالِهِ بُرٌّ^(٣)
تَلَقَّانِي فَحَيَّانِي بِوَجْهِ بَشْرِهِ بِشْرٌ

لم يساعدهما أحسن التوفيق كما ساعد في نحو قوله : [من الوافر]

وَكُلُّ غِنَى يَتِيَهُ بِهِ غِنَى فَمَرْتَجَعُ بِمَوْتٍ أَوْ زَوَالٍ^(٤)
وَهَبْ جَدَى طَوَى لِي الْأَرْضَ طُرًّا أَلَيْسَ الْمَوْتُ يَزْوِي مَا زَوَى لِي

= وهو خطأ ، صوابه ما أثبت ، وإحدى روايات الديوان : « الذي سمته همته » ، والرواية الأخرى : « سمته هيته » ، كما في المخطوطة والمطبوعتين ، وصواب قراءتها : « سمته هيته » كما أثبت . يقال : « هبَّ السيف هباً وهباً وهبةً » ، إذا هتز فقطع ، و« سيف ذو هبة » ، أى قضاء في الضريبة . ويعنى بقوله : « سيف الإمام » ، إسحق بن إبراهيم المصعبى ، حين أوقع بالخرمية .

(١) « قرآن » ، و« الأشتر » ، موضعان في بلاد الخرمية بين نهاوند وهمدان .

(٢) في المخطوطة والمطبوعتين : « من بلة بالله » ، وهو كلام بلا معنى ، والصواب ما في ترجمته في بئيمه الدهر للتعاليى ، و« البلة الأولى : البلل . و« البلة الثانية : الخير والرزق وما ينتفع به .

(٣) هما لأبى الفتح البستي أيضاً : « البشْر » فتح الباء ، أديم الوجه .

(٤) هما لأبى الفتح البستي في ديوانه ، وأخطأ من نسبهما لأبى الفضل الميكالى : ورواية

الديوان : « طوى لى الأرض طياً » ، وهى أجود .

ونحو:

[من السريع]

منزلتى يحفظها منزلى وباجتى تُكْرِمُ ديباجتى^(١)

التجنيس المستوفى
والمرفق

١٣ - وأعلم أن النكتة التي ذكرتها في التجنيس، وجعلتها العلة في استيجابه الفضيلة = وهي حُسن الإفادة ، مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة = وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه ، إلا في المستوفى المتفق الصورة منه كقوله :

[من الكامل]

ما مات من كرم الزمان فإنه يحى لدى يحيى بن عبد الله^(٢)

= أو المرفق الجارى هذا المجرى كقوله : « أو دعانى أمث بما أو دعانى » .^(٣) فقد تُتصوّر في غير ذلك من أقسامه أيضًا ، فمما يظهر ذاك فيه ما كان نحو قول أبى تمام :

[من الطويل]

يُمثّلون من أيدٍ عواصم عواصم تصوّل بأسيايف قواضٍ قواضيب^(٤)

[من الطويل]

وقول البحتري :

/ لئن صدفت عنا فرُبّت أنفُس صوادٍ إلى تلك الوجوه الصوادف^(٥)

١١

(١) لأبى الفتح البستي في ديوانه ، وفي مطبوعة رشيد رضا : « تحفظ من زلتى » ، كما في البيضة أيضًا . و« الدباجة : صفحة الوجه » ، وفسروا : « الباجة » بأنه اللون من الطعام ، وهو لا يستقيم معناه ، وأرجح أن « الباجة » بمعنى الكيس تكون فيه الدراهم - فهي التي تحفظ على المرء دباجة وجهه .

(٢) لأبى تمام في ديوانه .

(٣) مضى قريباً ص : ٧ ، وص : ١٥ .

(٤) في ديوانه .

(٥) في ديوانه .

وذلك أنك تتوهم قبل أن يردّ عليك آخر الكلمة كاليم من « عواصم »
 والباء من « قواضب » ، أنها هي التي مَضَتْ ، وقد أرادت أن تبيحك ثانيةً ، وتعود
 إليك مؤكّدةً ، حتى إذا تمكن في نفسك تمامها ، ووعى سمعك آخرها ،
 انصرفت عن ظنك الأول ، وزُلت عن الذي سبق من التخيل ، وفي ذلك ما
 ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها ، وحصول الربح بعد
 أن تُغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال .

١٤ - فأما ما يقع التجانس فيه على العكس من هذا ، وذلك أن
 التجنيس الناقص
 تختلف الكلمات من أولها كقول البحترى :

بسيوفٍ إيماضُها أوجالٌ للأعداى ووقعُها آجالٌ^(١)
 وكذا قول المتأخر :

وكم سبقَتْ منه إلى عوارفٍ ثنائى من تلك العوارفِ وأرفِ
 وكم غررٍ من برّه ولطائفٍ لشكرى على تلك اللطائفِ طائفِ

وذلك أن زيادة « عوارف » على « وارف » بحرف اختلاف من مبدأ
 الكلمة في الجملة ، فإنه لا يبعد كل البعد عن اعتراض طرفٍ من هذا التخيل
 فيه ، وإن كان لا يقوى تلك القوة ، كأنك ترى أن اللفظة أعيدت عليك مُبدلاً
 من بعض حروفها غيره أو محذوفاً منها . ويبقى في تتبع هذا الموضع كلامٌ حقّه
 غير هذا الفصل وذلك حيث يوضع .

فصل في قسمة التجنيس وتنويعه

١٥ - فالذى يجب عليه الاعتماد في هذا الفن ، أن التوهم على ضربين : قسمة التجنيس

ضرب يستحكم حتى يبلغ أن يصير اعتقادًا .

١٢ / وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ، ولكنه شيء يجرى في الخاطر ، وأنت تعرف ذلك وتتصور وزنه إذا نظرت إلى الفرق بين الشيئين يشتبهان الشبهة التام ؛ والشيئين يُشَبَّه أحدهما بالآخر على ضرب من التقريب ، فأعرفه .

° ° °

١٦ - وأما « الحشو » ، ^(١) فإنما كُرهَ وذُمَّ وأُنكرَ ورُدَّ ، لأنه نحلاً من الحشو ، متى بُكره

الفائدة ، ولم تحل منه بعائدة ، ولو أفاد لم يكن حشواً ، ولم يدع لغواً . وقد تراه = مع إطلاق هذا الاسم عليه = واقعاً من القبول أحسن موقع ، ومدرِكاً من الرضى أجزل حظ ، وذاك لإفادته إتيانك ، ^(٢) على مجيئه مجيء ما لا معول في الإفادة عليه ، ولا طائل للسامع لديه ، فيكون مثله مثل الحسننة تأتيك من حيث لم ترتقبها ، والنافعة أتتك ولم تحتسبها ، وربما رزق الطفيل ظرفاً يحظى به حتى يحل محل الأضياف الذين وقع الاحتشاد لهم ، والأحباب الذين وُثق بالأنس منهم وبهم .

° ° °

(١) انظر ما سلف (ص : ٧) .

(٢) في المخطوطة والمطبوعتين : « ذاك لإفادته » بغير واو ، والسياق يقتضيها ، فأثبتها .

١٧ - وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع ، فلا شبهة أنَّ
 الارتباط بالمعاني الاستعارة والتطبيق
 الحُسن والقُبْح لا يعترض الكلامَ بهما إلا من جهة المعاني خاصَّةً ، من غير أن
 يكون للألفاظ في ذلك نصيبٌ ، أو يكون لها في التحسين أو خلاف التحسين
 تصعيدٌ وتصويبٌ .

الاستعارة معنوية أما « الاستعارة » ، فهي ضربٌ من التشبيه ، ونَمَطٌ من التمثيل ، والتشبيه
 قياس ، والقياس يجري فيما تعيه القلوب ، وتُدركه العقول . وتُسْتَفْتَى فيه الأفهامُ
 والأذهان ، لا الأسماع والآذان .

التطبيق معنوي وأما « التطبيق » ، فأمره أَيْبُنُ ، وكونه معنويًّا أَجْلَى وأظهر ، فهو مقابلة
 الشيء بضدِّه ، والتضادُّ بين الألفاظ المركَّبة مُحالٌ ، وليس لأحكام المقابلة ثَمَّ
 مَجَالٌ .

١٨ - فخذ إليك الآن بيت الفرزدق الذي يُضْرَبُ به المثل في
 بيت للفرزدق وسبب ذمه
 تَعَسَّفِ اللفظ : [من الطويل]

وما مثله في الناس إلا مُمَلِّكًا أبو أمِّه حتى أبوه يُقاربه (١)
 فانظر أَيْتَصَوَّرَ أن يكون ذمُّك للفظه من حيث أنك أنكرت شيئًا / من
 حروفه ، أو صادفتَ وحشيًّا غريبًا ، أو سُوقِيًّا ضعيفًا ؟ أم ليس إلا لأنه لم يُرْتَّبْ
 الألفاظ في الذكر ، على موجب ترتُّب المعاني في الفكر ، فكذَّ وكَثَّرَ ، ومنع
 السامع أن يفهم الغرضَ إلاَّ بأنَّ يُقدِّم ويؤخِّر ، ثم أسرفَ في إبطال النِّظام ،
 وإبعاد المَرَام ، وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورةٌ ، ولكن

(١) هذا البيت مشهور قديم للفرزدق ، وهو في ديوانه (الصاوي) : ١٠٨ ، ملحقًا بقافية
 الباء ، وانظر ما كتبه في طبقات فحول الشعراء رقم : ٤٨٨ .

بعد أن يُراجِع فيها بابٌ من الهندسة ، لفرط ما عَادَى بين أشكالها ، وشِدَّة ما خَالَف بين أوضاعها .

•••

الاستعارة التي أثنوا
عليها من جهة اللفظ

١٩ - وإذا وجدت ذلك أمرًا يَبِينُ لا يُعارضك فيه شكٌ ، ولا يملكك معه أمترَاءٌ ، فأنظر إلى الأشعار التي أثنوا عليها من جهة الألفاظ ، ووصفوها بالسلامة ، ^(١) ونسبوها إلى الدَّمَائَةِ ، ^(٢) وقالوا : كأنَّها الماءُ جَرِيَانًا ، والهواءُ لُطْفًا ، والرياضُ حُسْنًا ، وكأنَّها التَّسِيمُ ، وكأنَّها الرَّجِيْقُ مِزاجها التَّسْنِيمُ ، وكأنَّها الدِّيَباجُ الحُسْرُوَانِيَّ في مَرَامِي الأَبْصارِ ، ووَشَى اليَمَنِ منشورًا على أذْرُعِ التَّجَارِ ، كقولهِ :

وَلَمَّا قَصَيْنَا مِنْ مِئِي كُلِّ حَاجِةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ ^(٣)
وَشَدَّتْ عَلَى دُهْمِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَبِينًا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ ^(٤)

(١) في المطبوعتين : « بالسلاسة » ، وأثبت ما في المخطوطة ، لأنه مطابق لما سيأتي مرارًا بعد ذلك .

(٢) في هامش المخطوطة : « ذميت المكان وغيره كفرح ، سهل ولان . والدمائة سهولة الخلق ،

قاموس » .

(٣) الأبيات تروى لكثير ، وليزيد بن الطثرية ، ولعقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى ، وانظر

تخريجها في ديوان كثير . ثم انظر دلائل الإعجاز : ٧٤ ، ٧٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ .

(٤) في هامش المخطوطة عند هذا البيت : « في لسان العرب : كل مختار طرف ، والجمع أطراف

قال ابن سيده : عنى بأطراف الأحاديث مُختارهُ ، وما يتعاطاه المحبون ، ويتفاوضهُ ذوو الصِّبَابَةِ

المْتِيمُونَ ، من التعريض والتلويح ، والإيماء دون التصريح ، وذلك أَلْحَى وأخْفُ وأَعْرَلُ وأنسَبُ ، من أن

يكون مشافهةً وكشفًا ، ومُصَارحةً وجهًا . وطرائف الحديث : مختاره » . وهذا نص ما في لسان

العرب (طرف) في شرح هذا البيت ، وكل ذلك اختطفه ابن سيده من كلام ابن جني في الخصائص ١ :

٢٢٠ . ثم انظر أيضًا شرح الأبيات في الخصائص لابن جني ١ : ٢١٧ - ٢٢١ . وهو فصل جيد جدًا .

ثم راجع فكرتك ، وأشحذ بصيرتك ، وأحسين التأمل ، ودع عنك التجوز في الرأي ، ثم أنظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم مُنصَرَفًا ، إلا إلى استعارة وقعت موقعها ، وأصاب غرضها ، أو حُسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع ، واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن ، وإلا إلى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد ، والفضل الذي هو / كالزيادة في التحديد ، وشيء داخل المعاني المقصودة مداخلة الطفيلي الذي يستقل مكانه ، والأجنبي الذي يُكره حضوره ، وسلامته من التقصير الذي يفتقر معه السامع إلى تطلب زيادة بقيت في نفس المتكلم ، فلم يدل عليها بلفظها الخاص بها ، واعتمد دليل حال غير مُفصِح ، أو نيابة مذكور ليس لتلك التباينة بمُستصلح .

وذلك أن أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال :

« ولما قضينا من منى كل حاجة . »

فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسُنَنِها ، من طريق أمكنه أن يُقصر معه اللفظ ، وهو طريقة العموم ، ثم نبه بقوله :

« ومسح بالركان من هو ماسح . »

على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر ، ودليل المسير الذي هو مقصوده

من الشعر . ثم قال :

« أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا . »

فوصل بذكر مسح الأركان ، ما وليه من زَمّ الركاب وركوب الركبان ، ثم

دل بلفظة « الأطراف » على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر ،

من التصرف في فنون القول وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتظرفين ، ^(١) من الإشارة والتلويح والرَّمز والإيماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس ، وقُوَّة النشاط ، وفضل الاغتباط ، كما تُوجِبُه ألفة الأصحاب وأتسُّة الأحباب ، وكما يليق بحال من وُفِّقَ لقضاء العبادة الشريفة ورجا حُسن الإياب ، وتَسَمَّ روائح الأحبَّة والأوطان ، واستماع التهاني والتَّحايا من الخُلانِّ والإخوان .

ثم زانَ ذلك كَلَهَ باستعارة لطيفةٍ طَبَّقَ فيها مَفْصِلَ التشبيه ، وأفاد كثيراً من الفوائد بلُطْفِ الوَحْيِ والتشبيه ، فصرَّحَ أوَّلاً بما أوماً إليه في الأخذ بأطراف /
 ١٥ الأحاديث ، من أنهم تَنازَعوا أحاديثهم على ظهور الرِّواحل ، وفي حال التوجُّه إلى المنازل ، وأخير بعدُ بسرعة السير ، ووَطَاءَ الظَّهر ، إذ جَعَلَ سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح ، وكان في ذلك ما يُوَكِّد ما قبله ، لأنَّ الظَّهور إذا كانت وَطِيئَةً وكان سيرها السَّيرَ السهلَ السريع ، زاد ذلك في نشاط الرُّكبان ، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيباً .

ثم قال : « بأعناق المطى » ، ولم يقل « بالمطى » ، لأنَّ السرعة والبُطءَ يظهران غالباً في أعناقها ، ويبيِّن أمرهما من هَوادِيها وصدورِها ، وسائرُ أجزائها تستند إليها في الحركة ، وتتبعها في الثَّقَلِ والخفَّةِ ، وتُعَبِّرُ عن المَرَحِ والنشاط ، إذا كانا في أنفسها ، بأفاعيل لها خاصَّة في العنق والرأس ، وتَدَلُّ عليهما بشمائل مخصوصة في المقادير .

(١) في مطبوعة رشيد رضا : « المتظرفين » بالطاء المهملة والراء ، وفي المطبوعة : « المتظرفين » بالطاء المهملة والواو . و صواب قراءتهما بالطاء المعجمة والراء ، و « المتظرفون » ، من « الظرف » ، وهو البراعة وذكاء القلب ، وبلاغة اللسان ، وحُسن العبارة .

٢٠ - فقل الآن : هل بقيت عليك حسنة تُحِيل فيها على لفظة من ألفاظها حتى إن فَضَّلَ تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة لو ذُكرت على الانفراد ، وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه ، وحتى تكون في ذلك كالجوهرة التي هي ، وإن ازدادت حُسناً بمصاحبة أخواتها ، واكتست بهاءً بمضاممة أترابها ، فإنها إذا جُليَتْ للعين فَرْدَةً ، وتُرِكَت في الخيط فَدَّةً ، لم تعدم الفضيلة الذاتية ، والبهجة التي هي في نفسها مَطْوِيَّةً - والشئرة من الذهب تراها = بصُحبة الجواهر لها في القلادة ، واكتنافها لها في عنق العَادة ، ووصلها بريق جمرتها والتهاب جَوهرها ، ^(١) بأنوار تلك الدرر التي تجاورها ، ولألاء اللآلئ التي تناظرها = ^(٢) تزداد جمالاً في العين ، ولُطْفَ موقع من حقيقة الزين . ثم هي إن حُرِمَت صُحبة تلك العقائل ، وفَرَّقَ الدهرُ الخوون / بينها وبين هاتيك النفائس ، لم تُعَرَّ من بَهْجتها الأصيلية ، ^(٣) ولم تذهب عنها فضيلة الذهبية . كلاً ، ليس هذا بقياس الشعر الموصوف بحسن اللفظ ، وإن كان لا يبعد أن يتخيله من لا يُنعم النظر ، ولا يُتم التدبُّر ، بل حقُّ هذا المثل أن يوضع في نصرة بعض المعاني الحكمية والتشبيهية بعضاً ، وازدياد الحسن فيها بأن يجمع شكلاً منها شكلاً ، وأن يصل الذكُر بين متدانيات في ولادة العقول إياها ، ومتجاوراتٍ في تنزيل الأفهام لها .

(١) في المخطوطة والمطبوعتين : « وصلتها بريق حمرتها » ، وما أثبت من القراءة أجود .

(٢) السياق : « والشئرة من الذهب تراها ... تزداد جمالاً » .

(٣) في المطبوعتين : « الأصيلية » ، والصواب ما في المخطوطة .

٢١ - واعلم أن هذه الفصول التي قَدَّمتها وإن كانت قضائياً لا يكاد يخالف فيها مَنْ به طَرُقٌ ، ^(١) فإنه قد يُذكر الأمر المتفق عليه ، لِيَبْنَى عليه المختلفُ فيه . هذا وربّ وفاقٍ من مُوافقٍ قد بقيت عليه زياداتٌ أغفلَ النظرَ فيها ، وضروبٌ من التلخيص والتهديب لم يبحث عن أوائلها وثوانها ، وطريقةٌ في العبارة عن المغزى في تلك الموافقة لم يمهّدها ، ودقيقةٌ في الكشف عن الحجة على مخالفٍ = لو عرض = ^(٢) من المتكلفين لم يجدها ، حتى تراه يطلق في عُرْض كلامه ما يبرز به وفاقاً في مَعْرِضٍ خلاف ، ويعطيك إنكاراً وقد همّ باعتراف ، وربّ صديق والاك قلبه ، وعاداك فعُله ، فتركك مكدوداً لا تشتفى من دائك بعلاج ، وتبقى منه في سُوء مزاج .

(١) يقال : « ما بفلان طرُق » ، بكسر الطاء وسكون الراء ، أى قوة ، وأصل « الطرُق » الشحم فكنوا به عنها ، لأنها أكثر ما تكون عنه .

(٢) « لو عرض » ، جملة معترضة بين كلامين متصلين .

المقصد

٢٢ - وأعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته ، والأساس الذي
 وضعته ، ^(١) أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق ، ومن أين تجتمع
 وتفرق ، وأفضل أجناسها وأنواعها ، وأتبع خاصتها ومُشاعها ، وأبين أحوالها في
 كرم منصبيها من العقل ، وتمكُّنها في نصابه ، وقُرب رَحيمها منه ، أو بعدها =
 حين تُنسب = عنه ، وكَوْنِها كالحليِّف الجاري مجرى النَّسَب ، ^(٢) أو الزَّئيم
 الملصِّق بالقوم لا يقبلونه ، / ولا يمتعضون له ولا يذُبُّون دونه .

غرضه من الأساس
 الذي وضعه بيان
 المعاني كيف تختلف
 وتتفق

١٧

وإنَّ من الكلام ما هو كما هو شريف في جوهره كالذهب الإبريز الذي
 تختلف عليه الصُّور وتتعاقب عليه الصناعات ، وجُلُّ المعوَّل في شرفه على ذاته ،
 وإن كان التصويرُ قد يزيد في قيمته ويرفع من قدره ، ومنه ما هو كالمصنوعات
 العجيبة من موادَّ غير شريفة ، فلها = ما دامت الصورة محفوظةً عليها لم تنتقض ،
 وأثر الصنعة باقياً معها لم يبطل = ^(٣) قيمةً تغلو ، ومنزلة تعلو ، وللرغبات إليها
 أنصبابٌ ، وللنفوس بها إعجاب ، حتى إذا خانت الأيام فيها أصحابها ،
 وضامت الحادثات أربابها ، وفجئتهم فيها بما يسلبها حُسْنها المكتسب بالصنعة ،
 وجمالها المستفاد من طريق العرَض ، فلم يبق إلا المادَّة العارية من التصوير ،

(١) قال الشيخ رشيد رضا في التعليق عليه : « هذا نص من المصنف بأنه هو الواضع لهذا الفن .
 وهو ما لم ينكره عليه أحد » . وصدق الشيخ . وسيضرب عبد القاهر المثل بما كان في كتب البلاغة قبله
 في الفقرة : ٢٣ .

(٢) في مطبوعة ريتير وحدها : « النسيب » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٣) السياق : « فلها قيمة تغلو » ، وما بينهما اعتراض .

والطَّيْنَةُ الخالية من التشكيل = ^(١) سقطت قيمتها ، وانحطت رتبها ، وعادت الرغبات التي كانت فيها زُهْدًا ، وأوسعتها عيونٌ كانت تطمح إليها إِعْرَاضًا دونها وصدًا ، وصارت كمن أحظاه الجُدُّ بغير فضلٍ كان يرجع إليه في نفسه ، ^(٢) وقَدَّمه البخت من غير معنَى يقضى بتقدّمه ، ثم أفاق فيه الدهر عن رقدته ، وتنبه لغلظته ، فأعاده إلى دِقَّةِ أصله ، ^(٣) وقَلَّةِ فضله .

الأصول المهمة
لغرضه

وهذا غرضٌ لا يُنال على وجهه ، وطَلِبَةٌ لا تُدرَك كما ينبغي ، إلا بعد مقدماتٍ تُقدِّم ، وأصولٍ تُمهِّد ، وأشياءٌ هي كالأدوات فيه حتَّى أن تُجمع ، وضروبٍ من القول هي كالمسافات دونه ، يجب أن يُسار فيها بالفكر وتُقَطَّع .

القول في التشبيه
والتمثيل والاستعارة

٢٣ - وأوَّلُ ذلك وأولاه ، وأحقُّه بأن يستوفيَهُ النظر ويتقَّصَّاه ، القول على « التشبيه » و « التمثيل » و « الاستعارة » ، فإن هذه أصولٌ كبيرة ، كأنَّ جُلَّ محاسن الكلام ^(٤) - إن لم نقل : كُلِّها - متفرَّعةٌ عنها ، وراجعةٌ إليها ، وكأنها أقطابٌ تلور / عليها المعاني في مُتَصَرِّفَاتِها ، وأقطارٌ تُحيط بها من جهاتها ، ولا يَقْنَع طالب التحقيق أن يقتصر فيها على أمثلة تُذكر ، ونظائر تُعدُّ ، نحو أن يقال ^(٥) : « الاستعارة » مثل قولهم « الفكرة مُخَّ العمل » ، وقوله : [من الطويل]

(١) السياق : « حتى إذا خاتت الأيام فيها أصحابها ... سقطت قيمتها » والجمل بينهما عطف على الأولى .

(٢) « أحظاه » ، أى جعل له حُظوةً من الجَدِّ ، أى الحظ .

(٣) في المطبوعة وحدها « رقة » ، والصواب في المخطوطة ، ومطبوعة رشيد رضا . و « الدقة » ،

مصدر الشيء الدقيق ، أى الحقيق الحسيس الدقء .

(٤) في المطبوعتين والمخطوطة : « كان جل » ؛ والصواب ما أثبت .

(٥) انظر أول الفقرة : ٢٢ ، والتعليق عليها .

« وَعُمَرَى أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ »^(١) .

وقوله : « السَّفَرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ » ،^(٢) وقول الأعرابي : « كانوا إذا اصطَفُوا سَفَرْتِ بَيْنَهُمُ السَّهَامِ ، وَإِذَا تَصَافَحُوا بِالسِّيُوفِ فَعَرَّ الْجِمَامِ » ، و« التمثيل » كقوله :
« فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي »^(٣) .

ويؤتى بأمثلة = إذا حُقِّقَ النَّظَرُ =^(٤) كالأشياء يجمعها الاسم الأعم ،
وينفرد كل منها بخاصة ، مَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَيْهَا كَانَ قَصِيرَ الْهَمَّةِ فِي طَلَبِ الْحَقَائِقِ ،
ضَعِيفَ الْمُتَنَةِ فِي الْبَحْثِ عَنِ الدَّقَائِقِ ، قَلِيلَ التَّوَقُّقِ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّطَائِفِ ،^(٥)
يرضى بالجَمَلِ والظواهر ، وَيَرَى أَنْ لَا يُطِيلَ سَفَرَ الْخَاطِرِ . ولعمري إنَّ ذلك
أَرْوَحُ لِلنَّفْسِ ، وَأَقْلُّ لِلشُّغْلِ ، إِلَّا أَنْ مِنْ طَلَبِ الرَّاحَةِ مَا يُعْقَبُ تَعَبًا ، وَمِنْ
أَخْتِيَارِ مَا تَقَلُّ مَعَهُ الْكُلْفَةُ مَا يُفْضَى إِلَى أَشَدِّ الْكُلْفَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي
تَلْتَقِي عِنْدَ الْجُمْلَةِ وَتَتَبَايَنُ لَدَى التَّفْصِيلِ ، وَتَجْتَمِعُ فِي جِذْمٍ ثُمَّ يَذْهَبُ بِهَا
الشُّعْبُ وَيَقْسِمُهَا قَبِيلًا بَعْدَ قَبِيلٍ ،^(٦) إِذَا لَمْ تُعْرَفْ حَقِيقَةُ الْحَالِ فِي تَلَاقِيهَا

(١) هو شعر زهير بن أبي سلمى في ديوانه ، وصدوره :

« صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ » .

(٢) في مجمع الأمثال : « السَّفَرُ مِيزَانُ السَّفَرِ » ، والسَّفَرُ ، المسافرون . أى السفر يكشف عن
أخلاق المسافرين .

(٣) هو من شعر النابغة الذبياني في ديوانه ، وتماهه :

« وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَنَّى عِنْدَكَ وَاسِعٌ » .

(٤) السياق : « ويؤتى بأمثلة ... كالأشياء ... » ، وما بينهما اعتراض .

(٥) « التَّوَقُّقُ » ، الشوق إلى الشيء والنزوع إليه .

(٦) « الْجِذْمُ » ، الأصل ، كأصل الشجرة .

حيث ألتقت ، وافتراقها حيث افترت ، كان قياسٌ مَنْ يحكم فيها - إذا توسط الأمر - قياسٌ من أراد الحكم بين رجلين في شرفهما وكرم أصلهما وذهاب عرقهما في الفضل ، ليعلم أيهما أقعد في السؤدد ، وأحقُّ بالفخر ، وأرسخ في أزومة المجد ، وهو لا يعرف من نسبتها أكثر من ولادة الأب الأعلى والمجد الأكبر ، نحو أن كل واحد منهما قرشيٌّ أو تميميٌّ ، فيكون = في العجز عن أن يُبرم قضيةً في معناهما ، ويبيِّن فضلًا أو نقصًا في منتاهما / = في حكم من لا يعلم أكثر من أن كل واحد منهما آدميٌّ ذَكَر ، أو تخلَّق مصوَّر .

الأول : القول في الحقيقة والمجاز

٢٤ - واعلم أن الذي يوجبه ظاهر الأمر ، وما يسبق إلى الفكر ، أن يُبدأً بجملة من القول في « الحقيقة » و « المجاز » ، ويَتبع ذلك القول في « التشبيه » و « التمثيل » ، ثم يُنسَق ذِكْرُ « الاستعارة » عليهما ، ويؤتى بها في أثرهما . وذلك أن « المجاز » أعمُّ من « الاستعارة » ، والواجب في قضايا المراتب أن يُبدأ بالعام قبل الخاص ، و « التشبيه » كالأصل في « الاستعارة » ، وهي شبيهة بالفرع له ، أو صورة مقتضية من صورته = إلا أن ههنا أمورًا اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة ، وبيان صدر منها ، والتنبيه على طريق الانقسام فيها ، حتى إذا عرِف بعض ما يكشف عن حالها ، ويقف على سعة مجالها ، عُطف عنان الشرح إلى الفصلين الآخرين ، ^(١) فوقيًا حقوقهما ، ^(٢) وبين فروقهما ، ثم يُنصرف إلى استقصاء الكلام في « الاستعارة » .

(١) « الفصلين الآخرين » ، يعني « التشبيه » و « التمثيل » .
 (٢) في المخطوطة والمطبوعتين : « فوقي » ، والصواب ما أثبت .

٢٥ - أعلم أن « الاستعارة » في الجملة أن يكون لللفظ أصلٌ في الوضع اللغويّ معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اختصَّ به حين وُضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلًا غير لازم ، فيكون هناك كالعاريّة . (١)

ثم أنها تنقسم أولاً قسمين :

أحدهما : أن يكون لنقله فائدة .

والثاني : أن لا يكون له فائدة ، وأنا أبدأ بذكر غير المفيد ، فإنه قصيرٌ

الباع ، قليل الاتساع ، ثم أتكلّم على المفيد الذي هو المقصود . (٢)

٢٦ - وموضع هذا الذي لا يفيد نقله ، حيث يكون اختصاصُ الاسم بما وُضع له من طريق أريدَ به التوسُّع في أوضاع اللغة ، والتنوُّق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها ، كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرةً بحسب اختلاف أجناس الحيوان ، نحو وضع « الشفة » للإنسان و « المشفر » للبعير / و « الجحفلة » للفرس ، وما شاكل ذلك من فروقٍ ربما وُجدت في غير لغة العرب وربما لم توجد ، فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها في غير الجنس الذي وُضِعَ له ، فقد استعاره منه ونقله عن أصله وجرّاه به موضعه ،

(١) « العاريّة » بتشديد الياء ، وجمعها « عواري » بتشديد أيضاً ، كأنها منسوبة إلى « العار » ، لأن طلبها عارٌ وعيب ، ويقال لها : « العارّة » أيضاً ، وهو اسم من « الإعارة » ، يقال : « أعرته الشيء إعارةً وعارةً » ، كما قالوا : أطعته إطاعةً وطاعةً . والذي في المخطوطة : « كالعارة » ، وهما سواء .

(٢) انظر ما قاله في « الاستعارة غير المفيدة » في آخر الكتاب ص : ٤٠٤ .

كقول العجاج : [من الرجز] ^(١)

• وفاحمًا ، ومرسِنًا مُسرِّجًا •

يعنى أنفًا يَبْرِقُ كالسِّراج ، و« المَرَسِينُ » في الأصل للحيوان ، لأنه
الموضع الذى يقع عليه « الرَسَنُ » = ^(٢) وقال آخر : يصف إبلاً : [من الرجز]

• تسمعُ للماءِ كصوتِ المِسْحَلِ •

• بينَ ورِيدِهَا وَبَيْنَ الجَحْفَلِ • ^(٣)

فجعل للإبل « جحافل » ، وهى لنوات الخوافر ، وقال آخر : [من الرجز]

• وَالْحَشْوُ من حَفَّانِهَا كالحنظلِ • ^(٤)

فأجرى « الحفَّان » على صغار الإبل ، وهو موضوع لصغار النعام ،

(١) هنا الرجز فى ديوانه ، وقوله هنا معطوف على ما قبله ، يذكر صاحبه ليل :

• أزمانَ أبَدتَ واضِحًا مُفلَجًا •

• أغرَّ بَرَّاقًا ، وطرفًا أبْرَجًا •

• ومُقلَّةً وحاجِبًا مُرَجَّجًا •

• وفاحمًا ، •

والفاحم : شعرها الأسود ، ثم ذكر أنفها .

(٢) و« الرَسَنُ » ، جبل الزمام يوضع على الأنف .

(٣) هو لأبى النجم العجلى ، فى ديوانه ، وفى الطرائف الأدبية للراجكوتى رحمه الله فى لاميته

المشهوره . و« المِسْحَلُ » حمار الوحش ، سُمى باسم سحيله وهو صوت نهاقه .

(٤) هو من لامية أبى النجم . فى صفة الإبل أيضًا : و« حَشْوُ الإبلِ ، وحاشيتها » صغارها .

وقال آخر :

[من المقارب]

فَبِتْنَا جُلُوسًا لَدَى مُهْرِنَا نُنزِعُ مِنْ شَقْتِيهِ الصَّفَارَا (١)

فاستعمل « الشفة » في الفرس ، وهي موضوعة للإنسان . فهذا ونحوه لا يفيدك شيئاً ، لو لزمَت الأَصْلَى لم يحصل لك ، فلا فرق من جهة المعنى بين قوله « من شَقْتِيهِ » وقوله « من جَحْفَلْتِيهِ » لو قاله ، إنما يُعْطِيكَ كِلَا الاسْمَيْنِ العَضْوَ المَعْلُومَ فحسب ، بل الاستعارة ههنا بأن تنقصك جزءاً من الفائدة أشبه ، وذلك أن الاسم في هذا النحو ، إذا نفيت عن نفسك دخول الاشتراك عليه بالاستعارة ، دَلَّ ذكره على العضو وما هو منه ، فإذا قلت « الشفة » دَلَّ على الإنسان ، أعنى يدل على أنك قصدت هذا العضو من الإنسان دون غيره ، فإذا توهمت جَرَى الاستعارة في الاسم ، زالت عنها هذه الدلالة بانقلاب اختصاصها إلى الاشتراك . فإذا قلت « الشفة » في موضع قد جرى فيه ذكر الإنسان والفرس ، دخل على السامع بعض الشبهة ، لتجويزه أن تكون استعرت الاسم للفرس ، ولو فرضنا أن تُعَدِّمَ هذه الاستعارة من أصلها وتُحَظَرُ ، كما كان لهذه الشبهة طريق على المخاطب ، فأعرفه .

٢٧ - وأما « المفيد » فقد بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني

الاستعارة المفيدة

(١) هو من شعر أبي دؤاد الإيادي يصف فرساً في ديوانه ، وفي الأصمعيات رقم : ٦٦ ، وفي المعاني الكبير لابن قتيبة : ٥٧ ، وروايتهم : « وبتنا عرأة » وهو جمع « عارٍ » يقال : « عراه يعروه » ، إذا غشيه ودنا منه . و« الصَّفَارُ » هنا بفتح الصاد لا غير ، وهو يبيس البُهْمَى ، وهو من أحرار البقول ، ترعاه الإبل ، ويخرج لها إذا يبست شوكة ، إذا وقع في أنوف الإبل والحيل والغنم أنفت عنه حتى ينزعه الناس من أفواهها وأنوفها .

وَعَرَضٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، لَوْلا مَكَانَ تِلْكَ الِاسْتِعَارَةِ لَمْ يَحْصُلْ لَكَ . وَجُمْلَةُ تِلْكَ الْفَائِدَةِ وَذَلِكَ الْغَرَضُ « التَّشْبِيهِ » ، إِلا أَنْ طُرُقَهُ تَخْتَلِفُ حَتَّى تَفُوتَ النِّهَايَةَ ، وَمِذَا هِبَهُ تَتَشَعَّبُ حَتَّى لا غَايَةَ ، وَلا يُمْكِنُ الْإِنْفِصَالُ مِنْهُ إِلا بِفِصُولِ جَمَّةٍ ، (١) وَقِسْمَةٌ بَعْدَ قِسْمَةٍ . وَأَنَا أَرَى أَنْ أَقْتَصِرَ الْآنَ عَلَى إِشَارَةِ تُعَرِّفُ صُورَتَهُ عَلَى الْجُمْلَةِ بِقَدْرِ مَا تَرَاهُ ، وَقَدْ قَابَلَ خِلَافَهُ الَّذِي هُوَ « غَيْرَ الْمَفِيدِ » ، فَيَتِمُّ تَصَوُّرُكَ لِلْغَرَضِ وَالْمِرَادِ ، فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ تَرْدَادُ بَيَانًا بِالْأَضْدَادِ .

ومثاله قولنا : « رأيت أسداً » ، وأنت تعنى رجلاً شجاعاً ، و« بحرًا » ، تريد رجلاً جواداً = و« بدرًا » و« شمسًا » ، تريد إنساناً مضىء الوجه مهللاً = و« سللت سيفًا على العدو » تريد رجلاً ماضيًا في نصرتك ، أو رأيًا نافذًا وماشاكل ذلك ، فقد استعرت اسم الأسد للرجل ، ومعلوم أنك أفدت بهذه الاستعارة مالولها لم يحصل لك ، وهو المبالغة في وصف المقصود بالشجاعة ، وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وبأسه وشدته ، وسائر المعاني المركوزة في طبيعته ، مما يعود إلى الجرأة . وهكذا أفدت باستعارة « البحر » سعته في الجود وقبض الكف ، و« بالشمس والبدر » ما لهما من الجمال والبهاء والحسن المالى للعيون الباهر للنواظر .

٢٨ - وإذ قد عرفت المثال في كون الاستعارة مفيدة على الجملة ، وتبين لك مخالفة هذا الضرب للضرب الأول الذى هو « غير المفيد » ، فإنى أذكر بقية قول بقيت مما يتعلق به ، أعنى بغير المفيد ، ثم أعطف على أقسام المفيد وأنواعه / وما يتصل به ويدخل في جملة من فنون القول بتوفيق الله عز وجل .

(١) في المخطوطة وفي مطبوعة زيتير : « الانتصاف منه » ، وكان الصواب ما أثبت ، من إحدى

نسختى رشيد رضا ، وإحدى نسختى زيتير .

وأسأله عز اسمه المعونة ، وأبرأ إليه من الحول والقوة ، وأرغب إليه في أن يجعل كل ما نتصرّف فيه منصرفاً إلى ما يتصل برضاه ، ومصروفاً عمّا يؤدّي إلى سَخَطِهِ .

٢٩ - أعلم أنه إذا ثبت أن اختصاص « المرّسين » بغير الآدمي لا يفيد أكثر مما يفيد الأنف في الآدمي = وهو فصل هذا العضو من غيره = ولم تكن باستعارته للآدمي مفيداً ما لا تفيد بالأنف = (١) لم يُتصوّر أن يكون استعارة من جهة المعنى . وإذا كان مدارُ أمره على اللفظ لم يتصور أن يكون في غير لغة العرب . بلى ، إن وُجد في لغة الفُرس مراعاةً نحو هذه الفروق ، ثم نقلوا الشيء من الجنس المخصوص به إلى جنس آخر ، كانوا قد سلكوا في لغتهم مسلكَ العرب في لغتها .

بقية القول في
الاستعارة غير المفيدة

وليس كذلك « المفيد » ، فإن الكثير منه تراه في عداد ما يشترك فيه أجيال الناس ، ويجرى به العُرف في جميع اللغات . فقولك « رأيت أسداً » ، تريد وصفَ رجل بالشجاعة وتشبيهُه بالأسد على المبالغة ، أمرٌ يَسْتَوِي فيه العربيُّ والعجميُّ ، وتُجِدُه في كل جيل ، وتسمعه من كل قبيل ، كما أن قولنا « زيد كالأسد » على التصريح بالتشبيه كذلك . فلا يمكن أن يُدعى أنا إذا استعملنا هذا النحو من الاستعارة ، فقد عمدنا إلى طريقةٍ في المعقولات لا يعرفها غيرُ العرب ، أو لم تتفق لمن سواهم ، لأن ذلك بمنزلة أن تقول : إن تركيبَ الكلام من الاسمين ، أو من الفعل والاسم ، يختصّ بلغة العرب ، وإن الحقائق التي تُذكر في أقسام الخبر ونحوه ، مما لا نعقله إلا من لغة العرب ، وذلك مما لا يخفى فساده .

الاستعارة المفيدة
شركة بين البشر

(١) السياق : « إذا ثبت ... لم يُتصوّر ... » .

فإذا ذُكر المجاز ، وأريد أن يُعَدَّ هذا النحو من الاستعارة فيه ، فالوجه أن يضاف إلى العقلاء جملةً ، ولا تُستعمل لفظةً / تُوهَمُ أنه من عُرِفَ هذه اللغة وطُرُقها الخاصة بها ، كما تقول مثلاً فيما يختصُّ باللغة العربية من الأحكام ، نحو الإعراب بالحركات ، والصَّرْفُ ومنع الصَّرْفِ ، ووضع المصدر مثلاً موضع اسم الفاعل نحو « رجلٌ صَوِّمٌ » و« ضَيِّفٌ » ، وجمع الاسم على ضروب نحو جمع السلامة والتكسير وجمع الجمع ، وإعطاء الاسم الواحد في التكسير عِدَّة أمثلة نحو « فَرخٌ » و« أفرخٌ » و« فِرَاحٌ » و« فُروخٌ » ، وكالفرق بين المذكر والمؤنث في الخطاب وجملة الضمائر وما شاكل ذلك . وإغفال هذا الموضوع والتجوز في العبارة عنه ، دخل الغلط على مَنْ جَعَلَ الشيءَ من هذا الباب سِرْقَةً وَأَخْذًا حتى نُعِيَ عليه . ويبيِّن أنه من المعاني العامية والأمور المشتركة التي لا فضل فيها للعربي على العجمي ، ولا اختصاص له بجيل دون جيل ، على ما ترى القول فيه ، إن شاء الله تعالى في موضعه . وهو تعالى وليّ المنّ بالتوفيق له بفضله وجوده .

* * *

[من المتقارب]

٣٠ - ولو أن مترجمًا ترجم قوله :

« وَإِلَّا النَّعَامَ وَحَفَانَهُ » (١)

ترجمة الاستعارة

ففسّر « الحفان » باللفظ المشترك الذي هو كالأولاد والصغار ، لأنه لا يجد في اللغة التي بها يترجم لفظًا خاصًا ، لكان مصيبًا ومؤدّيًا للكلام كما هو . ولو أنه ترجم قولنا : « رأيت أسدًا » ، تريد رجلًا شجاعًا ، فذكر ما معناه معنى

(١) هو من شعر أسامة بن الحارث الهذلي ، وتماهه :

« وَطَعْنًا مِنَ اللَّهْقِ النَّاشِيطِ » .

يعنى : وَتَبْنَا مِنَ الْبَقْرِ الْبَيْضِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ .

قولك: « شجاعاً شديداً » ، وترك أن يذكر الاسم الخاص في تلك اللغة بالأسد على هذه الصورة ، لم يكن مترجماً للكلام ، بل كان مستأنفاً من عند نفسه كلاماً .
وهذا بابٌ من الاعتبار يُحتاج إليه ، فحَقُّهُ أن يُحفظ ، وعسى أن يجيء له زيادةٌ بسِطٍ فيما يُستقبل .

° ° °

٣١ - فاعلم أنك قد تجد الشيءَ يُخلط بالضرب الأول الذي هو استعارة من طريق اللفظ ويُعدُّ في قبيله ، وهو إذا حَقَّقْتَ نَاطِرَ إلى الضرب الآخر الذي هو / مستعار من جهة المعنى وجارٍ في سبيله . فمن ذلك قولهم : « إنه لغليظُ الجحافل ، وغليظُ المشافر » ، وذلك أنه كلام يصدر عنهم في مواضع الذمِّ ، فصار بمنزلة أن يقال : كأنَّ شفته في الغلظِ مشفرُ البعير وجَحْفلة الفرس ، وعلى ذلك قول الفرزدق :

الاستعارة اللفظية
الناظرة إلى المعنوية

٢٤

فلو كنتَ ضَيِّباً عرفتَ قرابتي ولكنَّ زنجياً غليظَ المشافر^(١)

فهذا يتضمَّن معنى قولك : « ولكن زنجياً كأنه جمل لا يعرفنى ولا يهتدى لشرفى » . وهكذا ينبغي أن يكون القول في قولهم : « أنشَبَ فيه مخالبه » ، لأنَّ المعنى على أن يجعل له في التعلُّق بالشيء والاستيلاء عليه ، حالةٌ كحالة الأسد مع فريسته ، والبازي مع صيده .

(١) هكذا يدور البيت في كتب البلاغة والنحو ، وصرأته :

• غليظاً مشافرُهُ •

وهو أول تسعة أبيات في هجاء أيوب بن عيسى الضبي لما حبسه ، ذكرها صاحب الأغاني في « نسب الفرزدق وأخباره » ٢١ : ٣٣٢ ، وصححها كذلك عبد القادر البغدادي في « شرح أبيات معنى الليب » ٥ : ١٩٨ ، وليس في ديوانه (الصاوي) سوى البيت وحده كما هنا .

٣٢ - وكذا قول الحُطَيْبَةِ : [من الطويل]

قَرَوَا جَارَكَ الْعَيْمَانَ لَمَّا جَفَوْتُهُ وَقَلَصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ^(١)

حَقُّهُ ، إِذَا حَقَّقَتْ ، أَنْ يَكُونَ فِي الْقَبِيلِ الْمَعْنَوِيِّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عَنَى نَفْسَهُ بِالْجَارِ ، فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى وَصْفِ نَفْسِهِ بِنَوْعٍ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَيُعْطِيهَا صِفَةً مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ ، لِيُزِيدَ بِذَلِكَ فِي التَّهْكِيمِ بِالزُّبُرْقَانِ ، وَيُؤَكِّدُ مَا قَصَدَهُ مِنْ رَمِيهِ بِإِضَاعَةِ الضَّيْفِ وَاطِّرَاحِهِ وَإِسْلَامِهِ لِلضَّرِّ وَالْبُؤْسِ ، وَلَيْسَ يَبْعِيدُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مَنْ ابْتَدَأَ شِعْرًا فِي ذَمِّ نَفْسِهِ ،^(٢) وَلَمْ يَرْضَ فِي وَصْفِ وَجْهِهِ بِالتَّقْبِيحِ وَالتَّشْوِيهِ إِلَّا بِالتَّصْرِيحِ الصَّرِيحِ دُونَ الْإِشَارَةِ وَالتَّنْبِيهِ :

٣٣ - وَأَمَّا قَوْلُ مَرْزُودٍ : [من الطويل]

فَمَا رَقَدَ الْوُلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقِي وَحَافِرِهِ^(٣)

(١) في ديوانه : « العيمان » ، المشتبه للين سُقِيَ الماء في الشتاء فقلصت شفته من شدة البرد .

(٢) يعني قول الحطيبية في ذم نفسه ، « ديوانه ، في مقطعات للحطيبية من كتب الأدب » :
أَبَتْ شَفْتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا بِشَرًّا ، فَلَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ

أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهُ اللَّهُ خَلَقَهُ فُقُبْحٌ مِنْ وَجْهِ ، وَقُبْحٌ حَامِلُهُ

(٣) الشعر الآتي في هذه الفقرة ، ليس لمزرد بن ضرار ، بل هو لتجيباء الأشجعي ، (واسمه يزيد ابن خيثمة بن عبيد) ، نشأ وتوفي في أيام بني أمية : وإن كان الأصمعي قد نسب بعض أبياتها لمزرد ابن ضرار (الحيوان ٥ : ٢٦٠ ، ٢٦١) .

يذكر ضنيفاً ألم به ، يقول :

فَأَبْصَرَ نَارِي ، وَهِيَ شَقْرَاءُ أَوْ قَدَّتْ بَلِيلٌ فَلَاحَتْ لِلْعَيُونِ النُّوَاطِرِ

فَمَا رَقَدَ الْوُلْدَانُ

يبحث بعيره بساقه وقدمه ، ومرى البعير يمره ، إذا استخرج ما عنده بسوط أو غيره .

وعنى بالولدان : العبيد . وهنا الشعر نادر ، والقصيدة مذكورة في آخر حماسة ابن الشجري : ٩٥٣ -

٩٦٥ ؛ (تحقيق عبد المعين الملوحي ، وأسماء الحمصي ، طبعت في دمشق) .

فقد قالوا إنه أراد أن يقول : « بساقٍ وَقَدِيمٍ » ، فلما لم تطاوعه القافية وضع الحافر موضع القدم . وهو - وإن كان قد قال بعد هذا البيت ما يدلُّ على قَصْدِهِ أن يُحسِّنَ القَوْلَ في الضيف ، ويُباعده من أن يكون / قَصَدَ الزرابة عليه ، أو يَحْوِلُ حول الهزء به والاحتقار له ، وذلك قوله :

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومَرْحَبًا بهذا المُحَيًّا من مُحَيٍّ وزائرٍ^(١)

= فليس بالبعيد أن يكون فيه شوبٌ مما مضى ، وأن يكون الذى أفضى به إلى ذكر الحافر ، قَصْدُهُ أن يصفه بسوء الحال في مسيره ، وتقاذفِ نواحي الأرض به ، وأن يُبالغ في ذكره بشدَّة الحرص على تحريك بَكَرِهِ ، واستفراغ مجهودِهِ في سيره ، ويُؤنِّس بذلك أن تنظر إلى قوله قبل :

وأشعثُ مُستَرخِي العَلَّابِي طَوَّحَتْ به الأرضُ من بادٍ عَرِيضٍ وحاضرٍ^(٢)
فأبصرَ نارِي وهى شقراءُ أوقدَتْ بعَلْيَاءِ نَشْرٍ للعيونِ التَّواظِرِ

وبعد « فما رقد الولدان » ، فإذا جعله « أشعثُ مسترخي العلابي » ، فقد قَرَّبَت المسافة بينه وبين أن يجعل قدمه حافرًا ، ليعطيه من الصلابة وشدة الوقع على جنب البكر حظًا وافرًا .

٣٤ - وهكذا قول الآخر :

[من الطويل]

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى مَلِكٍ أَظْلَاهُ لم تَشَقِّقِ^(٣)

(١) هو يأتي بعد بيتين .

(٢) هو أول أبيات القصيدة ، وبعده ثلاثة أبيات ، ثم البيت الذى ذكره . و « العلابي » جمع

« علباء » ، وهو عَصَبُ العنق الغليظ خاصة ، واسترخاءُ العلابي من طول السفر وجهده .

(٣) هو لَعْفَقَان بن قيس بن عاصم بن عبيد اليربوعي ، جاهلي ، ويعنى بالملك : النعمان بن

هو في حد التشبيه والاستعارة ، لأن المعنى على أن الأظلاف لمن يُربأ بالمَلِكِ عن مشابهته ، كأنه قال : « أجعلُ أمرها إلى ملكٍ ، لا إلى عبيد جافٍ مُتَشَقِّقِ الأظلاف » . ويدلُّ على ذلك أن أبا بكر بن دريد قال في أول الباب الذى وضعه للاستعارة : « يقولون للرجل إذا عابوه : جاءنا حافياً مُتَشَقِّقِ الأظلاف » ثم أنشد البيت . (١) فإذا كان من شَرَط هذه الاستعارة أن يُؤتى بها في موضع العيب والنقص ، فلا شك في أنها معنوية .

٣٥ - وكذا قوله : [من المسرح]

وذاثُ هِذِمِ عارٍ نواشِرُها تُصِيتُ بالماءِ تَوَلِّبًا جِدِعا (٢)

فأجرى « التولب » على ولد المرأة ، وهو لولد الحمار في الأصل ، وذلك لأنه يصف حال ضُرِّ وبؤس ، ويذكر امرأةً بائسةً فقيرةً ، والعادة في مثل / ذلك الصفةُ بأوصاف البهائم ، ليكون أبلغ في سوء الحال وشدة الاختلال .

٣٦ - ومثله سواء قول الآخر : [من الكامل]

وذكرتُ أهلىَ بالعرابِ ءِ وَحاجَةَ الشُعْثِ التَّوَالِبِ (٣)

(١) هو في الباب الذى عقده أبو بكر بن دريد في آخر كتاب جمهرة اللغة ٢ : ٤٨٩ ، ٤٩٠ . وفيه أكثر الأبيات التى مرَّت في هذا الباب .

(٢) البيت لأوس بن حجر في ديوانه في مرثية فضالة بن كلدة الأسدَى ، وهو معطوف على

الذى قبله :

لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ وَالْمُدَّامَةُ وَالْفِتْيَانُ طُرًا وَطامِعٌ طَمِعًا

و« الهيم » الخَلْقُ المَرَقَعُ من الثياب . و« النواشر » ، جمع « ناشرة » ، وهى عصبُ النراع ، وإنما بدت من جوعها وهزالها وما تعانى من الضر . و« الجديع » ، السبىء الغذاء ، لأنه ليس لها لين من سوء حالها .

(٣) للأعلم الهنلى في شرح أشعار الهذليين . و« العراء » ، الصحراء لا نبت فيها . و« الشُعْث » ،

وَلَدُهُ ، مُلَقَّبُونَ بالعرابِ ليس دونهم حجاب .

كأنه قال : « الشُعْثُ التي لو رأيتها حسبتها تَوَالِبٌ » ، لما بها من العُتْبَةِ
وبذاذة الهيئة .

و « الجديع » في البيت بالدال غير معجمة . حكى شيخنا رحمه الله
قال : أنشد المفضل « تُصِمْتُ بالماء تَوَلْبًا جَدْعًا » بالدال المعجمة ، فأنكره
الأصمعي وقال : إنما هو « تصمت بالماء تَوَلْبًا جَدْعًا » وهو السّيءُ الغداء .
قال : فجعل المفضل يصيح ، فقال الأصمعي : لو نفخت في الشُّبُورِ
ما نفعك ، تكلمت بكلام الحُكْلِ وأصب ! ^(١)

وأما قول الأعرابي : ^(٢) « كيف الطَّلَا وأُمُّه ؟ » فمن جنس « المفيد » أيضًا ،
لأنه أشار إلى شيء من تشبيه المولود بولد الطيبي ، ألا تراه قال ذلك بعد أن انصرف
عن السُّخْطِ إلى الرِّضَى ، وبعد أن سَكَنَ عنه فَوْرَةُ الجوع الذي دعاه إلى أن قال :
« مَا أَصْنَعُ بِهِ ؟ آكُلُهُ أَمْ أُسْرِيهِ » ، حتى قالت المرأة « غَرْتَانُ فَارْتِكُوا لَهُ » .

٣٨ - وأما قوله : [من البسيط]

إِذْ أُسْرِفَ الدَّيْكَ يَدْعُو بَعْضَ أُسْرَتِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ ، وَهُمْ قَوْمٌ مَعَازِيلُ ^(٣)

(١) هذه قصة مشهورة في كتب الأدب واللغة والتصنيف والتحريف و « الشُّبُورِ » ، البوق .
و « الحُكْلُ » من الحيوان ، ما لا يُسْمَعُ له صَوْتُ ، كالدُّرِّ والنمل .

(٢) هو ابن لسان الحُمَيْرَةِ ، القصة مشهورة ، فاقراها في لسان العرب (ربك) .

(٣) من قصيدة فاخرة قالها عبدة بن الطبيب ، حين كان في جيش النعمان بن مقرن ، وهو
بحارب الفرس . وهي في المفضليات ، وشرحها لابن الأنباري وفي المخطوطات والمطبوعتين : « إذ أصبح
الدَّيْكَ » ، وهو خطأ صرف فطرحت . وقيله :

وَقَدْ غَلَوْتُ وَقِرْنُ الشَّمْسِ مَنْفَتَقٌ وَدُونَهُ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ تَجْلِيلُ
كأنه متغبط بجلال من سواد الليل . وقوله : « وهم قوم معازيل » ، يعني الدجاج ، أي أن
الدَّيْكَ يدعو من لا يبيحه بسلاح من الدجاج . و « المعازيلُ » جمع « مِعْزَالُ » ، كالأعزل ، أي الذي
لا سلاح معه ، يعتزل الحرب .

فاستعارة « القوم » ههنا ، وإن كانت في الظاهر لا تقييد أكثر من معنى الجمع ، فإنها مفيدة من حيث أراد أن يعطيها شَبَهًا مما يعقل . على أن هذا إذا حَقَّقْنَا في غير ما نحن فيه وبصدده في هذا الفصل ، وذلك أنه لم يجتلب الاسم المخصوص بالآدميين حتى قَدَّم تنزيلها منزلتهم فقال : « هم » ، فأتى بضمير مَنْ يعقل . وإذا كان الأمر كذلك ، كان « القوم » جاريًا مجرى الحقيقة . ونظيره أنك تقول : « أين الأسود الضارية » ؟ وأنت تعنى قومًا من الشجعان ، فيلزم في الصفة حكم ما لا يعقل ، فتقول « الضارية » ، / ولا تقول « الضارون » ألبتة ، لأنك وضعت كلامك على أنك كأنك تحدّث عن الأسود في الحقيقة .

٢٧

٣٩ - وعلى هذه الطريقة ينبغي أن يُجرى بيت المتنبي : [من الكامل]

زُحَل ، عَلَيَّ أَنَّ الْكَوَاكِبَ قَوْمُهُ لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَعْشَرًا^(١)

وإن لم يكن معنا اسم آخر سابق يُثَبِّت حكم ما يعقل للكواكب ، كالضمير في قوله « وهم قوم » ، وذلك أن ما يُفصح به الحال = من قصده أن يدعى للكواكب هذه المنزلة = يجرى مجرى التصريح بذلك . ألا ترى أنه لا يتضح وجه المدح فيه إلا بدعوى أحوال الآدميين ومعارفهم للكواكب ، لأنه يفاضل بينه وبينها في الأوصاف العقلية بدلالة قوله : « لكان أكرم معشرا » ، ولن يتحصّل ثبوت وصف شريف معقول لها ولا الكرم = على الوجه الذي يُتعارف في الناس = حتى تُجعل كأنها تعقل وتُميِّز ، ولو كانت المفاضلة في النور والبهاء وعلو المحل وما شاكل ذلك ، لكان لا يلزم حينئذ ما ذكرت . وحق القول في هذا القبيل = أعنى ما يدعى فيه لما لا يعقل العقل = فصل يُفرد به ، ولعله يجيء في موضعه بمشيئة الله وتوفيقه .

القول في الاستعارة المفيدة

٤٠ - أعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الأول ، وهي أمدٌ ميداناً ، وأشدُّ افتناناً ، وأكثر جريئاً ، وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعةً وأبعد غوراً ، وأذهبُ نجدًا في الصناعة وغوراً ، من أن تُجمع شُعَبها وشُعوبها ، وتُحصِر فنونها وضروبها ، نعم ، وأسحرُ سِحْرًا ، وأملأُ بكل ما يملأ صَدْرًا ، ويُمتع عقلًا ، ويؤنِس نفسًا ، ويوفر أنسًا ، وأهدى إلى أن تُهدى إليك أبدًا عذاري قد تُخَيِّر لها الجمال ، وعُنِيَ بها الكمال = وأن تُخرج لك من بحرِها جواهر إن باهتتها الجواهر مدّت في الشرف / والفضيلة باعًا لا يقصُر ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لا تُنكر ، وردّت تلك بصُفرة الخجل ، ووكلتها إلى نسبتها من الحجر = وأن تُثير من معدنها تيرًا لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغاتٍ تُعطل الحليّ ، وتُريك الحليّ الحقيقي = وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس إليها الدين والدنيا ، وفضائل لها من الشرف الرتبة العليا ، وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها ، وتستوفى جملةً جمالها .

الاستعارة المفيدة

٢٨

٤١ - ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تُبرز هذا البيان أبدًا في صورة مُستجدةٍ تزيد قدره نُبلًا ، وتوجب له بعد الفضل فضلًا ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد ،^(١) حتى تراها مكررة في مواضع ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأنٌ مفردٌ ، وشرفٌ مفردٌ ، وفضيلةٌ مرموقةٌ ، وخلاصةٌ مرموقةٌ .

(١) في المطبوعتين : « فيها فوائد » ، والصواب ما في المخطوطة .

٤٢ - ومن خصائصها التي تُذكر بها ، وهي عنوان مناقبها ، أنها
 خصائص الاستعارة
 المفيدة
 تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة
 عِدَّة من الدرر ، وتُجني من العُصن الواحد أنواعًا من الثمر . وإذا تأملت أقسام
 الصنعة التي بها يكون الكلام في حدِّ البلاغة ، ومعها يستحق وصف البراعة ،
 وجدتها تفتقر إلى أن تُعبرها حُلاها ، وتَقصر عن أن تُنازعها مداها = وصادقتها
 نجومًا هي بدرها ، وروضًا هي زهرها ، وعرائس ما لم تُعزها حلبيها فهي عواطل ،
 وكواعب ما لم تُحسبها فليس لها في الحسن حظُّ كامل .

= فإنك لترى بها الجماد حيًا ناطقًا ، والأعجم فصيحًا ، والأجسام
 الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جليئة ، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها
 ولا ناصر لها أعز منها ، ولا روثق لها ما لم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير
 ٢٩ مُعجبة ما لم تكنها . إن شئت / أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل ،
 كأنها قد جُسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية
 حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون .

وهذه إشارات وتلويحات في بدائعها ، وإنما ينجلي الغرض منها ويبين ، إذا
 تكلم على التفاصيل ، وأُفرد كل فن بالتمثيل ، وسترى ذلك إن شاء الله ، وإليه
 الرغبة في أن نُوفَّق للبلوغ إليه والتوفُّر عليه .

وإذ قد عرقتك أن لها هذا المجال الفسيح ، والشأو البعيد ، فإني أضع
 لك فصلًا بعد فصل ، وأجتهد بقدر الطاقة في الكشف والبحث .

وهذا فصلٌ قَسَمْتُهَا فِيهِ قِسْمَةً عَامِيَةً

٤٢ - ومعنى « العامية » ، أنك لا تجد في هذه الاستعارة قسمةً إلا أخصراً من هذه القسمة ، وأنها قسيمة الاستعارة من حيث المعقول المتعارف في طبقات الناس وأصناف اللغات ، ^(١) وما تجدد وتسمع أبداً نظيره من عوام الناس كما تسمع من خواصهم .

قسمة الاستعارة
المفيدة

٤٣ - اعلم أن كل لفظة دخلتها الاستعارة المفيدة ، فإنها لا تخلو من أن تكون أسماً أو فعلاً ، فإذا كانت اسماً فإنه يقع مستعاراً على قسمين :

استعارة الاسم على
قسمين

أحدهما : أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه ، وتجعله متناولاً له تناول الصفوة مثلاً للموصوف ، وذلك قولك « رأيت أسداً » وأنت تعنى « رجلاً شجاعاً » = « عنت لنا ظبية » وأنت تعنى امرأة = « أبتديت نوراً » وأنت تعنى هدى وبيانا وحجة وماشاكل ذلك ، فالاسم في هذا كله كما تراه متناول « شيئاً معلوماً » يمكن أن ينصر عليه فيقال : إنه عُني بالاسم وكُنِيَ به عنه ونُقل عن مسماه الأصلي فجعل اسماً له على سبيل الإعارة والمبالغة في التشبيه .

والثاني : أن يؤخذ الاسم على حقيقته ، ^(٢) ويوضع موضعاً لا / يبين فيه شيء يشار إليه فيقال : هذا هو المراد بالاسم والذي استعير له ، وجعل خليفة

القسم الثالث من
استعارة الاسم
٣٠

(١) في المخطوطة والمطبوعتين : « وأنها قسمة الاستعارة ... » ، والصواب ما أثبت . يقال : « هذا قسم هنا » ، أى يقاسمه الأمر ويشاطره .

(٢) في المخطوطة والمطبوعتين : « عن حقيقته » ، والصواب الجيد ما أثبت .

لا سمه الأصلي ونائباً منابه ، ومثاله قول لبيد :

[من الكامل] وغداة ريج قد كَشَفْتُ ، وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها ^(١)

وذلك أنه جعل للشمال يدًا ، ومعلوم أنه ليس هناك مُشار إليه يمكن أن تُجرى اليد عليه ، كإجراء « الأسد » و « السيف » على الرجل في قولك « أنبري لي أسدّ يزُرُّ » و « سللت سيفاً على العدو لا يُفَلُّ » ، و « الظباء » على « النساء » في قوله :

• الظباء الغيد . ^(٢)

(١) في المخطوطة فوق : « وغداة ريج » ، كتب : « أي ربّ ريج » ، وتحت « قرّة » ، كتب « البرد » .

ثم كتب في الهامش الأيمن : « قبله آيات من معلقته المشهورة :

بصبوح صافية وجذب كرينة بموثر تأتأله إبهامها
بآكرت حاجتها الدجاج بسحرة لأعلّ منها حين هبّ نيامها
وغداة ريج ... إلخ

وكتب تحت « بموثر » ، « عودٌ عليه أوتار » = وكتب تحت « لأعلّ » : « من العلل ، وهو

الشرب الثاني » .

وكتب إلى جوار البيت الأول منها ، الذي فيه « تأتأله » كما ضبطها قال : « بفتح اللام من قولك : تأتيت له ، كأنها تفعل ذلك على تمهل وترتل » .

خلط هذا الكاتب في رواية الشعر وتنابه ، وزاد خلطاً في جملة « تأتأله » بفتح اللام من « له » ، وإنما هي « تأتأله » « تفتعله » « آل يؤول » ، ومعناه : تُصلحُه وتبيته وتسوسه » .

•••

ثم كتب أمام البيت في الهامش الأيسر : « هنا تمثيل ، لأنه جعل للشمال يدًا ، وجعل للغداة زمامًا . وإنما المعنى أن البرد فيها شديد ، وأن الشمال الغالبة ، فكأنها بمنزلة من يقودها » .

(٢) في المخطوطة والمطبوعتين : « من الظباء الغيد » ، وزيادة « من » خطأ مفسد ، والصواب

ما أثبت ، وهو في قصيدة البحتری في ديوانه ، يقول في أول القصيدة :

= و « النور » على الهدى والبيان في قولك « أبديتُ نورًا ساطعًا » =
 وكإجراء « اليد » نفسها على من يعزُّ مكانه كقولك « أتنازعني في يدِها أبطشُ ،
 وعينِها أبطرُ » تريد إنسانًا له حُكْمُ اليدِ وفعلها ، وغناؤها ودفعها ، وخاصةً
 « العين » وفائدتها ، وعزّة موقعها ، ولطف موضعها = لأنَّ معك في هذا كله
 ذاتًا يُنصُّ عليها ، وترى مكانها في النفس ، إذا لم تجد ذكرها في اللفظ .

. وليس لك شيء من ذلك في بيت لبيد ، بل ليس أكثر من أن تُخيل إلى
 نفسك أن « الشَّمال » في تصريف « الغداة » على حكم طبيعتها ، كالمديّر
 المصرف لما زمامه بيده ، ومقادته في كفه ، وذلك كله لا يتعدى التخيل والوهم
 والتقدير في النفس ، من غير أن يكون هناك شيء يُحسُّ ، وذات تتحصّل .
 ولا سبيل لك أن تقول : كنى باليد عن كذا ، وأراد باليد هذا الشيء ، أو جعل
 الشيء الفلاني « يدًا » كما تقول : « كنى بالأسد عن زيد ، وعنى به زيدًا ، وجعل
 زيدًا أسدًا » ، وإنما غايتك التي لا مُطلع وراءها أن تقول : « أراد أن يُثبت
 للشمال في الغداة تصرفًا كتصرف الإنسان في الشيء يقبُّه ، فاستعارها
 « اليد » حتى يبالغ في تحقيق الشبه ، وحُكْمُ « الزمام » في / استعارته للغداة
 حكم « اليد » في استعارتها للشمال ، إذ ليس هناك مشارٌ إليه يكون الزمام
 كنايةً عنه ، ولكنه وفي المبالغة شرطها من الطرفين ، فجعل على « الغداة »
 « زمامًا » ، ليكون أتم في إثباتها مصرفةً ، كما جعل للشمال « يدًا » ، ليكون أبلغ
 في تصيرها مُصرفةً .

٣١

= شُعْلَانٌ مِنْ عَذْلٍ وَمَنْ تَفْنِيدٍ وَرَسِيْسٌ حُبٌّ طَارِفٌ وَتَلِيدٍ
 وَأَمِيًا وَأَرَامٌ الطَّبَاءُ ، لَقَدْ نَأَتْ بَهَوَاكِ آرَامِ الطَّبِيَاءِ الْغَيْدِ
 وَخَلَطَ رَيْتِرٌ فِي التَّلْقِيْقِ عَلَى مَطْبُوْعَتِهِ .

الفصل بين
قسمي الاستعارة

٤٤ - ويفصل بين القسمين أنك إذا رجعت في القسم الأول إلى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تُفيد، وجدته يأتيك عفواً، كقولك في « رأيت أسداً » « رأيت رجلاً كالأسد » أو « رأيت مثل الأسد » أو « شبيهاً بالأسد » = وإن رُمته في القسم الثاني وجدته لا يأتيك تلك المؤاتاة، إذ لا وجه لأن تقول: « إذ أصبح شيء مثل اليد للشمال » أو « حصل شبيه باليد للشمال »، وإنما يترأى لك التشبيه بعد أن تُحرق إليه سترًا، وتُعمل تأملًا وفكرًا، وبعد أن تُغيّر الطريقة، وتخرج عن الحلو الأول، ^(١) كقولك: « إذ أصبحت الشمال ولها في قوة تأثيرها في الغداة شبة المالك تصريف الشيء بيده، وإجراؤه على موافقته، وجذبه نحو الجهة التي تقتضيها طبيعته، وتنحوها إرادته »، فأنت كما ترى تجذ الشبه المنتزع ههنا = إذا رجعت إلى الحقيقة، ووضعت الاسم المستعار في موضعه الأصلي = لا يلقاك من المستعار نفسه، بل مما يضاف إليه. ألا ترى أنك لم تُرد أن تجعل الشمال كاليد ومشبهة باليد، كما جعلت الرجل كالأسد ومشبهاً بالأسد، ولكنك أردت أن تجعل « الشمال » كذي اليد من الأحياء، فأنت تجعل في هذا الضرب المستعار له = وهو - نحو « الشمال » - ذا شيء، وغرضك أن تُثبت له حكم من يكون له ذلك الشيء في فعل أو غيره، لا نفس ذلك الشيء، فأعرفه.

٤٥ - وهكذا قول زهير:

وَعَرَى أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ .^(٢)

(١) في المطبوعتين « عن الحد الأول »، وفي بعض المخطوطات منه: « عن الحنو »، وهو أجد

فأثبته .

(٢) مضى في رقم: ٢٣، وفي هامش المخطوطة هنا ما نصه: « أوله:

= صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ .

لا تستطيع أن تُثبت ذواتاً أو شبيهة / الذوات تتناولها الأفراسُ والرّواحل في البيت ، على حدّ تناول الأسد الرجل الموصوف بالشجاعة ، والبدر الموصوف بالحسن أو البهاء ، والسحاب المذكور بالسخاء والسماحة ، والنور العلم ، والهدى والبيان ، وليس إلا أنك أردت أن الصبا قد ترك وأهمل ، وفقد نزاع النفس إليه وبطل ، فصار كالأمر يُنصرف عنه فتعطل آلاته ، وتطرح أدياته = كالجهة من جهات المسير نحو الحج أو الغزو أو التجارة يُقضى منها الوطر ، فتخط عن الخيل التي كانت تُركب إليها لبودها ، وتلقى عن الإبل التي كانت تُحمل لها قوتوها .

وقد يجيء = وإن كان كالتكلف = أن تقول إن « الأفراس » عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها ، وقواها في لذاتها ، أو الأسباب التي تفتل في حبيل الصبا ، وتنصر جانب الهوى ، وتلهب أريجية النشاط ، وتحرّك مَرَح الشباب ، كما قال :

« ونعم مطيئة الجهل الشباب » (١)

= الأصمعي : « صحا » ، انكشف عنه ما كان من سكر الباطل . و « أقصر » : كَف . وتقول : قد أقصرت عن ذلك ، أى كفت . وعزى أفراس ، مثل ضربه ، أى تركت الصبا فلا أركبه ولا آتبه . و « صبّا » ، مال إلى الشيء ، وكل ماثل صاب . ويقال : « تصببت فلانة إلى فلان » ، أى ذهبت وبقى الكلام لا يقرأ ، فتركنه ، والمعنى مفهوم .

(١) هكنا جاء في المخطوطة والمطبوعتين ، والصواب ما في ديوان النابغة ، يقوله لعامر بن

الطفيل :

فإن يك عامراً قد قال جهلاً فإن مطيئة الجهل الشباب

وفيه رواية أخرى : « فإن مطيئة » قال الأصمعي : « المطيئة الذي لا تطلب فيه الشيء

إلا وجدته » .

[من الكامل]

وقال :

. كان الشباب مَطِيَّةَ الْجَهْلِ .^(١)

وليس من حَقِّكَ أَنْ تَتَكَلَّفَ هَذَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ، فَإِنَّهُ رِبْمًا خَرَجَ بِكَ إِلَى مَا يَضُرُّ الْمَعْنَى وَيَنْبُو عَنْهُ طَبْعُ الشَّعْرِ ، وَقَدْ يَتَعَاطَاهُ مِنْ يَخَالِطُهُ شَيْءٌ مِنْ طَبَاعِ التَّعَمُّقِ ، فَتَجِدُ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ .

[من الطويل]

ولو أنك تطلبت « للمطية » في بيت الفرزدق :

لَعَمْرِي لئن قِيدْتُ نَفْسِي لَطَالَمَا سَعَيْتُ وَأَوْضَعْتُ الْمَطِيَّةَ فِي الْجَهْلِ^(٢)

= مِثْلُ هَذَا التَّأْوِيلِ ، تَبَاعَدَتْ عَنِ الصَّوَابِ ، وَعَدَلَتْ عَمَّا يَسْبِقُ إِلَى الْقَلْبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِكَ : « لَطَالَمَا سَعَيْتُ فِي الْبَاطِلِ ، وَقَدِيمًا كُنْتُ فِي الْإِسْرَاعِ إِلَى الْجَهْلِ بِصُورَةٍ مِنْ يُوضَعُ الْمَطِيَّةَ فِي سَفَرِهِ » .

وسِرُّ هَذَا الْمَوْضِعِ يَتَجَلَّى تَمَامَ التَّجَلُّي إِذَا تُكَلِّمُ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ ، وَسَيَأْتِيكَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٤٦ - وكذا قولهم : « هو مُرَخِّي الْعِنَانِ ، وَمُلْقَى الرِّمَامِ » ، لا وَجَهَ لِأَنَّ

٣٣ تروم شيئاً تُجْرِي / الْعِنَانِ عَلَيْهِ وَيَتَنَاوَلُهُ ، بَلِ الْمَعْنَى عَلَى انْتِزَاعِ الشَّبَهِ مِنَ الْفَرَسِ فِي حَالِ مَا يُرَخِّي عِنَانَهُ ، وَأَنْ يُنْظَرَ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي تُوجَدُ مِنْ حَالِهِ تَلِكِ فِي الْعَقْلِ ، ثُمَّ يُجَاءُ بِهَا فَيُعَارَهَا الرَّجُلُ ، وَيُتَصَوَّرُ بِمَقْتَضَاهَا فِي النَّفْسِ وَيُتَمَثَّلُ ، وَلَوْ قُلْتَ : إِنْ

(١) هو في ديوان أبي نواس ، وتمامه :

. وَمُحَسِّنَ الضَّحِكَاتِ وَالْهَزْلِ .

(٢) هو في ديوان الفرزدق ونقائض جرير والفرزدق .

« العنان » ههنا بمعنى النهي ، وأن المراد أن النهي قد أبعد عنه ونحو ذلك ، دخلت في ظاهر من التكلف ، وأتعبت نفسك في غير جدوى ، وعادت زيادتك نقصاناً ، وطلبك الإحسان إساءة .

٤٧ - واعلم أن إغفال هذا الأصل الذي عرفتك = من أن الاستعارة تكون على هذا الوجه الثاني كما تكون على الأول = مما يدعو إلى مثل هذا التعمق ، فإنه نفسه قد يصير سبباً إلى أن يقع قوم في التشبيه ، ^(١) وذلك أنهم إذا وضعوا في أنفسهم أن كل اسم يستعار فلا بد من أن يكون هناك شيء يمكن الإشارة إليه يتناوله في حال المجاز ، كما يتناول مسماه في حال الحقيقة ، ثم نظروا في نحو قوله تعالى : (وَتَصْنَعُ عَلَى عَيْنِي) [سورة طه : ٣٩] و(وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) [سورة مود : ٣٧] ، فلما لم يجدوا للفظ « العين » ما يتناوله على حدّ تناول « النور » مثلاً للهدى والبيان ارتبكوا في الشكّ وحاموا حول الظاهر ، وحملوا أنفسهم على لزومه ، حتى يُفضى بهم إلى الضلال البعيد ، وارتكاب ما يقدح في التوحيد ، ونعوذ بالله من الخذلان .

٤٨ - وطريقة أخرى ، في بيان الفرق بين القسمين ، وهو أن الشبّه في القسم الأول = الذي هو نحو « رأيت أسداً » تريد رجلاً شجاعاً = وصّف موجوداً في الشيء [الذي استعرت اسمه وهو الأسد ، وأما قولك « إذ أصبحت بيد الشمال زمامها » فالشبه [الذي له استعرت اليد ، ليس بوصف في اليد ، ^(٢)

طريقة أخرى في
الفرق بين القسمين

(١) « التشبيه » ، يعني به هنا تشبيه الخالق سبحانه على وجه التحقيق بال مخلوقات الحادثه .

(٢) ما بين القوسين من عمل ريتير في مطبوعته ، وقد أحسن في هذه الزيادة التي يقتضيها سياق

ولكنه صفة تُكسبها اليدُ صاحبها ، وتَحْصُلُ له بها ، وهى التصرف على وجه مخصوص = وكذا قولك « أفراس الصبّا » ، ليس الشبه الذى له استعرت الأفراس / موجودًا فى الأفراس ، بل هو شبه يحصل لما يضاف إليه الأفراس ، حيث يراد ٣٤ الحقيقة نحو قولنا : « عُرِّى أفراس الغزو » ، و « أجمت خيل الجهاد » ، وذلك ما يوجب الفعل الواقع على الأفراس ، نحو أن وقوع الفعل الذى هو « عُرِّى » على أفراس الغزو ، يوجب الإمساك عن الغزو والترك له = وعلى هذا القياس .

٤٩ - وإذا قد تقرر أمر الاسم فى كون استعارته على هذين القسمين ، استعارة الفعل ، فمن حقنا أن ننظر فى « الفعل » هل يحتمل هذا الانقسام . والذى يجب العمل عليه أن الفعل لا يُتصوّر فيه أن يتناول ذات شىء ، كما يتصور فى الاسم ، ولكن شأن الفعل أن يُثبت المعنى الذى اشتق منه للشىء فى الزمان الذى تدل صيغته عليه . فإذا قلت : « ضَرَبَ زيدٌ » ، أثبت الضرب لزيد فى زمان ماضٍ ، وإذا كان كذلك ، فإذا استعير الفعل لما ليس له فى الأصل ، فإنه يُثبت باستعارته له وصفًا هو شبيه بالمعنى الذى ذلك الفعل مشتق منه .

٥٠ - بيان ذلك أن تقول : « نطقت الحال بكذا » ، و « أخبرتنى أسارى وجهه بما فى ضميره » ، و « كلمتنى عيناه بما يحوى قلبه » ، فتجد فى الحال وصفًا هو شبيه بالنطق من الإنسان ، وذلك أن « الحال » تدل على الأمر ويكون فيها أماراتٌ يعرف بها الشىء ، كما أن النطق كذلك . وكذلك « العين » فيها وصف شبيه بالكلام ، وهو دلالتها = بالعلامات التى تظهر فيها وفى نظرها وخواص أوصافٍ يُحدس بها = على ما فى القلوب من الإنكار والقبول .

ألا ترى إلى حديث الجمحى ؟ حُكى عن بعضهم أنه قال : أتيتُ

الجمحي أستشيريه في امرأة أردت التزوج بها فقال : أقصيرة هي أم غير قصيرة ؟ قال : فلم أفهم ذلك . فقال لي : كأنك لم تفهم ما قلتُ ، إنني لأعرف / في عين الرجل إذا عرف ، وأعرفُ فيها إذا أنكر ، وأعرفُ إذا لم يعرف ولم ينكر = أمّا إذا عرف ، فإنها تَحَاوِصُ ، وإذا لم يعرف ولم ينكر فإنها تَسْجُو ، وإذا أنكر فإنها تَحِظُ . أردت بقولي « قصيرة » ، أي هي قصيرة النسب تُعْرَفُ بأبيها أو جدّها .

قال الشيخ أبو الحسن : (١) وهذا من قول النسابة البكري لرؤية بن العجاج لما أتاه ، فقال لرؤية : قَصُرْتُ وعُرِفْتُ .

٣٥

قال : وعلى هذا المعنى قول رؤية :

[من الرجز]

• قد رَفَعَ العَجَّاجُ ذَكَرِي ، فَادْعُنِي • (٢)

• بِاسْمِ إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي •

وأمر « العين » أظهر من أن تحتاج فيه إلى دليل ، ولكن إذا جرى الشيء في الكلام هو دعوى في الجملة ، كان الأنس للقارئ أن يقترب به ما هو شاهد فيه ، فلم يُرْ شيءٌ أحسن من إيصال دعوى ببرهان .

٥١ - وإذا كان أمرُ الفعل في الاستعارة على هذه الجملة ، رجَّع بنا

التحقيق إلى أن وصف الفعل بأنه مستعارٌ ، حكمٌ يرجع إلى مصدره الذي

استعارة الفعل ترجع
إلى مصدره

(١) هو القاضي الجرجاني ، (علي بن عبد العزيز) ، صاحب « الوساطة » ، وهو شيخ عبد القاهر ، يتبعه بذكره والأخذ عنه .

(٢) في مطبوعة ريتز : « رفع العجاج باسمي ، فادعني باسمي » ، وهو خطأ لا معنى له ، وأثبت ما في مطبوعة رشيد رضا ، وهو مطابق لما في الوساطة ، ومطابق لما في كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة : ٤٧٨ ، ٥٠٦ ، وفي هذا الموضوع الأخير ، خبر النسابة البكري .

اشتق منه ، فإذا قلنا في قولهم : « نطقت الحال » ، أن « نطق » مستعار ، فالحكم بمعنى أن « النطق » مستعار ، وإذا كانت الاستعارة تنصرف إلى المصدر كان الكلام فيه على ما مضى .

استعارته من جهة
الفاعل مرة ، ومن
جهة المفعول مرة

٥٢ - وما تجب مراعاته أن الفعل يكون استعارة مرة من جهة فاعله الذي رُفِعَ به ، ومثاله ما مضى = ويكون أخرى استعارة من جهة مفعوله ، وذلك نحو قول ابن المعتز :

جُمِعَ الحَقُّ لَنَا فِي إِسْمِ قَتَلَ البُخْلِ وَأَحْيَى السَّمَاخَا^(١)
« قَتَلَ » و « أَحْيَى » إنما صارَا مستعَارَيْنِ بَأَن عُدِّيَا إِلَى البُخْلِ وَالسَّمَاخِ ،
ولو قَالَ : « قَتَلَ الأَعْدَاءَ وَأَحْيَى » ، لم يَكُن « قَتَلَ » استعَارَةً بِوَجْهِه ،^(٢) ولم يَكُن « أَحْيَى » استعارة على هذا الوجه = وكذا قوله :
[من الطويل]

• وَأَقْرَى المَمُومَ الطَّارِقَاتِ حَزَامَةً •^(٣)

(١) هو في ديوانه .

(٢) في المخطوطة ومطبوعة ريتز « الاستعارة بوجه » ، والصواب ما في مطبوعة رشيد رضا .

(٣) هو للذهلول بن كعب العنبري . والأبيات التي منها هذا البيت في الحماسة ٢ : ١١٦ ،

ومعجم الشعراء : ٤٩١ ، وهو في الكامل للمبرد ١ : ٥٠ ، ٥١ (طبعة محمد أحمد الدالي - بدمشق) ،

نسبها المبرد لأعرابي من بني سعد ابن زيد مناة بن تميم ، وقال أبو الحسن الأخصفش إنه سمعها من أبي محمَّد

السعدى ، لهذا السعدى ، وأخطأ صاحب العقد ١ : ١٢٨ في نسبتها لأبي محمَّد السعدى ، وهم .

وفي الأشباه والنظائر للخالدين ٢ : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، نسب الأبيات للحارث بن بدر ، في قصة . وفي

اللسان (درع) ، نسبها ابن برى لنعيم بن الحارث بن يزيد السعدى ، وتام هذا البيت كما في شرح

الحماسة ٢ : ١١٦ .

• إِذَا كَثُرَتْ لِلطَّارِقَاتِ الوَسَاوِسُ •

وه الحزامة ، الحزم .

هو استعارة من جهة المفعولين جميعاً . فأما من جهة الفاعل فهو محتمل / للحقيقة ، وذلك أن تقول : « أقرى الأضياف النازلين اللحم العبيط » = ومثله قوله : [من الطويل]

قَرَى الهمَّ إذ ضافَ الزَّمَاعَ .^(١)

وقد يكون الذى يعطيه حكم الاستعارة أحد المفعولين دون الآخر كقوله : [من البسيط]

نقريهم لَهْدَمِيَّاتٍ نَقْدُهَا مَا كَانَ نَحَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ^(٢)

...

(١) تمام هنا البيت :

قَرَى الهمَّ إذ ضافَ الزَّمَاعَ فأصبحت مَنَازِلُهُ تَعْتَسُّ فِيهَا التَّعَالِبُ

وهو في شرح الحماسة ٢ : ١٠٠ للقتال الكلائي .

(٢) هو للقطامي في ديوانه . والمفعول الثاني في هذا البيت هو « لهدميات » ، وسيأتى بعد قليل

في رقم : ٦٠ .

فصل

٥٣ - اعلم أن الاستعارة كما علمت تعتمد التشبيه أبدأ ، وقد قلت : الاستعارة تعتمد على التشبيه

إنَّ طَرُقَهُ تختلف ، ووعدتك الكلام فيه ، وهذا الفصل يعطى بعض القول في ذلك بإذن الله تعالى ، وأنا أريد أن أدرجها من الضَّعْف إلى القوة ، وأبدأ في تنزيلها بالأدنى ، ثم بما يزيد في الارتفاع ، لأن التقسيم إذا أُريغ في خارج من الأصل ،^(١) فالواجب أن يُبدأ بما كان أقلَّ خروجًا منه ، وأدنى مدى في مفارقتة .

٥٤ - وإذا كان الأمر كذلك ، فالذى يستحقُّ بحكم هذه الجملة أن الاستعارة القريبة من الحقيقة

يكون أولًا من ضروب الاستعارة ، أن يُرى معنى الكلمة المستعارة موجودًا في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة ، إلا أن لذلك الجنس خصائص ومراتب في الفضيلة والنقص والقوة والضعف ، فأنت تستعير لفظ الأفضل لما هو دونه .

ومثاله استعارة « الطيران » لغير ذى الجناح ، إذا أردت السرعة ، استعارة الطيران لغير ذى الجناح

و« انقضاض الكواكب » للفرس إذا أسرع في حركته من علو ، و« السباحة » له إذا عدا علوًا كان حاله فيه شبيهاً بحالة السابح في الماء . ومعلوم أن الطيران والانقضاض والسباحة والعلو كلها جنس واحد من حيث الحركة على الإطلاق ، إلا أنهم نظروا إلى خصائص الأجسام في حركتها ، فأفردوا حركة كل نوع منها بآسم ، ثم إنهم إذا وجدوا في الشيء في بعض الأحوال شبيهاً من حركة غير جنسه ، استعاروا / له العبارة من ذلك الجنس ، فقالوا في غير ذى الجناح

(١) في الأصول كلها : « إذا ارتفع » ، وهو سقيم . و« أريغ » ، أى أريد وقصيد .

« طار » ، كقوله : [من الوافر]

« وَطَرْتُ بِمُنْصَلٍ فِي يَعْمَلَاتٍ »^(١)

وكما جاء في الخبر : « كَلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةَ طَارٍ لَهَا » ،^(٢) وكما قال : [من الرمل]

لَوْ يَشَا طَارَ بِهِ ذُو مَبْعَةٍ لَأَحِقُّ الْآطَالَ تَهْدُ ذُو خُصَلٍ^(٣)

(١) هو لمضرس بن ربیع الأسدي ، وهو شطريت استشهد به سيويه في الكتاب ١ : ٢ / ٩ : ٢٩١ ، وهو أحد سبعة أبيات ، ذكرها البغدادي في شرح شواهد الشافية : ٤٨١ ، وفي شرح شواهد المعنى ٤ : ٣٣٧ ، أولها :

وَضِيْفٌ جَاءَنَا وَاللَّيْلُ دَاجٌ وَرِيْحُ الْقُرِّ تَحْفِزٌ مِنْهُ رُوحًا
فَطَرْتُ بِمُنْصَلٍ فِي يَعْمَلَاتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَحْيِطُنَ السَّرِيحَا

يقول : غشيم الضيف ، وبرد الشتاء تدفع روحه للخروج لضعفه . فأسرع بسيفه إلى نوق يعقرها ليقربه . وه المنصل ، السيف . وه اليعملات ، جمع يعملة ، وه الناقة القوية على العمل ، وه دوامى الأيد ، دميت أيديها من شدة السير أو العمل ووطئها الحجارة ، وه السريح جمع سريحة ، وه يخرق تُلَف على أيدي الإبل إذا دميت وأصابها الوجع .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، في كتاب الإمارة ، وه باب فضل الجهاد والرباط ، عن أنى هريرة أنه قال ﷺ : « من خير معاش الناس لهم ، رجلٌ مُمَسِّكٌ عِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ ، كَلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً = أَوْ فَرْعَةً = طَارَ عَلَيْهِ ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَطَانَةً » ، الحديث . وه الهيمة الصوت يسمعه عند حضور العدو ، وقوله « مَطَانَةً » ، منصوب على حذف الخافض ، يعنى : يطلبه من مواطنه التي يُرَجِّي فيها ، لرغبته في الشهادة .

(٣) لامرأة من بني الحارث بن كعب ترقى بعض من يخصها ، في شرح الحماسة ٣ : ٧٣ ، والخزانة ١١ : ٢٩٨ - ٣٠٣ ، وهو من ثلاثة أبيات هو ثانيها ، وأوله :

فَارَسٌ مَّا ، غَادِرُوهُ مُلْحَمًا غَيْرَ زُمَيْلٍ وَلَا نِكْسٍ وَكَلِّ

وقف في القراءة على « فارس ما » ، وه « ما » لتعظيم شأنه ، وه الملحم الذى أحمته الحرب ، فلم يتجه له منها مخرج . وه الزُمَيْل الجبان الضعيف . الذى يكمل أمره إلى غيره . وه التيمعة النشاط وأول جرى الفرس المضممر ، وه النهد ، الجسم المشرف . وه الحُصَل جمع حُصَلَة ، وه القطعة من الشعر ، يُرِيدُ أَنْ ذَبَلَهُ كَثِيرَ الشَّعْرِ .

٥٥ - ومن ذلك أن « فاض » موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص ، ضروب من الاستعارة في الفعل وذلك أن يفارق مكانه دَفْعَةً فينبسط ، ثم إنه استعير للفجر ، كقوله : [من الكامل]
 . كالفَجْرِ فَاضَ على نُجُومِ القَيْهَبِ .^(١)

لأن للفجر انبساطاً وحالة شبيهة بانبساط الماء وحركته في قَيْضِهِ .

فأما استعارة « فاض » بمعنى الجُود ، فنوع آخر غير ما هو المقصود ههنا ، لأن القصد الآن إلى المستعار الذي تُوجَدُ حقيقة معناه من حيث الجنس في المستعار له .

٥٦ - وكذلك قول أبي تمام :

[من الطويل]

وقَد نَثَرْتَهُمْ رَوْعَةً ثم أَحْدَقُوا بِهِ مِثْلَمَا أَلْفَتْ عِقْدًا مُنْظَمًا^(٢)

وقول المتنبي :

[من الطويل]

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الأَحْيَدِ نَثْرَةَ كما نُثِرَتْ فَوْقَ العُرُوسِ اللِّدْرَاهِمُ^(٣)

= استعارة ،^(٤) لأن « النثر » في الأصل للأجسام الصغار ، كالدرهم والدنانير والجواهر والحبوب ونحوها ، لأن لها هيئة مخصوصة في التفرق لا تأتي في

(١) للبحرئى فى ديوانه ، وصلته :

• يتراكمون على الأسيئة فى الوعى •

و« القَيْهَبِ » ، ظلام الليل ، يتراكمون على أسنة الرماح اللامعة ، فينبسط شعاع دروعهم المتلافة عليها ، فخبا لمعان الأسيئة .

(٢) فى ديوانه .

(٣) فى ديوانه ، و« الأَحْيَدِ » كانت عليه قلعة « الحَدَدِ » التى ذكرها فى هذا الشعر .

والضمير فى « نثرتهم » ، لمقاتلة الروم .

(٤) السياق : « وكذلك قول أبى تمام ... وقول المتنبي ... استعارة » .

الأجسام الكبار ، ولأن القصد « بالنثر » أن تُجمَع أشياء في كَفٍّ أو وعاءٍ ، ثم يقع فعلٌ تفرَّقَ معه دَفْعَةٌ واحدةٌ ، والأجسام الكبار لا يكون فيها ذلك ، لكنه لما اتَّفَقَ في الحرب تساقطُ المنهزمين على غير ترتيب ونظام ، كما يكون في الشيء المنثور ، عبَّرَ عنه بالنثر ، ونسب ذلك الفعل إلى المملوح ، إذ كان هو سبب ذلك الانتثار ، فالتفرُّق الذي هو حقيقة « النثر » من حيث جنس المعنى وعمومه ، موجودٌ في المستعار له بلا شبهة .

وبيَّنه أن « التَّنْظِمَ » في الأصل لجمع الجواهر / وما كان مثلها في السلوك ، ثم لما حصل في الشَّخصين من الرجال أن يجمعهما الحاذق المبدع في الطعن في رُمُجٍ واحد ذلك الضرب من الجمع ، عبَّرَ عنه « بالنظم » ، كقولهم : « انتظمهما برمجها » ، وكقوله : [من الكامل]

قالوا : وينظّمُ فارسين بطعنة^(١) .

وكان ذلك استعارةً ، لأن اللفظة وقعت في الأصل لما يُجمع في السلوك من الحبوب والأجسام الصغار ، إذ كانت تلك الهيئة في الجمع تُخصِّصها في الغالب ، وكان حصولها في أشخاص الرجال من النادر الذي لا يكاد يقع ،

(١) الشعر لبكر بن النطاح في أبي دلف المعجل ، في قصة ذكرها صاحب الأغاني ١٩ : ١٠٩ ، وذكر بيتين ، ورواه أبو علي القائل في الأمالي ١ : ٢٤٧ في أربعة أبيات ، وعلق عليها أبو عبيد البكري في السمط : ٥٦١ . وكان في الأصول كلها : « قالوا : أنظّم » بألف الاستفهام وهو خطأ . والواو في قوله : « قالوا وينظّم فارسين » ، دالة على التعجب . والشعر دال على ذلك ، قال :

قالوا : وينظّمُ فارسين بطعنة يوم اللقاء ! ولا يراه جليلاً !

لا تعجبوا ، فلو أنّ طولَ قناتِهِ ميلٌ ، إذا نظّم الفوارس ميلاً

وزعم الليثي ، في رواية أبي عبيد البكري ، أن الشعر لبكر بن عمرو مولى بني تغلب ، ورواهما بغير رواية القائل ، وفضل رواية الليثي ، وأخطأ أبو عبيد ، لأنه لم يفتن إلى أن « الواو » دالة على التعجب .

ولأفلا فرضنا أن يكثر وجوده في الأشخاص الكبيرة ، لكان لفظ « النظم » أصلاً وحقيقة فيها ، كما يكون حقيقة في نحو الحبوب ، وهذا النحو لشدة الشبه فيه ، يكاد يلحق بالحقيقة .

٥٧ - ومن هذا الحد قوله : [من الطويل]

وفي يدك السيف الذي آمنتت به صفاة الهدى من أن ترق فتخرقا^(١)

وذلك أن أصل « الخرق » أن يكون في الثوب ، وهو في الصفاة استعارة ، لأنه لما قال « ترق » ، قرب حالها من حال الثوب . وعلى ذلك فإننا نعلم أن « الشق » و « الصدع » حقيقة في الصفاة ، ونعلم أن « الخرق » يجامعها في الجنس ، لأن الكل تفريق وقطع . ولو لم يكن « الخرق » و « الشق » واحداً ، لما قلت : « شقت الثوب » ، و « الشق عيب في الثوب » ، و « تشقق الثوب » قول من لا يستعير .

ولكن لو قلت : « خرق الجحمة » ، لم يكن من الحقيقة في شيء ، وكان خارجاً من هذا الفن الذي نحن فيه ، لأنه ليس هناك شق . ولو جاء « شق الجحمة » أو صدع « مثلاً ، كان كذلك = أعنى لا يكون له أصل في الحقيقة ولا شبه بها .

٥٧ - من هذا الضرب قوله تعالى : (وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) [سورة سبأ :

ضرب آخر من
استعارة الفعل

١٩] يُعَدُّ استعارة من حيث إن « التمزيق » للثوب في أصل اللغة ،^(٢) إلا أنه على ذلك راجع إلى الحقيقة ، من حيث إنه تفريق على كل حال ، وليس بجنس غيره ،

(١) هو للبحر في ديوانه .

(٢) من هنال إلى آخر رقم ١٠٤ : ص ١١٢ سقط من المخطوطة كرامة ، كما أشرت إليها ص :

إلا أنهم خصّصوا ما كان مثل الثوب بالتمزيق ، كما خصّصوه بالخرق ، وإلا فانت تعلم أن تمزيق الثوب تفریقُ بعضه من بعض .

٥٨ - ومثله أن « القطع » إذا أطلق ، فهو لإزالة الاتصال من الأجسام التي تلتزق أجزاءها . وإذا جاء في تفریق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض ، كقوله تعالى : (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا) [سورة الأعراف : ١٦٨] كان شبيهة الاستعارة ، وإن كان المعنى في الموضعين على إزالة الاجتماع ونفيه .
فإن قلت : « قطع عليه كلامه » ، أو قلت : « نَقَطَعَ الوقت بكذا » ، كان نوعاً آخر .

٥٩ - ومن الاستعارة القريبة من الحقيقة قولهم : « أترى فلان من المجد » ، و« أفلس من المروءة » ، وكقوله :
ضرب آخر من الاستعارة القريبة من الحقيقة

إن كان أغناها السلو ، فَإِنِّي أُمْسِيْتُ من كِبْدِي وَمِنْهَا مُعْدِمًا^(١)
وذلك أن حقيقة « الإثراء من الشيء » ، كثرت عندك . ووصف الرجل بأنه كثير المجد أو قليل المروءة ، كوصفه بأنه كثير العلم أو قليل المعرفة ، في كونه حقيقة . وكذلك إذا قلت : « أترى من الشوق » أو « الوجد » أو « الحزن » كما قال :

قَدْ وَقَفْنَا عَلَى الدِّيَارِ وَفِي الرَّكْبِ حَرِيْبٌ مِنَ الْغَرَامِ وَمُثْرَى^(٢)

(١) هو للمتتى في ديوانه .

(٢) هو للبحترى في ديوانه ، وكان في المطبوعتين هنا ، كأنه بيت من المبحث .

وفى الركب حريْبٌ من الغرام ومُثْرَى

وهو الحريب ، الذى حُرب ما له ، أى سلب ما له .

فهو كقولك : « كَثُرَ شَوْقُهُ وَحَزْنُهُ وَغَرَامُهُ » ، وإذا كان كذلك ، فهو في أنه نُقِلَ إلى شيءٍ جِنْسُهُ جِنْسُ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ ، بمنزلة « طار » ، أو أظهرُ أمراً منه ، ^(١) وكذا معنى « أعدم من المال » ، أنه خلا منه ، وأن المال يزول عنه فإذا أُخبر أن كَبِدَهُ قد ذهبت عنه ، فهو في حَقِيقَةٍ مَن ذهب ماله وَعَدِمَهُ . والعَدْمُ في المال وفي غير المال بمنزلة واحدة لا تتغير له فائدة ، و« المُعْلِمُ » موضوع لمن عَدِمَ ما يحتاج إليه ، فالكبد مما يحتاج إليه ، وكذلك المحبوبة ، فإنما تقع هذه العبارة في نَفْسِكَ موقع الغريب من حيث أن العُرف جَرَى في « الإعدام » بأن يُطَلَقَ على من عَدِمَ ما جِنْسُهُ جِنْسُ المَالِ ، ويؤتسك بما قلت ، أنك لو قلت : « عدم كبده » ، لم يكن مجازاً ، ولم تجد بينه وبين « خلا من كبده » و« زالت عنه كبده » ، كبيرَ فَرْقٍ . ألا تراك تقول : « الفَرَسُ عَادِمٌ لِلطَّحَالِ » تريد : ليس له طحال ، وهذا كلام لا استعارة فيه ، كما أنك لو قلت : « الطحال معلوم في الفرس » كان كذلك .

٦٠ - ومن اللائق بهذا الباب البين أمره ، ما أنشده أبو العباس في مثل آخر

الكامل من قول الشاعر : ^(٢)

لَمْ تَلَقْ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِأَخْوَاتِهِمْ مَنَّا عَشِيَّةً يَجْرِي بِاللَّيْلِ الْوَادِي
تَقْرِيبُهُمْ لَهْدَمِيَّاتٍ تَقْدُّ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ

قال : لأن « الخياطة ، تَضُمُّ خِرْقَ القميص ، والسرْدُ يَضُمُّ حَلَقَ

(١) انظر القول في « طار » في رقم : ٥٤ .

(٢) هو للقطامي في ديوانه ، وفي الكامل للمبرد ١ : ٨٢ ، ٨٣ ، (طبعة محمد أحمد الدالي ،

دمشق) ، وقد مضى البيت الثاني في رقم : ٥٢ .

الدرع» . (١) أفلا تراهُ يَبَيِّنُ أن جنسهما واحدٌ ، وأن كلاً منهما ضَمٌّ ووَصَلٌ ، وإنما يَقَعُ الفرقُ من حيث إن « الخياطة » ضَمُّ أطراف الخِرْقِ بِخَيْطٍ يُسَلِّكُ فيها على الوجه المعلوم ، و« الزرْدُ » ضَمُّ حَلَقِ الدرعِ بمداخلِهِ توجد بينها ، إلا أن الشكَّالَ الذى يُلْزِمُ أحدَ طرفى الحَلْقَةِ الآخرَ بدخوله فى نُقْبَتَيْهِما ، (٢) فى صورة الخيط الذى يذهب فى منافذ الإبرة .

واستقصاءُ القولِ فى هذا الضرب ، والبحثُ عن أسرارهِ ، لا يمكنُ إلا بعد أن تُقَرَّرَ الضروبُ المخالفةُ له من الاستعارة ، فأقتصر منه على القدر المذكور ، وأعود إلى القسمة . (٣)

٦١ - ضربٌ ثانٍ يُشبهه هذا الضرب الذى مضى ، وإن لم يكن إياه .

ضربٌ ثانٍ يشبه
الذى مضى

وذلك أن يكون الشبهُ مأخوذاً من صِفَةٍ هى موجودةٌ فى كل واحدٍ من المستعار له والمُستعارِ منه على الحقيقة . وذلك قولك : « رأيت شمساً » ، تريد إنساناً يتهلل وجهه كالشمس . فهذا له شَبَهٌ باستعارة « طار » لغير ذى الجناح ، (٤) وذلك أن الشبهَ مُراعَى فى التألُّو ، وهو كما تعلم موجودٌ فى نفس

(١) إلى هنا انتهى كلام المبرد . و« السرد » ، الثقب فى الدرع ، يضمُّ الزرَادَ حلقها بالمسار . ومنه قوله تعالى لبيبه داود : (أن أَعْمَلُ سَابِقَاتٍ وَقَلْتَرُ فى السَّرْدِ) (سورة سبأ : ١١) ، والسابقَاتُ الدروع . و« قَلْتَرُ فى السرد » ، أى أَحْكِمُ نسج حَلَقِ الدرعِ ولا تجعل مسمار الدرع رقيقاً فيقلتق ، ولا غليظاً فيفصم الحلق . و« السرد » و« الزرَاد » ، سواء ، وهو صانع الدرع الذى يدخل حلقها بعضها فى بعض .

(٢) « الشكَّالُ » أصله الجبلُ الذى يشدُّ وثاق يد الدابة ورجلها ، وفى مطبوعة رشيد رضا : « الشكَّاك » ، بكافين ، كأنه يعنى به الذى يجمع الشيتين فى نظم واحد .

(٣) « القسمة » ، مضت فى رقم : ٥٥ .

(٤) انظر رقم : ٥٤ ، « طار » ، لغير ذى الجناح .

الإنسان المهتلل ، لأنَّ رَوْنَقَ الوجه الحسن من حيث حسُّ البصر ، مجانسٌ لضوء الأجسام النيرة . وكذلك إذا قلت : « رأيت أسداً » تريد رجلاً ، فالوصف الجامع بينهما هو الشجاعة ، وهى على حقيقتها موجودة فى الإنسان ، وإنما يقع الفرق بينه وبين السبع الذى استعرت اسمه له فيها ، من جهة القُوَّة والضعف والزيادة والنقصان ، وربما ادعى لبعض الكُماة والثهم مساواة الأسد فى حقيقة الشجاعة التى عمود صورتها انتفاء المخافة عن القلب حتى لا تخامره ، وتُفَرِّق خواطره وتُحلِّل عزمته فى الإقدام على الذى يباطشه ويريد قهره ، وربما كفَّ الشُّجاع عن الإقدام على العدوِّ لا لخوف يملك قلبه ويسلبه قواه ، ولكن كما يكفُّ المنهى عن الفعل ، لا تخونه فى تعاطيه قوَّة . وذلك أن العاقل من حيث الشرع منهى عن أن يهلك نفسه ، أترى أن البطل الكمى إذا عديم سلاحاً يقاتل به ، فلم ينهض إلى العدوِّ ، كان فاقداً شجاعته وبأسه ، ومتمبرئاً من النجدة التى يُعرف بها .

٦٢ - ثم إن الفرق بين هذا الضرب وبين الأول أن الاشتراك ههنا فى الفرق بين الضربين من الاستعارة صفة توجد فى جنسين مختلفين ، مثل أن جنس الإنسان غير جنس الشمس ، وكذلك جنسه غير جنس الأسد ، وليس كذلك « الطيران » و « جرى الفرس » ، فإنهما جنس واحد بلا شبهة ، وكلاهما مُرورٌ وقطعٌ للمسافة . وإنما يقع الاختلاف بالسرعة ، وحقيقة « السرعة » قلة تحلُّل السكون للحركات ، وذلك لا يوجبُ اختلافًا فى الجنس .

٦٣ - فإن قلت : فإذن لا فرق بين استعارة « طار » للفرس وبين استعارة « الشفة » للفرس ، فهلاً عددت هذا فى القسم اللفظى غير المفيد ؟ ثم إنك إن اعتذرت بأنَّ فى « طار » خصوصَ وصفٍ ليس فى « عدا » و « جرى » ، فكذلك فى « الشفة » خصوصُ وصفٍ ليس فى « الجحفة » .

= فالجواب : إئني لم أعدّه في ذلك القسم ، لأجل أن خصوص الوصف الكائن في « طَارَ » مراعى في استعارته للفرس ، ألا تراك لا تقوله في كل حال ، بل في حالٍ مخصوصة . وكذا « السباحة » ، لأنك لا تستعيرها للفرس في كل أحوال جزيه . نعم ، وتأتى أن تعطّيها كل فرس ، فالقَطُوفُ البليدُ لا يوصف بأنه سابح .^(١)

وأما استعارة آسِم لعضو نحو « الشفة » و « الأنف » فلم يُرَاعَ فيه خصوص الوصف . ألا ترى أن العجاج لم يرد بقوله : « وَمَرْسِينًا مُسْرَجًا » ،^(٢) أن يشبه أنف المرأة بأنف نوع من الحيوان ، لأن هذا العضو من غير الإنسان لا يوصف بالحسن ، كما يكون ذلك في العين والجيد . وهكذا استعارة « الفرسين » للشاة في قول عائشة رضی الله عنها : « وَلَوْ فَرَسِينَ شَاةٍ » ،^(٣) وهو

(١) « الفرسُ القَطُوفُ » ، البطيء المتقارب الخطو ، يَقْطِفُ في عدوه .

(٢) مضى في رقم : ٢٦ .

(٣) حديث عائشة رضی الله عنها ، تمامه : « يا نساء المؤمنین ، تهادنوا ولوفرسن شاةً ، فإنه يبيت المودة ويذهب الضغائن » ، ولم أقف على من ذكره بتامه غير الإمام ابن حجر في (فتح الباری ٥ : ١٤٥) في شرح حديث أبي هريرة الآتي بعد . وحديث عائشة هذا ذكره ابن حجر أيضًا في (تلخيص الحبير ، في أول كتاب : الهبة) مختصرًا وقال : « هو من أحاديث الشهاب ، ومداره على محمد بن عبد النور ، عن أبي يوسف الأعشى » عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عنها . والراوى له عن محمد بن عبد النور (هو أحمد بن الحسن الميموني ، دُبَيْسِي ، قال اللارقطني ، ليس بثقة . وقال ابن طاهر : « لا أصل له عن هشام » ، والحديث في الشهاب ١ : ٣٨٣ ، وقال المعلق عليه : « آفة الحديث أبو يوسف الأعشى ، واسمه يعقوب بن محمد بن عبيد الكوفي . قال أبو الفتح الأزدي : كَذَابٌ ، رجل سوء » . أما الحديث الصحيح المتفق عليه ، فهو حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « يا نساء المسلمات ، لا تحقرن جارةً لجارتها ولو فرسين شاة » ، رواه البخاري في أول الكتاب الهبة (الفتح ٥ : ١٤٥) ، وفي كتاب الأدب : « باب لا تحقرن جارة لجارتها » (الفتح ١٠ : ٣٧٢) ورواه مسلم في كتاب الزكاة ، « باب الحث على الصدقة ولو بالقليل » .

و « الفرسين » عظيم قليل اللحم ، وهو للبعير موضع الحافر للفرس ، ويطلق على الشاة مجازًا .

للبعير في الأصل = ليس لأن يشبه هذا العضو من الشاة به من البعير ، كيف ولا شبهه هناك . وليس إِدْنٌ في مجيء « الفِرْسِين » بَدَلُ « الظِّلْف » أمر أكثر من العضو نفسه .

٦٣ - ضرب ثالث ، وهو الصَّمِيم الخالص من « الاستعارة » . وحده الضرب الثالث وهو صميم - الاستعارة

أن يكون الشبه مأخوذاً من الصُّور العقلية ، وذلك كاستعارة « الثور » للبيان والحجة الكاشفة عن الحق ، المزيلة للشك النافية للريب ، كما جاء في التنزيل من نحو قوله عز وجل : (وَأَتَّبِعُوا الثَّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ) [سورة الأعراف : ١٥٧] ، وكاستعارة « الصراط » للدين في قوله تعالى : (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [فاتحة الكتاب : ٥] ، و (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [سورة الشورى : ٥٢] ، فإنك لا تشك في أنه ليس بين « النور » والحجة ما بين « طيران الطائر » و « جرى الفرس » من الاشتراك في عموم الجنس ، لأن « النور » صفة من صفات الأجسام محسوسة ، والحجة كلامٌ = وكذا ليس بينهما ما بين « الرجل » و « الأسد » من الاشتراك في طبيعة معلومة تكون في الحيوان كالشجاعة . فليس الشبه الحاصل من « النور » في البيان والحجة ونحوهما ، إلا أن القلب إذا وردت عليه الحجّة صار في حالة شبيهة بحال البصر إذا صادف النور ، ووُجِّهت طلائعه نحوه ، وجال في مصارفه وانتشر ، ^(١) واثبتت في المسافة التي يسافر طرف الإنسان فيها . وهذا كما تعلم شبهة لست تحصل منه على جنس ولا على طبيعة وغريزة ، ولا على هيئة وصورة تدخل في الخلقة ، وإنما هو صورة عقلية .

(١) في الأصول : « جال في معارفه » ، والأجود ما أثبت ، فهو تصحيف ، يريد : حيث

ينصرف البصر .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ هُوَ الْمَنْزَلَةُ الَّتِي تَبْلُغُ عِنْدَهَا الِاسْتِعَارَةُ غَايَةَ شَرَفِهَا ، وَيَتَسَّعُ لَهَا كَيْفَ شَاءَتْ الْمَجَالُ فِي تَفْنُنِهَا وَتَصَرُّفِهَا ، وَهِيَ تَخْلُصُ لَطِيفَةً رُوحَانِيَّةً ، فَلَا يَبْصُرُهَا إِلَّا ذُرُوءُ الْأَذْهَانِ الصَّافِيَةِ ، وَالْعُقُولِ النَّافِذَةِ ، وَالطَّبَاعِ السَّلِيمَةِ ، وَالنَّفُوسِ الْمُسْتَعِدَّةِ لِأَنَّ تَعَيَّ الْحِكْمَةَ ، وَتَعْرِفُ فَصْلَ الْخَطَابِ .

٦٤ - وَلَهَا هُنَا أَسَالِيبُ كَثِيرَةٌ ، وَمَسَالِكُ دَقِيقَةٌ مُخْتَلِفَةٌ . وَالْقَوْلُ الَّذِي يَجْرِي مَجْرَى الْقَانُونِ وَالْقِسْمَةِ يَغْمُضُ فِيهَا ، إِلَّا أَنَّ مَا يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ فِي مَعْنَى التَّقْسِيمِ لَهَا أَنَّهَا عَلَى أَصُولٍ :

أَحَدُهَا : أَنْ يُؤْخَذَ الشَّبَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمُدْرَكَةِ بِالْحَوَاسِّ عَلَى الْجُمْلَةِ لِلْمَعَانِي الْمَعْقُولَةِ .

وَالثَّانِي : أَنْ يُؤْخَذَ الشَّبَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَةِ لِمِثْلِهَا ، إِلَّا أَنَّ الشَّبَهُ مَعَ ذَلِكَ عَقْلِيٌّ .

وَالْأَصْلُ الثَّلَاثُ : أَنْ يُؤْخَذَ الشَّبَهُ مِنَ الْمَعْقُولِ لِلْمَعْقُولِ .

...

٦٥ - فَمِثَالُ مَا يَجْرِي عَلَى (الْأَصْلِ الْأَوَّلِ) مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ اسْتِعَارَةِ « النُّورِ » لِلْبَيَانِ وَالْحُجَّةِ ، فَهَذَا شَبَهُ أُخِذَ مِنْ مَحْسُوسٍ لِمَعْقُولٍ ، أَلَا تَرَى أَنَّ « النُّورَ » مَشَاهِدًا مَحْسُوسًا بِالْبَصَرِ ، وَالْبَيَانَ وَالْحُجَّةَ مِمَّا يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ الْعَقْلُ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةِ مِنَ الْعَيْنِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْحَوَاسِّ . وَذَلِكَ أَنَّ الشَّبَهَ يَنْصَرِفُ إِلَى الْمَفْهُومِ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ ، وَمَدْلُولُ الْأَلْفَاظِ هُوَ الَّذِي يَنْوِّرُ الْقَلْبَ لَا الْأَلْفَاظَ . هَذَا وَ« النُّورِ » يَسْتَعَارُ لِلْعِلْمِ نَفْسَهُ أَيْضًا وَالْإِيمَانَ ، وَكَذَلِكَ حَكْمُ « الظُّلْمَةِ » ، إِذَا اسْتَعْتِرَتْ لِلشُّبْهِةِ وَالْجَهْلِ وَالْكَفْرِ ، لِأَنَّهُ لَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ الشَّبَهَ وَالشُّكُوكَ مِنَ الْمَعْقُولِ ،

مثال الأصل الأول
من الاستعارة

ووجه التشبيه أن القلب يحصل بالشبهة والجهل ، في صفة البصر إذا قيده دُجى الليل فلم يجذ منصرفاً = وإن استعيرت للضلالة والكفر ، فلائح صاحبهما كمن يسعى في الظلمة فيذهب في غير الطريق ، وربما دُفع إلى هلك وتردى في أهوية^(١) .

ومن ذلك استعارة « القسطناس » للعدل ونحو ذلك من المعاني المعقولة التي تُعطي غيرها صفة الاستقامة والسداد ، كما استعاره الجاحظ في فصل يذكر فيه علم الكلام ،^(٢) فقال : « وهو العيار على كل صناعة ، والزمام على كل عبارة ، والقسطناس الذي به يُستبان نقصان كل شيء ورُجحانه ، والراووق الذي به يُعرف صفاء كل شيء وكثره » .^(٣)

وهكذا إذا قيل في النحو : « إنه ميزان الكلام ومغياره » ، فهو أخذ شبه من شيء هو جسمٌ يُحسُّ ويشاهد ، لمعنى يُعلم ويُعقل ولا يدخل في الحاسة ، وذلك أظهر وأبين من أن يُحتاج فيه إلى فضل بيان .

وأما تفننه وسعته وتصرفه من مرضيٍّ ومسخوطٍ ، ومقبولٍ ومرذولٍ ، فحقُّ الكلام فيه بعد أن يقع الفراغ من تقرير الأصول .

...

٦٦ - ومثال (الأصل الثاني) ، وهو أخذ الشبه من المحسوس مثال الأصل الثاني من الاستعارة

(١) « الأهوية » والمهواة والهوة والهوية ، كَل فرجة بين شيئين ، كما بين أسفل البيت إلى أعلاه ، وأسفل البحر إلى أعلاهما .

(٢) هو في رسائل الجاحظ ٤ : ٢٤٤ ، بعنوان : « من كتابه في صناعة الكلام » .

(٣) « الرلوق » ، الذي يروق به الشرابُ ويُصنَى .

للمحسوس ، ثم الشبه عقلي ، قول النبي ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ » ، (١) الشبه مأخوذ للمرأة من النبات كما لا يخفى وكلاهما جسم ، إلا أنه لم يقصد بالتشبيه لون النبات وخضرته ، ولا طعمه ولا رائحته ، ولا شكله وصورته ، ولا ماشاكل ذلك = ولا ما يسمّى طبعًا كالحرارة والبرودة المنسوبتين في العادة إلى العقاقير وغيرها مما يُسَخَّنُ بدن الحيوان ويَبْرُدُ بحصوله فيه ، ولا شيء من هذا الباب = بل القصد شبهة عقلي بين المرأة الحسناء في المنبت السوء ، وبين تلك النابتة على الدمنة ، وهو حُسْنُ الظاهر في رأى العين مع فساد الباطن ، وطيب الفرع مع خبث الأصل .

وكما أنهم إذا قالوا : « هو عَسَلٌ إذا يَاسرته ، وإن عَاسرته فهو صَاب » ، (٢)

كما قال :

[من الرمل]

عَسَلُ الْأَخْلَاقِ مَا يَاسرته فَإِذَا عَاسرته ذُقَّتِ السَّلْعَا (٣)

(١) تمام الحديث : « قيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء » ، وهو من حديث الواقدي ، عن يحيى بن سعيد بن دينار ، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد الشاعر ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي سعيد الخدرى ، وخرجه ناشر كتاب « أمثال الحديث للرامهرمزي » : ١٨٨ ، قال : « قال السخاوى : رواه الدارقطنى في الأفراد ، والرامهرمزي ، والعسكرى في الأمثال ، وابن عدى في الكامل ، والقضاعي في مسند الشهاب ، والخطيب في إيضاح الملبس ، والدليمى ، كلهم من حديث الواقدي » : والحديث ضعيف جدًا ، كما قال ناشر مسند الشهاب ٢ : ٩٦ ، رقم : ٦٢٢ .

و« الدمن » جمع « دمنة » ، وهو بعير المشية وما اختلط به من الطين . شبه المرأة بما ينبت في الدمن من الكلال ، يُرى له غصارة ، وهو وبيء المرعى ، منتن الأصل .

(٢) « ياسرته » و« عاسرته » من اليسر والعسر ، و« الصاب » : عصارة شجر مرّ ، وهو أيضًا شجر إذا اعتصير خرج منه كهية اللبن ، وربما نزلت منه نزية ، أى قطرة ، فتقع في العين ، كأنها شهاب نار ، وربما أضعف البصر ، وإذا ذقته فهو شديد المرارة .

(٣) لم أقف عليه ، و« السَّلْعَا » كالصبا ، شجر مرّ إذا عصرتة .

فالتشبيه عقلي ، إذ ليس الغرض الحلاوة والمرارة اللتين تصفهما لك
 المذاقة ويحسُّهما الفم واللسان ، وإنما المعنى أنك تجد منه في حالة الرضى
 والموافقة ما يملوك سرورا وبهجة ، حسب ما يجد ذائق العسل من لذة الحلاوة =
 وبهجم عليك في حالة السخط والإباء ما يشدد كراهتك ويكسبك كرتا ،
 ويجعلك في حال من ينوق المر الشديد المرارة . وهذا أظهر من أن يخفى .
 = ومن هذا الأصل استعارة « الشمس » للرجل تصفه بالنباهة والرفعة
 والشرف والشهرة وماشاكل ذلك من الأوصاف العقلية المحضة التي لا تلابسها
 إلا بغريزة العقل ، ولا تعقلها إلا بنظر القلب .

...

٦٧ - ويظهر من ههنا (أصل آخر) وهو أن اللفظة الواحدة تستعار أصل آخر في اللفظة
 المستعارة
 على طريقين مختلفين ، ويُذهب بها في القياس والتشبيه مذهبين ، أحدهما يُفضى
 إلى ما تناله العيون ، والاخر يُؤمى إلى ما تُمثله الظنون .

ومثال ذلك قولك : « نجوم الهدى » ، تعنى أصحاب رسول الله ﷺ
 ورضى عنهم ، فإنه استعارة توجب شَبَّها عقليا ، لأن المعنى أن الخلق بعد رسول
 الله ﷺ اهتدوا بهم في الدين كما يهتدى السارون بالنجوم ، وهذا الشبه باقٍ لهم
 إلى يوم القيامة ، فبالرجوع إلى علومهم وآثارهم وفعالهم وهديهم تُنال النجاة من
 الضلالة ، ومن لم يطلب الهدى من جهتهم فقد حُرِم الهدى ووقع في الضلال ،
 كما أن من لم ينظر إلى النجوم في ظلام الليل ولم يتلق عنها دلالتها على المسالك التي
 تُفضى إلى العِمارَة ومعادن السلامة وخالفها ، وقع في غير الطريق ، وصار بتركة
 الاهتداء بها إلى الضلال البعيد ، والهُلك المُبِيد .

فالقياص على النجوم في هذا ، ليس على حد تشبيه المصاييح بالنجوم ، أو النيران في الأماكن المتفرقة ، لأن الشبه هناك من حيث الحس والمشاهدة ، لأن القصد إلى نفس الضوء واللّمعان ، والشبه ههنا من حيث العقل ، لأن القصد إلى مقتضى ضوء النجوم وحكمه وعائده ، ثم ما فيها من الدلالة على المنهاج ، والأمن من الزيغ عنه والاعوجاج ، والوصول بهذه الجملة منها إلى دار القرار ومحل الكرامة = نسأل الله تعالى أن يرزقنا ذلك ، ويديم توفيقنا للزوم ذلك الاهتداء ، والتصرف في هذا الضياء ، إنه عز وجل ولي ذلك والقادر عليه .

٦٨ - وما لا يكون الشبه فيه إلا عقلياً ، قولنا في أصحاب رسول الله ﷺ « ملّح الأنام » ، وهو مأخوذ من قوله عليه السلام : « مكل أصحابي كمثل الملح في الطعام ، لا يصلح الطعام إلا بالملح » ، ^(١) قالوا : فكان الحسن رحمة الله عليه يقول : « فقد ذهب ملّحنا ، فكيف نصنع ؟ » .

الشبه العقل في
الاستعارة

فأنت تعلم أن لا وجه ههنا للتشبيه إلا من طريق الصورة العقلية ، وهو أن الناس يصلحون بهم كما يصلح الطعام بالملح ، والشبه بين صلاح العامة بالخاصة وبين صلاح الطعام بالملح ، لا يتصور أن يكون محسوساً . وينطوي هذا التشبيه على وجوب موالاته الصحابة رضي الله عنهم ، وأن تمزج محبتهم بالقلوب والأرواح ، ^(٢) كما يمزج الملح بالطعام ، فباتحاده به ومداخلته لأجزائه يطيب طعمه ، وتذهب عنه وخامته ، ويصير نافعاً مغذياً ، كذلك بمحبة الصحابة رضي الله عنهم تصلح الاعتقادات ، وتنفي عنها الأوصاف المذمومة ، وتطيب وتغلو

(١) هذا الخبر في الجامع الكبير للسيوطي . في مسند أبي يعلى ، من حديث أنس ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ : ١٨ وقال : « رواه أبو يعلى والبخاري بنحوه ، وفيه إسماعيل بن مسلم ، وهو ضعيف » .
(٢) في مطبوعة ريت : « وأن تمزج الملح محبتهم ، وزيادة ، « الملح » سهو .

القلوب ، وتُسمى حياتها ، وتُحفظ صحتها وسلامتها ، وتَقِيها الزَيْغ والضلال والشك والشبهة والحيرة ، وما حُكِّم في حال القلب من حيث العقل ، حُكْم الفساد الذى يعرض لمزاج البدن من أكل الطعام الذى لم يُصْلح بالملح ، ولم تتف عنه المضار التى من شأن الملح أن يُزيلها ، وعلى ذلك جاء في صفتهم أن : « حُبُّهم إيمانٌ وبُغْضُهم نفاقٌ » . (١) هذا ، ولا معنى لصلاح الرَّجُل بالرجل ، إلا صلاح نِيَّتِه واعتقاده ، ومحال أن تصلح نِيَّتِك واعتقادك بصاحبك وأنت لا تراه مَعِينِ الخَيْرِ وَمَعَانُهُ ، (٢) وموضع الرُّشد ومكانه ، ومن علمته كذلك ، مازجتك محبته لا محالة ، وسيط وُدُّه بلحمك ودمك ، (٣) وهل تحصل من المحبة إلا على الطاعة والموافقة فى الإرادة والاعتقاد ، قياسه قياس الممازجة بين الأجسام ، ألا تراك تقول : « فلان قريب من قلبى » ، تريد الوفاق والمحبة .

٦٩ - وعلى هذه الطريقة جرى تمثيل « النحو » فى قولهم : « النحو فى

تتمة القول فى الشبه
العقل

الكلام ، كالمُح في الطعام » ، إذ المعنى أن الكلام لا يستقيم ولا تحصل منافعه التى هى الدلالات على المقاصد ، إلا بمراعاة أحكام النحو فيه ، من الإعراب

(١) كأنه يعنى حديث أنس رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « آية الإيمان حُبُّ الأنصار ، وآية النفاق بُغْضُ الأنصار » رواه البخارى فى كتاب الإيمان : « باب علامة الإيمان حُبُّ الأنصار » ، (فتح البارى ١ : ٥٩) قال ابن حجر فى شرحه : « وهذا جارٍ باطرادٍ فى أعيان الصحابة ، لتحقيق مشترك الإكرام ، لما لهم من حسن الغناء فى الدين » .

(٢) « المَعِين » فى الأصل ، هو المكان الذى يثبت فيه الناس ، لأن أهله يقيمون فيه ولا يتحولون عنه شتاءً ولا صيفاً . و« مَعِين » الذهب والفضة ، سُمى كذلك لإثبات الله فيه جوهرهما ، وإثباته إياه فى الأرض ، وهو الذى نسميه اليوم « المنجم » . و« المَعَان » ، المنزل والمُسْتَقَر .

(٣) « السَّوْط » ، خلط الشيء ببعضه ببعض ، « ساطه يسوطه » ، خلطه ومزجه .

والترتيب الخاصّ ، كما لا يُجدي الطعام ولا تحصل المنفعة المطلوبة منه ، وهي التغذية ، ما لم يُصلح بالملح .

فأما ما يتخلّونه من أن معنى ذلك : أن القليل من النحو يُغنى ، وأن الكثير منه يُفسد الكلام كما يُفسد الملح الطعام إذا كثر فيه ، فتحريف ، وقول بما لا يتحصّل على البحث ، وذلك أنه لا يتصوّر الزيادة والنقصان في جريان أحكام النحو في الكلام . ألا ترى أنه إذا كان من حكمه في قولنا : « كان زيداً ذاهباً » ، أن يُرفع الاسم ويُصبّ الخبر ، لم يخل هذا الحكم من أن يوجد أو لا يوجد ، فإن وُجد فقد حصل النحو في الكلام ، وعَدَل مِزاجُهُ به ، ونُفِيَ عنه الفسادُ ، وأن يكون كالطعام الذي لا يَغْنُو البدن = وإن لم يوجد فيه فهو فاسدٌ كائن بمنزلة طعام لم يُصلح بالملح ، فسامعه لا ينتفع به بل يستضرُّ ، لوقوعه في عمياء وهجوم الوحشة عليه ، كما يوجبه الكلام الفاسد العارى من الفائدة .

= وليس بين هاتين المنزلتين واسطة يكون استعمال النحو فيها مذموماً . وهكذا القول في كلّ كلام ، وذلك أن إصلاح الكلام الأول بإجرائه على حكم النحو ، لا يُغنى عنه في الكلام الثاني والثالث ، حتى يُتوهم أن حصول النحو في جملة واحدة من قصيدة أو رسالة يُصلح سائر الجمل ، وحتى يكون لإفراد كل جملة بحكمها منه تكريراً له وتكثيراً لأجزائه ، فيكون مثله مَثَل زيادة أجزاء الملح على قدر الكفاية .

= وكذلك لا يُتصور في قولنا : « كان زيداً منطلقاً » ، أن يتكرّر هذا الحكم ويتكرّر على هذا الكلام ، فيصير النحو كذلك موصوفاً بأن له كثيراً هو مذموماً ، وأن المحمود منه القليل . وإنما وزّانه في الكلام وزّان وقوف لسان الميزان

حتى يُنبئ عن مساواة ما في إحدى الكفتين [ما في] الأخرى ، (١) فكما لا يُتصور في تلك الصفة زيادةً ونقصان ، حتى يكون كثيرها مذموماً وقليلها محموداً ، كذلك الحكم في الصفة التي تحصل للكلام بإجرائه على حكم النحو ووُزْنُه بميزان ، فقول أبي بكر الخوارزمي :

[من السريع]

• والبُغْضُ عِنْدِي كَثْرَةُ الإِعْرَابِ . (٢)

كلامٌ لا يُحصَلُ منه على طائل ، لأنَّ الإِعْرَابَ لا يقع فيه قلة وكثرة ، إن اعتبرنا الكلام الواحد والجملة الواحدة ، وإن اعتبرنا الجُمْلَ الكثيرة وجعلنا إعراب هذه الجملة مضمومًا إلى إعراب تلك ، فهي الكثرة التي لا بد منها ، ولا صلاح مع تركها ، والخليقُ بالبُغْضِ مَنْ ذَمَّهَا = وإن كان أراد نحو قول الفرزدق :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا أَبُو أُمَّه حَىٰ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ (٣)

وما كان من الكلام معقداً موضوعاً على التأويلات المتكلفة ، فليس ذلك بكثرة وزيادة في الإعراب ، بل هو بأن يكون نقصاً له ونقصاً أولى ، لأن « الإعراب » هو أن يُعرب المتكلم عما في نفسه ويبيّنه ويوضّح الغرض ويكشف اللبس ، والواضعُ كلامه على المجازفة في التقديم والتأخير زائلٌ عن الإعراب ، زائعٌ عن الصواب ، متعرّضٌ للتلبيس والتعمية . فكيف يكون ذلك كثرةً في الإعراب ؟ إنما هو كثرةٌ عناءٍ على من رام أن يرده إلى الإعراب ، لا كثرة الإعراب .

(١) ما بين القوسين : زيادة يقتضها السياق .

(٢) من أرجوزة له ذكر بعضها الثعالي في بيمة الدهر ٤ : ٢٢٦ (مطبعة الصاوي) .

(٣) مضى في رقم : ١٨ .

= وهذا هو كالاقتراض على طريق شجون الحديث ، ويحتاج إليه في أصل كبير ، وهو أن من حق العاقل أن لا يتعدى بالتشبيه الجهة المقصودة ، ولا سيما في العقلية . وأرجع إلى التسنق .

...

٧٠ - مثال (الأصل الثالث) ، وهو أخذ الشبه من المعقول

الأصل الثالث ، أخذ
الشبه من المعقول
للمعقول

للمعقول .

أول ذلك وأعمه تشبيه الوجود من الشيء مرة بالعدم ، والعدم مرة بالوجود .

أما الأول : فعلى معنى أنه لما قل في المعاني التي بها يظهر للشيء قنر ، ويصير له ذكر ، صار وجوده كلاً وجود .

وأما الثاني : فعلى معنى أن الفاني كان موجوداً ثم فقد وعدم ، إلا أنه لما خلف آثاراً جميلة تُحصى ذكره ، وتُدِيم في الناس اسمه ، صار لذلك كأنه لم يُعدم .
وأما ما عداهما من الأوصاف فيجىء فيها طريقتان :

أحدهما : هذا ، وذلك في كل موضع كان موضوع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة ، وإن كانت موجودة ، لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود منها ، والذي إذا خلث منه لم تستحق الشرف والفضل .

تفسير هذا : أنك إذا وصفت الجاهل بأنه « مَيِّت » ، (١) وجعلت

(١) في مطبوعتي رشيد رضا وريتير : « أنك وصفت الجاهل ، ولا بد من زيادة « إذا » ليستقر

مدب السباق .

« الجهل » كأنه موت ، على معنى أن فائدة الحياة والمقصود منها هو « العلم » و « الإحساس » ، فمتى عَدِمَهُمَا الحَيُّ فكأنه قد خرج عن حُكْم الحَيِّ ، ولذلك جُعِل الثَّوْم موتًا ، إذ كان النَّائِم لا يشعر بما يحضرته ، كما لا يشعر المَيِّت .

والدرجة الأولى في هذا أن يقال : « فلان لا يعقل » و « هو بهيمة » و « حمار » وما أشبه ذلك ، مما يحطه عن معاني المعرفة الشريفة ، ثم أن يقال : « فلان لا يعلم ولا يفقه ولا يحس » ، فيُنْفَى عنه العلم والإحساس جملةً لضعف أمره فيه ، وغلبة الجهل عليه ، ثم يُجْعَل التعريضُ تصريحًا فيقال : « هو ميِّتٌ خارجٌ من الحياة » و « هو جماد » ، توكيدًا وتناهيًا في إبعاده عن العلم والمعرفة ، وتشدُّدًا في الحكم بأن لا مطمع في انحسار غَيَاةِ الجهل عنه ، ^(١) وإفاقته مما به من سكرة العَيِّ والغفلة = وأن يؤثر فيه الوعظ والتنبيه .

ثم لما كان هذا مستقرًّا في العادة ، أعنى جَعَلَ الجاهل ميِّتًا ، خرج منه أن يكون المستحقُّ لصفة الحياة هو العالم المتيقظ لوجه الرُّشد . ثم لما لم يكن علمٌ أشرف وأعلى من العلم بوحداية الله تعالى ، وبما نزله على النبي ﷺ ، جُعِل مَنْ حصل له هذا العلم بعد أن لم يكن ، كأنه إنما وجد الحياة وصارت صفةً له ، مع وجود نور الإيمان في قلبه ، وجُعِل حالته السابقة التي خلا فيها من الإيمان كحالة الموت التي تُعَدَم معه الحياة ، وذلك قوله تعالى : (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ) [سورة الأنعم : ١٢٢] ، وأشباه ذلك .

ومن هذا الباب قولهم : « فلان حيٌّ » و « حيُّ القلب » يريدون أنه ثاقب الفهم جيّد النظر ، مستعدُّ تمييز الحق من الباطل فيما يرد عليه ، بعيدٌ من الغفلة

(١) « الغاية » ، يعاين ، كلُّ شيء أظل الإنسان فوق رأسه ، كالسحابة والغبرة والظل .

التي كالموت = ويذهبون به في وجه آخر ، وهو أنه حَرَكٌ نافذٌ في الأمور غيرُ بطيءِ النهوض ، ^(١) وذلك أن هذه الأوصاف من أمارات الصحة واعتدال المزاج وتوقد نار الحياة ، وهذا يصلح في الإنسان والبهيمة ، لأنه تعريض بالقدرة والقوة . والمذهب الأول إشارة إلى العلم والعقل ، وكلتا الصفتين = أعنى القدرة والعلم = مما يشرف به الحيُّ ، وبما يضادُّه الموتُ وينافيه .

ولما كان الأمر كذلك صار إطلاق « الحياة » مرةً عبارةً عن العلم ، وأخرى عن القدرة ، وإطلاق الموت إشارةً إلى عدم القدرة وضعفها تارةً ، وإلى عَدَم العلم وضعفه أخرى .

والقول الجامع في هذا : أن تنزيل الوجود منزلة العدم إذا أريد المبالغة في حط الشيء والوضع منه وخروجه عن أن يُعتدَّ به ، كقولهم : « هو والعدم سواء » ^(٢) معروف متمكن في العادات ، وربما دعاهم الإيغال وحُبُّ السرف إلى أن يطلبوا بعد العدم منزلةً هي أدون منه ، حتى يقفوا في ضرب من التهوس ، كقول أبي تمام :

[من البسيط]

• وأنت أنزُرُ من لا شيء في العدمِ . ^(٣)

[من الكامل]

وقال أيضاً :

هَبْ مَنْ لَهْ شَيْءٌ يُرِيدُ حِجَابَهُ مَا بَالُ لَا شَيْءٍ عَلَيْهِ حِجَابٌ ^(٤)

(١) يقال : « غَلَامٌ حَرَكٌ » ، بفتح الحاء وكسر الراء ، خفيفٌ ذكيٌّ .

(٢) السياق : « أن تنزيل الوجود ... معروف ... » .

(٣) في ديوانه ، وصدوره :

• أفيِّ تَنْظِمُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْفَنَدِ .

(٤) هو في ديوانه .

[من البسيط]

وقال ابن نُبَيْتَةَ :

ما زِلْتُ أَعْطِفُ أَيَّامِي فَمَنْحُنِي نَيْلًا أَدَقُّ مِنَ الْمَعْلُومِ فِي الْعَلَمِ ^(١)

...

إثبات المزية على
المبالغة وتفاوت طرقها

٧١ - ويتفرع على هذا إثبات الفضيلة للمذكور بإثبات اسم الشيء

له ، ويكون ذلك على وجهين :

أحدهما : أن تريد المدح وإثبات المَزِيَّةِ والفضيل على غاية المبالغة ، حتى لا تحصل عليه مزيدًا . فإذا أردت ذلك جعلت الإثبات كأنه مقصور عليه لا يُشَارِكُ فيه ، وذلك قولك : « هذا هو الشيء وما عداه فليس بشيء » ، أى : إن ما عداه إذا قيس إليه صَغُرَ وَحَقُرَ حتى لا يدخل في اعتداد ، وحتى يكونَ وَجْدَانَهُ كِفَقْدَانِهِ ، فقد نزلت الوجود فيمن عدا المذكور منزلة العلم .

= وإما أن يكون التفضيل على توسط ، ويكون القصدُ الإخبار بأنه غير ناقص على الجملة ، ولا مُلغَى منزل منزلة المعلوم ، وذلك قولك : « هذا شيءٌ » ، أى : داخل في الاعتداد .

وفي هذه الطريقة أيضًا تفاوتٌ ، فإنك تقول مرةً : « هذا إما لا ، ^(٢) شيءٌ » ، تريد أن تقول : إن الآخر ليس بشيء ولا اعتداد به أصلاً . وتقول أخرى : « هذا شيءٌ » ، تريد : شيءٌ له قَدْرٌ وَخَطَرٌ . وتجري لك هذه الوجوه في أسماء الأجناس كلها تقول : « هذا هو الرجل ومن عداه فليس من الرجولية في شيء » ،

(١) من أبيات قالها في صباه ، ذكرها الثعالبي في بَيْتَةِ الدهر ٢ : ٣٥٦ .

(٢) « إمّالا » ، كلمة واحدة ، يقال : « حُذِّدَ هذا إمّالاً » ، معناه إن لم تأخذ هذا ، فخذ هذا . كأن معناه : إلا يكن ذلك الأمر . وإعراب الكلام : هذا شيءٌ ، إمّالا ، وتفسير الشيخ بعد ذلك دال عليه .

و « هذا هو الشعر فحسب » ، تبالغ في التفضيل ، وتجعل حقيقة الجنسية مقصورةً على المذكور . وتقول : « هذا رجلٌ » تريد : كاملٌ من الرجال ، لا أن من عَدَاهُ فليس برجل على الكمال . وقد تقول : « هذا ، إِمَّا لآ ، رَجُلٌ » ، ^(١) تريد : يَسْتَحَقُّ أن يُعَدَّ في الرجال ، ويكون قصْدك أن تشير إلى أن هناك واحدًا آخر لا يدخل في الاعتداد أصلًا ، ولا يستحق أسم الرجل .

...

٧٢ - وإذا كان هذا هو الطريق المَهَيَّب في الوَضْع من الشيء وتركِ الاعتداد به ، والتفضيل له والمبالغة في الاعتداد به ، فكل صفتين تضادتا ، ثم أُريد نقص الفاضلة منهما ، عبّر عن نقصها باسم ضدها ، فجعلت الحياة العارية من فضيلة العلم والقدرة « موتًا » ، والبصر والسمع = إذا لم ينتفع صاحبهما بما يَسْمَعُ ويُبْصِرُ فلم يَفْهَمُ معنى المسموع ولم يعتبر بالمُبْصِرِ أو لم يعرف حقيقته = عَمَى وَصَمَّمَا ، ^(٢) وقيل للرجل : « هو أعمى أصمٌ » ، يراد أنه لا يستفيد شيئًا مما يسمع ويُبصر ، فكأنه لم يسمع ولم يبصر . وسواء عبّرت عن نقص الصفة بوجود ضدها ، أو وصفها بمجرد العدم ، وذلك أن في إثبات أحد الضدّين وصفًا للشيء ، نفيًا للضدّ الآخر ، لاستحالة أن يوجدًا معًا فيه ، فيكون الشّخص حيًّا مَيِّتًا معًا ، أصمًّا سميعًا في حالة واحدة . فقولك في الجاهل : « هو ميّت » ، بمنزلة قولك : « ليس بجيِّ » ، وأن الوجود في حياته بمنزلة العدم .

التعير عن نقص
الصفة بوجود ضدها

٧٣ - هذا هو ظاهر المذهب في الأمر والحكم إذا أطلق القول ، فأما

تقييد الإثبات

إذا قيّد كقوله : [من السريع]

(١) انظر التعليق السالف ص : ٧٧ .

(٢) السياق : فجعلت الحياة العارية ... موتًا ، والبصر والسمع ... عَمَى وَصَمَّمَا ، فواو

« والبصر والسمع » عاطفة على « فجعلت الحياة ... » .

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ .^(١)

فَقَبِّتْ له الصفتان معا على الجملة ، إلا أن مرجع ذلك إلى أن يقال إنه كان يفقد السمع في حال ويعود إليه في حال = أو أنه في حق هذا الجنس فاقد الإدراك مسلوبه ، وفيما عداه كائن على حكم السميع . فلم يثبت له الصمم على الجملة ، إلا للحكم بأن وجود سَمْعِهِ كالعدم ، إلا أن ذلك في شيء دون شيء ، وعلى التقييد دون الإطلاق .

فقد تبيّن أن أصل هذا الباب تنزيل الموجود منزلة المعلوم ، لكونه بحيث لا يعتدُّ به وخلوّه من الفضيلة .

٧٤ - والطريق الثاني في شبه المعقول من المعقول : أن لا يكون على

الطريق الثاني في شبه
المعقول من المعقول

تنزيل الوجود منزلة العدم ، ولكن على اعتبار صفة معقولة يُتصوّر وجودها مع ضيّد ما استعرت اسمه .

فمن ذلك أن يراد وصف الأمر بالشدّة والصعوبة ، والبلوغ في كونه مكروهاً إلى الغاية القصوى ، فيقال : « لَقِيَ الموت » ، يريدون لَقِيَ الأمر الأشدّ الصعب الذي هو في كراهة النفس له كالموت . ومعلوم أن كون الشيء شديداً صعباً مكروهاً صفة معلومة لا تُنافي الحياة ، ولا يُمنع وجودها معه ، كما يُمنع وجود الموت مع الحياة . ألا ترى أن كراهة الموت موجودة في الإنسان قبل

(١) هو رجزٌ موضوع في الأمثال (جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري) وغيرها ، واللسان (صمم) ، وأمل الشجرى ١ : ٦٤ وقال : « فوصف المملوح بالصمم ، مع وصفه له بسميع ، وهو اللفظ الموضوع للمبالغة في السمع » ، قال صاحب اللسان : « يتصام عما ينوّه وإن سمعه ، فكان كأنه لم يسمع » .

حصوله ، كيف وأكره ما يكون الموت إذا صَفَتْ مشاعر الحياة ، وَخَصِيصَتْ مسارح اللذات . فكلما كانت الحياة أمكن وأتم ، كانت الكراهة للموت أقوى وأشد ، ولم تخف كراهته على العارفين إلا لرغبتهم في الحياة الدائمة الصافية من الشوائب ، بعد أن تزول عنهم هذه الحياة الفانية ويُدركهم الموت فيها ، فتصوّرهم لذة الأمان منه ، قلل كراهتهم له ، كما أن ثقة العالم بما يُعقبه الدواء من الصحة ، تُهَوِّن عليه مرارته . فقد عبّرت ههنا عن شدة الأمر بالموت ، واستعترته له من أجلها . والشدة ومحصولها الكراهة ، موجودة في كل واحد من المستعار له والمستعار منه = فليس التشبيه إذن من طريق الحُكْم على الوجود بالعدم ، وتنزيل ما هو موجود كأنه قد تخلع صفة الوجود . وذلك أن هذا الحكم إنما جرى في تشبيه الجهل بالموت ، وجعل الجاهل ميتاً من حيث كان للجهل ضدّ يناق الموت ويضاده وهو العلم . فلما أردت أن تبالغ في نفى العلم الذى يجب مع نفيه الجهل ، جعلت الجهل موتاً لتؤيس من حصول العلم للمذكور . وليس لك هذا في وصف الأمر الشديد المكروه بأنه موت ، ألا ترى أن قوله : [من السريع]

لا تحسبن الموت موت البلى وإنما الموت سؤال الرجال (١)

= لا يفيد أن للسؤال ضداً يناق الموت أو يضاده على الحقيقة ، وأن هذا القائل قصد بجعل السؤال موتاً نفى ذلك الضد ، وأن يؤيس من وجوده وحصوله ، بل أراد أن في السؤال كراهة ومرارة مثل ما في الموت ، وأن نفس الحر تنفر عنه كما تنفر نفوس الحيوان جملة من الموت ، وتطلب الحياة ما أمكن في الخلاص منه .

(١) هذا البيت والذى يليه ، في دلائل الإعجاز : ٢٥٦ ومراجعته هناك .

فإن قلت : المعنى فيه أن السؤال يَكْسِبُ الذُّلَّ وَيَنْفِي العِزَّ ، والدليل كالميت لفقد القدرة والتصرف ، فصار كتسميتهم محمول الذكر موتاً ، والذكر بعد الموت حياة ، كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : « مات حُزْرَانُ المال ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مَفْقُودَةٌ ، وأمثالهم فى القلوب موجودة » .^(١)

= قلت : إني آتسُّ أنهم لم يقصدوا هذا المعنى فى السؤال ، وإنما أرادوا الكراهة ، ولذلك قال بعد البيت الذى كتبتة :

كِلَاهِمَا مَوْتٌ ، وَلَكِنَّ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِدُلِّ السُّؤَالِ

٧٥ - هذا ، وليس كل ما يعبر عنه بالموت = لأنه يُكْرَهُ وَيَصْنَعُ ولا يستسلم له العاقل إلا بعد أن تُعَوِّزَهُ الحِيلُ = فإنه يُحْمَلُ هذا المَحْمَلُ ، وينقاد لهذا التأويل ، أترى المنتبى فى قوله :

[من المتقارب]

وقد مُتُّ أُمْسٍ بِهَا مَوْتَةٌ ولا يَشْتَهَى الموتُ مَنْ ذاقَهُ^(٢)
أراد شيئاً غير أنه لَقِيَ شِدَّةً .

فرق آخر فى تنزيل
الوجود منزلة العلم

٧٦ - وأما العبارة عن محمول الذكر بالموت ، فإنه = وإن كان يدخل فى تنزيل الوجود منزلة العلم ، من حيث يقال : إن الخامل لما لم يُدَكَّرْ ولم يَبِينْ منه

(١) انظر شرح نهج البلاغة ٤ : ٣١١ ، وفيه : « هلك حُزْرَانُ الأموال وهم أحياء » ، وهو أجود

وأصح معنى .

(٢) هو فى ديوانه ، وقوله : « بها » ، أى بالخمر التى شربها ، قال قبل البيت :

وَجَدْتُ المَدَامَةَ غَلَابَةً تُهَيِّجُ للقلبِ أشواقَهُ

تسبىء من المرءِ تَأْدِيئَهُ ولكن تُحَسِّنُ أخلاقَهُ

وَأَنْفَسُ ما للفتى لُبُّهُ وذو اللبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ

ما يُتحدّث به ، صار كالميت الذى لا يكون منه قولٌ ، بل ولا فعل يدلُّ على وجوده = فليس دخوله فيه ذلك الدخول . وذلك أن الجهل يُنافى العلم ويضادُّه كما لا يخفى ، والعلم إذا وُجد فقد وُجدت الحياة حتمًا واجبًا ، وليس كذلك محمول الذكر والذكر ، لأنه ليس إذا وُجد الذكر فقد وُجدت الحياة ، لأنك تُحدّث عن الميت بأفعاله التى كانت منه في حال الحياة ، فيتصوّر الذكر ولا حياة على الحقيقة ، ولا يتصوّر العلم ولا حياة على الحقيقة .

٧٧ - وهكذا القول في الطرف الآخر ، وهو تسمية من لا يعلم ميتًا . وذلك أن الموت ههنا عبارة عن عدم العلم وانتفائه ، وعدم العلم على الإطلاق ، حتى لا يوجد منه شيء أصلاً ، وحتى لا يصحَّ وجوده ، يقتضى وجود الموت على الحقيقة . ولا يمكن أن يقال إن محمول الذكر يوجب الموت على الحقيقة . فأنت إذن في هذا تُنزّل الوجود منزلة العلم على وجه لا ينصرف إلى الحقيقة ولا يصير إليها ، وإنما يُمثّل ويُخيّل . وأما في الضرب الأول = وهو جعل من لا يعلم ميتًا ومن يعلم هو الحيّ = فإنك تلاحظ الحقيقة وتشير إليها وتحطّب في حبلها ، فأعرفه .

...

٧٨ - وأما قولهم في الغنى إذا كان بخيالًا لا ينتفع بماله : « إن غناه فقر » ، فهو في الضرب الأول = أعنى تنزيل الوجود منزلة العلم = لتعزى الوجود مما هو المقصود منه . وذلك أن المال لا يُراد لذاته ، وإنما يُراد للانتفاع به في الوجوه التى تعدّها العقلاء انتفاعًا ، فإذا حُرِمَ مالكه هذه الجلبوى وهذه الفائدة ، فملكه له وعدم الملك سواء . والغنى إذا صُرف إلى المال ، فلا معنى له سوى ملك الإنسان الشيء الكثير منه ، ألا تراه يُذكر مع الثروة فيقال : « غنى مُثْرٍ مُكثَرٍ » ؟ فإذا تبيّن بالعلة التى مضت أنه لا يستفيد بملكه هذا المال معنى ،

ضرب آخر في تنزيل
الوجود منزلة العلم

وأن لا طائل له فيه ، فقد ثبت أن غناه والفقر سواء ، لأن الفقر أن لا يملك المال الكثير . وأما قول اللُّوماء : إن انتفاعه في اعتقاده أنه متى شاء انتفع به ، وما يجد في نفسه من عزة الاستظهار ، وأنه يُهاب ويُكرم من أجله ، فمن أذليل المُنَى ، وقد يُهان ويُذَلُّ ويُعذَّب بسببه حتى تُنزع الروح دونه .

ثم إن هذا كلامٌ وضعه العقلاء الذين عرفوا ما الانتفاع ، وهذا المخالف لا يُنكر أن الانتفاع لو عدم كان ملكه الآن للمالِ وعدم ملكه سواءً ، وإنما جاء يتطلَّب عُذراً ، ويُرخى دون لُومه سِتيراً .

ونظيرُ هذا أنك ترى الظالمَ المجترى على الأفعال القبيحة ، يدعى لنفسه الفضيلة بأنه مديد الباع طويل اليد ، وأنه قادرٌ على أن يلجىء غيره إلى التَّطامن له ، ثم لا يزيده احتجاجه إلا خزيًا وذلًا عند الله وعند الناس ، وترى المصدِّق له في دعواه أذمَّ له وأهجى من المكذَّب ، لأن الذى صدَّقه أيسر من أن ينزع إلى الإنسانية بحالٍ ، والذى كذَّب رجًا أن ينزع عند التنبيه والكشف عن صورة القبيح .

° ° °

٧٩ - وأما قولهم في « القناعة » إنها الغنى بقوله : [من البسيط] قولهم في القناعة أنها

الغنى

° إنَّ القنوعَ الغنى لا كثرةُ المالِ ° (١)

(١) هو محمد بن يسير الحميرى ، والبيت في الموشح : ٢٩٩ ، وقال : « عن محمد بن يزيد الميرد قال : أخطأ محمد بن يسير في قوله :

ولو قَبِعْتُ أتانى الرُّزقُ فى دَعَةٍ ، إنَّ القُنوعَ الغنى ، لا كثرةُ المالِ

لأن القنوع إنما هو السؤال ، والقانع : السائل ، قال الله تبارك وتعالى : (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ) [سورة الحج : ٣٦] ، فالمعتر الذى يتعرَّض ولا يسأل . يقال : « قَنِعَ يَقْنَعُ قُنوعًا » ، إذا سأل ، فهو قانع ، لا غير . وإذا رضى قيل : قَنِعَ يَقْنَعُ قِنَاعَةً ، فهو قَنِيعٌ وقَانِعٌ جميعًا .

يريد القناعة ، وكما قال الآخر :

إِنَّ الْقَنَاعَةَ فَأَعْلَمَنَّ غِنَى وَالْحِرْصُ يُورِثُ أَهْلَهُ الْفَقْرَ (١)

وجعلهم الكثير المال ، إذا كان شَرِّهَا حريصاً على الازدياد ، فقيراً ، فِيمَا يرجع إلى الحقيقة المحضة . وإن كان في ظاهر الكلام كالتشبيه والتمثيل . وذلك أن حقيقة الغنى هو انتفاء الحاجة ، والحاجة أن تريد الشيء ولا تجده ، والكثير المال إذا كان الحِرْصُ عليه غالباً ، والشَّرُّ له أبداً صاحباً ، كان حاله كحال من به كَلْبُ الجوع يأكل ولا يشبع ، أو من به البَغْرُ يشرب ولا يروى . (٢) فكما إن إصابته من الطعام والشراب القدر الذي يُشبع ويُرْوَى ، إذا كان المزاج معتدلاً والصحة صحيحةً ، لا تنفى عنه صفة الجائع والظمان لوجود الشهوة ودوام مُطالبة النفس وبقاء هيب الظم وجهد العطش . كذلك الكثير المال لا تحصل له صفة الغنى ولا تزول عنه صفة الفقر ، مع بقاء حرصه الذي يُديم له القرم والشَّرُّ والحاجة والطلب والضجر حين يفقد الزيادة التي يريدتها ، (٣) وحين يفوته بعض الربح من تجاراته وسائر متصرفاته ، وحتى لا يكاد يفصل بين حاله وقد فاتته ما طلب ، وبينها وقد أخذ بعض ماله وغضب . ومن أين تحصل حقيقة الغنى لذى المال الكثير ؟ وقد تراه من بُخله وشُحِّه كالمقيّدون ما ملكه ، والمغلول اليد يموت صبراً ويعانى بؤساً ، ولا تمتد يده إلى ما يزعم أنه يملكه فيُنْفِقُه في لذة نفس ، أو فيما يَكْسِبُه حمداً اليوم وأجرًا غدًا ، ذاك لأنه عديم كرمًا يسطر أنامله ، وجوداً ينصر أمله ، وعقلًا يبصره ، وهمةً تمكّنه مما لديه ، وتسلطه عليه ،

(١) لم أقف عليه .

(٢) « البَغْر » ، بالغين المعجمة محرّكة ، عطشٌ يصيب الإبل فتشرب ولا تروى .

(٣) « القرم » شدة شهوة أكل اللحم .

كما قال البحتري :

وَوَاجِدٌ مَالٍ أَعْوَزَتْهُ سَجِيَّةٌ تُسَلِّطُهُ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْوُجِدِ (١)

فقولهم إِذَنْ : « إن القناعة هي الغنى لا كثرة المال » ، إخبارٌ عن حقيقة نفذتها قضايا العقول ، وصححتها الخبرة والعبرة ، ولكن رب قضية من العقل نافذة قد صارت كأنها من الأمور المتجاوز فيها ، أو دون ذلك في الصحة ، لغلبة الجهل والسفه على الطباع ، وذهاب من يعمل بالعقل ويُدعن له ، وي طرح الهوى ، ويصبو إلى الجميل ، ويأنف من القبيح ، ولذهاب الحياء وبطلانه ، وخروج الناس من سلطانه ، ويأس العاقل من أن يُصادف عندهم ، إن تَبَّه أو ذَكَر ، سمعًا يعي ، وعقلًا يراعى ، فَجَرَى « الغنى » على كثرة المال ، و « الْفَقْر » على قلته ، مما يُزيله العُرف عن حقيقته في اللغة . ولما كان الظاهر من حال الكثير المال أنه لا يَعْجِز عن شيء يريده من لذاته وسائر مطالبه ، سُمي المال الكثير « غِنَى » ، وكذلك لَمَّا مَن كان قَلَّ ماله ، عَجَز عن إرادته ، سُمي قلة المال « فقرًا » ، فهو من جنس تسمية السبب باسم المسبب ، وإلا فحقيقة « الغنى » انتفاء الاحتياج ، وحقيقة « الفقر » الاحتياج ، والله تعالى الغنى على الحقيقة ، لاستحالة الاحتياج عليه جلّ وتعالى عن صفات المخلوقين .

وعلى ذلك ما جاء في الخبر من أن رسول الله ﷺ قال : « أتندرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع . قال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وزكاته وصيامه ، فيأتى وقد شتم هذا ، وأكل مال هذا ، وقذف هذا ، وضرب هذا ، وسفك دم هذا ، فُيعطى هذا من

(١) في ديوانه . و « الوُجِد » ، الغنى واليسار .

حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيْتُ حسناته قبل أن يفنى ما عليه من الخطايا ، أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ، ثم طُرِحَ في النار .^(١)

ذاك أنه ﷺ بين الحكم في الآخرة . فلما كان الإنسان إنما يُعَدُّ غنياً في الدنيا بما له ، لأنه يجتلب به المسرة ويدفع المضرة ، وكان هذا الحكم في الآخرة للعمل الصالح ، ثبت لا محالة أن يكون الخالي ، نعوذ بالله ، من ذلك ، هو « المفلس » ، إذ قد عرِيَ مما لأجله يسمّى الخالي من المال في الدنيا « مفلساً » ، وهو عدم ما يوصله إلى الخير والنعيم ، ويقيه الشر والعذاب ، نسأل الله التوفيق لما يُؤمِّنُ من عقابه .

وإذا كان البَحْثُ والنظر يقتضي أن « الغنى » و « الفقر » في هذا الوجه دالّان على حقيقة هذا التركيب في اللغة ، كقولك : « غَنَيْتُ عن الشيء » و « آسْتغْنِيْتُ عنه » ، إذا لم تحتج إليه = و « افتقرتُ إلى كذا » ، إذا احتججت إليه = وجب أن لا يعدواها ههنا في المستعار والمنقول عن أصله .

(١) هو من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم ، كتاب البرّ والصلة والأدب ، « باب تحريم الظلم » ، وفي الصحيح : « قبل أن يُفْضَى ما عليه ، أخذ من خطاياهم » .

فصل

٨٠ - إن قال قائل : إن تنزيل الوجود منزلة العدم ، أو العدم منزلة تنمة القول في تنزيل الموجود منزلة العدم

الوجود ، ليس من حديث التشبيه في شيء ، لأن التشبيه أن تُثبت لهذا معنى من معاني ذاك ، أو حُكمًا من أحكامه ، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد ، وللحُجّة حكم الثور ، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل ، كما يفصل بالنور بين الأشياء . وإذا قلت في الرجل القليل المعاني : « هو معلوم » ، أو قلت : « هو والعدم سواء » ، فلست تأخذ له شبهًا من شيء ، ولكنك تنفيه وتُبطل وجوده ، كما أنك إذا قلت : « ليس هو بشيء » أو « ليس برجل » ، كان كذلك . وكما لا يسمّى أحدٌ نحو قولنا : « ليس بشيء » تشبيهاً ، كذلك ينبغي أن لا يكون قولك : = وأنت تقلل الشيء أخبرت عنه = « معلوم » تشبيهاً . وكذلك إذا جعلت المعلوم موجودًا كقولك مثلاً للمال يذهب ويفنى ويثمر صاحبه ذكرًا جميلًا وثناءً حسنًا : « إنه باقٍ لك موجود » . لم يكن ذلك تشبيهاً ، بل إنكارًا لقول من نفى عنه الوجود ، حتى كأنك تقول : « عينه باقية كما كانت ، وإنما استبدل بصورة صورة فصار جمالاً ، بعد ما كان مالاً ، ومكارم ، بعد أن كان دراهم » .

وإذا ثبت هذا في نفس الوجود والعدم ، ثبت في كل ما كان على طريق تنزيل الصفة الموجودة كأنها غير موجودة ، نحو ما ذكرت من جعل الموت عبارة عن الجهل ، فلم يكن ذلك تشبيهاً ، لأنه إذا كان لا يُراد يجعل الجاهل ميتاً إلا نفى الحياة عنه مبالغةً ، ونفى العلم والتمييز والإحساس الذي لا يكون إلا مع الحياة ، كان محصوله أنك لم تعتد بجياته ، وترك الاعتداد بالصفة لا يكون تشبيهاً ، إنما هو نفى لها وإنكارٌ لقول من أثبتها .

= فالجواب : إن الأمر كما ذكرت ، ولكنني تتبعت فيما وضعته ظاهر الحال ، ونظرت إلى قولهم : « موجود كالمعلوم » ، و « شيء كلاً شيء » ، و « وجود شبيه بالعدم » ، فإن آية أن تعمل على هذا الظاهر لم أضايق فيه ، إلا أن من حَقَّق أن تعلم أنه لا غنى بك عن حفظ الترتيب الذي رتبته في إعطاء المعقول اسم معقول آخر = أعنى لا بد من أن تعلم أنه يجيء على طريقين : أحدهما : تنزيل الوجود منزلة العدم ، كما مضى من أن جعل الموت عبارة عن الجهل ، وإيقاع اسمه عليه يرجع إلى تنزيل حياته الموجودة كأنها معلومة ، والثاني : أن لا يكون هذا المعنى ، ولكن على أن لأحد المعنيين شَبَّهاً من الآخر ، نحو أن السؤال يُشبهه ، في كراهته وصعوبته على نفس الحر ، الموت .^(١)

...

٨١ - وأعلم أني ذكرت لك في تمثيل هذه الأصول الواضح الظاهر القريب المتناول الكائن من قبيل المتعارف في كل لسان ، وما تجد أعترافاً به وموافقةً عليه من كل إنسان ، أو ما يشابه هذا الحد ويشاكله ، ويداخل هذا الضرب ويشاركة ، ولم أذكر ما يدق ويغمض ، ويلطف ويعرب ، وما هو من الأسرار التي أثارها الصنعة ، وغاصت عليها فكرة الأفراد من ذوى البراعة في الشعر ، لأن القصد إذا كان تمهيد الأساس ، ووضع قواعد القياس ، كان الأولى أن يُعمد إلى ما هو أظهر وأجلى من الأمثلة ، لتكون الحججة بها عامة لا يصرف وجهها بحال ، والشهادة تامة لا تجد من السامعين غير قبول وإقبال ، حتى إذا تمهدت القواعد ، وأحكمت العرى والمعاهد ، أخذ حينئذ في تتبع ما اخترعته

(١) السياق : « يشبه ... الموت » .

القرائح ، وعُمد إلى حل المشكلات عن ثِقَةٍ بأن هُيئت المفاتيح . هذا وفي الاستعارة بعد من جهة القوانين والأصول ، شغلٌ للفكر ، ومذهب للقول ، وخفائيا ولطائف تُبرز من حُجُبها بالرُفق والتدرج والتلطُّف والتأني .

ولكني أظنُّ أن الصواب أن أنقل الكلام إلى القول على التشبيه والتمثيل وحقيقتهما والمراد منهما ، خصوصا في كلام من يتكلم على الشعر ، ونتعرّف أهما متساويان في المعنى ، أو مختلفان ، أم جنسهما واحد ، إلا أن أحدهما أخصُّ من الآخر ؟ وأنا أضع لك جملة من القول تبيّن بها هذه الأمور .

التشبيه والتمثيل (١)

التشبيه وأقسامه

٨٢ - أعلم أن الشيعيين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضريين :

التشبيه على ضريين

أحدهما : أن يكون من جهة أمر يبين لا يحتاج إلى تأويل .

والآخر : أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأويل .

•••

٨٣ - فمثال الأول : تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل ، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه ، وبالحلقة في وجه آخر = وكالتشبيه من جهة اللون ، كتشبيه الخدود بالورد ، والشعر بالليل ، والوجه بالنهار ، وتشبيه سيقط النار بعين الديك ، وما جرى في هذا الطريق = أو جمع الصورة واللون معاً ، كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور ، (١) والنرجس بمداهن دُرّ حشوهن عقيق (٢) = وكذلك التشبيه من جهة الهيئة نحو : أنه مستوي منتصب مديد ، كتشبيه قامة الرجل بالرحم ، والقَد اللطيف بالغصن = ويدخل في الهيئة حال الحركات في أجسامها ، كتشبيه الذهاب على الاستقامة بالسهم السديد ، ومن تأخذه الأريحية فهتَرُ بالغصن تحت البارح ، (٣) ونحو ذلك = وكذلك

تشبيه الشيء بالشيء
من جهة الصورة
والشكل

(١) هذا العنوان من نسخة مطبوعة رشيد رضا .

(٢) انظر ما سيأتى رقم : ٨٨ .

(٣) انظر ما سيأتى رقم : ٨٨ .

(٤) في مطبوعة ريتز « تحركه ريح » ، وأثبت ما في إحدى نسخ ريتز ، ومطبوعة رشيد رضا ،

وهو يشير إلى قول أبي الشَّيبِ العنبي في صفة ولده رباط .

وتأخذه عند المكارم هزة كما اهتَزَّت تحت البارح العُصْنُ الرُّطْبُ =

كل تشبيه جَمَعَ بين شيئين فيما يدخل تحت الحواسّ ، نحو تشبيهك صوت بعض الأشياء بصوت غيره ، كتشبيه أطيط الرحل بأصوات الفراريج ،^(١) كما قال :
[من البسيط]

كَأَنَّ أَصْوَاتَ ، مِنْ إِيغَالَهْنَ بِنَا ، أَوَاخِرِ الْمَيْسِ إِنْقَاضُ الْفَرَارِيجِ^(٢)

تقدير البيت : « كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا » ، ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : « من إيغالهن » = وتتشبيهه صَرِيْفَ أَنْيَابِ الْبَعِيرِ بِصِيَاْحِ الْبَوَازِي ،^(٣) كما قال :
[من الطويل]

كَأَنَّ عَلَيَّ أَنْيَابَهَا كُلُّ سُحْرَةٍ صِيَاْحِ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيْفِ اللَّوَائِكِ^(٤)

وأشبه ذلك من الأصوات المشبهة له = وتتشبيهه بعض الفواكه الحلوة بِالْعَسَلِ وَالسُّكَّرِ = وتشبيه اللين الناعم بالخزّ ، والخشن بالمِسْحِجِ ،^(٥) أو رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور = أو رائحة بعضها ببعض كما لا يخفى . وهكذا التشبيه من جهة الغريزة والطباع ، كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة ، وبالذئب في التكر . والأحلاق كلها تدخل في الغريزة نحو السخاء والكرم واللوم ،

= وه البراح « الريح الحارة (انظر الكامل ١ : ٢٤٥ ، طبعة محمد أحمد الدالي ، دمشق) .

(١) « أطيط الرحل » صوت الرخل الجديد من يُقَل ما يحمل .

(٢) هو لذى الرمة في ديوانه . وه الميس ، شجر تعمل منه الرحال ، ويعنى الرحال نفسها .

وه أنقضت الدجاجة إنقاضاً ، صوتت ، وصوتها هو « النقيض » .

(٣) « الصريف » صوت ناب البعير أو الناقة إذا خرّقه ، أى صلك أحد نايه بالآخر فصار له

صوت . وصريف ناب الناقة يدلّ على كلالها . وصريف ناب البعير على غلّته وشهوته الضراب ...

وه البوازي « جمع « باز » ، وهو ضرب من الصقور يصاد به .

(٤) هو لذى الرمة في ديوانه . وه السحرة « وه السحر » من ثلث الليل الآخر إلى طلوع

الفجر . وه اللوائك « جمع لائك » وه لائكة ، وهو أهون المضغ ، أو مضغ الشيء الصلب تديره في

فمك . يعنى النوق وقد كلت وتعبت وصكّت أنيابها ، فيسمع لها صريف .

(٥) « المسحج » ، الكساء من الشعر الخشن .

وكذلك تشبيه الرجل بالرجل في الشدة والقوة وما يتصل بهما .

فالشبه في هذا كله بين لا يجرى فيه التأول ، ولا يُفتقر إليه في تحصيله .
وأى تأول يجرى في مشابهة الخد للورد في الحمرة ، وأنت تراها ههنا كما تراها
هناك ؟ وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل .

•••

٨٤ - ومثال الثاني : وهو الشبه الذى يَحْصُلُ بضرب من التأول ،
كقولك : « هذه حُجَّةٌ كالشمس في الظهور » ، وقد شَبَّهتِ الحجة بالشمس
من جهة ظهورها ، كما شَبَّهت فيما مَضَى الشئ بالشئ من جهة ما أردت من
لون أو صورة أو غيرهما . إلا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك إلا بتأول ،
وذلك أن تقول : حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها
حجابٌ ونحوه ، مما يحول بين العين وبين رؤيتها ، ولذلك يظهر الشئ لك إذا لم
يكن بينك وبينه حجابٌ ، ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب .^(١)

التشبيه الحاصل
بضرب من التأول

ثم تقول : إن الشبهة نظير الحجاب فيما يُدرك بالعقول ، لأنها تمنع
القلب رؤية ما هي شبيهة فيه ، كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه .
ولذلك تُوصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب إدراكه ، ويصرف
فكره للوصول إليه من صححة حكمٍ أو فساده . فإذا ارتفعت الشبهة وحصل
العلم بمعنى الكلام الذى هو الحجة على صححة ما ادعى من الحكم قيل : « هذا
ظاهر كالشمس » ، أى ليس ههنا مانع عن العلم به ، ولا للتوقف والشك فيه
مَسَاغٌ ، وأن المنكر له إما مدخولٌ في عقله ، أو جاحدٌ مُباهتٌ ، ومُسرفٌ في

(١) في الأصول : « ولذلك يظهر الشئ لك ، ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب ، أو لم
يكن بينك وبينه ذلك الحجاب » ، وهو كلام غير مستقيم ، فأصلحته كما ترى .

العناد ، كما أن الشمس الطالعة لا يَشْكُ فيها ذو بصر ، ولا ينكرها إلا مَنْ لا عذر له في إنكاره . فقد آحتجت في تحصيل الشبه الذى أثبتته بين الحجّة والشمس إلى مثل هذا التأول كما ترى .

٨٥ - ثم إنَّ ما طريقه التأول يتفاوت تفاوتًا شديدًا ، فمنه ما يقرب تفاوت طريقة التأويل مأخذه ويسهل الوصول إليه ، ويُعطى المَقَادَةَ طوعًا ، حتى إنه يكاد يداخل الضرب الأول الذى ليس من التأول فى شيء ، وهو ما ذكرته لك = ومنه ما يُحتاج فيه إلى قدر من التأمل ، ومنه ما يدقّ ويغمض حتى يُحتاج فى استخراجِه إلى فضل رويّة ولُطْفِ فِكْرَةٍ .

التشبيه القريب
المأخذ

٨٦ - فمما يُشبه الذى بدأت به فى قُرب المأخذ وسهولة المأثى ، قولهم فى صفة الكلام : « ألفاظه كالماء فى السلاسة » ، و « كالنسيم فى الرِّقَّة » ، و « كالعسل فى الحلاوة » ، يريدون أن اللفظ لا يستغلق ولا يشتهبه معناه ولا يصعب الوقوف عليه ، وليس هو بغريب وحشّي يُستكره ، لكونه غير مألوف ، أو ليس فى حروفه تكريرٌ وتنافرٌ يُكدُّ اللسان من أجلهما ، فصارت لذلك كالماء الذى يسوغُ فى الحلق ، والنسيم الذى يسرى فى البدن ، ويتخلل المسالك اللطيفة منه ، ويُهدى إلى القلب رَوْحًا ، ويوجد فى الصدر أنشراحًا ، ويُفيد النفس نشاطًا ، وكالعسل الذى يَلدُّ طعمه ، وتَهشُّ النفس له ، ويميل الطبع إليه ، ويُحبُّ وروده عليه . فهذا كله تأوّل ، وردُّ شيء إلى شيء يضرب من التلطف ، وهو أدخل قليلًا فى حقيقة التأول ، وأقوى حالًا فى الحاجة إليه ، من تشبيه الحجّة بالشمس .

٨٧ - وأما ما تقوى فيه الحاجة إلى التأول حتى لا يُعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهية السماع ، فنحو قول كعب الأشقرى ، وقد أوفده المهلب على الحجاج ، فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والبأس ، فسأله في آخر القصة قال : « فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال : كانوا حُماة السرح نهاراً ، فإذا أثلوا ففرسان اليبات . قال : فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها » .^(١)

فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرّفق به والنظر . ألا ترى أنه لا يفهمه حقّ فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة ؟ وليس كذلك تشبيه الحجة بالشمس ، فإنه كالمشترك البين الاشتراك ، حتى يستوى في معرفته اللبيب اليقظ والمضعوف المغفل ، وهكذا تشبيه الألفاظ بما ذكرت ، قد تجده في كلام العامى .

فأمّا ما كان مذهبه في اللطف مذهب قوله : « هم كالحلقة » ، فلا تراه إلا في الآداب والحكم المأثورة عن الفضلاء وذوى العقول الكاملة .

(١) قصة كعب بن معاذ الأشقرى والحجاج ، في كتاب الكامل للمبرد ٣ : ١٣٤٧ .

(١٣٤٨ ، طبعة محمد أحمد الدالى ، دمشق) .

الفرق بين التشبيه والتمثيل^(١)

٨٨ - وإذ قد عرفت الفرق بين الضربين ، فاعلم أن التشبيه عام ،
والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً ، فانت تقول في
قول قيس بن الخطيم :
[من الطويل]

وقد لآخ في الصبح الثريا لمن رأى كعنفودٍ مُلَاحِيَةٍ حِين نَوْرَا^(٢)
= « إنه تشبيه حسن » ، ولا تقول : « هو تمثيل » . وكذلك تقول : « ابنُ
المعتز حسن التشبيهات بديعها » ، لأنك تعنى تشبيهه المبصرات بعضها
ببعض ، وكل ما لا يوجد الشبه فيه من طريق التأول ، كقوله :
[من الطويل]

كَأَنَّ عُيُونَ التَّرْجِسِ الغَضُّ حَوْهَا مَدَاهِنُ دُرٍّ حَشْوُهِنَّ عَقِيقُ^(٣)
وقوله :
[من الكامل]

وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ مِنْ ثِيَابِ حَدَادِ^(٤)
وقوله :
[من مجزوء الخفيف]^(٥)

وترومُ الثَّرِيَا فِي العُرُوبِ مَرَامَا^(٥)
كَانِكِبَابِ طِمْرٍ كَادَ يُلْقَى اللِّجَامَا

(١) هذا العنوان من مطبوعة رشيد رضا وحدها .

(٢) ليس لقيس بن الخطيم ، إنما هو لأبي قيس بن الأسلت ، انظر الأغاني ١٧ : ١٣٠ ،
و« الملاحية » ، ضرب من العنب الأبيض في حبه طول ، كأنه الذي يسمونه في مصر « بز العنزة » ، أى
ثديها .

(٣) هو لابن المعتز في ديوانه . و« المداهن » جمع « مُدْهِنٌ » بضم الميم وضم الهاء . وهو وعاء
يحفظ فيه الدهن .

(٤) هو لابن المعتز في ديوانه أيضاً .

(٥) كتب ريتز : [من الخفيف] ، وهو خطأ .

[من المنسرح] (١)

وقوله :

قد آنقَضَتْ دَوْلَةَ الصِّيَامِ وَقَدْ بَشَّرَ سُقْمَ الْهِلَالِ بِالْعِيدِ (٢)
يتلو الثريا كفاغبر شره يفتح فاه لأكلِ عنقودِ

[من السريع]

وقوله :

لَمَّا تَعَرَّى أَفْقُ الضِّيَاءِ مَثَلُ آبِتْسَامِ الشَّقْفَةِ اللَّئِيَاءِ (٣)
وَشِمِطَتْ ذَوَائِبُ الظُّلْمَاءِ قُدْنَا لِعَيْنِ الْوَحْشِ وَالظُّبَاءِ
دَاهِيَةً مَحْنُورَةَ اللَّقَاءِ وَيَعْرِفُ الرَّجْرَجُ مِنَ الدُّعَاءِ
بِأَذْنِ سَاقِطَةِ الْأَرْجَاءِ كَوَرْدَةِ السُّوسَنَةِ الشُّهْبَاءِ
ذَا بُرُثْنِ كَمِثْقَبِ الْحُدَاءِ وَمُقَلَبَةِ قَلِيلَةِ الْأَقْدَاءِ
صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ

[من الكامل]

وما كان من هذا الجنس = ولا تُريد نحو قوله :

اصبر على مَضَضِ الحسو دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ (٤)
فَالثَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

(١) كتب ريتز : [من البسيط] وهو خطأ ، ووزنه :

مستفعلن مفعلات مفتعلن مستفعلن مفعلات مفعولن

وقد ذكره التبريزي في كتاب الكافي ، في باب المنسرح ، وذكره الدماميني في الغامزة ، وقال التبريزي : « وقد استعملوا ضرباً آخر لم يذكره الخليل ، ووزنه مفعولن ... » وقال الدماميني : « قال ابن بَرِّي : وهذا الضرب مما استحسسه المحدثون وأكثروا منه لحسن اتساقه وعلوية مساقه ، حتى استعملوه غير مردوف ، كقول ابن الرومي :

لو كنت يوم الوداع شاهداً وهنَّ يُطْفِنِ لَوْعَةَ الْوَجْدِ

(٢) هو في ديوان ابن المعتز .

(٣) هو في ديوانه أيضاً ، وقد اختصر الشيخ من سياق الشعر فراجعهُ .

(٤) هو في ديوانه أيضاً .

= وذلك أن إحسانه في النوع الأول أكثر ، وهو به أشهر .

التشبيه والتمثيل

وكل ما لا يصح أن يسمى « تمثيلاً » فلفظ « المثل » لا يُستعمل فيه أيضاً ، فلا يقال : « ابن المعتز حسن الأمثال » ، تريد به نحو الأبيات التي قدمتها ، وإنما يقال : « صالح بن عبد القلثوس كثير الأمثال في شعره » ، يراد نحو قوله : [من السريع]

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبْتُهُ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْبِهِ (١)
حَتَّى تَرَاهُ مُورَقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُونُسِ

= وما أشبهه ، مما الشبه فيه من قبيل ما يجري فيه التأول ، ولكن إن قلت

في قول ابن المعتز :

فالنار تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

= إنه « تمثيل » ، فمثل الذي قلت ينبغي أن يقال ، لأن تشبيه الحسود إذا صُبر عليه وسُكِّت عنه ، وتُرك غيظه يتردد فيه = (٢) بالنار التي لا تُمدُّ بالخطب حتى يأكل بعضها بعضاً ، مما حاجته إلى التأول ظاهرة بيّنة .

فقد تبين بهذه الجملة وجه الفرق بين « التشبيه » و « التمثيل » . وفي تتبع ما أجملت من أمرهما ، وسلوك طريق التحقيق فيهما ، ضرب من القول ينشط له من يأنس بالحقائق .

...

(١) من أبيات ذكرها ابن المعتز في طبقات الشعراء : ٩٠ ، وبعدهما :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا آرَعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ كَذَى الضَّنَاعَادِ إِلَى نُكْسِهِ

(٢) السياق : « لأن تشبيه الحسود ... بالنار .. »

فصل

٨٩ - اعلم أن الذى أوجب أن يكون في التشبيه هذا الانقسام ، أن الاشتراك في الصفة يقع مرّة في نفسها وحقيقة جنسها ، ومرّة في حُكْمِها ومقتضى . فالخذ يشارك الورد في الحمرة نفسها وتجدها في الموضوعين بحقيقتها = واللفظ يشارك العسل في الحلاوة ، لا من حيث جنسه ، بل من جهة حكم وأمر يقتضيه ، وهو ما يجده الذائق في نفسه من اللذة ، والحالة التي تحصل في النفس إذا صادفت بحاسة الذوق ما يميل إليه الطبع ويقع منه بالموافقة ، فلمّا كان كذلك ، احتيج لا محالة = إذا شَبَّه اللفظ بالعسل في الحلاوة = أن يبيّن أن هذا التشبيه ليس من جهة الحلاوة نفسها وجنسها ، ولكن من مقتضى لها ، وصفة تجلّد في النفس بسببها ، وأنّ القصد أن يُخَبَّرَ بأنّ السامع يجد عند وقوع هذا اللفظ في سمعه حالة في نفسه ، شبيهة بالحالة التي يجدها الذائق للحلاوة من العسل ، حتى لو تمثّلت الحالتان للعيون ، لكانتا تُريّان على صورة واحدة ، ولوّجدا من التناسب على حدّ الحمرة من الخدّ ، والحمرة من الورد .

التشبيه وانقسامه
إلى قسمين

...

٩٠ - وليس ههنا عبارة أحصّ بهذا البيان من « التأول » ، لأن حقيقة قولنا : « تأولت الشيء » ، أنك تطلبت ما يؤول إليه من الحقيقة ، أو الموضوع الذى يؤول إليه من العقل ، لأن « أولت وتأولت » فعّلت وتفعّلت من « آل الأمر إلى كذا يؤول » ، إذا انتهى إليه ، و « المأل » ، المرجع = وليس قول من جعل « أولت و تأولت » من « أول » بشيء ، لأن ما فآؤه وعينه من موضع واحد « ككوكب » و « ددن » لا يُصرّف منه فعل ، و « أول » « أفعل » بدلالة قولنا :

معنى « التأويل »

« أول منه » ، كقولنا : « أسبق منه وأقدم » . فالواو الأولى فاءٌ والثانية عينٌ .
وليس هذا موضع الكلام في ذلك فيستقصى .

الضرب الأول
من التشبيه

٩١ - وأما الضرب الأول ، فإذا كان المثبت من الشبّه في الفرع من جنس المثبت في الأصل ، كان أصلاً بنفسه ، وكان ظاهرُ أمره وباطنه واحداً ، وكان حاصل جمعك بين الورد والحدّ ، أنك وجدت في هذا وذاك حمرةً ، والجنس لا تتغير حقيقته بأن يوجد في شيئين ، وإنما يُتصوّر فيه التفاوت بالكثرة والقلة والضعف والقوة ، نحو أن حمرة هذا الشيء أكثر وأشدّ من حمرة ذلك .

وإذا تقرّرت هذه الجملة ، حصل من العلم بها أن التشبيه الحقيقي الأصلي هو الضرب الأول ، وأن هذا الضرب فرع له ومرتب عليه .

ويزيد ذلك بيّناً : أن مدار التشبيه على أنه يقتضى ضرباً من الاشتراك ، ومعلوم أن الاشتراك في نفس الصفة ، أسبق في التصوّر من الاشتراك في مقتضى الصفة = كما أن الصفة نفسها مقدّمة في الوهم على مقتضاها ، فالحلاوة أولاً ، ثم إنها تقتضى اللذة في نفس الذائق لها .

وإذا تأملنا متصرفَ تركيبه ، وجدناه يقتضى أن يكون الشيطان من الاتفاق والاشتراك في الوصف ، بحيث يجوز أن يُتوهم أن أحدهما الآخر . وهكذا تراه في العرف والمعقول ، فإنّ العقلاء يؤكّدون أبداً أمر المشابهة بأن يقولوا : « لا يمكنك أن تفرق بينهما » ، ولو رأيت هذا بعد أن رأيت ذاك لم تعلم أنك رأيت شيئاً غير الأول ، حتى تستدلّ بأمر خارج عن الصورة . ومعلوم أن هذه القضية إنما توجد على الإطلاق والوجود الحقيقي في الضرب الأول = وأما الضرب الثاني ، فإنما يجيء فيه على سبيل التقدير والتنزيل ، فأما أن

لا تجد فصلاً بين ما يقتضيه العسل في نفس الذائق ، وما يحصل باللفظ المرضي والكلام المقبول في نفس السامع ، فما لا يمكن ادّعاؤه إلا على نوع من المقاربة أو المجازفة ، فأما على التحقيق والقطع فلا .

فالمشابهات المتأولة التي ينتزعها العقل من الشيء للشيء ، لا تكون في حدّ المشابهات الأصلية الظاهرة ، بل الشبه العقلي كأنّ الشيء به يكون شبيهاً بالمشبه .^(١)

...

(١) في مطبوعة ريتير : « مشبهاً بالمشبه » ، والأجود وما في نسخة رشيد رضا .

فصل

الشبه العقلي ينتزع
من عدة أمور

٩٢ - ثم إن هذا الشبه العقلي ربما انتزع من شيء واحد ، كما مضى من انتزاع الشَّبه للفظ من حلاوة العسل = وربما انتزع من عدَّة أمورٍ يُجمَع بعضها إلى بعض ، ثم يُستخرج من مجموعها الشَّبه ، فيكون سبيله سبيل الشَّبهين يُمزج أحدهما بالآخر ، حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد ، لا سبيل الشَّبهين يُجمَع بينهما وتُحفظ صورتها .

٩٣ - ومثال ذلك قوله عز وجل : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) [سورة الجمعة : ٥] ، الشَّبه منتزع من أحوال الحمار ، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودعُ ثمر العقول ، ثم لا يُحسَّ بما فيها ولا يشعر بمضمونها ، ولا يفرِّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء ، ولا من الدلالة عليه بسبيل ، فليس له مما يحمل حظَّ سوى أنه يتقل عليه ، ويكُدُّ جنبه = فهو كما ترى مُقتضى أمورٍ مجموعةٍ ، ونتيجةً لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعض .

= بيان ذلك : أنه احتيج إلى أن يراعى من الحمار فعلٌ مخصوص ، وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً ، وهو الأسفار التي فيها أماراتٌ تدلُّ على العلوم ، وأن يُثَلَّث ذلك بجهد الحمار ما فيها ، حتى يحصل الشبه المقصود . ثم إنه لا يحصل من كل واحدٍ من هذه الأمور على الانفراد ، ولا يُتصوَّر أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه ، من غير أن يقف الأول على الثاني ، ويدخل الثاني في الأول ، لأن الشَّبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار ، ثم لا يتعلق أيضاً بحمل الحمار حتى يكون المحمول الأسفار ، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جهل

الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره = فما لم تجعله كالخيط الممدود ، ولم يُمزج حتى يكون القياسُ قياسَ أشياء يُبالغ في مزاجها حتى تتحد وتخرج عن أن تُعرف صورة كل واحد منها على الانفراد ، بل تبطل صورها المفردة التي كانت قبل المزاج ، وتحدث صورة خاصة غير اللواتي عهدت ، وتحصل مذاقة لو فرضت حصولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاج ، فرضت ما لا يكون = ^(١) لم يتم المقصود ، ولم تحصل النتيجة المطلوبة ، وهي الذم بالشقاء في شيء يتعلق به غرضٌ جليلٌ وفائدة شريفة ، مع حرمان ذلك الغرض وعدم الوصول إلى تلك الفائدة ، واستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة والنعم الخطيرة ، من غير أن يكون ذلك الاستصحاب سببًا إلى ثبوت شيء من تلك المنافع والنعم .

...

٩٤ - ومثال ما يجيء فيه التشبيه معقودًا على أمرين إلا أنهما لا يتشابهان هذا التشابك قولهم : « هو يصفو ويكدر » و « يمرُّ ويحلو » و « يشحُّ ويأسو » ، ^(٢) و « يسرج ويلجم » ، لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصفتين ، فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى ، لأنك لو قلت : « هو يصفو » ، ولم تتعرض لذكر « الكدر » = أو قلت : « يحلو » ، ولم يسبق ذكر « يمرُّ » ، وجدت المعنى في تشبيهك له بالماء في الصفاء وبالعسل في الحلوة بحاله وعلى حقيقته .

التشبيه المعقود
على أمرين

(١) السياق : « فما لم تجعله كالخيط الممدود ... لم يتم المقصود » ، وما بينهما عطف جمل على

جمل .

(٢) « شح يشحُّ شحًا » ، جرح ، أو أحدث شحَّة في الرأس أو الوجه . و « أسا المرح بأسوه » ،

عالجه وداواه .

وليس كذلك الأمر في الآية ، لأنك لو قلت : « كالحمار يَحْمِلُ أسفارا » ، ولم تعتبر أن يكون جهل الحمار مقرونا بحمله ، وأن يكون متعديا إلى ما تعدي إليه الحمل ، لم يتحصل لك المغزى منه .

وكذلك لو قلت : « هُم كالحمار في أنه يجهل الأسفار » ، ولم تشرط أن يكون حمله الأسفار مقرونا بجعله لها = لكان كذلك . وكذلك لو ذكرت الحمل والجهل مطلقين ، ولم تجعل لهما المفعول المخصوص الذي هو الأسفار ، فقلت : « هو كالحمار في أنه يحمل ويجهل » ، وقعت من التشبيه المقصود في الآية بأبعد البعد . والنكتة أن التشبيه بالحمل للأسفار ، إنما كان بشرط أن يقترن به الجهل = ولم يكن الوصف بالصفاء والتشبيه بالماء فيه بشرط أن يقترن به الكدر ، ولذلك لو قلت : « يصفو ولا يكدر » لم تزد في صميم التشبيه وحقيقته شيئا ، وإنما استدمت الصفة كقولك : « يصفو أبدا وعلى كل حال » .

فصل

٩٥ - أعلم أن الشَّبه إذا انتزع من الوصف لم يَخُلْ من وجهين :

أحدهما : أن يكون لأمرٍ يرجع إلى نفسه .

والآخر : أن يكون لأمرٍ لا يرجع إلى نفسه .

فالأوَّل : ما مضى في نحو تشبيه الكلام بالعدل في الحلاوة ، وذلك أن وجه التشبيه هناك = أن كل واحد منهما يوجب في النفس لذة وحالة محمودة ، ويصادف منها قبولا . وهذا حُكْمٌ واجب للحلاوة من حيث هي حلاوة ، أو للعدل من حيث هو عدل .

التشبيه الأوَّل لأمر
يرجع إلى نفسه

وأما الثاني : وهو ما يُنتزع منه الشبه لأمرٍ لا يرجع إلى نفسه ، فمثاله أن يتعدَّى الفعل إلى شيءٍ مخصوص يكون له من أجله حُكْمٌ خاصٌّ ، نحو كونه واقعا في موقعه وعلى الصواب ، أو واقعا غير موقعه ، كقولهم : « هو كالتقابض على الماء » و « الراقم في الماء » ، ^(١) فالشبه ههنا منتزع مما بين القَبْض والماء ، وليس بمنتزع من القَبْض نفسه ، وذلك أن فائدة قبض اليد على الشيء أن يحصل فيها ، فإذا كان الشيء مما لا يتأسك ، ففعلك القَبْض في اليد لغو = وكذلك القصد في « الرِّقْم » أن يبقى أثر في الشيء ، وإذا فعلته فيما لا يقبله ، كان فعلك كلا فعل = وكذلك قولهم : « يضرب في حديد باردٍ » و « ينفخ في غَيْرِ فَحِيمٍ » .

التشبيه الثاني لأمر
لا يرجع إلى نفسه

٩٦ - وإذا ثبت هذا ، فكل شبه كان هذا سبيله ، فإنك لا تجد بين

(١) « الرِّقْم » ، هو الخط أو الكتابة .

المعنى المذكور وبين المشبه إذا افردته ، ملابسة البتة . ألا تراك تَضْرِبُ الرَّقْمَ في الماء والقَبْضَ عليه ، لأمر لا شَبَهَ بينهما وبينها البتة ، من حيث هُمَا رَقْمٌ وَقَبْضٌ ؟

وإذ قد عرفتَ هذا فالحمل في الآية من هذا القبيل أيضاً ، لأنه تَضَمَّنَ الشَّبه من اليهود ، لا لأمرٍ يرجع إلى حقيقة الحمل ، بل لأمرين آخرين : أحدهما تعديهِ إلى الأسفار ، والآخر اقتران الجهل للأسفار به . وإذا كان الأمر كذلك ، كان قَطْعُكُ الحَمَلِ عن هذين الأمرين في البعد من الغرض ، كقَطْعُكُ القَبْضِ والرَّقْمِ عن الماء ، في استحالة أن يُعْقَلَ منهما ما يُعْقَلُ بعد تعديهما إلى الماء بوجه من الوجوه ، فاعرفه .

٩٧ - فإن قلت : ففي اليهود شبهة من الحمل ، من حيث هو حملٌ على حالٍ . وذلك أن الحافظ للشئ بقلبه ، يُشبهه الحامل للشئ على ظهره ، وعلى ذلك يقال : « حَمَلَةُ الحَدِيثِ » و « حَمَلَةُ العِلْمِ » كما جاء في الأثر : « يَحْمِلُ هذا العِلْمَ من كُلِّ خَلِيفٍ عُدُولُهُ » ، ^(١) و « رَبُّ حَامِلٍ فَهوَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » . ^(٢)

= فالجواب : أن الأمر وإن كان كذلك ، فإنَّ هذا الشبه لم يُقصد ههنا ،

(١) تمام الحديث : « يَنْفُونَ عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » ، وهو حديث تكلموا فيه ، وضعفه بعضهم ، وصححه أحمد بن حنبل . انظر الإصابة ، القسم الرابع ترجمة : « إبراهيم بن عبد الرحمن العنزي » ، وانظر كتاب الخطيب البغدادي : « شرف أصحاب الحديث » ، وانظر أيضاً الجامع الكبير للسيوطي .

(٢) الحديث : « نَصَّرَ اللهُ امرئاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلِّغه غيره ، فربَّ حاملٍ فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » ، وهو من حديث زيد بن ثابت ، رواه أبو داود في سننه في كتاب العلم ، « باب فضل نشر العلم » ، ورواه الترمذي في كتاب العلم ، « باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع » ، وقال : « حديث زيد بن ثابت حديث حسن » .

وإنما قُصد ما يوجبه تعدّي الحمل إلى الأسفار ، مع اقتران الجهل بها به ، وهو العناء بلا منفعة . يُبين ذلك : أنك قد تقول للرجل يحمل في كُمّه أبداً دفاتر علم ، وهو بليد لا يفهم ، أو كسلان لا يتعلم : « إن كان يحمل كُتب العلم فالحمار أيضاً قد يحمل » ، تريد أن تُبطل دعواه أن له في حمله فائدة ، وأن تسوّى بينه وبين الحمار في فقد الفائدة مما يحمل . فالحمل ههنا نفسه موجود في المشبه بالحمار ، ثم التشبيه لا ينصرف إليه من حيث هو حمل ، وإنما ينصرف إلى ما ذكرت لك من عدم الجدوى والفائدة . وإنما يُتصوّر أن يكون الشبه راجعاً إلى الحمل من حيث هو حمل ، حيث يوصف الرجل مثلاً بكثرة الحفظ للوظائف ، أو جُهد النفس في الأشغال المتراكمة ، وذلك خارج عن الغرض مما نحن فيه .

٩٨ - ومن هذا الباب قولهم : « أخذ القوسَ بارها » ، وذلك أن المعنى على وقوع الأخذ في موقعه ووجوده من أهله ، فلست تُشبهه من حيث الأخذ نفسه وجنسه ، ولكن من حيث الحكمُ الحاصلُ له بوقوعه من بارى القوس على القوس .

٩٩ - وكذلك قولهم : « ما زال يُقتل منه في الذرّوة والغارب » ^(١) الشبه مأخوذاً ما بين القتل وما تعدّى إليه من الذرّوة والغارب ، ^(١) ولو أفردته لم تجد شيئاً بينه وبين ما يُضرب هذا الكلام مثلاً له ، لأنه يُضرب في الفعل أو

(١) « ذرّوة البعير » ، أعلى سنامه ، و« الغارب » ، أعلى مقدم السنام . وذلك أن الرجل إذا أراد أن يؤنس البعير الصعب فينقاد له ، جعل يُبرّ يده عليه ويمسحُ غاربه ، ويفتلُ وبره ، حتى يستأنس له ويضع فيه الزمام .

القول يُصَرَّف به الإنسان عن الامتناع إلى الإجابة ، وعن الإباء عليك في مُرادك ، إلى موافقتك والمصير إلى ما تريد منه . وهذا لا يُوجَد في القتل من حيث هو قتلٌ ، وإنما يوجد في القتل إذا وقع في الشَّعر من ذروة البعير وغاربه .

١٠٠ - وأعلم أن هذا الشبه حُكْمُهُ واحدٌ ، سواءً أخذته ما بين هذا التشبه حكمه واحدٌ في حالات

الفعل والمفعول الصريح ، أو ما يجرى مجرى المفعول .

فالمفعول كالقوس في قولك : « أخذ القوسَ باربها » .

وما يجرى مجرى المفعول ، الجارُّ مع المجرور ، كقولك : « الرِّقم في الماء » و « هو كمن يخطُّ في الماء » .

وكذلك الحال ، كقولهم : « كالحادي وليس له بعيرٌ » ، فقولك : « وليس له بعير » ، جملة من الحال ، وقد أحتاج الشبه إليها ، لأنه مأخوذ ما بين المعنى الذي هو « الحدو » ، وبين هذه الحال ، كما كان مأخوذاً بين الرقم والماء ، وما بين القتل والذروة والغارب .

وقد تجد بك حاجةً إلى مفعولٍ وإلى الجارِّ مع المجرور كقولك : « وهل يُجمَع السيفان في غمد » ، ^(١) و « أنت كمن يجمع السيفين في غمد » ، ألا ترى أن الجمع فيه لا يُغنى بتعديهِ إلى السيفين ، حتى يُشترط كونه جمعاً لهما في الغمد ؟ فمجموع ذلك كله يُحصَل الغرض .

وهكذا نحو قول العامة : « هو كثير الجورِ على إلفه » ، وقولهم : « كُمتبغى

(١) مأخوذ من شعر أبي ذؤيب ، يقوله لصاحبه أم عمرو ، لما راودت ابن عمه خالدًا ، ثم أرسلت إليه ترضاه :

تُرِيدِينَ كيما تجمعي وخالداً وهل يُجمَع السيفان ويحك ، في غمدي ؟

الصَّيْدَ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ ، (١)

= لأن « الصيد » مفعول و « في عَرِيْسَةِ » جارٌّ مع المجرور .

•••

١٠١ - فإذا ثبت هذا ، ظهر منه أنه لا بد لك في هذا الضرب من الشَّبه من جملة صريحة أو حكم الجملة . فالجملة الصريحة قولك : « أخذَ القوسَ باربها » ، وحكم الجملة أن تقول : « هذا منك كالرقم في الماء » و « القبض على الماء » ، فتأتى بالمصدر أو تقول : « كالراقم في الماء » ، و « كالقابض على الماء » ، فتأتى باسم الفاعل . وذاك أنَّ المصدر واسم الفاعل ليسا بجملتين صريحًا ، ولكن حكم الجملة قائم فيهما ، وهو أنك أعملتهما عمَل الفعل . ألا ترى أنك عدديهما على حسب ما تعدى الفعل ؟ وخصائص هذا النوع من « التمثيل » أكثر من أن تضبط ، وقد وقفتك على الطريقة .

فهذا أحد الوجوه التي يكون الشَّبه العقلي بها حاصلًا لك من جملة من الكلام ، وأظنه من أقوى الأسباب والعلل فيه .

١٠٢ - وعلى الجملة ، فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي ، والتشبيه الذى هو الأوَّلَى بأن يسمَّى « تمثيلاً » لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ، ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر ، حتى إنَّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليًا محضًا ، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر .

التمثيل يحدث من جملة الكلام

(١) مثل : وهو من شعر الطرِمَاح ، يقوله حين هجا الفرزدق طيئًا وتوعدهم :
يَا طَيِّئِ السَّهْلِ وَالْأَجْبَالِ مُوعِدُكُمْ كَمَبْتغَى الصَّيْدِ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ
و « عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ » ، شجر ملتف يأوى إليه .

ألا ترى إلى نحو قوله عز وجل : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ
السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ) [سورة يونس : ٢٤] = كيف كثرت الجمل
فيه ؟ حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فصلت . وهي وإن كان قد دخل
بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة ، فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صور
الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة . ثم إن الشبه منتزع من مجموعها ،
من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، وإفراد شطر من شطر ، حتى إنك لو
حذفت منها جملة واحدة من أى موضع كان ، أخل ذلك بالمغزى من التشبيه .

ولا ينبغي أن تعدّ الجمل في هذا النحو بعدّ التشبيهات التي يضم
بعضها إلى بعض ، والأعراض الكثيرة التي كل واحد منها منفرد بنفسه ، (١)
بل بعدّ جمل تُنسق ثانية منها على أوّلة ، وثالثة على ثانية . وهكذا . فإن ما كان
من هذا الجنس لم تترتب فيه الجمل ترتيباً مخصوصاً حتى يجب أن تكون هذه
سابقة وتلك تالية والثالثة بعدهما . ألا ترى أنك إذا قلت : « زيد كالأسد بأساً ،
والبحر جوداً ، والسيف مضاءً ، والبدر بهاءً » ، لم يجب عليك أن تحفظ في هذه
التشبيهات نظاماً مخصوصاً ؟ بل لو بدأت بالبدر وتشبيهه به في الحسن ، وأخرت
تشبيهه بالأسد في الشجاعة ، كان المعنى بحاله ، وقوله : [من السريع]

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجْهُ دَنَا نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَّمْ (٢)

(١) في المطبوعتين : « والأعراض » ، بالعين المهملة ، وهو خطأ .

(٢) هو للمرقرش الأكبر في المفضليات ، وقوله : « وأطراف الأكف » ، هي رواية أبي عمرو
الشيبياني . والرواية : « وأطراف البنان » ، وهذه أجود . و« النشر » الرائحة الطيبة . و« العنم » ، شئ أحمر
ينبت في شجر السمر ، كأنه أطراف الأصابع .

إنما يجبُ حِفْظُ هذا الترتيب فيها لأجل الشعر ، فأما أن تكون هذه
الجمل متداخلةً كتداخل الجمل في الآية ، وواجباً فيها أن يكون لها نسقٌ
مخصوص كالنسق في الأشياء إذا رُتبت ترتيباً مخصوصاً كان لمجموعها صورةً
خاصةً مقررةً ، (١) فلا .

١٠٣ - وقد يجيء الشيء من هذا القبيل يُتوهم فيه أن إحدى الجملتين
أو الجمل تنفرد وتُستعمل بنفسها تشبيهاً وتمثيلاً ، ثم لا يكون كذلك عند حُسن
التأمل ، مثال ذلك قوله :

التمثيل الحاصل من
جملتين أو جمل

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رجوها أقشعت وتجلت (٢)

هذا مثلٌ في أن يظهر للمضطر إلى الشيء ، الشديد الحاجة إليه ، أمانةٌ
وجوده ، ثم يفوته ويبقى لذلك بحسرة وزيادة ترح .

وقد يمكن أن يقال : « إن قولك : « أبرقت قوماً عطاشاً غمامة » ، تشبيه

(١) في مطبوعة ريتز : « مفردة » ، ولا معنى لها هنا ، والصواب ما في إحدى المخطوطات
عنده ، وما في إحدى نسخ رشيد رضا .

(٢) هذا البيت ينسب لكثير عزة في سبعة أبيات أخر ، وانظر تخرج قصيدة كثير في طبعة ديوانه
لإحسان عباس ، ولكن ليس في رواية منتهى الطلب ، ولا في رواية القالي في الأمالي . وفي مطبوعة ريتز :
« فلما رجوها » كما أثبتنا ، وفي مطبوعة رشيد رضا « فلما رأوها » ، وهي رواية سيئة . وأما هذا المعنى في
شعر كثير ، فهو :

وإني ونهيامي بعزة بعدما تخليت مما بيننا وتخلت
لكا لمترجي ظل العمامة كلما تبوأ منها للمقبل اضمحل
كأني وإياها سحابة ممحجل رجاها ، فلما جاوزته استهل
وقال ريتز في تعليقه : « قبله :

لقد أطمعتني بالوصال تبسماً فلما سألتنا أعرضت وتولت

قائله مجهول ، نهاية الأدب ١ : ٧٨ . وليس هنا من نمط كثير .

مستقلً بنفسه ، لا حاجة به إلى ما بعده من تمام البيت في إفادة المقصود الذي هو ظهور أمرٍ مُطْمَعٍ لمن هو شديد الحاجة ، ^(١) إلا أنه وإن كان كذلك ، فإن حقنا أن ننظر في مغزى المتكلم في تشبيهه . ونحن نعلم أن المغزى أن يصل ابتداءً مُطمعًا بانتهاءِ مُؤيسٍ ، وذلك يقتضى وقوفَ الجملة الأولى على ما بعدها من تمام البيت .

ووزانُ هذا أن الشرط والجزاء جملتان ، ولكننا نقول : إن حكمهما حكمُ جملةٍ واحدة ، من حيث دخل في الكلام معنى يربط إحداهما بالأخرى ، حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل به الفائدة . فلو قلت : « إن تأتني » وسكت ، لم تفد كما لا تفيد إذا قلت : « زيد » وسكت ، فلم تذكر أسماً آخر ولا فعلاً ، ولا كان منوياً في النفس معلوماً من دليل الحال . ثم إن الأمر ، وإن كان كذلك ، فقد يجوز أن تُخرج الكلام عن الجزاء فتقول : « تأتيني » ، فتعود الجملة على الإفادة ، لإغنائك لها عن أن ترتبط بأخرى ، وإزالتك المعنى الذي أوجب فقَرها إلى صاحبة لها ، إلا أن الغرض الأول يبطل والمعنى يتبدل ، فكذلك الاقتصار على الجملة التي هي : « أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً » ، يخرج عن غرض الشاعر .

ردّ اعتراض

١٠٤ - فإن قلت : فهذا يلزمك في قولك : « هو يصفو ويكدر » . وذلك أن الاقتصار على أحد الأمرين يُبطل غرضَ القائل ، وقصدَه أن يصف الرجل بأنه يجمع الصفتين ، وأن الصفاء لا يدوم .

= فالجواب : أن بين الموضوعين فرقاً ، وإن كان يغمض قليلاً ، وهو أن

(١) السياق : « وقد يمكن أن يقال ... إلا أنه وإن كان كذلك ، ... » .

الغرض في البيت أن يُثبت ابتداءً مطمعاً مؤنساً أدى إلى انتهاء مؤيسٍ مُحوش ،
وكونُ الشيء ابتداءً لآخر هو له انتهاء ، معنًى زائد على الجمع بين الأمرين ،
والوصف بأن كل واحدٍ منهما يوجد في المقصود . وليس لك في قولك : « يصفو
ويكدر » ، أكثر من الجمع بين الوصفين . ونظيرُ هذا أن تقول : « هو كالصفو
بعد الكدر » ، في حصول معنًى يَجِبُ معه رَبطُ أحد الوصفين بالآخر في الذكر
ويتعَيَّنُ به الغرض ، ^(١) حتى لو قلت : « يكدر ثم يصفو » ، فجئتُ بِشَمِّ التي
توجب الثاني مرتباً على الأول ، وأن أحدهما مبتدأ والآخر بعده ، صرتُ بالجملة
إلى حدِّ ما نحن عليه من الارتباط ، ووجوب أن يتعلَّق الحكم بمجموعهما ، ويوجد
الشبه إن شَبَّهت ما بينهما ، على التشابك والتداخل ، دون التباين والتزايُل .
ومن الواضح في كون الشبه معلقاً بمجموع الجملتين ، حتى لا يقع في
الوهم تَمييزُ إحداها على الأخرى قوله : « بلغني أنك تُقدِّم رجلاً وتؤخر أخرى ،
فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام » ، ^(٢) وذلك أن المقصود
من هذا الكلام : التردُّد بين الأمرين ، وترجيحُ الرأى فيهما ، ولا يُتصوَّر التردُّد
والترجيح في الشيء الواحد ، فلو جَهدت وهَمكت أن تتصوَّر لقولك : « تقدِّم
رجلاً » معنًى وفائدةً ما لم تقل : « وتؤخر أخرى » ، أو تَنوِّه في قلبك ، كلَّفت
نفسك ^(٣) / شَطَطاً .

(١) في مطبوعة ريتير : « يوجب ربط » ، وأثبتُ ما في مطبوعة رشيد رضا ، وفي إحدى
مخطوطات ريتير .

(٢) خير هذه المقالة في البيان والتبيين ١ : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، وهو في دلائل الإعجاز ٤٤٠ رقم :

(٣) إلى هنا انتهت الكراسة المفقودة في المخطوطة ، والتي أشرتُ إليها في رقم : ٥٧ ص : ٥٩ .

١٠٥ - وذكر أبو أحمد العسكري أن هذا النحو من الكلام يُسمّى : « المائلة » عند أبي أحمد العسكري ، وهذه التسمية تُوهم أنه شيءٌ غيرُ المراد « بالمثل » و « التمثيل » ، وليس الأمر كذلك ، كيف وأنت تقول : « مَثَلُ مَنْ يَقْدَمُ رَجُلًا وَيُوَخَّرُ أُخْرَى » ؟ ووزانُ هذا أنك تقول : « زيْدُ الأسد » ، فيكون تشبيهاً على الحقيقة وإن كنت لم تُصَرِّح بحرف التشبيه = ومثله أنك تقول : « أنت ترقم في الماء » ، و « تضرب في حديد بارد » ، و « تنفخ في غير فحم » ، فلا تذكر ما يُدلُّ صريحاً على أنك تشبّه ، ولكنك تعلم أن المعنى على قولك : « أنت كمن يرقم في الماء ، وكمن يضربُ في حديد بارد ، وكمن ينفخ في غير فحم » ، وما أشبه ذلك مما تجيء فيه بمشبهه به ظاهرٍ تقع هذه الأفعال في صلة اسمه أو صفته .

١٠٦ - وأعلم أن « المثل » قد يُضْرَبُ بِجُمْلٍ لا بَدَّ فيها من أن يتقدّمها مذكورٌ يكون مشبهاً به ، ولا يمكن حذف المشبه به والاقتصار على ذكر المشبه ، ونقل الكلام إليه حتى كأنه صاحبُ الجملة ، إلا أنه مشبهٌ بمن صفته وحكمه مضمون تلك الجملة .

بيان هذا ، أن قول النبي ﷺ : « النَّاسُ كإِبِلٍ مِثَّةٍ لا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً » ، ^(١) لا بدَّ فيه من المحافظة على ذكر المشبه به الذي هو « الإبل » ، فلو قلت : « الناس لا تجد فيهم راحلة » أو « لا تجد في الناس راحلة » ، كان ظاهر التعسّف .

وهنا ما هو أشدُّ اقتضاءً للمحافظة على ذكر ما تُعلّق الجملة به وتُسند

(١) هذا من حديث ابن عمر ، رواه البخارى في كتاب الرقاق ، « باب رفع الأمانة » ، (الفتح ١١ : ٢٨٦) ، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، « باب قوله ﷺ الناس كإبل مئة » ، ورواه الترمذى في كتاب الأدب ، « الأمثال عن رسول الله ﷺ » .

إليه ، وذلك مثل قوله عز وجل : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلْنَا مِنْ السَّمَاءِ) [سورة يونس : ٢٤] ، لو أردت أن تحذف « الماء » الذى هو المشبه به ، وتنقل الكلام إلى المشبه الذى هو « الحياة » ، أردت ما لا تحصل منه على كلام يُعقل ، لأن الأفعال المذكورة المحذت بها عن الماء ، لا يصح إجراؤها على الحياة . فاحفظ هذا / الأصل فإنك تحتاج إليه ، وخصوصاً فى الاستعارة ، على ما يجيء القول فيه إن شاء الله تعالى .

٤٠

١٠٧ - والجملة إذا جاءت بعد المشبه به ، لم تخل من ثلاثة أوجه :

الجملة إذا جاءت
بعد المشبه به

أحدها : أن يكون المشبه به معبراً عنه بلفظ موصول ، وتكون الجملة صلة ، كقولك : « أنت الذى من شأنه كَيْتٌ وكَيْتٌ » ، كقوله تعالى : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ) [سورة البقرة : ١٧] .

والثانى : أن يكون المشبه به نكرة تقع الجملة صفةً له ، كقولنا : « أنت كرجل من أمره كذا وكذا » ، وقول النبى ﷺ : « النَّاسُ كِابِلٌ مِثْقَلِ مِثْقَلِ مِثْقَلٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً » ، وأشبه ذلك .

والثالث : أن تجيء الجملة مبتدأة ، وذلك إذا كان المشبه به معرفة ، ولم يكن هناك « الذى » ، كقوله تعالى : (كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)

[سورة العنكبوت : ٤١] .

...

فصل

١٠٨ - وأعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه ، أن « التمثيل » إذا جاء في فضيلة التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني

أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ^(١) ونُقِلت عن صورتها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهةً ، وكسبها منقبةً ، ورفع من أقدارها ، وشبَّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أفاصي الأفتدة صبايةً وكلفًا ، وقسر الطباع على أن تُعطيها محبةً وشغفًا .

فإن كان مدحًا ، كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهزَّ للعطف ، وأسرع للإلف ، وأجلب للفرح ، وأغلب على المُمْتَدِّح ، وأوجب شفاعةً للمادح ، وأقضى له بغير المواهب والمنائح ، وأسير على الألسن وأذكر ، وأولى بأن تُعلِّقه القلوب وأجدر .

= وإن كان ذمًا ، كان مسهً أوجع ، وميسمه ألدع ، ووقعه أشد ، وحده أحد .

= وإن كان حجاجًا ، كان برهانه أنور ، / وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر . ٤١

= وإن كان افتخارًا ، كان شأؤه أمد ، وشرفه أجد ، ولسانه ألد .

= وإن كان اعتذارًا ، كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل ، ولعُرب الغضب أفل ، وفي عُقد العقود أنفت ، وعلى حُسن الرجوع أبعث .

(١) في مطبوعة ريتير : « أو أبرزت ... » ، والجيد ما في إحدى مخطوطاته ، وفي مطبوعة رشيد

= وإن كان وعظماً ، كان أشنقى للصدر ، وأدعى إلى الفكر ، وأبلغ في التنبيه والزجر ، وأجدر بأن يُجلى العيَاية ، ويُبصر الغاية ، ويُبرىء العليل ، وَيَشْفِي الغليل .

وهكذا الحكم إذا استقرت فنون القول وضروبه ، وتبعت أبوابه وشعوبه .

١٠٩ - وإن أردت أن تعرف ذلك = وإن كان تَقَلّ الحاجة فيه إلى

مثال على التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني

التعريف ، ويُستغنى في الوقوف عليه عن التوقيف = فأنظر إلى نحو قول البحرى :

دانٍ على أيدي العُفَاة ، وشاسِعٌ عن كل نِدٍّ في النَّدى وضَرِبٍ (١)
كالبرِّ أفرط في العلوِّ وضوؤه لِلْعُصْبَةِ السَّارِينِ جِدُّ قَرِيبِ

وفكّر في حالك وحال المعنى معك ، وأنت في البيت الأول لم تَنْتَه إلى الثاني ولم تتدبّر نُصرته إيّاه ، وتمثيله له فيما يُملى على الإنسان عيناه ، ويؤدّى إليه ناظره ، ثم قَسَهُما على الحال وقد وقفت عليه ، وتأمّلت طَرْفَه ، فإنك تعلم بُعد ما بين حالتك ، وشدّة تَقَاؤُهما في تمكّن المعنى لديك ، وتحمّيه إليك ، وتبيله في نفسك ، وتوفيره لِأُنْسِك ، وتحكّم لى بالصدق فيما قلت ، والحقّ فيما أدّعت .

١١٠ - وكذلك فتعهّد الفرق بين أن تقول : « فلان يكفُّ نفسه في

قراءة الكتب ولا يفهم منها شيئاً » وتسكت ، وبين أن تتلو الآية ، (٢) وتُنشد نحو

(١) هو في ديوانه . و« الشاسع » ، البعيد المكان . و« الضريب » النظر .

(٢) يعنى قوله تعالى في [سورة الجمعة : ٥] : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ

يَحْمِلُ أَسْفَارًا) ، وقد مضى الكلام في الآية في رقم : ٩٣ .

قول الشاعر : [من الطويل]

زَوَامِلٌ لِلأَشْعَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَذْرَى البَعِيرُ إِذَا عَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ ، مَا فِي العَرَائِرِ (١)

٤٢

/ = والفصل بين أن تقول : (٢) « أرى قومًا لهم بهاء ومنظر ، وليس هناك مَخْبِرٌ ، بل في الأخلاق دِقَّةٌ ، وفي الكرم ضَعْفٌ وقَلَّةٌ » = وتقطع الكلام ، وبين أن تتبعه نحو قول الحكيم : « أما البيتُ فحسنٌ ، وأما السَّاكنُ فردىءٌ » ، وقول

ابن لَنَكْكَ : [من المنسرح]

فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمُ مَثَلٌ لَهُ رُؤَاءٌ وَمَا لَهُ ثَمَرٌ (٣)

[من الخفيف]

= وقول ابن الرومي :

فَعَدَا كَالخِلَافِ يُورِقُ لِلعِيَبِ سِنٌ وَيَأْتِي الإِثْمَارَ كُلَّ الإِبَاءِ (٤)

(١) هو لمروان بن أبي حفصة ، وقد مضى في دلائل الإعجاز : ٢٥٤ ، رقم : ٢٩٥ . و « الزوامل » جمع « زاملة » ، وهو البعير يحمل عليه الرجل زاده ومتاعه . و « الأوساق » جمع « وسق » هو الجميل . و « العرائر » جمع « غزارة » ، وهو الجوّالق .

(٢) « والفضل » معطوف على قوله قبل : « فتعهد الفرق ... » .

(٣) هو أحد ثلاثة أبيات ذكرها النعالي في بئمة الدهر ٢ : ٣٢٣ قال :

لَا تَحْدَعَنَّكَ اللَّحَى وَلَا الصُّورُ تَسْعَةُ أَعْشَارٍ مَنْ تَرَى بَقْرٌ
تَرَاهُمْ كَالسَّحَابِ مَنْتَشِرًا وَليْسَ فِيهِ لِطَالِبٍ مَطَرٌ
فِي شَجَرِ السَّرْوِ ...

و « السَّرْوُ » ، شجر ، قالوا : هو معروف ، ولكنى لم أجد صفته .

(٤) هو في ديوانه ، و « الخلاف » ، شجر الصفصاف ، وهو شجر عظامٌ وأصنافه كثيرة ، وكُلُّهَا خَوَارٌ ضعيف ، وقبله :

بِذَلِّ الوَعْدِ للأَخْلَاءِ سَمَّحًا وَأبَى بَعْدَ ذَاكَ بِذَلِّ العَنَاءِ

= وقول الآخر : [من الطويل]

فَإِنْ طُرَّةٌ رَأَقَتْكَ فَنَظَرُ فَرْبَمَا أَمْرٌ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَحْضَرُ^(١)

وأنظر إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يُورق شجره ويُثمر ، ويفترُّ ثغره ويسيم ، وكيف تُشتار الأرى من مذاقته ، كما ترى الحسن في شارته .

وأنشد قول ابن لنكك : [من البسيط]

إِذَا أَخُو الْحُسْنِ أَضْحَى فِعْلُهُ سَمِجًا رَأَيْتَ صُورَتَهُ مِنْ أَقْبَحِ الصُّورِ^(٢)

= وتبين المعنى وأعرف مقداره ، ثم أنشد البيت بعده :

وَهَبْكَ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنٍ ، أَلَمْ تَرْنَا نَفَرٌ مِنْهَا إِذَا مَالَتْ إِلَى الضَّرْرِ؟

= وأنظر كيف يزيد شرفه عندك ؟

= وهكذا فتأمل بيت أبى تمام : [من الكامل]

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاخَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ^(٣)

= مقطوعاً عن البيت الذى يليه ، والتمثيل الذى يؤديه ، وأستقصى فى

تعرف قيمته ، على وضوح معناه وحسن بزمته ، ثم أتبعه إياه :

لَوْلَا أَشْتَعَالَ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ

وأنظر هل نشر المعنى تمام حُلته ، وأظهر المكنون من حسنه وزينته ،

(١) هو فى دلائل الإعجاز : ٥٥٥ ، رقم : ٦٤٩ ، و« طُرَّةُ الجارية » ، أن يُقطع لها فى مقدم ناصيتها كالعلم ، أو كالطرة تحت التاج ، تتجمل بذلك .

(٢) البيت الذى بعده فى نبتة الدهر ٢ : ٢٣٠ .

(٣) البيت الذى يليه فى ديوانه . و« العرف » ، الرائحة الطيبة .

وَعَطَّرَكَ بَعْرَفَ عَوْدِهِ ، وَأَرَاكَ النَّضْرَةَ فِي عَوْدِهِ ، وَطَلَعَ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلَعِ سَعُودِهِ ،
وَاسْتَكْمَلَ فَضْلَهُ فِي النَّفْسِ وَثَبَّلَهُ ، وَاسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ / كُلَّهُ ، إِلَّا بِالْبَيْتِ الْأَخِيرِ ،
وما فيه من التمثيل والتصوير ؟

= وكذلك فَرَوَى فِي بَيْتِ الْمُنْتَبِي : [من الوافر]

وَمَنْ يَكُ ذَا فِيمَ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الرَّيَالَا (١)

= لو كان سلك بالمعنى الظاهر من العبارة كقولك : « إن الجاهل
الفاسد الطبع يتصوّر المعنى بغير صورته ، ويُخَيَّلُ إليه في الصواب أنه خطأ » ،
هل كنت تجد هذه الرّوعة ، وهل كان يبلغ من وقم الجاهل ووقده ، (٢) وقمعه
ورذعه والتهجين له والكشف عن نقصه ، ما بلغ التمثيل في البيت ، وينتهي إلى
حيث انتهى ؟

•••

أمثلة في التمثيل
وأسياب تأنيده

١١١ - وإن أردت اعتبار ذلك في الفن الذي هو أكرم وأشرف ،
فقابل بين أن تقول : « إن الذي يعظ ولا يتعظ يُضِرُّ بنفسه من حيث ينفع
غيره » ، وتقتصر عليه = ويين أن تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من أن
النبي ﷺ قال : « مَثَلُ الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ ، مَثَلُ السَّرَّاجِ الَّذِي
يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ » ، (٣) ويروى : « مَثَلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتُحْرِقُ

(١) في ديوانه .

(٢) « الوَقْمُ » فيه معنى الردّ والإذلال والقهر . و« الوَقْدُ » ، فيه معنى الضرب المفضى إلى
الضعف والاسترخاء .

(٣) هو في المعجم الكبير للطبراني ٢ : ١٨٠ من حديث صفوان بن محرز المازني ، عن جندب بن
عبد الله بن سفيان البجلي ، عن رسول الله ﷺ وهو في مجمع الروائد ٦ : ٢٣١ . وقال : « رواه =

نفسها» . (١)

= وكذا فوزن بين قولك للرجل وأنت تعظهُ : (٢) « إنك لا تُجْزَى على السيئة حسنةً ، فلا تُعَرِّ نفسك » وتُمسِكُ = وبين أن تقول في أثره : « إنك لا تجنى من الشوك العنب ، وإنما تحصد ما تزرع » ، وأشبه ذلك .

= وكذا بين أن تقول : « لا تُكَلِّمِ الجاهل بما لا يعرفه » ونحوه ، وبين أن تقول : « لا تنثر الدرَّ قدام الخنازير » أو : « لا تجعل الدرَّ في أفواه الكلاب » ، وتُنشد نحو قول الشافعي رحمه الله :

« أنثر دُرًّا بين سارحة العنم » . (٣)

= وكذا بين أن تقول : « الدنيا لا تدوم ولا تبقى » ، وبين أن تقول : « هي ظلٌّ زائل ، وعاريةٌ تُستردُّ ، ووديعةٌ تُسترجع » ، وتذكر قول النبي ﷺ : « من في الدنيا / ضيفٌ وما في يديه عاريةٌ ، والضيفُ مرتجلٌ ، والعاريةُ مؤداةٌ » ، (٤) وتُنشد قول لبيد :

[من الطويل]

= الطبراني من طريقين ، في إحداهما ليث بن أبي سليم وهو مدلس ، وفي الأخرى علي بن سليمان الكلبي ولم أعرفه ، وقال المناوي في فيض القديره : ٥١٠ « رواه الطبراني بإسناد حسن » ، وهو أيضاً في كتاب الأمثال لأبي الشيخ الأصفهاني : ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١) رواه بهذا اللفظ ، المننرى في الترغيب والترهيب وقال : « رواه البزار » ، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ١٨٤ ، وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، وفيه محمد بن جابر السحيمي ، وهو ضعيف لسوء حفظه واختلاطه » ، وكذلك نقله في فيض القدير ٥ : ٥١٠ .

(٢) « وكذا فوزن ... معطوف على أول الكلام : « ... فقابل بين ... » .

(٣) تمام البيت :

« وأنثر منظوماً لرعاية النعم » .

في خمسة أبيات رواها السبكي في طبقات الشافعية ١ : ٢٩٤ .

(٤) لم أقف على هذا الحديث .

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ ^(١) وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وقول الآخر : [من الرمل]

إِنَّمَا نِعْمَةٌ قَوْمٍ مُتَعَةٌ ^(٢) وَحَيَاةُ الْمَرِّ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ

١١٢ - فهذه جملة من القول تُخبر عن صيغ « التمثيل » وتُخبر عن

أسباب تأثير التمثيل
في النفس

حال المعنى معه .

فأما القول في العلة والسبب ، لِمَ كَانَ للتمثيل هذا التأثير ؟ وبيان جهته ومآتاه ، وما الذى أوجبه واقتضاه ، فغيرها .

وإذا بحثنا عن ذلك ، وجدنا له أسباباً وعللاً ، كلٌ منها يقتضى أن يَفْحَمَ المعنى بالتمثيل ، وينبئ وَيَشْرَفُ ويكمل .

فأول ذلك وأظهره ، أن أنس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفى إلى جلى ، وتأتيها بصريح بعد مكنى ، وأن تردّها في الشيء تُعلّمها إياه إلى شيء آخر هى بشأنه أعلم ، وثقتها به فى المعرفة أحكم = نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس ، وعمّا يُعلّم بالفكر إلى ما يُعلّم بالاضطرار والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حدّ الضرورة ، يفضلُ المستفاد من جهة النَّظَر والفكر فى القوة والاستحكام ، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام ، كما قالوا : « ليس الخبرُ كالمُعَايَنَة » ، ^(٣) و « لا الظنُّ كاليقين » ،

(١) هو فى ديوانه .

(٢) هو فى ديوان الأَفْوَه الأودى ، فى الطرائف الأدبية للراجكوتى .

(٣) هو من حديث ابن عباس ، رواه أحمد فى المسند رقم : ١٨٤٢ (٣ : ٢٥٤) ، مختصراً ، ثم

رواه مطولاً رقم : ٢٤٤٧ (٤ : ١٤٧) ، شرحُ أخى السيد أحمد محمد شاكر رحمه الله .

فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأُنْسُ = أعنى الأُنْس من جهة الاستحكام والقوة .
= وضربٌ آخر من الأُنْس ، وهو ما يوجبهُ تقدُّمُ الإلْف ، كما قيل : [من الكامل]

• مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ • (١)

ومعلومٌ أن العلم الأول أُنَى النفسِ أَوَّلًا من طريق الحواسِّ والطباع ، ثم من
/ جهة النظر والرؤية ، فهو إِذْنٌ أَمْسُّ بها رَجَمًا ، وأقوى لديها ذِمَمًا ، وأقدم لها
صُحْبَةً ، وآكُذٌ عندها حُرْمَةٌ = وإذ نقلتها في الشيء بمثله عن المُدْرَكِ بالعقل
المحض وبالفكرة في القلب ، إلى ما يُدْرَكُ بالحواسِّ أو يُعْلَمُ بالطَّبعِ وعلى حدِّ
الضرورة ، فأنت كمن يتوسَّلُ إليها للغريب بالحميم ، وللجديد الصَّحْبَةَ بالحبيب
القديم ، فأنت إِذْنٌ مع الشاعر وغير الشاعر = إذا وقع المعنى في نفسك غير ممثَّل
ثم مثله = كمن يُخبر عن شيء من وراء حجاب ، ثم يكشف عنه الحجاب
ويقول : « ها هو ذا ، فأبصِرْ تجده على ما وصفت » .

•••

١١٣ - فإن قلت : إن الأُنْسَ بالمشاهدة بعد الصفة والخبر ، إنما
يكون لزوال الرِّيب والشكِّ في الأكثر ، أفنقول : إن التمثيل إنما أُنْسَ به ، لأنه
يصحَّح المعنى المذكور والصفة السابقة ، ويثبت أن كونها جائزٌ ووجودها
صحيحٌ غيرٌ مستحيل ، حتى لا يكون تمثيلٌ إلا كذلك ؟
= فالجواب : إن المعاني التي يجيء « التمثيل » في عقبيها على ضربين :

المعاني التي يجيء
التمثيل في عقبيها ،
الضرب الأول

(١) صلته :

• نَقَلَ فَوَازَكَ حَيْثُ شَبَعَتْ مِنَ الْهَوَى •

من أربعة أبيات لأبي تمام في ديوانه .

الضرب الأول

غريب بديع يمكن أن يخالف فيه ، ويُدعى امتناعه واستحالة وجوده ،

[من الوافر]

وذلك نحو قوله :

فإن تُفقي الأنامَ وأنت منهم فإن المسكَ بعضُ دمِ الغزال^(١)

وذلك أنه أراد أنه فاق الأنام وفاتهم إلى حدّ بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة ، بل صار كأنه أصل بنفسه وجنس برأسه . وهذا أمر غريب ، وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصة به إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك الجنس ، وبالمدعى له حاجة إلى أن يصحح دعواه في جواز وجوده على الجملة إلى أن يجيء إلى وجوده في المملوح . فإذا قال : « فإن المسك بعض دم الغزال » ، / فقد احتج لدعواه ، وأبان أن لما ادّعاها أصلاً في الوجود ، وبراً نفسه من ضعة الكذب ، وباعدها من سفة المُقَدِّم على غير بصيرة ، والمتوسّع في الدعوى من غير بينة . وذلك أن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته ، حتى لا يُعدّ في جنسه ، إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصة بوجه من الوجوه ، لا ما قل ولا ما كثر ، ولا في المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم دماً البتة .

٤٦

الضرب الثاني في
التمثيل الغريب

والضرب الثاني : أن لا يكون المعنى الممثل غريباً نادراً يُحتاج في دعوى

كونه على الجملة إلى بينة وحجة وإثبات . نظير ذلك أن تنفى عن فعل من الأفعال التي يفعلها الإنسان الفائدة ، وتدعى أنه لا يحصل منه على طائل ، ثم تمثله في ذلك بالقابض على الماء والرّاقم فيه ، فالذى مثلت ليس بمنكر مستبعد^(٢) ، إذ لا يُنكر خطأ الإنسان في فعله أو ظنه وأمله وطلبه . ألا ترى أن

(١) هو للمتنبي في ديوانه .

(٢) في الأصول : « مستبعد » ، والأجود ما أثبت .

المُعزَى من قوله : [من الطويل]

فأصبحتُ من لَيْلَى الغدَاةِ كَقَابِضٍ عَلَى المَاءِ حَانَتْهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ (١)
 = أَنَّهُ قَدْ خَابَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِهَا وَيَسْعَدُ بِوَصْلِهَا ، وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ
 وَلَا عَجِيبٍ وَلَا يَمْتَنِعُ فِي الوجودِ ، خَارِجٌ مِنَ المَعْرُوفِ المَعْهُودِ ، أَن يَخِيبَ ظَنُّ
 الإِنْسَانِ فِي أَشْبَاهِ هَذَا مِنَ الأُمُورِ ، حَتَّى يُسْتَشْهَدَ عَلَى إِمكانِهِ ، وَتُقَامَ البَيِّنَةُ عَلَى
 صَدَقِ المَدْعَى لِوَجْدَانِهِ .

° ° °

١١٤ - وإذا ثبت أن المعاني الممثلة تكون على هذين الضريين ، فإن
 فائدة « التمثيل » وسبب الأُنس في الضرب الأول يَبِينُ لائِحٌ ، لِأَنَّهُ يُفِيدُ فِيهِ الصَّحَّةَ
 وَيُنْفِي الرِّيبَ والشكَّ ، وَيُؤْمِنُ صاحِبَهُ مِنَ تَكْذِيبِ الخَالِفِ ، وَتَهْجُمِ المنْكَرِ ،
 وَتَهْكُمِ / المَعْتَرِضِ ، وَمَوَازِنَتُهُ بِحَالَةِ كَشْفِ الحِجَابِ عَنِ الموصُوفِ المُخْبِرِ عَنهُ
 حَتَّى يُرَى وَيُبْصَرَ ، وَيُعْلَمُ كَوْنُهُ عَلَى مَا أَثْبَتَهُ الصِّفَةُ عَلَيْهِ = مَوَازِنَةٌ ظَاهِرَةٌ
 صَحِيحَةٌ . (٢)

سبب تأثير التمثيل
 في ضريبه

٤٧

وأما الضرب الثاني : فإن « التمثيل » وإن كان لا يفيد فيه هذا الضرب من
 الفائدة ، فهو يفيد أمراً آخرَ يجرى مجراه . وذلك أن الوصف كما يحتاج إلى

(١) هو ملفق من بيتين ، بيت مجنون ليلي :

فأصبحتُ من لَيْلَى الغدَاةِ كَنَاطِرٍ مَعَ الصُّبْحِ فِي أعْقَابِ نَجْمِ مُعْرَبٍ
 وَقَوْلِ مَعَاذِ العَقِيلِ :

أَجْرَتْ فَلَمْ تَمْنَعْ ، وَكُنْتُ كَقَابِضٍ عَلَى المَاءِ حَانَتْهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ

آنظر ديوان المجنون ، ومعجم الشعراء : ٣٠٥ .

(٢) السياق : « وموازنته بحالة ... موازنة ظاهرة .. » .

إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه ، وزيادة التثبيت والتقريب في ذاته وأصله ، فقد يحتاج إلى بيان المقدار فيه ، ووضع قياس من غيره يكشف عن حدّه ومبلغه في القوة والضعف والزيادة والنقصان . وإذا أردت أن تعرف ذلك ، فأنظر أولاً إلى التشبيه الصريح الذي ليس بتمثيل ، كقياس الشيء على الشيء في اللون مثلاً : « كحنتك الغراب » ، تريد أن تُعرف مقدار الشدة ، لا أن تُعرف نفس السواد على الإطلاق .

وإذا تقرر هذا الأصل ، فإن الأوصاف التي يُردُّ السامع فيها بالتمثيل من العقل إلى العيان والحسّ = وهي في أنفسها معروفة مشهورة صحيحة لا تحتاج إلى الدلالة على أنها هل هي ممكنة موجودة أم لا = فإنها وإن غيّبت من هذه الجهة عن التمثيل بالمشاهدات والمحسوسات ، فإنها تفتقر إليه من جهة المقدار ، لأن مقاديرها في العقل تختلف وتتفاوت . فقد يقال في الفعل : إنه من حال الفائدة على حدودٍ مختلفة في المبالغة والتوسط ، فإذا رجعت إلى ما تُبصّر وتُحسّ عرفت ذلك بحقيقته ، وكما يوزن بالقسطاس ، فالشاعر لمّا قال :

كقابض على الماء بخانته فروج الأصابع .

٤٨

= أراك رؤيةً لا تشكُّ معها ولا ترتاب أنه بلغ في خيبة ظنه وبنوار / سعيه إلى أقصى المبالغ ، وانتهى فيه إلى أبعد الغايات ، حتى لم يحظّ لا بما قلّ ولا ما كثر .

١١٥ - فهذا هو الجواب . ونحن بنوع من التسهيل والتسامح ،^(١) نقع على أن الأئس الحاصل بانتقالك في الشيء عن الصفة والخبر إلى العيان ورؤية البصر ، ليس له سبب سوى زوال الشكّ والرّيب .

(١) في المطبوعتين : « التسهيل والتسامح » والأجود ما أثبت .

فأما إذا رجعنا إلى التحقيق : فإننا نعلم أن المشاهدة تُؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر ، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله : (قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لَيَظْمَنَنَّ قَلْبِي) [سورة البقرة : ٢٦٠] ، والشواهد في ذلك كثيرة ، والأمر فيه ظاهرٌ ، ولولا أن الأمر كذلك ، لما كان لنحو قول أبي تمام : [من الطويل] وطُولُ مُقَامِ المَرءِ فِي الحَيِّ مُخْلِئٌ لِديبَاجَتِيهِ فَأَعْتَرِبْتُ تَتَجَدَّدُ (١) فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِم بِسَرْمِدِ

= معنى ، وذلك أن هذا التجدد لا معنى له ، إذ كانت الرؤية لا تفيد أنسا من حيث هي رؤية ، (٢) وكان الأنس لتفيتها الشك والريب ، أو لوقوع العلم بأمر زائد لم يُعلم من قبل .

وإذا كان الأمر كذلك ، فأنت إذا قلت للرجل : « أنت مُضِيعٌ للحزم في سعيك ، ومخطيءٌ وجهه الرشاد ، وطالبٌ لما لا تناله » ، إذا كان الطُّلب على هذه الصفة ومن هذه الجهة ، ثم عَقَبْتُهُ بقولك : « وهل يحصل في كف القابض على الماء شيء مما يقبض عليه ؟ » . فلو تركنا حديث تعريف المقدار في الشدة والمبالغة ونفي الفائدة من أصلها جانباً ، بقى لنا ما تقتضيه الرؤية للموصوف على ما وُصف عليه من الحالة المتجددة ، مع العلم بصدق الصفة .

يُبين ذلك ، أنه لو كان الرجل مثلاً على طرف نَهْرٍ في وقتِ مخاطبة صاحبه وإخباره له بأنه لا يحصل من سعيه على شيء ، فأدخل يده في الماء / وقال : « أنظر هل حَصَلَ في كَفِّي من الماء شيء ؟ فكذلك أنت في أمرك » (٣)

(١) في ديوانه .

(٢) في المطبوعتين : « وإن كانت الرؤية ... » ، والصواب ما أثبت .

(٣) السياق : « يبين ذلك أنه لو كان الرجل مثلاً ... كان لذلك ضربٌ من التأثير ... » .

كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول والنطق بذلك دون الفعل .

ولو أن رجلاً أراد أن يضرب لك مثلاً في تناقٍ الشيئين فقال : « هذا وذاك هل يجتمعان ؟ » ، وأشار إلى ماء و نارٍ حاضرين ، وجدت تمثيله من التأثير ما لا تجده إذا أخبرك بالقول فقال : « هل يجتمع الماء والنار ؟ » . وذلك الذى تفعل المشاهدة من التحريك للنفس ، والذى يجب بها من تمكّن المعنى فى القلب إذا كان مستفاده من العيان ، ومتصرفه حيث تصرف العينان = وإلا فلا حاجة بنا فى معرفة أن الماء والنار لا يجتمعان إلى ما يؤكده من رجوع إلى مشاهدة واستيثاق تجربة .

التمثيل بالمشاهدة
يزيدك أنساً

١١٦ - ومما يدلُّك على أن « التمثيل » بالمشاهدة يزيدك أنساً ، وإن لم يكن بك حاجة إلى تصحيح المعنى ، أو بيان لمقدار المبالغة فيه ، أنك قد تعبير عن المعنى بالعبرة التى تؤدِّيه ، وتبالغ وتجتهد حتى لا تدع فى النفوس منزعاً ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالطول : « يومٌ كأطول ما يُتوهم » و « كأنه لا آخر له » ، وما شاكل ذلك من نحو قوله : [من البسيط]

فى ليلِ صُولٍ تنهى العَرَضُ والطُولُ كأنما ليلُهُ بالليلِ مَوْصُولُ ^(١)

= فلا تجد له من الأنس ما تجده لقوله : [من الطويل]

• وَيَوْمَ كَظَلَّ الرُّمَحُ قَصَرَ طَوْلُهُ • ^(٢)

(١) هو لخدج بن حنَّج المرى فى شرح الحماسة ٤ : ١٦٠ ، والأمالى ١ : ٩٩ ، والسمط :

= على أن عبارتك الأولى أشد وأقوى في المبالغة من هذا ، فظَلَّ الرُّمَحَ على كل حال متناهٍ تُدرك العينُ نهايته ، وأنت قد أخبرت عن اليوم بأنه كأنه لا آخر له ، = وكذلك تقول : « يومٌ كأقصر ما يُتصور » و « كأنه ساعة » و « كَلَمَجِ البَصْرِ » و « كَلَا وَلَا » ، فتجد هذا ، مع كونه تمثيلاً ، لا يُؤنسك إيناسَ قوهم : « أيامٌ / كأباهيم القَطَا » ، ^(١) وقول ابن المعتز : [من الكامل]

بُدِّلْتُ من ليلٍ كظِلِّ حصاةٍ لَيْلاً كظِلِّ الرُّمَحِ غيرِ مَوَاتٍ ^(٢)

وقول آخر : [من الوافر]

ظَلَّلْنَا عند بابِ أُمِّي نُعَيْمٍ يَوْمٍ مِثْلِ سَالِفَةِ الدُّبَابِ ^(٣)

= وكذا تقول : « فلانٌ إذا همَّ بالشئ لم يزل ذاك عن ذكره وقلبه ، وقصَّرَ خواطره على إمضاء عزمه ، ولم يشغله شئ عنه » ، فتحتاط للمعنى بأبلغ ما يمكن ، ثم لا ترى في نفسك له هِرَّةٌ ، ولا تُصادف لما تسمعه أَرْحِيَّةٌ ، وإنما تسمعُ حديثاً ساذجاً وخبيراً غَفَلًا ، حتى إذا قلت :

[من الطويل]

« إذا همَّ ألقى بينَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ » ^(٤)

= وهو لشيرمة بن الطفيل ، في شرح الحماسة ٣ : ١٣٣ ، وهامش السمط : ٩٣٨ ، ورواه

الملاحظ في الحيوان ٦ : ١٧٩ ليزيد بن الطرية ، وأبو عبيد البكري في السمط : ٩٣٨ .

(١) لأن إبهام القطاة قصير جداً ، وهو كثير في الشعر .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) هو في الأزمئة والأمكنة ٢ : ٦٣ غير منسوب ، وفي السمط : ٤٠٣ .

(٤) هو لسعد بن ناشب المازني ، في شرح الحماسة ١ : ٣٥ ، وانظر دلائل الإعجاز : ٢٢٠ ،

وتمامه :

« ونكَّبَ عن ذِكْرِ العواقِبِ جَانِبًا »

= امتلأت نفسك سروراً وأدركتك طُربة = (١) كما يقول القاضى أبو الحسن (٢) = لا تملك دفعها عنك . ولا تُقل إن ذلك لمكان الإيجاز ، فإنه وإن كان يوجب شيئاً منه ، فليس الأصل له ، بل لأن أراك العزم واقعا بين العينين ، وفتح إلى مكان المعقول من قلبك باباً من العين .

مذهب آخر في
السبب المؤثر في
التشبيه

١١٧ - وههنا ، إذا تأملنا ، مذهب آخر في بيان السبب الموجب لذلك ، هو اللطف مأخذاً ، وأمكن في التحقيق ، وأولى بأن يُحيط بأطراف الباب . وهو أن لتصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله ، والتقاط ذلك له من غير محلته ، واجتلابه إليه من الشق البعيد ، (٣) باباً آخر من الظرف واللطف ، (٤) ومذهباً من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل .

وأحضِرُ شاهداً لك على هذا : (٥) أن تنظر إلى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض ، فإن التشبيهات = سواء كانت عامية مشتركة ، أم خاصية مقصورة على قائل دون قائل = تراها لا يقع بها اعتداد ، ولا يكون لها موقع من / السامعين ، ولا تهز ولا تُحرك حتى يكون الشبه مقررًا بين شيئين مختلفين في الجنس . فتشبيه العين بالترجس ، عاميٌّ مشتركٌ معروف في أجيال الناس ، جارٍ في جميع

(١) كأنه بضم الطاء وفتحها ، من « طرب يطرب طرباً » ، وهو نحو « قرح يفرح فرحاً ، وفرحة وفرحة » أى مسرة .

(٢) هو شيخه القاضى الجرجاني صاحب الوساطة .

(٣) « الشق » ، هو الناحية والجانب ، وفي المطبوعتين : « من التيق » بالنون والياء ، وهو تصحيف لاشك فيه ، وأثبت ما في المخطوطة ، لأنه أجود وأصح .

(٤) قوله « باباً » هو اسم « أن » في أول الجملة .

(٥) في المخطوطة ومطبوعة ريتير : « وأحضِرُ شاهد » ، والصواب ما في مطبوعة رشيد رضا .

العادات ، وأنت ترى بُعد ما بين العينين وبينه من حيث الجنس = وتشبيهه الثريا بما شُبّهت به من عُنقود الكرم المنور ، واللجام المفضّض ، والوشاح المفصّل ، وأشباه ذلك ، خاصّي ، والتباين بين المشبه والمشبه به في الجنس على ما لا يخفى .

وهكذا إذا استقرت التشبيهات ، وجدت التباعد بين الشيعين كلما كان أشدّ ، كانت إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها إلى أن تُحدث الأريحية أقرب . وذلك أن موضع الاستحسان ، ومكان الاستظراف ، والمُشير للدفين من الأرياح ، والمتألف للنافر من المَسرة ، والمؤلّف لأطراف البهجة = أنك ترى بها الشيعين مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض ، وفي خِلقة الإنسان وخلال الروض ، وهكذا ، طرائف تتألّ عليك إذا فصلت هذه الجملة ، وتتبع هذه اللّمحة .
ولذلك تجد تشبيه البنفسج في قوله :
[من البسيط]

ولا زورديّة تزهو بزرقتها بين الرياض على حُمير اليواقيت^(١)
كانتها فوق قاماتٍ ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

= أغرب وأعجب وأحقّ بالولوع وأجدر من تشبيه النرجس : « بمداهن دُرّ حشوهن عقيق » ،^(٢) لأنه أراك شهباً لنباتٍ غضّ يرّف ، وأوراقٍ رطبة ترى

(١) هذان البيتان فيما أرجح ، هما للزاهي أبي القاسم علي بن إسماعيل بن خلف البغدادي ، كما نسبهما إليه ابن خلكان في ترجمته ٣ : ٣٧٢ ، وأرجح أيضاً أنهما إغارة على بيتي ابن المعتز في ديوانه :

بنفسجٍ جمعت أوراقه فحكّت كحلأ تشربُ دمعا يوم تشيت
كانه ، وحقاق القُضبِ تحمله أوائل النار في أطراف كبريت

ولا يصحُّ خلط الشعرين ، فالفرق بينهما ظاهرٌ .

(٢) انظر رقم : ٨٨ .

الماء منها يثيفُ ، بلهب نارٍ في جسمٍ مُستَوَلٍ عليه اليبسُ ، ^(١) وبإدٍ فيه الكلف . ^(٢)

٥٢ ومبني الطباع وموضوعُ الجيلة ، / على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدنٍ له ، كانت صباغة النفوس به أكثر ، وكان بالشَّعْف منها أجدر . فسواءً في إثارة التعجب ، وإخراجك إلى روعة المستغرب ، وُجودك الشيء من مكانٍ ليس من أمكنته ، ووجود شيء لم يُوجد ولم يُعرف من أصله في ذاته وصفته . ولو أنه شبه البنفسج ببعض النبات ، أو صادف له شبهاً في شيء من المتلونات ، لم تجد له هذه الغرابة ، ولم ينل من الحسن هذا الحظ .

° ° °

التمثيل أخصر من التشبيه في التأثير

١١٨ - وإذا ثبت هذا الأصل ، وهو أن تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس ، مما يحرك قُوى الاستحسان ، ويُثير الكامن من الاستظراف ، فإن « التمثيل » أخصر شيء بهذا الشأن ، وأسبق جاري في هذا الرهان ، وهذا الصنيع صناعته التي هو الإمام فيها ، والباديء لها والهادي إلى كفيته ، وأمره في ذلك أنك إذا قصدت ذكر ظرائفه ، وعدَّ محاسنه في هذا المعنى ، والبدع التي يخترعها بحذقه ، والتأليفات التي يصل إليها برفقه ، أزدحمت عليك ، وغمرت جانبك ، فلم تدر أيها تذكر ، ولا عن أيها تعبّر ، كما قال :

[من الرجز]

إذا أتاها طالبٌ يَسْتأمها تكاثرت في عينه كرامها ^(٣)

(١) في المخطوطة ومطبوعة ريتز : « من لهب نار » ، والصواب ما في مطبوعة رشيد رضا .

(٢) « الكلف » ، لون بين السواد والحمرة .

(٣) هما في الأغاني ٥ : ٣٥٣ ، والضمير فيه للإبل .

وهل تشكُّ في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعد ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المُشِيم والمُعْرِق . وهو يُريك للمعاني الممتلئة بالأوهام شَبَهَا في الأشخاص الماثلة ، والأشباح القائمة ، ويُنطق لك الأخرس ، ويُعطيك البيان من الأعجم ، ويُريك الحياة في الجماد ، ويريك آتِئام عين الأضداد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين ، والماء والنار مجتمعين ، كما يقال في المملوج هو حياة لأوليائه ، / موت لأعدائه ، ويجعل الشيء من جهة ماءً ، ومن أخرى نازراً ، كما يقال :

أنا نازرٌ في مُرْتَقَى نَظَرِ الحَا سِيد ، ماءً جارٍ مع الإخوان ^(١)
 = وكما يجعل الشيء حُلُومًا مُرًّا ، وصَابًا عَسَلًا ، وقَبِيحًا حَسَنًا ، كما قال :
 [من الخفيف]

حَسَنٌ في وجوه أعدائه أَفْدُ بَحٌّ من ضَيْفِهِ رَأْتَهُ السَّوَامُ ^(٢)
 = ويجعل الشيء أَسْوَدَ أبيضَ في حال ، كنعحو قوله :
 [من الطويل]
 له منظرٌ في العين أبيضُ ناصعٌ ولكنته في القلب أَسْوَدُ أَسْفَعُ ^(٣)
 = ويجعل الشيء كالمقلوب إلى حقيقة ضده ، كما قال :
 [من الخفيف]

عُرَّةٌ بَهْمَةٌ ، أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَعْرَأُ أَيَّامَ كُنْتُ بِهِمَا ^(٤)
 = ويجعل الشيء قريبًا بعيدًا معًا ، كقوله :
 [من الكامل]

(١) لم أقف عليه الآن .

(٢) هو للمتنبي في ديوانه .

(٣) هو لأبي تمام في ديوانه .

(٤) هو لأبي تمام في ديوانه ، « العرة » يعنى الشعر الأبيض ، و « البهمة » يعنى السواد المظلم .

• دان على أيدي العفاة وشاسع^(١) .

= وحاضرًا وغائبًا ، كما قال : [من المتقارب]

أيا غائبًا حاضرًا في الفؤادِ سلامٌ على الحاضرِ الغائبِ^(٢)

= ومشرقًا مغربًا ، كقوله : [من المنسرح]

لَهُ إِلَيْكُمْ نَفْسٌ مُشْرِقَةٌ إِنْ غَابَ عَنْكُمْ مُغْرِبًا بَدُنُهُ^(٣)

= وسائرًا مقيمًا ، كما يجيء في وصف الشعر الحسن الذي يتداوله الرواة

وتهاداه الألسن ، كما قال القاضي أبو الحسن :^(٤) [من المتقارب]

وَجَوَابَةِ الْأَفْقِ مَوْقُوفَةٍ تَسِيرٌ وَلَمْ تَبْرَحِ الْحَضْرَةَ

وهل يخفى تقريبه المتباعدين ، وتوفيقه بين المختلفين ، وأنت تجد إصابة الرجل في الحجّة ، وحسن تخليصه للكلام ، وقد مُثِلت تارةً بالهناء ومعالجة الإبل الجربى به ، وأخرى بحز القصاب اللحم وإعماله السكين في تقطيعه وتفريقه في قلوبهم : /

• يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ^(٥) .

(١) مضى في رقم : ١٠٩ للبحترى .

(٢) ذكر ريتز في استدراكه أنه على قافية الراء : « سلام على الغائب الحاضر » في كتاب سندباد للسمرقندي : ١٨٥ مع أبيات للوأواء الدمشقي على تلك القافية ، وليس البيت في ديوانه المطبوع .

(٣) هو للبحترى في ديوانه .

(٤) هو شيخه على بن عبد العزيز الجرجاني ، صاحب الوساطة .

(٥) هو شطرييت يقوله دريد بن الصمة ، وقد مرّ بالهناء وهي هنا ذودًا لها جربى (أى وهى

تطلى الإبل بالهناء) ، فقال :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به كالسيوم طالَى أَيْتِقِ جُرْبِ

متبذلاً تبلو محاسنهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ =

= و « يصيب الحزَّ » و « يطبَّق المَفْصِل » ، فأنظر : هل ترى مزيدًا في التناكر والتنافر على ما بين طلاء القطران ، وجنس القول والبيان ؟ ثم كرِّر النظر وتأمل : كيف حصل الائتلاف ، وكيف جاء من جمع أحدهما إلى الآخر ، ما يأنس إليه العقل ويحمده الطبع ؟ حتى إنك لربما وجدت لهذا المثل = إذا وردَ عليك في أثناء الفصول ، وحين تبيِّن الفاضل في البيان من المفضول = قبولًا ، ولا ما تجدُ عند فوج المسك ونشرِ الغالية ، ^(١) وقد وقع ذكرُ « الحزَّ » و « التطبيق » منك موقع ما ينفي الحزازات عن القلب ، ويُزيل أطباق الوحشة عن النفس .

وتكلَّف القول في أن للتمثيل في هذا المعنى المدى الذى لا يُجازى إليه ، والباع الذى لا يُطاول فيه ، كالاحتجاج للضرورات ، وكفى دليلاً على تصرفه فيه باليد الصنَّاع ، ^(٢) وإيفائه على غايات الابتداع ، أنه يُريك العدم وجودًا والوجودَ عدمًا ، والميتَ حيًّا والحيَّ ميتًا = أعنى جعلهم الرجلَ إذا بقى له ذكر جميلٌ وثناءٌ حسنٌ بعد موته ، كأنه لم يمِت ، وجعلَ الذكرَ حياةً له ، كما قال :

ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي . ^(٣)

= و « الهناء » ، القطران . و « الثَّقب » ، القِطْع المتفرقة من الحرب من جلد البعير .

(١) « الغالية » ، نوع من الطيب مرَّكَّب من مسك وعنبر وعودٍ ودُهْن . و « نشرها » رائحتها

الطيبة .

(٢) « الصنَّاع » ، الماهرة الخاذقة .

(٣) في مطبوعة رشيد رضا ومطبوعة ريتير : « ذِكْرَةُ الْفَتَى » ، مع أن في مخطوطة ريتير التي

اعتمدها : « ذِكْرُ الْفَتَى » ، فتمجَّب !! والبيت بيت المتنبى في ديوانه :

ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي ، وحاجتُهُ ما قَاتَهُ ، وفصول العيش إشغَالُ

= وَحُكْمُهُمْ عَلَى الْخَامِلِ السَّاقِطِ الْقَدْرِ الْجَاهِلِ الدُّنْيَاءِ بِالْمَوْتِ ،
وَتَصْيِيرُهُمْ إِيَّاهُ حِينَ لَمْ يَكُنْ مَا يُوَثِّرُ عَنْهُ وَيُعْرِفُ بِهِ ، كَأَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوُجُودِ إِلَى
الْعَدَمِ ، أَوْ كَأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْوُجُودِ .

١١٩ - وَلَطِيفَةٌ أُخْرَى لَهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، هِيَ ، إِذَا نَظَرْتَ ، أَعْجَبُ ،
وَالْتَعْجَبُ بِهَا أَحَقُّ وَمِنْهَا أَوْجِبُ ، وَذَلِكَ جَعَلَ الْمَوْتَ نَفْسِهِ حَيَاةً مُسْتَأْنَفَةً حَتَّى
يُقَالُ : إِنَّهُ بِالْمَوْتِ اسْتَكْمَلَ الْحَيَاةَ فِي قَوْلِهِمْ : « فُلَانٌ عَاشَ حِينَ مَاتَ » ، يُرَادُ
الرَّجُلَ / تَحْمَلُهُ الْأَيْبَةُ وَكِرْمَ النَّفْسِ وَالْأَثْفَةَ مِنَ الْعَارِ ، ^(١) عَلَى أَنْ يَسْخُو بِنَفْسِهِ فِي
الْجُودِ وَالْبَأْسِ ، فَيَفْعَلُ مَا فَعَلَ كَعَبِ بْنِ مَامَةَ فِي الْإِثَارِ عَلَى نَفْسِهِ ، ^(٢) أَوْ مَا
يَفْعَلُهُ الشُّجَاعُ الْمَذْكُورُ مِنَ الْقِتَالِ دُونَ حَرِيمِهِ ، وَالصَّبْرِ فِي مَوَاطِنِ الْإِبَاءِ ،
وَالْتَصْمِيمِ فِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ ، حَتَّى يَكُونَ لَهُ يَوْمٌ لَا يَزَالُ يُذَكَّرُ ، وَحَدِيثٌ يَعَادُ عَلَى
مَرِّ الدَّهْرِ وَيُشْهَرُ ، كَمَا قَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ :

[من الكامل]

بِأَبِي وَأُمِّي كُلُّ ذِي نَفْسٍ تَعَاْفُ الضَّيْمَ مَرَّةً ^(٣)
تَرْضَى بِأَنْ تَرْدَ الرَّدَى فَيَمِيتُهَا وَيُعِيشُ ذِكْرَهُ

(١) هكذا « الأية » في الأصول جميعاً ، وظنيت أن الصواب « العيبة » بالعين وتشديد الباء
المكسورة والياء المشددة المفتوحة ، وهي الكبر والفخر ، كما في الحديث : « إِنْ لَمْ يَضَعْ عَنْكُمْ عَيْبَةً
الْجَاهِلِيَّةَ وَتَعَظَّمَهَا بِأَبَائِهَا » ، يَعْنِي كِبَرَ الْجَاهِلِيَّةِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ « الأية » هِيَ « العيبة » نَفْسَهَا ، قَلِبْتَ
العين همزة كما قالوا : « العباب » و « الأباب » بمعنى واحد .

(٢) قصة كعب بن مامة الإيادي ، حين آثر رفيقه على نفسه بالماء مرة بعد مرة ، حتى مات
ظماً ، في الكامل للمبرِّد ١ : ٣٠٠ (طبعة محمد علي الدالي ، دمشق) .

(٣) أمام هذين البيتين في هامش المخطوطة : « يمدح صمصام الدولة عند ورود القرامطة إلى
الكوفة ، ويحرضه على لقاءهم ، ويهتبه بالمهرجان في جمادى الأولى سنة ٣٧٥ » .

مجيء التمثيل بأشبه
عدة من الشيء
الواحد

١٢٠ - وإِنَّه لِيَأْتِيكَ من الشيء الواحد بأشبه عِدَّة ، ^(١) ويشْتَقُّ من الأصل الواحد أغصاناً في كل غصن تَمَرٌّ على حِدَّة ، نحو أن « الزَّند » بإيرائه يُعْطِيكَ شَبَه الجواد ، ^(٢) والذَكَى الفِطِين ، وشَبَه التُّجْح في الأمور والظَّفَر بالمراد ، وبإصلاحه شَبَه البخيل الذي لا يعطيك شيئاً ، ^(٣) والبليد الذي لا يكون له خاطر يُنتِج فائدةً ويُخرج معنى ، وشَبَه من يخبِ سعيه ، ونحو ذلك = ويعطيك من « القمر » الشهرة في الرجل والنباهة والعزَّ والرفعة ، ويعطيك الكمال عن النقصان ، والنقصان بعد الكمال ، كقولهم : « هلال نَمَا فعاد بدرًا » ، يراد بلوغ النَّجْلِ الكريم المبلِّغ الذي يُشَبِّه أصله من الفضل والعقل وسائر معاني الشرف ، كما قال أبو تمام :

لَهْفِي على تلك الشواهد مِنْهُمَا لو أُمَهَلْتُ حتى تَصِيرَ شمائلًا ^(٤)
لَعَدَا سكونهما حِجِّي ، وصيهاهما كَرَمًا ، وتلك الأَرِيحِيَّةُ نائلًا
إِنَّ الهلالَ إِذَا رَأَيْتَ نُموهُ أيقنتُ أن سيصيرُ بدرًا كاملاً

وعلى هذا المثل بعينه ، يُضْرَبُ مثلًا في ارتفاع الرجل في الشرف / والعزَّ من طبقة إلى أعلى منها ، كما قال البحترى :

شَرَفٌ تَزِيدُ بالعراق إلى الذي عهدوه بالبيضاء أو يَبْلَنْجَرًا ^(٥)
مِثْلَ الهلالِ بَدَا فلم يَبْرُحْ به صَوغُ اللَّيَالِي فيه حتى أقمرا

(١) « وإنه ليأتيك ... » ، يعني « التمثيل » .

(٢) « أوري الزند إبرة » ، أخرج ناره .

(٣) « أصلد الزند إصلاحًا » ، إذا صَوَّت ولم يخرج نارًا .

(٤) هي لأبي تمام في ديوانه ، في مرثية ابنين لعبد الله بن طاهر ، مانا صغيرين .

(٥) هما في ديوانه ، و « البيضاء » و « بَلَنْجَر » ، مدينتان في بلاد الخَزَر .

= ويعطيك شَبَه الإنسان في نَشِيهِ ونَمائِهِ إلى أن يبلغ حدَّ التمام ، ثم
تراجُعِهِ إذا انقضت مُدَّة الشباب ، كما قال :
[من البسيط]

المرءُ مِثْلُ هلالٍ حينَ تُبصرُهُ يبدو ضئيلاً ضَعيفاً ثم يَتَسِقُ (١)
يزدادُ حتّى إذا ما تَمَّ أعقبه كَرُّ الجديدين نَقْصاً ثم يَنَمَحِقُ

= وكذلك يَتَفَرَّعُ من حالتي تمامه ونقصانه فروغٌ لطيفة ، فمن غريب
ذلك قول ابن بابك :
[من الكامل]

وأَعْرَتِ شَطْرَ المُلْكِ ثَوْبَ كِماله والبدرُ في شَطْرِ المَسَافَةِ يَكْمُلُ

قاله في الأستاذ أبي علي ، وقد استوزره فخرُ الدولة بعد وفاة الصاحب
وأبا العباس الضبي وخلع عليهما (٢) = وقولُ أبي بكر الخوارزمي :
[من الطويل]

أراك إذا أيسرتِ نَحِيْمَتِ عندنا مقيماً وإن أُعسرتِ زُرْتِ لِمَما (٣)
فما أنت إلا البدرُ إن قَلَّ ضوءُهُ أَعَبَّ ، وإن زَادَ الضياءُ أَقامَا

المعنى لطيف ، وإن كانت العبارة لم تساعده على الوجه الذي يجب ،
فإن الإغراب أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه ، وإنما يصلح لأن يراد أن
القمر إذا نقص نورُهُ ، لم يُوالِ الطلوع كل ليلة ، بل يظهر في بعض الليالي ،
ويمتنع من الظهور في بعض . وليس الأمر كذلك ، لأنه على نقصانه يطلع كل
ليلة حتى يكون السُّرَّارُ ، وقال ابن بابك في نحوه :
[من المتقارب]

كذا البدرُ يُسْفِرُ في تَمِّهِ فإن خاف نَقْصَ المَحَاقِ آتَتْقُبُ

(١) البيتان لمحمد بن يزداد بن سويد الكاتب المروزي وزير المأمون ، وهما في معجم الشعراء :

(٢) « أبو علي » هو ابن حمولة . و « أبو العباس » ، هو أحمد بن إبراهيم الضبي .

(٣) هما في بَيْتِمة الدهر ٢ : ٢٢٤ ، وزهر الآداب ٢ : ٩٩ .

/ = وهكذا يُنظر إلى مقابله الشمس واستمداده من نورها ، وإلى كون ذلك سبب زيادته ونقصه وامتلائه من النور والاتلاق ، وحصوله في المُحَاق ، وتفاوت حاله في ذلك ، فُتصاغ منه أمثالٌ ، وتُبين أشباهاً ومقاييس ، فمن لطيف ذلك قول ابن نباتة :

[من الخفيف]

قد سَمِعْنَا بِالْعِزِّ مِنْ آلِ سَاسَا نَ وَيُونَانَ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي (١)
وَالْمُلُوكِ الْأَلْيِ إِذَا ضَاعَ ذِكْرُ وَجِلُّوا فِي سَوَائِرِ الْأَمْثَالِ
مَكْرُمَاتٍ إِذَا الْبَلِيغُ تَعَاطَى وَصَفَّهَا لَمْ يَجِدْهُ فِي الْأَقْوَالِ
وَإِذَا نَحْنُ لَمْ نُضَيِّفْهَا إِلَى مَد حِكْ كَانَتْ نَهَائَةً فِي الْكَمَالِ
إِنْ جَمَعْنَاهُمَا أَضَرَّ بِهَا الْجَمْعُ عُمْ وَضَاعَتْ فِيهِ ضَيَاعُ الْمُحَالِ
فَهُوَ كَالشَّمْسِ بَعْدَهَا يَمْلَأُ الْبَدْنَ رَ ، وَفِي قُرْبِهَا مُحَاقُ الْهَلَالِ

= وغير ذلك من أحواله : كَنحو ما خرج من الشَّبه من بعده وارتفاعة ، وقرب ضوئه وشعاعه ، في نحو ما مضى من قول البحتري :

« دَانِ عَلَى أَيْدِي الْعَفَاةِ » الْبَيْتَيْنِ (٢)

= ومن ظهوره بكل مكان ، ورؤيته في كل موضع ، كقوله :

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتَهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنِكَ نُورًا ثَاقِبًا (٣)

(١) أمام هذه الأبيات في هامش المخطوطة ما نصه : « في مدح عضد الدولة من قصيدته في تاريخ اثنين وسبعين وثلاثمائة ، مطلع القصيدة :

دَفَعَ اللَّهُ نَائِبَاتِ اللَّيَالِي عَنْكَ ، يَا حَامِلَ الْخَطُوبِ الثَّقَالِ

(٢) مضيا في رقم : ١٠٩ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعتين « نورًا ساطعا » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته ، والبيت للمنتبى

في ديوانه . و « الثاقب » المضيء الذي يثقب ضوءه الظلام ويبدده .

= في أمثالٍ لذلك تكثر . ولم أعرضُ لما يُشَبَّه به من حيث المنظر ، وما تُدرکه العين ، نحو تشبيه الشيء بتقويس الهلال ودقته ، والوجه بنوره وبهجته ، فإنَّما في ذكر ما كان « تمثيلاً » ، وكان الشَّبه فيه معنوياً .

١٢١ - وفصلٌ آخر ، وإن كان ممَّا مَضَى ، إلا أن الأسلوب غيره ، أسلوب اخراق التمثيل ، يطلب بالفكرة وهو أن المعنى إذا أتاك ممثلاً ، فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يُحوجك إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهَمَّة في طلبه .^(١) وما كان منه لطف ، كانت امتناعه عليك أكثر ، وإبائه أظهر ، واحتجابه أشدَّ .

ومن المركز في الطبع أن الشيء إذا نبيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نبيله أحلى ، وبالمرزبة أولى ، فكان موقعه من النفس أجلَّ وألطف ، وكانت به أضنَّ وأشعَف ، ولذلك ضُرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ ، كما قال :

وَهُنَّ يَنْبُدْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصَيِّنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعَلَّةِ الصَّادِي^(٢)

= وأشبه ذلك مما يُنال بعد مكابدة الحاجة إليه ، وتقدُّم المطالبة من

النفس به .

١٢٢ - فإن قلت : فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعمد الفرق بين التمثيل الغامض والتمثيل المحوج إلى الفكرة

(١) « في طلبه » ، ساقطة في المخطوطة .

(٢) هو للقَطَامِي في ديوانه .

ما يَكْسِبُ المعنى غَمُوضًا ، مشرَّفًا له وزائِدًا في فضله ، ^(١) وهذا خلاف ما عليه الناس ، ألا تراهم قالوا : إن خَيْرَ الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك ؟

= فالجواب : إني لم أرد هذا الحدَّ من الفكرِ والتعب ، وإنما أردت القدر الذى يحتاج إليه في نحو قوله :

فإن المسك بعضُ دم العزال . ^(٢)

وقوله : [من الوافر]

وما التأنيتُ لِاسْمِ الشمسِ عَيْبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ ^(٣)

وقوله :

رأيتك في الذين أرى ملوكًا كأنك مُستقيمٌ في مُحالٍ

وقول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مُدركى وإن خلتُ أن المُنتأى عنك واسعٌ ^(٤)

وقوله : [من الطويل]

فإنك شمسٌ والممسوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يئدْ منهنَّ كوكبٌ ^(٥)

[من الطويل] / وقول البحترى :

(١) السياق : ... أن يكون التعقيد ... مشرَّفًا له

(٢) مضى في رقم : ١١٣ ، للمتنبى .

(٣) هنا والذى بعده للمتنبى في ديوانه .

(٤) مضى في رقم : ٢٣ .

(٥) هو للنابغة الذبياني في ديوانه .

صَحْوَكُ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهُوَ يُرْوَعُهُمْ وَلِلسَيْفِ حَدٌّ حِينَ يَسْتَوُ وِرْوُنُقُ^(١)

وقول امرئ القيس :

[من الطويل]

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَايِدِ هَيْكَلٍ^(٢) .

وقوله :

[من الكامل]

ثُمَّ انصرفتُ، وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ، جَذَعُ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِقْدَامِ^(٣)

= فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعاني ، كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه ، وكالعزير المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه . ثم ما كلُّ فكر يهتدى إلى وجه الكشْفِ عمَّا آشتمل عليه ، ولا كلُّ خاطر يؤدِّن له في الوصول إليه ، فما كلُّ أحد يُفلح في شق الصدفِ ، ويكون في ذلك من أهل المعرفة ، كما ليس كلُّ من دنا من أبواب الملوك ، فُتحت له ، وكان :

[من الطويل]

مِنَ التَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا اعْتَزَوْا وَهَابَ رِجَالُ حَلَقَةِ الْبَابِ قَعَقَعُوا^(٤)

أو كما قال :

[من الطويل]

تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ لِوَجْهِهِ بغير حِجَابٍ دُونَهُ أَوْ تَمَلِّقُ^(٥)

(١) هو في ديوانه .

(٢) هو في معلقته ، وصلره :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا .

(٣) هو لِقَطْرَى بن الصُّجَاعَةِ المازني ، من الخوارج ، وأبياته في شرح الحماسة ١ : ٦٨ ،

و « الجذع » من الخيل الذي بلغ عامين فلا يحتاج إلى الرياضة . و « القارح » الذي بلغ النهاية من الخيل .

(٤) انظر الاختلاف في نسبة الأبيات التي منها هذا البيت في الخزانة ٦ : ٧٨ - ٩٠ ، لأبي

الرئيس الثعلبي أو غيره . وانظر الكامل للمبرد ١ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، (طبعة محمد أحمد الدالي ، دمشق) .

(٥) البيت لجرير في ديوانه ، في رثاء الفرزدق .

= وأما التعقيد ، فإنما كان مذموماً لأجل أن اللفظ لم يرتب الترتيب الذى بمثله تحصل الدلالة على الغرض ، حتى احتاج السامع إلى أن يطلب المعنى بالحيلة ، ويسعى إليه من غير الطريق ، كقوله : [من الكامل]

ولذا أَسْمُ أعْظِيَةِ العيون جفونُها من أَنَّها عمَلُ السيفِ عواملٌ (١)

/ وإنما ذمُّ هذا الجنس ، لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذى يجب فى مثله ، وكذلك بسوء الدلالة ، وأودع لك فى قالب غير مستوٍ ولا مُمَلَّس ، بل خشين مُضْرَس ، (٢) حتى إذا رُمَتْ إخراجُه منه عَسُرَ عليك ، وإذا خرج خرج مُشَوِّةَ الصُّورَةِ ناقصَ الحُسن .

١٢٣ - هذا ، وإنما يزيدك الطلبُ فرحاً بالمعنى وأنساً به ، وسروراً بالوقوف عليه ، إذا كان لذلك أهلاً ، فأما إذا كنت معه كالغائص فى البحر ، يحتمل المشقة العظيمة ، ويخاطر بالروح ، ثم يُخرج الحَرَزَ ، فالأمرُ بالصدِّ مما بدأتُ به . ولذلك كان أحقُّ أصناف التعقُّد بالذم ما يُتعبك ، ثم لا يُجدى عليك ، ويورِّقك ثم لا يُورق لك ، وما سييله سبيلُ البخيل الذى يدعوه لؤمٌ فى نفسه ، وفسادٌ فى حسنه ، إلى أن لا يرضى بضَعَّتَه فى بُخله ، وجرمان فضله ، حتى يَأبى التواضع ولين القول ، فيتيه ويشمخ بأنفه ، ويسوم المتعرض له باباً ثانياً من الاحتمال تناهياً فى سُخْفِه = أو كالذى لا يُؤيسك من خيره فى أول الأمر فتستريح إلى اليأس ، ولكنه يُطمِعك ويسحب على المواعيد الكاذبة ، حتى إذا

أحقُّ أصناف
التعقُّد بالذم

(١) هو للمتنبى فى ديوانه .

(٢) « المضرس » ، الخشن الوعر ، فيه كالأضراس .

طال العناء وكثر الجهد ، تكشف عن غير طائل ، وحصلت منه على ندم لتعبك في غير حاصل . وذلك مثل ما تجده لأبي تمام من تعسفه في اللفظ ، وذهابه به في نحو من التركيب لا يهتدى النحو إلى إصلاحه ، وإغراب في الترتيب يعمى الإغراب في طريقه ، ويضلل في تعريفه ، كقوله : [من الكامل]

ثانيه في كبد السماء ، ولم يكن لاثنين ثانٍ إذ هما في الغار^(١)

وقوله : [من البسيط]

يدي لمن شاء رهن لم يذق جرعا من راحتك درى ما الصاب والعسل^(٢)

٦١

الكلام المتوقف على
دقة الفكر

١٢٤ - / ولو كان الجنس الذي يوصف من المعاني باللطافة ، ويُعدّ في وسائط العقود ، لا يُحوجك إلى الفكر ، ولا يحرك من حرصك على طلبه = بمنع جانبه وبيعض الإدلال عليك وإعطائك الوصل بعد الصد ، والقرب بعد البعد = ^(٣) لكان « باقلى حار » وبيت معنى هو عين القلادة وواسطة العقد واحداً ، وأسقط تفاضل السامعين في الفهم والتصور والتبيين ، وكان كل من روى الشعر عالماً به ، وكل من حفظه = إذا كان يعرف اللغة على الجملة = ناقداً في تمييز جيده من رديئه ، وكان قول من قال :

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباغر^(٤)

(١) هو في ديوانه ، وفي دلائل الإعجاز : ٨٤ رقم : ٧٧ ، يعنى صلب المازيار وبابك الخرمى معاً كل إلى جنب صاحبه ، وهما مذمومان ، وأما اللذان في الغار فممدوحان ، ورواية الجرجاني في الدلائل : « كائنين ثان » ، أى كثنائى اثنين ، ويستقيم الكلام كذلك .

(٢) في ديوان أبى تمام ، وفي دلائل الإعجاز : ٨٤ ، رقم : ٧٧ .

(٣) السياق : « ولو كان الجنس الذى يوصف ... لكان ... » .

(٤) مضى البيت في رقم : ١٠٩ .

وكقول ابن الرومي :

[من المنسرح]

قلتُ لمن قال لي : عرضتُ على الـ أخفَشِ ما قلتهُ فما حمدهُ (١)
 فصرتُ بالشعر حين تعرضهُ على مبيِّن العمى إذا أنتقدهُ
 ما قال شعراً ولا رواهُ فلا نعلبهُ كان لا ولا أسدُهُ
 فإن يُقل : إنني رويتُ ، فكالدَّف تر جهلاً بكل ما اعتقدهُ

= وما أشبه ذلك ، دعوى غير مسموعة ولا مؤهلة للقبول ، وإنما أرادوا بقولهم : « ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك » ، أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ وتهذيبه وصيانتها من كل ما أحل بالدلالة ، وعاق دون الإبانة ، ولم يريدوا أن خير الكلام ما كان غفلاً مثل ما يتراجعه الصبيان ويتكلم به العامة في السوق .

١٢٤ - هذا ، وليس إذا كان الكلام في غاية البيان وعلى أبلغ ما يكون من الوضوح ، أغناك ذاك عن الفكرة إذا كان المعنى لطيفاً ، فإن المعاني الشريفة / اللطيفة لا بُدَّ فيها من بناء ثانٍ على أول ، وردّ تالٍ إلى سابق . أفلسْتَ تحتاج في الوقوف على الغرض من قوله :

كالبئر أفرط في العلو . (٢)

= إلى أن تعرف البيت الأول ، فتتصور حقيقة المراد منه ووجه المجاز في كونه دانيًا شاسعًا ، وترقم ذلك في قلبك ، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثاني عليك من حال البئر ، ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى ، وتردّ البصر من هذه إلى

المعاني الشريفة
لا بُدَّ فيها من بناء
ثانٍ على أول

٦٢

(١) هو في ديوانه ، وكان ابن الرومي كثير الهجاء للأخفش الصغير .

(٢) ماضي برقم : ١٠٩ ، للبحرئى .

تلك ، وتنظر إليه كيف شَرَطَ في العلوِّ الإفراط ، ليشاكل قوله : « شاسع » ، لأنَّ الشُّسُوع هو الشديد من البُعد ، ثم قَابَلَه بما لا يشاكله من مراعاة التناهي في القرب فقال : « جِدُّ قَرِيب » ؟ فهذا هو الذى أردتُ بالحاجة إلى الفكر ، وبأنَّ المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاثٍ منك في طلبه ، واجتهادٍ في نيّله .

...

ما لا يدرك إلا
بالفكر في تحصيله

١٢٥ - هذا ، وإن توقفت في حاجتك أيها السامع للمعنى إلى الفكر في تحصيله ، فهل تشكُّ في أن الشاعر الذى أدّاه إليك ، ونشر بَرّه لديك ، ^(١) قد تحمّل فيه المشقّة الشديدة ، وقطع إليه الشقّة البعيدة ، وأنه لم يصل إلى ذرّه حتى غاص ، ولم ينل المطلوب حتى كابد منه الامتناع والاعتياص ؟ ومعلوم أن الشيء إذا عُلم أنه لم يُنل في أصله إلا بعد التَّعب ، ولم يُدرك إلا باحتمال التَّصَب ، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء إلى تعظيمه ، وأخذ الناس بتفخيمه ، ما يكون لمباشرة الجهد فيه ، وملاقاة الكربِ دونه . وإذا عثرت بالهُوَيْنَا على كنزٍ من الذهب ، لم تُخرجك سهولة وجوده إلى أن تُنسى جملةً أنه الذى كدَّ الطالب ، وحَمَلَ المتاعب ، حتى إن لم تُكنْ فيك طبيعةً من الجُود تتحكّم عليك ، ومحبةً للثناء تستخرج النفيس / من يدريك = كان من أقوى حجج الضنِّ الذى يخامر الإنسان أن تقول : « إن لم يكُنْنى فقد كدَّ غيرى » ، كما يقول الوارث للمال المجموع عفواً إذا ليم على بخله به ، وفرط شحّه عليه : « إن لم يكن كَسْبِي وكُدِّي ، فهو كَسْب أبى وجدى ، ولئن لم ألق فيه عناءً ، لقد عانى سَلْفِي فيه الشدائد ، ولقوا في جَمْعِهِ الأمرين ، أفأضيق ما ثَمَرُوهُ ، وأفرق ما جمعوه ،

(١) « البرّ » ، الثياب الجياد التى يبيعها البرّاز .

وَأَكُونُ كَالْهَادِمِ لِمَا أَنْفَقْتَ الْأَعْمَارُ فِي بِنَائِهِ ، وَالْمُبِيدِ لِمَا قَصَصْتَ الْهَمَمُ عَلَى إِعْمَائِهِ ؟ » .

...

١٢٦ - وإنك لا تكاد تجد شاعراً يعطيك في المعاني الدقيقة من

صفة شعر البحرى
من هذا الوجه

التسهيل والتقريب ، وردّ البعيد الغريب إلى المألوف القريب ، ما يُعطى
البحرئى^(١) ، ويبلغ في هذا الباب مبلغه ، فإنه لا يروض لك المَهْرَ الأَرْنَ رِيَاضَةَ
الماهر^(٢) ، حتى يُعْتِقَ من تحتك إِعْنَاقَ القَارِحِ المذلل^(٣) ، وينزِعَ من شِمَاسِ
الصعب الجامح ، حتى يَلِينَ لك لِينَ المنقاد الطيِّع ، ثم لا يمكن ادعاءً أن جميع
شعره في قلة الحاجة إلى الفكر ، والغنى عن فضل النظر ، كقوله : [من المزج]

فُوَادِي مِنْكَ مَلَانٌ وَسِرِّي فِيكَ إِعْلَانٌ^(٤)

[من الكامل]

وقوله :

عَنْ أَىِّ تُغْرِ تَبْتَسِمُ .^(٥)

وهل تُقَلُّ على المتوكل قصائده الجيادُ حتى قَلَّ نشاطه لها واعتنائها بها ،
إلا لأنه لم يفهم معانيها كما فهم معانى النوع النازل الذى آنحطَّ له إليه ؟ أترك
تستجيز أن تقول : إن قوله :

(١) « ويبلغ في هذا الباب » معطوف على قوله : « يعطيك في المعاني ... » .

(٢) « المهر الأرن » ، الصعبُ من شدّة نشاطه .

(٣) « الإعناق » ، سيرٌ سهل سريع ، و « القارحُ » من الخيل ، ما بلغ النهاية في الرياضة .
و « المذلل » ، المروض حتى يلين قيادته .

(٤) في ديوان البحرى .

(٥) في ديوانه أيضاً .

« مُنَى النَّفْسِ فِي أَسْمَاءٍ لَوْ يَسْتَطِيعُهَا » (١)

من جنس المعقد الذى لا يُحمد ، وإن هذه الصَّعِيفَةَ الأُسْرَ ، الواصلة إلى القلوب من غير فكر ، أولى بالحمد ، وأحق بالفضل .

١٢٧ - هذا ، والمعقد من الشعر والكلام / لم يُدَمَّ لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة ، بل لأن صاحبه يُعَيِّرُ فِكْرَكَ فى متصرفه ، ويُشِيكُ طريقك إلى المعنى ، (٢) ويُوَعِّرُ مذهبك نحوه ، بل رُبَّمَا قَسَمَ فِكْرَكَ ، وشَعَبَ ظَنِّكَ ، حتى لا تدرى من أين تتوصل وكيف تطلب ؟

٦٤
المعقد من الكلام
والشعر

وأما المخلص ، فيفتح لفكرتك الطريق لمستوى ومهده ، وإن كان فيه تعاطف أقام عليه المنار ، وأوقد فيه الأنوار ، حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته ، وتقطعهُ قَطْعَ الواثق بالتُّجْحِ فى طَيْبَتِهِ ، (٣) فترد الشريعة زرقاء ، والروضة غناء ، فتنال الرِّى ، وتقطف الزهر الجنى . وهل شئٌ أحلى من الفكرة إذا استمرت وصادفت نهجاً مستقيماً ، ومذهباً قويمًا ، وطريقةً تنقاد ، وتبينت لها الغاية فيما ترتاد ؟ فقد قيل : « قُرَّةُ العَيْنِ ، وَسَعَةُ الصِّدْرِ ، وَرَوْحُ القَلْبِ ، وَطِيبُ النَفْسِ ، مِنْ أَرْبَعَةِ أُمُورٍ : الاستبانة للحجة ، والأنس بالأحبة ، والثقة بالعدّة ، والمعانة للغاية » . وقال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر والنظر من الفضيلة : « وأين تقع لذّة البهيمة بالعلوفة ، ولذّة السبع بلطع الدّم وأكل اللحم ، من سرور

(١) مطلع قصيدة للبحترى من جياذ قصائده ، فى مدح المتوكل ، تمامه :
بِهَا وَجَدَهَا مِنْ غَاذَةٍ وَوَلَوْعَهَا .

(٢) « يشيك » ، أى يجعل فيه الشوك .

(٣) « الطيبة » ، الجهة التى يريد بلوغها .

الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه . ويُعدُّ ، فإذا مُدَّت
الحلَبَاتُ لجرى الجياد ، ونُصِبَتِ الأهداف لتعرف فضل الرِّمَاءِ في الإبعاد
والسُّداد ، فرهانُ العقول التي تَسْتَبِقُ ، ونِضالُها الذي تمتحن قواها في تعاطيه ،
هو الفكر والرويةُ والقياس والاستنباط .

١٢٨ - ولن يُعُدَّ المَدَى في ذلك ، ولا يَدِقُّ المَرْمَى إلا بما تقدّم من
تقرير الشُّبهِ بين الأشياء المختلفة ، فإنَّ الأشياءَ المشتركة في الجنس ، المتفقَة في
النوع ، تستغنى بثبوت الشُّبهِ بينها ، وقيام الاتفاق فيها ، عن تعمُّلٍ وتأمُّلٍ في
إيجاب / ذلك لها وتثبيته فيها ، وإنما الصنعة والحِذْقُ ، والنظرُ الذي يُلطِّفُ وَيَدِقُّ ،
في أن تُجمع أعناقُ المتنافرات والمتباينات في رِيقَة ، ^(١) وتُعدَّد بين الأجنبيَّات
معاقِدُ نَسَبٍ وشُبُكَة . وما شُرُفَتِ صنعةٌ ، ولا ذُكِرَ بالفضيلة عملٌ ، إلا لأنهما
يحتاجان من دِقَّةِ الفكر ولُطْفِ النظر ونفاذِ الخاطر ، إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما ،
ويحتكمان على مَنْ زَاوَأَهُمَا والطالبِ لهما من هذا المعنى ، ما لا يحتكم
ما عداهما ، ولا يقتضيان ذلك إلا من جهة إيجاد الائتلاف في المختلفات .

شبه الشيء مما
يخالفه في الجنس

٦٥

وذلك يَبِينُ لك فيما تراه من الصناعات وسائر الأعمال التي تُنسَبُ إلى
الدِّقَّة ، فإنك تجدُّ الصورة المعمولة فيها ، كلما كانت أجزاءها أشدَّ اختلافًا في
الشكل والهَيْعَة ، ثم كان التلاؤمُ بينها مع ذلك أتمَّ ، والائتلافُ أبينَ ، كان شأنها
أعجبَ ، والحِذْقُ لمصوِّرها أوجبَ .

وإذا كان هذا ثابتًا موجودًا ، ومعلومًا معهودًا ، من حال الصُّورِ المصنوعة

نضية التمثيل

(١) « الرِّيقَة » ، أصلها الحبل تشدُّ به البهيمة من عنقها وتُقرَنُ إلى أخرى .

والأشكال المؤلفة ، فأعلم أنها القضية في « التمثيل » وأعمل عليها ، وأعتقد صحة ما ذكرت لك من أن أخذ الشبه للشيء مما يخالفه في الجنس وينفصل عنه من حيث ظاهر الحال ، حتى يكون هذا شخصاً يملأ المكان ، وذلك معنى لا يتعدى الأفهام والأذهان = وحتى إن هذا إنسان يعقل ، وذلك جماد أو موات لا يتصف بأنه يعلم أو يجهل = وهذا نور شمس يبدو في السماء ويطلع ، وذلك معنى كلام يوعى ويسمع = وهذا روح يحيى به الجسد ، وذلك فضل ومكرمة تؤثر وتحمد ، كما قال :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا أَلُّ الْمَهْلَبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا^(١)

وهذا مقال متعصبٍ منكرٍ للفضل حَسودٍ ، وذلك نارٌ تلتهب / في عُود ، وهذا مخالف ، وذلك وَرَقٌ خِلَافٌ ، كما قال ابن الرومي :

[من الخفيف]

بَدَّلَ الْوَعْدَ لِلْأَخْلَاءِ سَمْحًا وَأَنَّى بَعْدَ ذَلِكَ بَدَّلَ الْعَطَاءِ^(٢)
فَعَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْبِ ، وَيَأْنِي الْإِثْمَارَ كُلَّ الْإِبَاءِ

وهذا رجلٌ يروم العلوَّ تصغيره والإزراء به ، فيأني فضله إلا ظهوراً ، وقلره إلا سموً ، وذلك شهابٌ من نارٍ تُصَوَّبُ وهي تعلقو ، وتُخَفِّضُ وهي ترتفع ، كما قال أيضاً :

[من الخفيف]

ثُمَّ حَاوَلْتُ بِالْمُثْقِلِ تَصْنِيفَ سَرَى فَمَا زِدْتَنِي سِوَى التَّعْظِيمِ^(٣)

(١) من ثلاثة أبيات في شرح الحماسة ٤ : ١٤٧ ، وهما في أمالي القائل ٣ : ٤١ ، وفي ذيل السمط : ٢٢ ، ونسب الشعر في تاريخ بغداد ٢ : ٣٧٢ لعمر بن لجأ في يزيد بن المهلب ، وتنسب أيضاً لسليمان بن معاوية المهلبى .

(٢) مضى البيت الثاني في رقم : ١١٠ ، والتعليق عليه .

(٣) في ديوانه ، ونحلها مثقالاً الواسطى (أبو جعفر : محمد بن يعقوب) ، وخبره في معجم الشعراء : ٤٤٨ ، وقوله « مثقيل » ، تصغير « مثقال » .

كالذي طَاطَأَ الشَّهَابَ لِيخْفَى وهو أدنى له إلى التَّضْرِيمِ

وأخذ هذا المعنى من كلامٍ في حِكْمِ الهند ، وهو : « إن الرجل ذا المروءة والفضل لِيَكُونُ خَامِلَ المَنْزِلَةِ غَامِضَ الأَمْرِ ، فما تبرح به مُرْوِءته وعقله حتى يستين ويُعرَف ، كالشعلة من الثَّار التي يَصُوبُهَا صَاحِبُهَا وتَأبَى إِلَّا ارتفَاعًا » .^(١)

هذا هو الموجب للفضيلة ،^(٢) والداعى إلى الاستحسان ، والشفيع الذي أَحْطَى « التمثيل » عند السامعين ، واستدعى له الشغف والولوع من قلوب العقلاء الراجحين .

ولم تأتلف هذه الأجناسُ المختلفة للممثل ، ولم تتصادف هذه الأشياء المتعادية على حكم المشبه ، إلا لأنه لم يراع ما يَحْضُرُ العَيْن ، ولكن ما يستحضر العَقْل ، ولم يُعْنَ بما تنال الرؤية ، بل بما تعلق الرؤية ، ولم ينظر إلى الأشياء من حيث تُوعَى فتحويها الأمكنة ، بل من حيث تَعْبها القلوب الفَظِنة .

١٢٩ - ثم على حَسَبِ دِقَّةِ المسلك إلى ما اسْتُخْرِجَ من الشَّبه ،
وَلُطِيفَ المذهب ويُعدُّ التَّصَعُّدُ إلى ما حصل من الوفاق ، آسْتَحَقُّ مُدْرِكُ ذلك
المدح ، واستوجب التقديم ، واقتضاك العَقْلُ أن تنوّه بذكره ، وتقضى / بالحُسْنَى
في نتائج فكره .^(٣) نَعَمْ ، وعلى حَسَبِ المراتب في ذلك أعطيته في بعض منزلة

دقة المسلك إلى ما
استخرج من الشبه

٦٧

(١) هنا في كتاب كليلية ودمنة في أوائل باب الأسد والنور ، مع اختلاف في اللفظ .

(٢) في المخطوطة ومطبوعة ريتز : « - هو الموجب » بخلف « هنا » .

(٣) في المخطوطة : « بالجنابة » ، وفي مطبوعة رشيد رضا وريتز « بالجنى » وأظنه تصحيف

الحاذق الصنّع ، والمُلهم المؤيّد ، والألمعيّ المُحدّث ، ^(١) الذي سبق إلى اختراع نوع من الصنعة حتى يصير إمامًا ، ويكون من بعده تبعًا له وعيالا عليه = وحتى تُعرف تلك الصنعة بالنسبة إليه ، فيقال : « صنعة فلان » ، و « عمل فلان » = ووضعته في بعض موضع المتعلّم الذكيّ ، والمقتدى المُصيب في اقتدائه ، الذي يُحسن التشبّه بمن أخذ عنه ، ويُجيد حكاية العمل الذي استفادَ ، ويجتهد أن يزداد .

•••

١٣٠ - وأعلم أني لست أقول لك إنك متى ألقت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنيت ، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط ، وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبهاً صحيحاً معقولاً ، وتجد للملاءمة والتأليف السويّ بينهما مذهباً وإليهما سبيلاً = وحتى يكون اثتلافهما الذي يوجب تشبيهك ، من حيث العقل والحَدس ، في وضوح اختلافهما من حيث العين والحسّ ، فأما أن تستكره الوصف وتروم أن تُصوّره حيث لا يُتصوّر ، فلا ، لأنك تكون في ذلك بمنزلة الصّانع الأخرق ، يضع في تأليفه وصنّعه الشكل بين شكلين لا يلائمانه ولا يقبلانه ، حتى تخرج الصورة مضطربةً ، وتجيء فيها نتوءٌ ، ^(٢) ويكون للعين عنها من تفاوتها نُبوٌّ . ^(٣) وإنما قيل : « شَبّهت » ، ولا تعني في كونك مشبّهاً أن تذكر حرف التشبيه أو تستعير ،

(١) « المُحدّث » ، وهو المُلهم الصادق الخبير .

(٢) « نُتُوٌّ » ، أي نُتُوٌّ .

(٣) « نُبوٌّ » ، أي تنبو عنها العين ولا تألفها .

إنما تكون مشبَّهاً بالحقيقة بأن ترى الشَّبه وتبيِّنه ، ولا يمكنك بيان ما لا يكون ، وتمثيلاً ما لا تتمثله الأوهام والظنون .

•••

١٣١ - ولم أُرِدْ بقولى إنَّ الحدق فى إيجاد / الائتلاف بين المختلفات فى الأجناس ، أنك تقدر أن تُحدِث هناك مشابهةً ليس لها أصل فى العقل ، وإنما المعنى أن هناك مشابهاً خَفِيَّةً يدقُّ المسلك إليها ، فإذا تغلَّغَ ففكرُكَ فأدركها فقد استحققتَ الفضلَ . ولذلك يُشَبَّه المدقق فى المعانى بالفائض على الدرِّ ، ووزان ذلك أن القِطْعَ التى يجيىء من مجموعها صورة الشَّنْفِ والخاتم أو غيرهما من الصور المركِّبة من أجزاء مختلفة الشكل ، ^(١) لو لم يكن بينها تناسبٌ ، أمكن ذلك التناسبُ أن يلائم بينها الملاءمة المخصوصة ، ويوصل الوصل الخاصَّ ، لم يكن ليحصل لك من تأليفها الصورة المقصودة . ألا ترى أنك لو جئت بأجزاءٍ مخالفةٍ لها فى الشكل ، ثم أردتها على أن تصير إلى الصورة التى كانت من تلك الأولى ، ^(٢) طلبت ما يستحيل ؟ فإنما استحققت الأجرة على القِوَص وإخراج الدرِّ ، لا أن الدرَّ كان بك ، وأكتسى شرفه من جهتك ، ولكن لما كان الوصول إليه صعباً وطلبه عسيراً ، ثم رُزقت ذلك ، وجب أن يُجزَلَ لك ، ويكَبَّرَ صنيعُكَ .

٦٨
شرط التأليف بين
مختلفي الجنس

ألا ترى أن التشبيه الصريح إذا وقع بين شيئين متباعدين فى الجنس ، ثم لَطَّفَ وحسَّن ، لم يكن ذلك اللُّطف وذلك الحُسن إلا لاتفاقٍ كان ثابتاً بين

(١) الشَّنْفُ ، القُرْطُ الأعلى يكون فى الأذن .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعتين : الأول ، وهو لا يستقيم .

المشبه والمشبه به من الجهة التي بها شُبِّهَتْ ، إلا أنه كان خفياً لا ينجلى إلا بعد التأني في استحضار الصور وتذكرها ، وعرض بعضها على بعض ، والتقاط الثكنة المقصودة منها ، وتجريدها من سائر ما يتصل بها ، نحو أن تُشَبَّه الشيء بالشيء في هيئة الحركة ، فتطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردة من الجسم وسائر ما فيه من اللون وغيره من الأوصاف ؟ كما فعل آبن المعتز في تشبيه البرق / حيث قال :

وَكأنَّ البرقَ مُصَحَّفُ قَارٍ فَأَنْطَبَاقًا مَرَّةً وَأَنْفِتَاحًا (١)

= لم ينظر من جميع أوصاف البرق ومعانيه إلا إلى الهيئة التي تجدها العين له من انبساطٍ يعقبه انقباضٌ ، وانتشارٍ يتلوه انضمامٌ ، ثم فلى نفسه عن هيئات الحركات لينظر أيها أشبه بها ، فأصاب ذلك فيما يفعله القارىء من الحركة الخاصة في المصحف ، إذا جعل يفتحه مرة ويُطبقه أخرى . ولم يكن إعجابُ هذا التشبيه لك وإيناسه إياك لأن الشيين مختلفان في الجنس أشدَّ الاختلاف فقط ، بل لأنَّ حَصَلَ بإزاء الاختلاف اتفاقٌ كأحسن ما يكون وأتمه ، فمجموع الأمرين = شدة ائتلافٍ في شدة اختلاف = حلا وحسن ، وراق وقتن .

ويدخل في هذا الموضوع الحكاية المعروفة في حديث عدي بن الرقاع ،

قال جرير : « أنشدني عدى :

عَرَفَ الدِيَارَ تَوْهُمًا فَأَعْتَادَهَا . (٢)

(١) هو في ديوانه ، وقوله : « قار » تسهيل « قارى » .

(٢) هو في ديوانه ، ثم في الطرائف الأدبية لأستاذنا الراجكوتى ، تمامه :

« من بعد ما درس البلى أبلادها .

فلما بلغ إلى قوله :

• تُزجِي أَعْنَّ كَأَنَّ لِبُرَّةَ رَوْقِهِ •

رَجِمْتُهُ ، وَقَلْتُ : قَدْ وَقَعَ ! مَا عَسَاهُ يَقُولُ وَهُوَ أَعْرَابِيٌّ جِلْفٌ جَائِفٌ ؟

فلما قال :

• قَلَّمْ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا •

استحالت الرَّحمة حَسَدًا « = فهل كانت الرحمة في الأولى ، والحسد في الثانية ، إلا أنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضُر له = في أوّل الفكر وبديهية الخاطر ، وفي القريب من محلّ الظنّ = شَبَّةٌ ، وحين أتمّ التشبيه وأدّاه صادفه قد ظفّر بأقرب صفةٍ من أبعد موصوف ، وعثر على خبيءٍ مكانه غير معروف ؟

وعلى ذلك استحسنا قول الخليل / في انقباض كَفِّ البخيل :

٧٠

[من المقارب]

كفّاك لم تُخلَقَا للنّدى ولم يكُ بُخلهما بدعة^(١)
فكفّ عن الخير مقبوضة كما نُقصت مئة سبعة
وكفّ ثلاثة آلافها وتسع مئها لها شيرعة

وذلك أنه أراك شكلاً واحداً في اليدين ، مع اختلاف العددين ، ومع اختلاف المرتبتين في العدد أيضاً ، لأن أحدهما من مرتبة العشرات والآحاد ،

(١) هي للخليل بن أحمد في عيون الأخبار ٢ : ٣٥ ، رواها عنه الأخفش ، وهي معروفة في

غيره من الكتب .

والآخر من مرتبة المثين والألوف ، فلما حصل الاتفاق كأشدّ ما يكون في الكل اليد مع الاختلاف ، كأبلغ ما يوجد في المقدار والمرتبة من العدد ، كان التشبيه بديعاً .^(١) قال المرزباني : « وهذا ما أبدع فيه الخليل ، لأنه وصف انقباض اليدين بحالين من الحساب مختلفين في العدد ، متشاكلين في الصورة » ، وقوله هذا إجمالاً ما فصلته .

•••

١٣٢ - وما ينظرُ إلى هذا الفصل ويُداخله ويرجع إليه حين تحصيله ، كون الشيء من الأفعال سبباً لصدّه

الجنسُ الذي يُراد فيه كونُ الشيء من الأفعال سبباً لصدّه ، كقولنا : « أحسن من حيث قصد الإساءة » و « نفع من حيث أراد الضرر » ، إذ لم يقنع المتشاغلُ بالعبارة الظاهرة والطريقة المعروفة ،^(٢) وصوّرَ في نفس الإساءة الإحسانَ ، وفي البخلِ الجودَ ، وفي المنع العطاءَ ، وفي موجب الذمّ موجبَ الحمد ، وفي الحالة التي حقّها أن تُعدَّ على الرجل حُكَمَ ما يُعتدُّ له ، والفعل الذي هو بصفة ما يُعاب ويُنكر ، صفة ما يُقبَلُ المنة ويُشكر ، فيدلُّ ذلك بما يكون فيه من الوفاقِ الحسن مع الخِلافِ البين ، على حدقِ شاعره ، وعلى جودة طبعه وحِدّة خاطره ، وعلوّ مصعده ويُعد غوصه ، / إذا لم يُفسده بسوء العبارة ، ولم يخطئه التوفيقُ في تلخيص الدلالة ، وكشَفَ تمام الكشف عن سرِّ المعنى وسرِّه بحسن البيان وسحره .

مثال ما كان من الشعر بهذه الصفة قولُ أبي العتاهية : [من الكامل]

(١) هذا حساب اليد ، وقد شرحه رشيد رضا في التعليق على مطبوعته .

(٢) في المخطوطة : « لم يقنع الشاغل » ، وفي مطبوعة ريتز كتب « الشاعر » ، وهو لا معنى له

هنا ، وفي مطبوعة رشيد رضا « المتشاغل » ، وكان الصواب ما أثبت .

جُزِيَ البَخِيلُ عَلَى صَالِحَةٍ عَنِّي ، بِخِفَّتِهِ عَلَى ظَهْرِي ^(١)
 أُعْلِي وَأُكْرِمُ عَنْ يَدَيْهِ يَدِي فَعَلْتُ ، وَنَزَّ قَلْبُهُ قَلْبِي
 وَرُزِقْتُ مِنْ جَلْوَاهُ عَافِيَةً أَنْ لَا يَضِيقَ بِشُكْرِهِ صَدْرِي
 وَغَيَّبْتُ خَلْوًا مِنْ تَفْضُلِهِ أَخْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْعُنْرِ
 مَا فَاتَنِي خَيْرٌ أَمْرِيءٍ وَضَعْتُ عَنِّي يَدَاهُ مَوْوَنَةَ الشُّكْرِ

ومن اللطيف مما يُشبهه هذا قول الآخر : [من المنسرح]

أَعْتَقَنِي سُوءُ مَا صَنَعْتَ مِنْ أَلِّ حَرِّقْ ، فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَيْدِي ^(٢)
 فَصَبْرْتُ عَبْدًا لِلْسُّوءِ فَيْكَ ، وَمَا أَحْسَنَ سُوءَ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ

(١) هو في ديوانه طبعة بيروت ، وفي دلائل الإعجاز : ٥١٠ رقم : ٥٨٠ .

(٢) الحماسة الشجرية : ٢٩١ (طبعة عبد المعين الملوحي ، وأنساء الحمصي ، دمشق)

وشرح نهج البلاغة : ١٩ : ٣٣٧ ، وابن عساكر ٢ : ٩٧ .

فصل

هذا فن آخر من القول يجمع التشبيه والتمثيل جميعاً

قول جامع بين
التشبيه والتمثيل

١٣٣ - أعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة ، غير معرفته من طريق التفصيل . فنحن وإن كنا لا يُشكل علينا الفرق بين التشبيه الغريب وغير الغريب إذا سمعنا بهما ، فإن لوضع القوانين وبيان التقسيم في كل شيء ، وتهيئة العبارة في الفروق ، فائدة لا يُنكرها المميز ، ولا يخفى أن ذلك أتم للغرض وأشفى للنفس .

والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون الشبه المقصود من الشيء مما لا يتسرع إليه الخاطر ، ولا يقع في الوهم عند بديهية النظر إلى نظيره الذي يُشبهه به ، بل بعد تثبت وتدكر وفلي للنفس عن الصور التي تعرفها ، وتحريك للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غاب / منه .

٧٢

تفصيل القول في
غرابة التشبيه والتمثيل

١٣٤ - بيان ذلك : أنك كما ترى الشمس ويجرى في خاطرك استداراتها ونورها ، تقع في قلبك المرآة المجلوة ، ويتراءى لك الشبه منها فيها .
= وكذلك إذا نظرت إلى الوشي منشوراً وتطلبت لحسنه ونقشه واختلاف الأصباغ فيه شبهها ، حَضَرَكَ ذَكَرُ الرُّوضِ مَمْطُورًا مُفْتَرًّا عَنْ أَزْهَارِهِ ، متبسِّمًا عن أنواره .

= وكذلك إذا نظرت إلى السيف الصَّقِيلِ عِنْدَ سَلِّهِ وَبَرِيقِ مَتْنِهِ ، لم يتباغذ

عنك أن تذكر انعقاق البرق ، ^(١) وإن كان هذا أقل ظهوراً من الأول ، وعلى هذا القياس . ولكنك تعلم أن خاطرك لا يُسرِعُ إلى تشبيه الشمس بالمرآة في كَفِّ الأشل ، كقوله :

[من الرجز]

والشمس كالمرآة في كَفِّ الأشل .^(٢)

= هذا الإسراع ولا قريباً منه .

= ولا إلى تشبيه البرق بإصبع السارق ، كقول كشاجم :

[من الرجز]

أرقت أم نمت لضوءِ بارقٍ مُوتَلِقًا مِثْلَ الفؤادِ الخافقِ^(٣)
كأنه إصبعُ كفِّ السارقِ .

[من الطويل]

وكقول ابن بابك :

ونضنض في حِضْنِي سَمَائِكَ بارقٍ له جَلْوَةٌ من زُبرجِ اللَّاذِ لَامِعَةٌ^(٤)
تَعَوِّجُ في أعلى السحابِ كأنها بَنَانُ يدٍ من كِلَّةِ اللَّاذِ ضَارِعَةٌ

= ولا إلى تشبيه البرق في أنبساطه وانقباضه والتماعه وائتلافه ، بانفتاح

المُصْحَفِ وانطباقه ، فيما مضى من قول ابن المعتز :

وكانَّ البرقُ مُصْحَفٍ قارٍ فأنطباقاً مرَّةً وانفتاحاً^(٥)

(١) « أنعق البرق انعقاقاً » ، شقُّ السحاب وتسرب فيه .

(٢) هو لجيار بن جَزء بن ضرار ، ابن أخي الشماخ ، وهو في ديوان الشماخ .

(٣) هو في ديوانه المطبوع ، وهو أول الرجز .

(٤) « نضنض » أي تحرك وقلق . و « الزُّبرج » الوشي الخفيف ، و « اللَّاذ » ، الحرير . و « الكِلَّة » ،

الستر الرقيق .

(٥) مضى آنفاً برقم : ١٣١ .

= ولا إلى تشبيهه سطور الكتاب بأغصان الشوك في قوله : [من الوافر]

بشكلى يأخذ الحرف المحلى كأن سطورهُ أغصان شوك^(١)

= ولا إلى تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت على رماح زبرجد ، / كقول

الصنوبرى : [من الكامل]

وكأن مُحمرَّ الشقيـ حى إذا تصوَّبَ أو تصعَّد^(٢)

أعلامُ ياقوتِ نُثِيرُ نَ على رماح من زبرجد

= ولا إلى تشبيه النجوم طالعات في السماء مفترقات مؤتلفات في

أديمها ، وقد مزجت زُرقةً لونها بياضَ نورها ، بدرٌ منشورٌ على بساطِ أزرق ،

كقول أبى طالب الرقى : [من الكامل]

وكأنَّ أجرامَ النجومِ لوامعًا دُرٌّ نُثِرْنَ على بساطِ أزرقِ^(٣)

= ولا ما جرى في هذا السبيل ، وكان من هذا القبيل . بل تعلم أن الذى

(١) هو في ديوان ابن المعتز ، وقبله ، يصف دفترًا :

دُونكهُ مُوشى تَمَنَّمْتُهُ وَحَاكْتُهُ الأنايلِ أَى حَوَكِ

وفي المخطوطة ومطبوعة ريتز : « المحلى » بالخاء المعجمة والصواب ما أثبت بالخاء المهملة .

و « المحلى » ، أى حلاه الشكل .

(٢) ليسا في ديوانه المطبوع ، لأنه يبدأ من الراء إلى القاف لا غير ، وهو في تكملة الديوان ،

ولكن لم يقف إحسان عباس على البيتين في أسرار البلاغة منسويين إلى الصنوبرى .

(٣) ذكره في بيتمة الدهر ١ : ٣٤٤ ، وقال : « لم أجد ذكره إلا عند أبى بكر الخوارزمى ،

وسمعه يقول : إنه أحد المقلين المحسنين الذين يطبقون المفصل في أغراضهم ، وينظمون الدر المفصل في

معانيهم وألفاظهم ، ثم أنشدنى له قوله :

ولقد ذكرتك في الظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وكأن أجرام النجوم لوامعًا درُّ نثرن على زجاج أزرق

والفجر فيه كأنه قطر الندى ينهل من سح الغمام المعقد

سَبَقَكَ إِلَى أَشْبَاهِ هَذِهِ التَّشْبِيهَاتِ لَمْ يَسْبِقْ إِلَى مَدَى قَرِيبٍ ، بَلْ أَحْرَزَ غَايَةَ
لَا يَنَالُهَا غَيْرَ الْجَوَادِ ، وَقَرَّطَسَ فِي هَدَفٍ لَا يُصَابُ إِلَّا بَعْدَ الْاِحْتِفَالِ وَالْاِحْتِهَادِ .

١٣٥ - وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَبْحَثَ بَحْثًا ثَانِيًا حَتَّى تَعْلَمَ لَمْ وَجِبَ
أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الشُّبْهِ عَلَى الذِّكْرِ أَبَدًا ، وَبَعْضُهُ كَالْغَائِبِ عَنْهُ ، وَبَعْضُهُ كَالْبَعِيدِ
عَنِ الْحَضْرَةِ لَا يُنَالُ إِلَّا بَعْدَ قَطْعِ مَسَافَةٍ إِلَيْهِ ، وَفَضْلُ تَعَطُّفٍ بِالْفِكْرِ عَلَيْهِ = فَإِنَّ
هَهُنَا ضَرِيحَيْنِ مِنَ الْعِبْرَةِ يَجِبُ أَنْ تَضْبِطَهُمَا أَوَّلًا ، ثُمَّ تَرْجِعَ فِي أَمْرِ التَّشْبِيهِ ، فَإِنَّكَ
حَيْثُذْ تَعْلَمُ السَّبَبَ فِي سُرْعَةِ بَعْضِهِ إِلَى الْفِكْرِ ، وَإِبَاءِ بَعْضٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَلِكَ
الْإِسْرَاعِ .

الجملة أبداً أسبق
إلى النفوس من
التفصيل

فإِحْدَى الْعَبْرَتَيْنِ : أَنَا نَعْلَمُ أَنَّ الْجُمْلَةَ أَبَدًا أَسْبَقَ إِلَى النُّفُوسِ مِنَ
التَّفْصِيلِ ، وَأَنَّكَ تَجِدُ الرُّؤْيَةَ نَفْسَهَا لَا تَصِلُ بِالْبَدِيهِةِ إِلَى التَّفْصِيلِ ، وَلَكِنَّكَ تَرَى
بِالنَّظَرِ الْأَوَّلِ الْوَصْفَ عَلَى الْجُمْلَةِ ، ثُمَّ تَرَى التَّفْصِيلَ عِنْدَ إِعَادَةِ النَّظَرِ ، وَلِذَلِكَ
قَالُوا : « النَّظَرَةُ الْأُولَى حَمَقَاءُ » ، وَقَالُوا : « لَمْ يُنْعَمِ النَّظَرُ وَلَمْ يَسْتَفْصِ التَّأْمَلُ » .
وهكذا الحكم في السمع وغيره / من الحواس ، فإنك تتبين من تفاصيل الصوت
بأن يعاد عليك حتى تسمعه مرة ثانية ، ما لم تتبينه بالسمع الأول ، وتُدرك من
تفصيل طعم المُنُوقِ بأن تُعيدَهُ إِلَى اللِّسَانِ مَا لَمْ تَعْرِفْهُ فِي الدُّوْقَةِ الْأُولَى . وَإِدْرَاكُ
التَّفْصِيلِ يَقَعُ التَّفَاضُلُ بَيْنَ رَأْيٍ وَرَأْيٍ ، وَسَامِعٍ وَسَامِعٍ ، وَهَكَذَا . فَأَمَّا الْجُمْلُ
فَتَسْتَوِي فِيهَا الْأَقْدَامُ . ثُمَّ تَعْلَمُ أَنَّكَ فِي إِدْرَاكِ تَفْصِيلِ مَا تَرَاهُ وَتَسْمَعُهُ أَوْ تَذُوقِهِ ،
كَمَنْ يَنْتَقِي الشَّيْءَ مِنْ بَيْنِ جُمْلَةٍ ، وَكَمَنْ يُمَيِّزُ الشَّيْءَ مِمَّا قَدْ آخْتَلَطَ بِهِ ، فَإِنَّكَ
حِينَ لَا يَهْمُكَ التَّفْصِيلُ ، كَمَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ جُزْأً وَجُزْأً .^(١)

v٤

(١) « الجرف » ، أصله اجترافك الشيء عن وجه الأرض ، وأخذك إياه أخذًا كثيرًا بلا تمييز .

وإذا كانت هذه العبرة ثابتة في المشاهدة وما يجري مجراها مما تناله الحاسة ، فالأمر في القلب كذلك : تجدُّ الجُمْلُ أبدأ هي التي تسبق إلى الأوامر وتقع في الخاطر أولاً ، وتجذ التفاصيل مغمورة فيما بينها ، وترها لا تحضر إلا بعد إعمالٍ للرؤية وإستعانةً بالتذكّر .

ويتفاوت الحال في الحاجة إلى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حدّ الجملة وحدّ التفصيل ، وكلما كان أوغل في التفصيل ، كانت الحاجة إلى التوقّف والتذكّر أكثر ، والفقر إلى التأمل والتمهّل أشدّ .

وإذ قد عرفت هذه العبرة ، فلاشترآك في الصفة إذا كان من جهة الجملة على الإطلاق ، بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل = نحو أن كِلا الشئيين أسود أو أحمر = فهو يقلّ عن أن تحتاج فيه إلى قياس وتشبيه . فإن دخل في التفصيل شيئاً = نحو أن هذا السواد صافٍ براق ، والحمرة رقيقة ناصعة = احتجت بقدر ذلك إلى إدارة الفكر . وذلك مثل تشبيه حمرة الخدّ بحمرة الثفاح والورد ، فإن زاد تفصيله بخصوص تدقّ العبارة عنه ، ويُتعرّف / بفضل تأمل ، ازداد الأمر قوّة في اقتضاء الفكر ، وذلك نحو تشبيه سقّط النار بعين الديك في قوله :

[من الطويل]

«سِقْطِ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرْتُ صُحْبَتِي»^(١)

(١) هو لذى الرمة في ديوانه ، من قصيدة جيدة ، وتمام البيت :

«أبَاهَا ، وَهَيَّأْنَا لِمَوْضِعِهَا وَكُرًّا»

يصف الزند وناره . و «السقّط» ، يعني النار حين سقطت من الزند . و «عاورت صحبتي» ، يقدح هذا مرّة وهذا مرّة . و «أبأها» يعني الزند الأعلى ، و «هيأنا لها وكرًا» ، أى موضعاً يوحد فيه من قماش ونحوه ، ثم يقول بعده :

مُشَهَّرَةٌ ، لَا تُمَكِّنُ الفَحْلَ أُمَّهَا إِذَا نَحْنُ لَمْ نُمْسِكْ بِأَطْرَافِهَا قَسْرًا =

وذلك أن ما في لون عينه من تفصيل وخصوص، يزيد على كون الحمرة رقيقة ناصعة والسواد صافياً براقاً . وعلى هذا تجد هذا الحد من المرتبة التي لا يستوى فيها البليد والذكي، والمهمل نفسه والمتيقظ المستعد للفكر والتصور، فقله :

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا كُلِّ سُحْرَةٍ صِيَاحَ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيْفِ اللَّوَاتِكِ (١)
= أرفع طبقة من قوله :

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرُوِّ حِينَ تُشِيدُهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بَعْبَقْرَا (٢)
= لأن التفصيل والخصوص في صوت البازي، أئين وأظهر منه في صليل الزيوف .

= وكأن قوله يصف الفرس :
وَاللَّفَوَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَنْبَهْرِهِ لَدَمَ الْعُلَامِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجْرِ (٣)
= لا يسوى بتشبيه وقع الحوافر بهزيمة الرعد، وتشبيه الصوت الذي يكون لغليان القدر بنحو ذلك، كقوله :

= و « المشهرة »، النار، و « أمها » الزندة السفلى، وهي لا تستوى إذا قُدح بها حتى تمسك إمساكاً شديداً، يقول : تُمَسِّكُهَا قَهْرًا .

(١) مضى في رقم : ٨٣ .

(٢) هو لامرئ القيس في ديوانه . و « المرو » حجارة بيض رقاق . و « الزيوف » جمع « زَيْف »، وهو المهرج من النقود . و « تُشِيدُهُ »، نُحِّيهِ جَانِبًا .

(٣) هو تميم بن أئى بن مقبل في ديوانه . و « الوجيب » شدة الحفقان . و « الأبر » عرق متصل بالقلب . و « اللدم »، الضرب . و « الغيب » ما كان بينك وبينه حجاب . يريد أن للقلب صوتاً يسمعه ولا يراه، كما يسمع صوت الحجر الذي يرمى به الصبي ولا يراه .

لها لَعَطٌ جُنَحَ الظَّلامِ كأنه عَجَارِفُ غَيْثٍ رَائِحٍ مُتَهَزِّمٍ^(١)

= لأنَّ هناك من التفصيل الحَسَن ما تراه ، وليس في كون الصوت من جنس اللَّغَط تفصيلٌ يُعتدُّ به ، وإنما هو كالزيادة والشَّدة في الوصف .

ومثال ذلك مثلاً أن يكون جسمٌ أعظمَ من جسم في أنه لا يتجاوز مرتبة الجَمَلِ كبيرَ تجاوزٍ ، فإذا رأى الرجل شخصاً قد زاد على المعتاد في العِظَم والضخامة ، لم يحتج في تشبيهه بالفيل أو الجبل أو / الجَمَلِ^(٢) أو نحو ذلك إلى شيء من الفكر ، بل يَحْضُرُه ذلك حضوراً ما يُعرف بالبديهة .

الفرق بين الجملة
والتفصيل

والمقابلات التي تُريك الفرق بين الجملة والتفصيل كثيرة ، ومن اللَّطيف [من المقارب] في ذلك أن تنظر إلى قوله :

يُتَابِعُ لَا يَبْتَغِي غَيْرَهُ بِأَبْيَضَ كَالْقَبَسِ الْمُلتَهَبِ^(٣)
= ثم تقابل به قوله :

جَمَعْتُ رُدِّيئِيًّا كَانَ سِنَانَهُ سَنَّا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُحَانِ^(٤)

= فإنك ترى بينهما من التفاوت في الفضل ما تراه ، مع أن المشبَّه به في

(١) هو لعمر بن أحمَر الباهل في ديوانه المجموع ، والبيت أحد أربعة أبيات اختارها أبو تمام في الحماسة (شرح الحماسة ٤ : ١٢٠) يصف القُدور . و « اللَّغَط » الأصوات المختلفة . و « جُنَحَ الظَّلام » ، بكسر الحاء وضمها ، جانب الليل . و « العجَارِف » شدة وقع المطر على الأرض ، و « الغيث الرائِح » ، الذي يأتي بالعنقى ، و « المتَهَزِّم » ، الذي له هزيم كهزيم الرعد .

(٢) « أو الجمل » ، أسقطها ريتير في مطبوعته اتباعاً لمطبوعة رشيد رضا ، وهي في المخطوطة .

(٣) هو لعنثرة العيسى في ديوانه ، أحد أربعة أبيات قالها في مقتل ورد بن حابس بن نضلة الأسدى ، والبيت في صفة السيف ، ورواية الديوان ، تخالف ما ههنا ، والمعنى واحد .

(٤) هو لامرئ القيس في ديوانه . و « والرُدِّيئِيُّ » ، الرمح اللدن المسوى المستقيم .

الموضعين شيء واحد وهو شُعلة النار ، وما ذاك إلا من جهة أن الثاني قَصَدَ إلى تفصيل لطيف ، ومَرَّ الأوَّل على حكم الجمل .

ومعلوم أن هذا التفصيل لا يقع في الوهم في أول وهلة ، بل لا بد فيه من أن تثبت وتتوقف وتروى وتنظر في حال كل واحد من الفرع والأصل ، حتى يقوم حينئذ في نفسك أن في الأصل شيئاً يقدر في حقيقة الشبه ، وهو الدخان الذي يعلو رأس الشعلة ، وأنه ليس في رأس السنان ما يُشبه ذلك . وأنه إذا كان كذلك ، كان التحقيق وما يؤدى الشيء كما هو ، أن تستثنى الدخان وتنفي ، وتقتصر التشبيه على مجرد السنّ ، وتصوّر السنان فيه مقطوعاً عن الدخان . ولو فرضت أن يقع هذا كله على حدّ البديهية من غير أن يخطر ببالك ما ذكرت لك ، قدرت محالاً لا يتصور ، كما أنك لو قدرت أن يكون تشبيه الثريا بعنقود ملاحية حين نور ، ^(١) بمنزلة تشبيهها بالنور على الإطلاق ، أو تفتح نور فقط ، كما قال :

كأنّ الثريا في أواخر ليلها تفتح نور ^(٢)

= / حتى ترى حاجتهما إلى التأمل على مقدار واحد ، وحتى لا يُخوج أحدهما من الرجوع إلى النفس ويبحثها عن الصور التي تعرفها ، إلا إلى مثل ما يُخوج إليه الآخر = ^(٣) أسرفت في المجازفة ، ونقضت يداً بالصواب والتحقيق . ^(٤)

(١) هو شعر أبن قيس بن الأسلت ، الذي مضى في رقم : ٨٨ .

(٢) هو في ديوان ابن المعتز ، باب الشراب ، وقامه :

« أو لجام مفضض »

(٣) السياق : « كما أنك لو قدرت أن يكون ... أسرفت في المجازفة » .

(٤) في المخطوطة : « نفقت » ، وقرأها ريتز ، كما في مطبوعة رشيد رضا : « نقصت » ، وهو

كلام فاسد ، والصواب ما أثبت .

التشبيه النادر

١٣٦ - والعبرة الثانية : (١) أن مما يقتضى كَوْن الشيءِ على الذِّكْر

وثبوت صورته في النفس ، أن يكثر دورائه على العيون ، ويدوم تردده في مواقع الأبصار ، وأن تُدرکه الحواسُ في كل وقت أو في أغلب الأوقات = وبالعكس ، وهو أن من سبب بُعْد ذلك الشيء عن أن يقع ذكره بالخاطر ، وتعرض صورته في النفس ، قلة رؤيته ، (٢) وأنه مما يُحسُّ بالفينة بعد الفينة ، وفي الفِرط بعد الفِرط ، (٣) وعلى طريق التُّدْرَة ، وذلك أن العيون هي التي تحفظ صور الأشياء على النفوس ، وتجلِّدُ عهدا بها ، وتحرسها من أن تدثر ، (٤) وتمنعها أن تزول ، ولذلك قالوا : « من غاب عن العين فقد غاب عن القلب » ، وعلى هذا المعنى كانت المدارسُ والمناظرةُ في العلوم وكُرورها على الأسماع ، سبب سلامتها من التسيان ، والمانع لها من التفلت والذهاب

وإذا كان هذا أمراً لا يُشكُّ فيه ، بأن منه أن كل شَبِّهِ رَجَع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن تُرى وتُبصر أبداً ، فالتشبيه المعقود عليه نازل مُبتدل ، وما كان بالضد من هذا وفي الغاية القُصوى من مخالفته ، فالتشبيه المرذود إليه غريبٌ نادرٌ بديع ، ثم تتفاضل التشبيهاً التي تجيء واسطةً لهذين الطرفين ، بحسب حالها منهما ، فما كان منها إلى الطرف الأول أقرب ، فهو أدنى وأنزل ، وما كان إلى الطرف الثاني أذهب ، فهو أعلى وأفضل ، وبوصف الغريب أجدر .

... .

(١) انظر « العبرة الأولى » التي بدأت في رقم : ١٣٥ .

(٢) السياق : « أن من سبب بعد ذلك ... قلة ... » .

(٣) « القينة » ، الحين والوقت من الزمان ، و « الفرط » الحين ، يكون بينه وبين الآخر أيام تكثر

أو تقل .

(٤) « تدثر » أي تنطمس وتخفى .

١٣٧ - / وأعلم أن قولنا: « التفصيل » عبارة جامعة ، ومحصولها على الجملة أن معك وصفين أو أوصافاً ، فأنت تنظر فيها واحداً واحداً ، وتفصيل بالتأمل بعضها من بعض = وأن بك في الجملة حاجة إلى أن تنظر في أكثر من شيء واحد ، وأن تنظر في الشيء الواحد إلى أكثر من جهة واحدة .

٧٨
معنى التفصيل

ثم إنه يقع على أوجه :

أحدها : وهو الأولى والأحق بهذه العبارة : أن تفصل ، بأن تأخذ بعضاً وتدع بعضاً ، كما فعل في اللهب حين عزل الدخان عن السنن وجرده ، وكما فعل الآخر حين فصل الحدق عن الجفون ، وأثبتها مفردة فيما شبه ، وذلك قوله :

الوجه الأول
من التفصيل

[من الطويل]

لها حدق لم تتصل بجفون .^(١)

ويقع في هذا الوجه من التفصيل لطائف ، فمنها قول ابن المعتز :

[من الرجز]

بطراح النظرة في كل أفق ذى منسراقتى إذا شكَّ خرق^(٢)
ومقلية تصدقه إذا رمق كأنها نرجسة بلا ورق

[من المنسرح]

وقوله :

(١) هو لابن المعتز في ديوانه ، في باب الشراب ، وصدوره :

« فجاءت بها في كأسها ذهبيّة .

« فجاءت » ، الضمير إلى الخمار ، في أبيات قبله .

(٢) في ديوانه ، من أرجوزة في الطرد ، قوله : « بطراح النظرة » ، يعنى البازي الذي وصفه في

الأرجوزة .

تَكْتُبُ فِيهِ أَيْدَى الْمِزَاجِ لَنَا مِيمَاتٍ سَطْرٍ بَعِيرٍ تَعْرِيقٍ (١)

الوجه الثاني
من التفصيل

والثاني : أن تُفَصَّلَ ، بَأَن تَنْظُرَ مِنَ الْمَشْبَهِ فِي أُمُورٍ لَتَعْتَبِرُهَا كُلَّهَا ،
= وتطلبها فيما تُشَبِّه به ، وذلك كاعتبارك ، في تشبيه الثريا بالعنقود ، الأَنْجُمَ
أنفسها ، والشكل منها واللون ، وكونها مجتمعة على مقدارٍ في القرب والبعد . فقد
نظرت في هذه الأمور واحداً واحداً ، وجعلتها بتأملك فصلاً فصلاً ، ثم جمعتها في
تشبيهاً ، وطلبت للهيئة الحاصلة من عدّة أشخاص الأَنْجُمَ ، والأوصاف التي
ذكرت لك من الشكل واللون والتقارب على وجه مخصوص = (٢) هيئة أخرى
شبيهة بها ، فأصبحت في العنقود المنور من الملاحية / ولم يقع لك وجه التشبيه
بينهما إلا بأن فصلت أيضاً أجزاء العنقود بالنظر ، وعلمت أنها حُصِّلَ بِيضٌ ،
وأن فيها شكل استدارة النجم ، ثم الشكل إلى الصغر ما هو ، كما أن شكل
أَنْجُمِ الثريا كذلك = وأن هذه الحُصِّلَ لا هي مجتمعة اجتماع النظام والتلاصق ،

٧٩

(١) هو لابن المعتز في ديوانه ، يذكر قدح حمر : وقبله

لَا شَيْءَ يُسَلِّي هَمِّي سِوَى قَدَحٍ تَدْمِي عَلَيْهِ أَوْدَاحُ إِبْرِيْقٍ

و « التعريق » في هذا البيت ، من اصطلاح أهل الخط ، وهو المد الزائد في الحروف كالميم
وغيرها من الحروف ، فإن الميم دائرة مجوفة ثم تلبها مَدَّة زائدة كالذيل ، وهذه الزائدة هو « عراق » الميم ،
والفعل من ذلك هو « التعريق » ، أقرأ أصبح الأعشى ٣ : ١٥ - ١٠٣ تجد اصطلاح « العراق والتعريق » .
وابن المعتز : يعني أنه المزاج يحدث في قدح الخمر ميمات غير معرّقة ، أي هي دائرة
خالصة ، ويعني بذلك الحباب ، والحَبُّبُ أيضاً ، وهو نفاخت وفقايق مستديرة تحدث عند المزج .
وظنى أن اصطلاح « العراق » ، و « التعريق » مأخوذ من « عراق الشفرة » ، وهو خرزها
المحيط بها ، أو من « عراق الظفر » وهو ما أحاط به من اللحم ، و « عراق الأذن » أيضاً وهو كفافها الممتد
المستدير . ثم أنظر ما سأتى في رقم : ١٤٩ .

(٢) السياق : « وطلبت للهيئة الحاصلة ... هيئة أخرى ... » .

ولا هي شديدة الافتراق ، بل لها مقادير في التقارب والتباعد في نسبة قريبة مما تجده في رأى العين بين تلك الأنجم .

يُذكَرُ على أن التشبيه موضوعٌ على مجموع هذه الأوصاف ، أنا لو فرضنا في تلك الكواكب أن تفترق وتباعد تباعدًا أكثر مما هي عليه الآن ، أو قُدِّرَ في العنقود أن يَنْتَثِرَ ، لم يكن التشبيه بحاله = وكذلك الحكمُ في تشبيه الثريا باللجم المفضَّض ، ^(١) لأنك راعيت الهيئة الخاصة من وقوع تلك القطع والأطراف بين اتصال وانفصال ، وعلى الشكل الذى يُوجبه موضوع اللجم ، ولو فرضت أن تُركَّبَ مثلًا على سنن واحدٍ طولًا في سنن واحدٍ مثلًا ويلصق بعضها ببعض ، بطل التشبيه .

[من الطويل]

= وكذا قوله :

... تعرَّضَ أثناء الوشاح المفصَّل ^(٢)

= وقد اعتبِرَ فيه هيئة التفصيل في الوشاح ، والشكل الذى يكون عليه الخرز المنظوم في الوشاح ، فصار اعتبار التفصيل أعجب تفصيل في التشبيه .

...

١٣٩ - والوجه الثالث : أن تُفصَّلَ بأن تنظر إلى خاصية في بعض الجنس ، كالتى تجدها في صوت البازي وعين الديك ، فأنت تأبى أن تمر على جملة أن هذا صوت وذاك حمرة ، ولكن تفصّل فتقول فيهما ما ليس في كل صوت وكل حمرة .

الوجه الثالث
من التفصيل

(١) انظر بيت ابن المعتز في آخر رقم : ١٣٥ .

(٢) لامرى القيس في معلقته ، وصدده :

إذا ما الثريا في السماء تعرَّضت .

٨٠ / وأعلم أن هذه القسمة في التفصيل موضوعة على الأغلب الأعرف ،
وإلا فدقائقه لا تكاد تُضبط .

...

١٤٠ - ومما يكثر فيه التفصيل ويقوى معناه فيه ، ما كان من التشبيه
مركبًا من شيئين أو أكثر ، وهو ينقسم قسمين :

تشبيه مركب من
شيئين ، أحدهما
يقدره المشبه ولا يكون

أحدهما : أن يكون شيئًا يُقتره المشبه ويضعه ولا يكون .

ومثال ذلك تشبيه النرجس بمداهن دُرٍّ حشوهن عقيق ، ^(١) وتشبيه
الشقيق بأعلام ياقوت نُشِرت على رِماح من زَبْرَجِد ، ^(٢) لأنك في هذا النحو
تُحصّل الشبه بين شيئين تُقتر اجتماعهما على وجه مخصوص وبشرط معلوم ،
فقد حصّلت في النرجس من شكل المداهن والعقيق ، بشرط أن تكون المداهن
من اللُرّ ، وأن يكون العقيق في الحشو منها = وكذلك اشترطت هيئة الأعلام ،
وأن تكون من الياقوت ، وأن تكون منشورة على رِماح من زبرجد = فبك حاجة
في ذلك إلى مجموع أمور ، لو أخللت بواحد منها لم يحصل الشبه . وكذلك
لو خالفت الوجه المخصوص في الاجتماع والاتصال بطل القرض ، فكما بك
حاجة إلى أن يكون الشكل شكّل المُذهّن ، وأن يكون من اللُرّ وأن يكون معه
العقيق ، فبك أيضًا فقّر إلى أن يكون العقيق في حشو المداهن ، وعلى هذا
القياس .

...

(١) انظره في قول ابن المعتز فيما سلف رقم : ٨٨ ، وآخر رقم : ١١٧ .

(٢) للصنوبري ، في آخر رقم : ١٣٤ .

١٤١ - والقسم الثاني : أن تعتبر في التشبيه هيئةً تُحصَل من اقتران شيئين ، وذلك الاقتران مما يوجد ويكون ، ومثاله قوله : [من الوافر]

تشبيه مركب من
اقتران شيئين مما
يوجد ويكون

غَدَاً وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَطَرْفِ أَشْهَبٍ مُلْقَى الْجِلَالِ (١)

قَصَدَ الشَّبهَ الحَاصِلَ لكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ جَمِيعًا ، وَتَأَمَّلْتَ حَالَهُمَا مَعًا ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ بِنَظِيرٍ لِلهَيْئَةِ المَشَاهِدَةِ مِنْ مَقَارَنَةِ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْبَهَ الصَّبْحَ عَلَى الْانْفِرَادِ وَاللَّيْلَ / عَلَى الْانْفِرَادِ ، كَمَا لَمْ يَقْصِدِ الْأَوَّلُ أَنْ يَشْبَهَ الدَّارَةَ الْبَيْضَاءَ مِنَ النَّرْجَسِ بِمُذْهَنِ الدُّرِّ ، ثُمَّ يَسْتَأْنَفُ تَشْبِيهًا لِلثَّانِيَةِ بِالْعَقِيقِ ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يَشْبَهَ الهَيْئَةَ الحَاصِلَةَ مِنْ مَجْمُوعِ الشَّكْلَيْنِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بَيِّنٌ فِي الْبَيِّنِ . ثُمَّ إِنْ هَذَا الْاِقْتِرَانُ الَّذِي وُضِعَ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ مِمَّا يُوجَدُ وَيُعْهَدُ ، إِذْ لَيْسَ وَجُودُ الْفَرَسِ الْأَشْهَبِ قَدْ أَلْقَى الْجُلَّ ، مِنْ الْمُعْزِ فَيَقَالُ إِنَّهُ مَقْصُورٌ عَلَى التَّقْدِيرِ وَالْوَهْمِ . فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَلَا يَتَعَدَّى التَّوَهُّمَ وَتَقْدِيرَ أَنْ يُصْنَعَ وَيُعْمَلَ ، فَلَيْسَ فِي الْعَادَةِ أَنْ تُتَّخَذَ صُورَةٌ أَعْلَاهَا يَأْقُوتُ عَلَى مَقْدَارِ الْعَلَمِ ، وَتَحْتَ ذَلِكَ الْيَأْقُوتُ قِطْعَ مَطَاوِلَةٍ مِنَ الزَّبْرِجَدِ كَهَيْئَةِ الْأُرْمَاحِ وَالْقَامَاتِ = وَكَذَلِكَ لَا يَكُونُ هَهُنَا مَدَاهِنُ تُصْنَعُ مِنَ الدُّرِّ ، ثُمَّ يَوْضَعُ فِي أَجْوَافِهَا عَقِيقٌ . وَفِي تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ زِيَادَةٌ مَعْنَى يُبَاعِدُ الصُّورَةَ مِنَ الْوُجُودِ ، وَهُوَ شَرْطُهُ أَنْ تَكُونَ أَعْلَامًا مَنْشُورَةً ، وَالنَّشْرُ فِي الْيَأْقُوتِ وَهُوَ حَجْرٌ ، لَا يُتَّصَرُّ مَوْجُودًا .

وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْوَجْهَ فِي إِلقاءِ الْجُلِّ ، أَنْ يَرِيدَ أَنَّهُ أَدَارُهُ عَنْ ظَهْرِهِ ،

(١) لابن المعتز في ديوانه ، والضمير في « غَدَاً » إلى الساق في البيت قبله :

وَسَاقٍ يَجْعَلُ الْمِنْدِيلَ مِنْهُ مَكَانَ حَمَائِلِ السَّيْفِ الطُّوَالِ

و « الطرف » الفرس . و « الجلال » جمع « جُلٌّ » ، وهو لباسُ الفرسِ يلبسه ليصان به .

وأزاله عن مكانه ، حتى تُكشَف أكثرُ جسده ، لا أنه رمى به جملةً حتى انفصل منه ، لأنه إذا أراد ذلك ، كان قد قصد إلى تشبيه الصُّبح وحده من غير أن يفكر في الليل ، ولم يشاكل قوله في أول البيت : « والصبح تحت الليل بادٍ » .

١٤٢ - وأما قوله : [من الرجز]

إذا تَفَرَّى البرقُ فيها جِلْتُهُ بَطْنُ شُجَاعٍ فِي كَثِيبٍ يَضْطَرِبُ^(١)
وتارةً تُبْصِرُهُ كَأَنَّهُ أْبْلَقُ مَالٍ جُلَّهُ حِينَ وَتَبُ

٨٢ فالأشبهه فيه أن يكون القصدُ إلى تشبيه البرق وحده ببياض / البَلَق ، دون أن يُدخل لون الجُلِّ في التشبيه ، حتى كأنه يريد أن يُريك بياض البرق في سواد العمام ، بل ينبغي أن يكون الغرضُ بذكر الجُلِّ أن البرق يلمع بَعْتَةً ، ويلوح للعين فجأةً ، فصار لذلك كبياض الأبلق إذا ظهر عند وثوبه وميل جُلِّه عنه .

وقد قال ابن بابك في هذا المعنى : [من السريع]

للبرقِ فيها لَهَبٌ طائشٌ كما يُعَرَّى الفرسُ الأبلقُ

= إلا أن لقول ابن المعتز : « حِينَ وَتَبُ » ، من الفائدة ما لا يخفى .

وقد عني المتقدمون أيضًا بمثل هذا الاحتياط ، ألا تراه قال : [من الخفيف]

وترى البرقَ عارضًا مُسْتَطِيرًا مَرَحَ البَلقِ جُلَّنَ فِي الأَجْلالِ^(٢)

(١) لابن المعتز في ديوانه . وقوله : « تَفَرَّى البرقُ » ، تلاً في السحاب ، و « الشجاع » ، ضربٌ من الحيات دقيق لطيف ، و « الكثيب » ، قطعة مرتفعة من الرمل تنقاد مُخْتَوِذَةً . و « الأبلق » من الخيل ما فيه سواد وبياض . وقوله : « إذا تَفَرَّى البرقُ فيها » ، يعني السحابة .
(٢) من أبيات في ديوان كثير ، (طبعة إحسان عباس) ، وتخرجهها هناك .

فجعلها تمرح وتجول ، ليكون قد راعى ما به يتم الشبه ، وما هو معظم الغرض من تشبيهه ، وهو هيئة حركته وكيفية لمعه .

° ° °

١٤٣ - ثم أعلم أن هذا القسم الثاني الذى يدخل في الوجود يتفاوت حاله ، فمنه ما يتسع وجوده ، ومنه ما يوجد في النادر . ويبين ذلك بالمقابلة ، فأنت إذا قابلت قوله :

تفاوت القسم
الثاني الأنف

وكان أجرامَ النجوم لوامعاً دُرَّرَ نُثْرُنٌ عَلَى بَسَاطِ أَزْرَقٍ ^(١)

= بقول ذى الرمة :

[من البسيط]

. كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ . ^(٢)

= علمت فضل الثاني على الأول في سعة الوجود ، وتقدم الأول على الثاني في عزته وقلته ، وكونه نادر الوجود ، فإن الناس يرون أبداً في الصياغات فضة قد أُجْرِى فِيهَا ذَهَبٌ وَطَلِيَتْ بِهِ ، ولا يكاد يتفق أن يوجد درٌّ قد نُثِرَ عَلَى بَسَاطِ أَزْرَقٍ .

° ° °

١٤٤ - وإذا قد عرفت انقسام المركب من التشبيه إلى هذين القسمين ، فاعتبر / موضعهما من العبرتين المذكورتين ، ^(٣) فإنك تراهما بحسب

ضبط التشبيه المركب

٨٣

(١) في الأصول : « والنجوم كأنها دُرر » ، وانظر ما سلف آخر رقم : ١٣٤ .

(٢) في ديوانه ، وصلبته ، يصف صاحبه مياً :

. كحلاء في بَرَج ، صفراء في نَعَج .

« الكحلاء » التى تراها مكحولة وإن لم تكنحل . و « البرج » ، سعة العين . و « النعج » ،

البياض ، يعنى يياض جسمها .

(٣) العبرة الأولى مضت برقم : ١٣٥ ، والثانية برقم : ١٣٦ .

نسبتهما منهما ، وتحققهما بهما ، قد أعطتاها لطف العرابة ، ورفضتا عليهما صيغ الحُسن ، وكسناهما روعة الإعجاب ، فتجدُ المقدر الذي لا يباشرُ الوجود ، نحو قوله :

أعلامٌ ياقوتٍ نُشرَ نَ على رِماجٍ من زَبْرَجَدٍ ^(١)

وكقوله في النيلوفر :

[من الخفيف]

كُنَّا بِاسْطِ اليَدِ نحو نَيْلُوفَرٍ نَدَى ^(٢)
كَدَبَابَيْسِ عَسْجِدٍ قُضِبْهَا من زَبْرَجِدٍ

= قد اجتمع فيه العبرتان جميعًا ، وتجد العبرة الثانية قد أتت فيه على غاية القوة ، لأنه لا مزيد في بُعد الشيء عن العيون على أن يكون وجوده ممتنعًا أصلاً حتى لا يُتصوَّرَ إلا في الوهم .

وإذا تركت هذا القسم ونظرت إلى القسم الثاني الذي يدخل في الوجود

نحو قوله :

دُرَّرَ ثُرُنٌ على بِسَاطِ أَرْزِقٍ . ^(٣)

= وجدت العبرة الثانية لا تقوى فيه تلك القوة ، لأنه إذا كان مما يُعلم أنه يوجد ويُعهد بحالٍ = وإن كان لا يتسع بل ينذر ويقل = فقد دنا من الوقوع في الفكر والتعرض للذكرِ دُنُوًا لا يدنوهُ الأول الذي لا يُطمع أن يدخل تحت الرؤية للزومه العدم ، وامتناعه أن يجوز عليه إلا التوهم ^(٤) . ولا جرم ، لَمَّا كان الأمر

(١) للنصوري فيما مضى آخر رقم : ١٣٤ .

(٢) للنصوري في تكملة ديوانه ، ومراجعته هناك .

(٣) انظر سلف قريباً رقم : ١٤٣ . والتعليق عليه .

(٤) في مطبوعة ريتز والمخطوطة : « يجوز عليه التوهم » ، والصواب ما أثبتته كافي مطبوعة رشيد

كذلك ، كان للضرب الأول من الرّوعة والحسن ، ولصاحبه من الفضل في قوة الذّهن ، ما لم يكن ذلك في الثاني ، وقوى الحكم بحسب قوة العلة ، وكثّر الوصف الذي هو الغرابة ، بحسب الجالب له .

•••

١٤٥ - وفي هذا التقرير ما تعلم به الطريق إلى التشبيه من أين تَفَاوَتْ

تفاوت التشبيه

/ في كونه غريباً؟ ولِمَ تَفَاضَلْ في مجيئه عجبياً؟ وبأى سبب وجدت عند شيء منه من الهزّة ما لم تجده عند غيره؟ = علماً يُخرجك عن نقيصة التّفليد ، ويرفعك عن طبقة المقتصر على الإشارة ، دون البيان والإفصاح بالعبارة .

٨٤

١٤٦ - وأعلم أن العبرة الثانية التي هي مرور الشيء على العيون ، هو

معنى واحد لا يتكثّر ، ولكنه يقوى ويضعف كما مضى . وأما العبرة الأولى ، وهي التفصيل ، فإنها في حكم الشيء يتكثّر وينضمّ فيه الشيء إلى الشيء . ألا ترى أن أحد التفصيلين يفضل الآخر بأن تكون قد نظرت في أحدهما إلى ثلاثة أشياء ، أو ثلاث جهات ، وفي الآخر إلى شيئين أو جهتين؟ والمثال في ذلك قول بشاره:

[من الطويل]

كأنّ مُثَارَ التُّعْج فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوى كواكبُه (١)

[من الطويل]

= مع قول المتنبي :

يزورُ الأعادي في سماءِ عِجاجةٍ أسنّته في جانبيها الكواكبُ (٢)

[من الكامل]

= أو قول كلثوم بن عمرو :

(١) هو في ديوانه .

(٢) هو في ديوانه .

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ^(١)

التفصيلُ في الأبيات الثلاثة كأنه شيء واحدٌ ، لأن كل واحد منهم يُشبهه لمعان السيوف في العُبار بالكواكب في الليل ، إلا أنك تجد لبيت بشار من الفضل ، ومن كرم الموقع ولطف التأثير في النفس ، ما لا يقبلُ مقداره ، ولا يمكن إنكاره ، وذلك لأنه راعى ما لم يُراعه غيره ، وهو أن جعل الكواكب تهاوى ، فأتمَّ الشَّبه ، وعبر عن هيئة السيوف وقد سلَّت من الأعماد / وهي تعلق وترسب ، وتحمى وتذهب ، ولم يقتصر على أن يُريك لمعانها في أثناء العجاجة كما فعل الآخرون ، وكان لهذه الزيادة التي زداها حظٌّ من الدقة تجعلها في حكم تفصيل بعد تفصيل .

٨٥

وذلك أنا وإن قلنا إن هذه الزيادة = وهي إفادة هيئة السيوف في حركاتها = إنما أتت في جملة لا تفصيل فيها ، فإن حقيقة تلك الهيئة لا تقوم في النَّفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن تعلم أن لها في حال احتدام الحرب ، واختلاف الأيدي بها في الضرب ، اضطراباً شديداً ، وحركاتٍ بسرعة . ثم إن لتلك الحركات جهاتٍ مختلفة ، وأحوالاً تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، وأن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاق وتتناحل ، ويقع بعضها في بعض ويصدم بعضها بعضاً ، ثم أن أشكال السيوف مستطيلة . فقد نَظَم هذه الدقائق كلها في نفسه ، ثم أحضرك صورها بلفظة واحدة ، ونبه عليها بأحسن التنبية وأكملها بكلمة ، وهي قوله : « تَهَاوَى » ، لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها ، وكان لها في تهاويها توافق وتداخل . ثم إنها

(١) كلثوم بن عمرو ، هو العتاني ، من ولد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة ، والبيت في أخبار

أبي تمام : ١٩ ، وغيره .

بالتهاوى تستطيل أشكالها ، فأما إذا لم تُزَلَّ عن أماكنها فهي على صورة الاستدارة .

١٤٧ - ويشبه هذا الموضع في زيادة أحد التشبيهن = مع أن استقصاء التشبيه

جنسهما جنس واحد ، وتركيبهما على حقيقة واحدة = بأن في أحدهما فضل استقصاء ليس في الآخر ، قول ابن المعتز في الأذريون : [من الطويل]

وطاف بها ساق أديبٍ بميزلٍ كخنجرٍ عيارٍ صناعته الفتك^(١)
/ وحمل أذريونة فوق أذنه ككأس عقيق في قرارتها مسك

٨٦

مع قوله : [من الرجز]

مدهن من ذهبٍ فيها بقايا غالية^(٢)

= الأول ينقص عن الثاني شيئاً ، وذلك أن السواد الذى فى باطن

الأذريونة الموضوع بإزاء الغالية والمسك ، فيه أمران :

أحدهما : أنه ليس بشامل لها ، والثاني : أن هذا السواد ليس صورته صورة الدرهم فى قعرها ، أعنى أنه لم يستلذ هناك ، بل ارتفع من قعر الدائرة حتى أخذ شيئاً من سمكها من كل الجهات ، وله فى منقطعها هيئة تشبه آثار الغالية فى جوانب المدهن ، إذا كانت بقية بقيت عن الأصابع . وقوله : « فى قرارتها

(١) هو فى ديوانه ، و « العيار » ، وقوله : « بها » أى بالخمير ، و « العيار » ، أصله النشيط فى المعاصى ، ويريد : الفاتك . و « الأذريون » ، ورد له أوراق حمر فى وسطه سواد . و « القرار » يعنى أسفل جوفها .

(٢) هو فى ديوانه . و « الغالية » . أخلاط من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود وذهن ، لونه إلى السواد ما هو .

مسك» يُبين الأمر الأول ، ويؤمّن من دخول النقص عليه ، كما كان يدخل لو قال : « ككأس عقيق فيها مسك » ، ولم يشترط أن يكون في القرارة .
 وأمّا الثاني من الأمرين ، فلا يدلُّ عليه كما يدلُّ قوله : « بقايا غالية » ، وذلك من شأن المسك والشئ اليابس إذا حصل في شئ مستدير له قعر ، أن يستدير في القعر ولا يرتفع في الجوانب الارتفاع الذي تراه في سواد الأذريونة .
 وأمّا الغالية فهي رطبة ، ثم هي تؤخذ بالأصابع ، وإذا كان كذلك ، فلا بدُّ في البقية منها من أن تكون قد ارتفعت عن القرارة ، وحصلت بصفة شبيهة بذلك السواد ، ثم هي لنعمتها ترقُّ فتكون كالصبيغ الذي لا جرم له يملك المكان ، وذلك أصدق للشبه .

° ° °

١٤٨ - ومن أبلغ الاستقصاء وعجيبه قول ابن المعتز : [من الطويل]

أبلغ الاستقصاء
في التشبيه

كأننا وضوءُ الصُّبحِ يستعجل الدُّجى نُطيرُ غرابًا ذا قوادِمِ جُونٍ (١)

٨٧

/ شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن تكون قوادِمُ ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة تقع في حواشيتها ، من حيث تلى معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيّل منها في العين كشكل قوادِمِ إذا كانت بيضاء .

وتمام التدقيق والسحر في هذا التشبيه في شئ آخر ، وهو أن جعل ضوء الصبح ، لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل ، كأنه يحفز الدُّجى ويستعجلها

(١) هو في ديوانه . و « القوادِم » في الطير عشر ريشات في مقدم الجناح . « الجُون » ، هنا الأبيض وجمعه « جُون » بضم الجيم ، وهو الأسود المُشرب حمرة أيضًا ، من الأضداد .

ولا يرضى منها بأن تَتَمَهَّلَ في حركتها . ثم لما بدأ بذلك أولاً اعتبره في التشبيه آخراً فقال : « نُطِيرُ غَرَابًا » ، ولم يقل : « غراب يطير » مثلاً ، وذلك أن الغراب وكل طائر إذا كان واقعاً هادئاً في مكان ، فأزِعَجَ وأخيف وأطير منه ، أو كان قد حُبس في يد أو قَفَصٍ فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه وأعجل وأمد له وأبعد لأمدِه ، فإن تلك الفَزَعَةَ التي تعرض له من تنفيره ، أو الفرحة التي تُدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته ، ربما دعتَه إلى أن يستمر حتى يغيب عن الأفق ويصير إلى حيث لا تراه العيون ، وليس كذلك إذا طار عن اختيار ، لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول ، وأن لا يُسرِعَ في طيرانه ، بل يمضي على هينته ، ويتحرك حركة غير المستعجل ، فأعرفه .

١٤٩ - وما حقه أن يكون على فرط الاستقصاء في التشبيه وفضل

مثال آخر في
استقصاء التشبيه

العناية بتأكيد ما بُدئ به ، قول أبي نواس في صفة البازي : [من الرجز]

كَانَ عَيْنِيهِ إِذَا مَا أَتَارَا فَصَانَ قِيضًا مِنْ عَقِيْقٍ أَحْمَرًا ^(١)

فِي هَامَةِ غَلْبَاءٍ تَهْدِي مَنْسَرًا كَعَطْفَةِ الْجِيمِ بِكَفِّ أَعْسَرَا

/ أراد أن يشبه المنقار بالجميم ، والجميم خطان : الأول : الذي هو مبدؤه وهو

٨٨

الأعلى ، والثاني : وهو الذي يذهب إلى اليسار ، وإذا لم توصل فلها تعريق كما

لا يخفى ، ^(٢) والمنقار إنما يشبه الخط الأعلى فقط . فلما كان كذلك قال :

(١) « مضى على هينته » ، بكسر الهاء ، أى على عادته في الرفق والسكون .

(٢) هو في ديوانه : « باب الطرد » . يقال : « أثار إليه النظر » : أى أحده إليه وحققه وأتبعه

البصر . وقوله : « قِيضًا » ، أى صيرًا قِيضِينَ ، أى مثلين . و « الغلباء » : الغليظة ، و « المنسَر » ، المنقار

و « الأعرس » والذي يعمل بشماله . وقوله : « فِي هَامَةِ غَلْبَاءٍ تَهْدِي مَنْسَرًا » ، يقول : لا يعمل المنسَر ،

وهو المنقار ، حتى تهديه الهامة وتثريه ، لأن فيها العين ، والنظر أولاً ثم الصيد .

(٣) « التعريق » ، سلف القول فيه في ص : ١٦٧ ، تعليق : ١ .

« كعطفة الجيم » ولم يقل : « كالجيم » ، ثم دَقَّق بأن جعلها بكف أعسر ، لأن جيمَ الأعسر = قالوا = أشبه بالمنقار من جيم الأيمن . ثم إنه أراد أن يؤكد أنَّ الشبهة مقصورٌ على الخط الأعلى من شكل الجيم فقال :

يقول مَنْ فيها بعقل فكَرًا لو زَادَهَا عَيْنًا إِلَى فَاءِ وَرَا^(١)

فَاتَّصَلَتْ بِالْجِيمِ صَارَتْ جَعْفَرًا .

فأراك عيانًا أنه عمَد في التشبيه إلى الخط الأول من الجيم دون تعريقها ، ودون الخط الأسفل . أما أمر « التعريق » وإخراجه من التشبيه فواضح ، لأن الوصل يُسقط التَّعْرِيقَ أصلًا ، وأما الخط الثاني فهو ، وإن كان لا بُدَّ منه مع الوصل ، فإنه إذ قال : « لو زَادَهَا عَيْنًا إِلَى فَاءِ وَرَا » ثم قال : « فاتصلت بالجيم » ، فقد بيَّن أن هذا الخط الثاني خارجٌ أيضًا من قصده في التشبيه ، من حيث كانت زيادة هذه الحروف ووصلها هي السبب في حدوثه . وينبغي أن يكون قوله : « بالجيم » ، يعنى بالعطفة المذكورة من الجيم . ولأجل هذه الدقة قال :

« يقول مَنْ فيها بعقل فكَرًا » ، فمهَّد لِمَا أراد أن يقول ، ونَبَّه على أنَّ بالمشبه حاجة إلى فضل فكرٍ ، وأن يكون فكره فكر من يراجع عقله ويستعينه على تمام البيان .^(٢)

•••

١٥٠ - وجملة القول أنك متى زدت في التشبيه على مراعاة وصف

٨٩

واحد أو جهة واحدة ، فقد دخلت في التفصيل والتركيب ، وفتحت / باب التفاضل ،^(٣) ثم تختلف المنازل في الفضل ، بحسب الصورة في استفادك قوَّة الاستقصاء ، أو رضاك بالعفو دون الجهد .

(١) هو في ديوانه أيضًا من تمام الأرجوزة .

(٢) في المخطوطة والمطبوعتين : « أن يكون فكره فكرة » ، والصواب المحض ما أثبت .

(٣) في المطبوعتين : « باب التفاصيل » وفي المخطوطة كتب : « باب التفاضل » ، ووضع ضمة

على الضاد المعجمة ، والذي أثبتَّه هو الصواب المحض .

فصل

١٥١ - أعلم أن مما يزدادُ به التشبيهُ دقَّةً وسيحراً ، أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات . والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين :

التشبيه في الهيئات
التي تقع عليها
الحركات

أحدهما : أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما .

والثاني : أن تُجرَّد هيئة الحركة حتى لا يُراد غيرها .

فمن الأوّل قوله :

والشمسُ كالمرآة في كَفِّ الأَشَلِّ .^(١)

أراد أن يُريك مع الشَّكل الذي هو الاستدارة ، ومع الإشراق والتلاؤز على الجملة ، الحركة التي تراها للشمس إذا أنعمت التأمل ، ثم ما يحصل في نُورها من أجل تلك الحركة . وذلك أن للشمس حركةً متصلةً دائمةً في غاية السرعة ، ونورها بسبب تلك الحركة تموج واضطراب عَجَبٌ ، ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون المرآة في يد الأَشَلِّ ، لأن حركتها تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وقلق شديد ، حتى ترى المرآة لا تقر في العين . وبدوام الحركة وشدة القلق فيها ، يتموج نور المرآة ، ويقع الاضطراب الذي كأنه يسحر الطرف ، وتلك حال الشمس بعينها حين تُجدُّ النظر وتنفذ البصر ، حتى تتبين الحركة العجيبة في جرمها وضوئها ، فإنك ترى شعاعها كأنه يهْمُ بأن ينسبط حتى يفيض من جوانبها ، ثم يبلو له فيرجع في الانبساط الذي بدأه ، إلى انقباض كأنه يجمعه من جوانب الدائرة إلى الوسط ، وحقيقة حالها في ذلك مما لا يكمل البصر

(١) مضي في رقم : ١٣٤ .

٩٠ لتقريره وتصويره في النفس ، فضلاً عن أن تكمل العبارة لتأديته ، ويبلغ البيان /
كُنْه صورته .

ومثل هذا التشبيه ، وإن صُوِّر في غير المرآة ، قول المهلبى الوزير : [من السريع]

الشمس من مشرقها قد بدت مُشْرِقَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبُ
كَأَنَّهَا بُوتَقَةٌ أُحْمِيَتْ يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ

وذلك أن الذهب الذائب يتشكل بأشكال البوتقة ، فيستدير إذا كانت البوتقة على النار ، فإنه يتحرك فيها حركةً على الحد الذي وصفت لك ، وما في طبع الذهب من التعمومة ، وفي أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، يمنع أن يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه ، مما يتخلله الهواء فيرتفع وسطه ارتفاعاً شديداً ، ولكن جُمَلته كأنها تتحرك بحركة واحدة ، ويكون فيها ما ذكرت من انبساط إلى الجوانب ، ثم انقباض إلى الوسط ، فأعرفه .

١٥٢ - ومن عجيب ما جُمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة ، قول

عجيب ما جمع فيه
بين الشكل وهيئة
الحركة

[من الرجز]

الصنوبرى :

كَأَنَّ فِي غُذْرَانِهَا حَوَاجِبًا ظَلَّتْ تُمَطُّ^(١)

أراد ما يبدو في صَفْحَة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ، ثم إنك تراها تمتد امتداداً يَنْقُص من انحنائها وتَحْدُبها ، كما تُباعَد بين طرفي القوس وتتشبهما إلى نَاحِيَة الظهر ، كأنك تُقَرِّبها من الاستواءِ وتَسْلُبُها بعض شكل التقوس ، الذي هو إقبال طرفيها على الآخر . ومتى حدثت هذه الصفة في تلك

(١) هو في ديوانه من قصيدة طويلة .

الأشكال الظاهرة على متون العُدران ، كانت أشبه شيء بالحواجب إذا مُدَّتْ ،
لأن الحجاب لا يخفى تقويسه ، ومُدّه ينقص من تقويسه .

١٥٣ - ومن لطيف ذلك أيضاً : أعنى الجمع بين / الشكل وهيئة
الحركة ، قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض : [من الكامل]

بَكَرَتْ تُعِيرُ الْأَرْضَ ثُوبَ شَبَابٍ رَجِيَّةٌ مَحْمُودَةٌ الْإِسْكَابِ (١)
نَثَرَتْ أَوَائِلَهَا حَيًّا فَكَأَنَّهُ نَقَطٌ عَلَى عَجَلٍ يَبْطِنُ كِتَابٍ

١٥٤ - (٢) وَأَمَّا هَيْئَةُ الْحَرَكَةِ مَجْرَدَةً مِنْ كُلِّ وَصْفٍ يَكُونُ فِي الْجِسْمِ ،
فَيَقَعُ فِيهَا نَوْعٌ مِنَ التَّرْكِيبِ ، بَأَن يَكُونُ لِلْجِسْمِ حَرَكَاتٌ فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
نَحْوُ أَنَّ بَعْضَهَا يَتَحَرَّكُ إِلَى يَمِينٍ وَبَعْضٌ إِلَى شِمَالٍ ، وَبَعْضٌ إِلَى فَوْقٍ وَبَعْضٌ إِلَى
قُدَامٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَكَلِمَا كَانَ التَّفَاوُتُ فِي الْجِهَاتِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ أَعْضَاءُ الْجِسْمِ
إِلَيْهَا أَشَدَّ ، كَانَ التَّرْكِيبُ فِي هَيْئَةِ الْمُتَحَرِّكِ أَكْثَرَ ، فَحَرَكَةُ الرَّحَا وَاللُّؤْلَابِ
وَحَرَكَةُ السَّهْمِ لَا تَرْكِيبُ فِيهَا ، لِأَنَّ الْجِهَةَ وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ فِي حَرَكَةِ الْمُصْحَفِ فِي
قَوْلِهِ :

فَانطَبَاقًا مَرَّةً وَأَنْفَتَاحًا . (٣)

= تَرْكِيبٌ ، لِأَنَّهُ فِي إِحْدَى الْحَالَتَيْنِ يَتَحَرَّكُ إِلَى جِهَةٍ غَيْرِ جِهَتِهِ فِي الْحَالَةِ
الْأُخْرَى .

(١) هما في ديوانه . « رَجِيَّةٌ » ، يعنى مطر شهر رجب ، و « الْحَيَّا » ، المطر .

(٢) انظر الوجه الثاني في رقم : ١٥١ .

(٣) مضى برقم : ١٣١ .

١٥٥ - فمما جاء في التشبيه معقودًا على تجريد هيئة الحركة ،
ثم لَطْفٌ وَغُرْبٌ لما فيه من التفصيل والتركيب ، قولُ الأعشى يصف السفينةَ في
البحر وتقاذفُ الأمواج بها : [من الكامل]

يَقْصُ السَّفِينُ بِجَانِبِيهِ كَمَا يَنْزُو الرُّبَا حُ خَلَا لَهُ كَرَعٌ ^(١)

« الرُّبَا حُ » الفصيل ، وقيل : القرد . و « الكَرَعُ » ماء السماء . شبه
السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزوه . وذلك أن الفصيل إذا
نَزَا ، ولا سيما في الماء ، وحين يعتريه ما يعترى المَهْرَ ونحوه من الحيوانات التي
هي في أول النَّشْءِ ، كانت له حركات متفاوتة تصيرُ لها أعضاؤه في جهات
مختلفة ، ويكون هناك تسفُّلٌ وتصعُّدٌ على غير ترتيب ، وبمحيث تكاد تدخل
إحدى / الحركتين في الأخرى ، فلا يتبينه الطرفُ مرتفعًا حتى يراه منحطًا
متسفلاً ، ويَهْوَى مرَّةً نحو الرأس ومرَّةً نحو الذنب ، وذلك أشبهُ شيء بحال
السَّفِينَةِ وهيئة حركاتها حين يتدافعها الموجُ .

١٥٦ - ونظيره قول الآخر ، يصف الفصيل وهو يثُبُّ على الناقة
ويعلوها ويُلقي نفسه عليها ، لأنها قد بركت فلا يتمكن من أن يرتضع ، فهو
يفعل ذلك لِتَثُورِ الناقة : [من الرجز]

يَقْتَاعُهَا كُلُّ فَصِيلٍ مُكْرَمٍ كَالْحَبِشِيِّ يَرْتَقِي فِي السَّلْمِ ^(٢)

« يقتاعها » « يفتعل » من قولهم : « قاع البعير الناقة ، إذا ضربها ، يَقْوَعُهَا

(١) ليس في ديوانه المطبوع ، ولا في ديوانه المخطوط عندي . و « تقص » ، يقال : « وَقَصَّتْ بِهِ راحلته » ، إذا نَزَّتْ ووَثِبَتْ .

(٢) هو في اللسان (قوع) ، عن نعلب ، وقال : « يقتاعها ، يقَعُ عليها ، وقال : هذه ناقة طويلة ، وقد طال عليها فصلانها فركبها » .

قَوْعًا ، أراد يعلوها وَيَثْبُتُ عليها ، وشبّه بالحبشي في هذه الحالة المخصوصة ، لما يكون له عند ارتقائه في السُّلَّم من تَصْعُدٍ بعض أعضاءه وتسفُّل بعض ، على اضطراب مفرطٍ وغيثرة شديدة ، ^(١) وذلك كما ترى في أنه اختلافٌ في جهات أبعاض الجسم على غير نظام مضبوط ، كحركات الفصيل في الماء وقد خلا له .

وقد عرَّفْتُك أن الاختلاف في جهات الحركات الواقعة في أبعاض الجسم ، كالتركيب بين أوصاف مختلفة ، ليحصل من مجموعها شبه خاص .

°°°

١٥٧ - وأعلم أن هذه الهيئات يغلبُ عليها الحكم المستفاد من العبرة الثانية . ^(٢) وذلك أن كل هيئة من هيئات الجسم في حركاته إذا لم يتحرك في جهة واحدة ، فمن شأنها أن تَقِلَّ وتعزَّ في الوجود ، فبإعدها ذلك أيضًا من أن تقع في الفكر بسرعة ، زيادة مبالغة مضمومة إلى ما يوجب حديث التركيب والتفصيل فيها . ألا ترى أن الهيئة التي اعتمدها في تشبيه البرق بالمصحف ، ليست تكون إلا في النادر من الأحوال ، وبعد عمْدٍ من الإنسان ، وخروجٍ عن العادة ، ويقصدٍ خاصٍّ أو عَبَثٍ غالب على النفس غير معتاد ؟ وهكذا حال الفصيل في وثوبه على أمه ليثيرها واستنائه في الماء ونزوره ، ^(٣) كما توجه رؤيته الماء خاليًا .

هيئات الحركة

٩٣

(١) في المخطوطة ومطبوعة رشيد رضا « وغلثارة » وكتبها ريتير « وغيثرة » ، وأصاب . قال الأسمى : « تركت القوم في غيثة وغيثمة » : أي في قتال واضطراب ، وقال في اللسان : « وقولهم : كانت بين القوم غيثة شديدة ، قال ابن الأعرابي : هي مداوسة القوم بعضهم بعضًا في القتال » . ولا أستبعد أن يكون عبد القاهر قد كتب « غلثارة » ، وهو يعني الاضطراب . وإن لم تكن كتب اللغة . قد نصت عليه .

(٢) « العبرة الثانية » ، مضت في رقم : ١٣٦ .

(٣) « استنائه » ، يقال : « استنَّ الفرس استنًا » ، أي قمص ونزا ووثب من نشاطه .

وِطْبَاعُ الصُّغْرِ وَالْفَصِيلِيَّةُ مِمَّا لَا يُرَى إِلَّا نَادِرًا . وليس الأمر في هذا النحو كالأمر في حركة الثُّولَابِ والرَّحَا والسَّهْمِ ونحو ذلك من الحركات المعتادة التي تقع في مَصَارِفِ العَيُونِ كثيرًا .

ومما يَقْوَى فيه أن يكون سببُ غرابته قَلَّةُ رُؤْيَةِ العَيُونِ له ، ما مضى من تشبيه الشمس بالمرآة في كَفِّ الأَشْلَلِ ، وذلك أن الهَيْئَةَ التي تراها في حركة المرآة إذا كانت في كَفِّ الأَشْلَلِ ، مما يُرَى نَادِرًا وفي الأَقْلَلِ ، فرمما قضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة في يد مرتعش . هذا ، وليس موضع الغرابة من التشبيه دوام حركة المرآة في يد الأَشْلَلِ فقط ، بل النكتهُ والمقصودُ فيما يتولَّد من دوام تلك الحركة من الاتِّمَاعِ وتَمَوُّجِ الشعاع ، وكونه في صورة حركاتٍ من جوانب الدائرة إلى وسطها . وهذه صفةٌ لا تقوم في نفس الرائي المرآة الدائمة الاضطراب ، إلا أن يستأنف تأملًا ، وينظر متشبِّتًا في نظره متمهلاً . فكأن ههنا هيئتين كلتاهما من هيئات الحركة : إحداهما : حركة المرآة على الخصوص الذي يوجه ارتعاش اليد = والثانية : حركة الشعاع واضطرابه الحادث من تلك الحركة . وإذا كان كون المرآة في يد الأَشْلَلِ مما يُرَى نَادِرًا ، ثم كانت هذه الصفة التي هي كائنة في الشعاع ، إنما تُرَى وتُدْرَك في حال رؤية حركة المرآة بجهِدٍ وبعد استئناف /
١٤ إعمالٍ للبصر ، فقد بُعدت عن حدِّ ما تُعتاد رؤيته مرّتين ، ودخلت في النادر الذي لا تألفه العيون من جهتين ، فأعرفه .

•••

هيئة السكون
في التشبيه

١٥٤ - وأعلم أنه كما تُعتَبَرُ هيئة الحركة في التشبيه ، فكذلك تُعتَبَرُ هيئة السكون على الجملة وبحسب اختلافه ، نحو هيئة المضطجع وهيئة الجالس ونحو ذلك . فإذا وَقَعَ في شيء من هيئات الجسم في سكونه تركيبٌ وتفصيلٌ ،

لَطْفَ التشبيهِ وَحَسُنَ . فمن ذلك قول ابن المعتزّ يصف سَيْلًا : [من المتقارب]

فلما طَعَا مأوهُ في البلادِ وَعَصَّ به كُلُّ وادٍ صَدَى ^(١)
تَرَى الثورَ في مَتْنِه طافِيًا كضَجَّةِ ذِي التاجِ في المَرْقِدِ

وكقول المتنبي في صفة الكلب :

[من الرجز]

يُقَعِي جُلوسَ البَدَوِيِّ المُصْطَلِي . ^(٢)

= فقد اختصَّ هيئة البدوي المصطلي ، في تشبيه هيئة سكون أعضاء الكلب ومواقعها فيها . ولم يَنَلْ التشبيهُ حظًا من الحسن ، إلا بأن فيه تفصيلًا من حيث كان لكل عُضْوٍ من الكلب في إقعائه موقعٌ خاصٌّ ، وكان مجموع تلك الجهات في حكم أشكال مختلفة تؤلف فتجىء منها صورة خاصة .

١٥٥ - ومن لطيف هذا الجنس قوله : في صفة المصلوب :

مثال منه

[من البسيط]

كأنه عاشقٌ قد مَدَّ صفحَتَهُ يومَ الوداعِ إلى توديعِ مرثَلٍ ^(٣)
أو قائمٌ من نِعاسٍ فيه لُوثُهُ مُواصلٌ تمطُّيهِ من الكَسَلِ

ولم يلطف إلا لكثرة ما فيه من التفصيل ، ولو قال : « كأنه متمطٌّ من نِعاسٍ » واقتصر عليه ، كان قريب المتناول ، لأن الشبه إلى هذا القدر يقع في

(١) هو في ديوانه ، وبين البيتين قوله :

وسال بأكثر طافى الغناء عميق الثرى ، صحب مزيد

(٢) هو في ديوانه .

(٣) هما للأخطل ، محمد بن عبد الله بن شعيب ، مولى بنى مخزوم ، ويلقب : « برقوقاً » والشعر

في طبقات الشعراء لابن المعتز : ٤١٣ ، والكامل للمبرد : ٩٤٤ ، (طبعة محمد أحمد النال ، دمشق) ،

وسمط اللأئي : ٥٩٥ ، ومعجم الشعراء : ٤٣٢ . و « اللوثة » ، بضم اللام ، الاسترخاء والضعف .

نفس الرأي المصلوب ، لكونه من حَدِّ الجملة . فأما بهذا الشرط وعلى هذا التقييد
الذى يفيد به استدامة تلك / الهيئة ، فلا يحضر إلا مع سَفَرٍ من الخاطر ، وقُوَّةِ
من التأمل ، وذلك لحاجته أن ينظر إلى غير جهة فيقول : « هو كالتَمْطَى » ، ثم
يقول : التَمْطَى يمدّ ظهره ويديه مَدَّةً ، ثم يعود إلى حالته ، فيزيد فيه أنه مُوَاصِلٌ
لذلك ، ثم إذا أراد ذلك طلب عِلَّتَهُ ، وهى قيام اللوثة والكسَل في القائم من
الناس .

وهذا أصلٌ فيما يزيد به التفصيل ، وهو أن يُثَبَّت في الوصف أمرٌ زائدٌ
على المعلوم المتعارف ، ثم يُطلب له عِلَّةٌ وسببٌ .

= ويُشبه التشبيهية في البيت قول الآخر ، وهو مذكور معه في الكتب :

[من السريع]

لم أرَ صَفًّا مثلَ صَفِّ الرُّطِّ تَسْعِينِ منهم صُلبوا في حَطِّ^(١)
من كُلِّ عالٍ جَذَعُه بالشَطِّ كأنه في جِذَعِه المُشْتَطِّ
أخو نُعاسٍ جَدِّ في التَمْطَى قد خامر النومَ ولم يَغِطِّ

فقوله : « جدِّ في التَمْطَى » ، شرطٌ يُتمَّ التشبيه ، كما أن قوله : « مواصِلٌ »
كذلك ، إلا أن في اشتراط المواصلة من الفائدة ما ليس في هذا ، وذلك أنه يجوز
أن يباليغ ويبتهد ويَجِدُّ في تَمْطِيهِ ، ثم يدع ذلك في الوقت ، ويعود إلى الحالة التى
يكون عليها في السلامة مما يدعو إلى التمدُّد . وإذا كان كذلك ، كان المستفاد
من هذه العبارة صورةُ التَمْطَى وهيئته الخاصَّة ، وزيادةُ معنى ، وهو بلوغُ الصفة

(١) هو لدعلج بن على الخزاعي في ديوانه ، وهو مذكور مع البيتين السالفين في كتاب الكامل
للمبرِّد ٢ : ٩٤٣ (طبعة محمد أحمد الدالى ، دمشق) « خامر النوم » ، خالطه ، « ولم يَغِطِّ » ، من غطيط
النائم ، وهو صوت شخيره .

غاية ما يمكن أن يكون عليها . وهذا كله مستفاد من الأول . ثم فيه زيادة أخرى ، وهو أخصُّ ما يُقصد من صفة المصلوب ، وهي الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها . فأما قوله بعدُ : « قد خامر النوم ولم يَغْطُ » ، فهو = وإن كان كأنه يحاول أن يُرِنّا هذه الزيادة من حيث يُقال : إنه إذا أخذ النعاسُ / فتمطى ثم خامر النوم ، فإن الهيئة الحاصلة له من جدّه في التمطى تبقى له = فليس يبالغ مبلغ قوله : « مواصل تمطيه » . وتقييده من بعدُ بأنه « من الكسل » ، واحتياطه قبل بقوله : « فيه لوثته »

٩٦

= وشبيهه بالأول في الاستقصاء قول ابن الرومي :

[من الطويل]
 كأنّ له في الجوّ حبلاً يُبوعه إذا ما انفضى حبْلٌ أُتبع له حبْلٌ ^(١)
 يعارضُ أنفاسَ الرّيح مُودّعاً وداعَ رَجيل لا يحطُّ له رَحْلٌ

= فاشترطه أن يكون له بعد الحبل الذي ينتهي ذرعه حبْلٌ آخر يخرج من بوع الأول إليه ، كقوله : « مواصل تمطيه من الكسل » ، في استيفاء الشبه ، والتبنيه على استدامته ، لأنه إذا كان لا يزال يُبوع حبلاً لم يقبض باعه ولم يُرسل يده ، وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال ، فأعرفه .

ooo

الموازنة بين التشبيهين في الحاجة إلى التأمل ١٥٦ - وأعلم أن من حقك أن لا تضع الموازنة بين التشبيهين في حاجة أحدهما إلى زيادة من التأمل على وقتنا هذا ، ولكن تنظر إلى حالهما في قوَى العقل ولم تسمع بواحد منهما ، فتعلم أن لو أرادهما مريدٌ ، أو آتفقا له جميعاً ولم يكن قد سمع بواحد منهما أيهما كان يكون أسهل عليه ، وأسرع إليه ،

(١) بيتان مفردان في ديوانه . « باع الحبل يُبوعه » ، مدّ يديه معه حتى صار باعاً .

وأعطى يديه ، وأبهما تجده أدلّ على ذكاء مَنْ تسمعه منه ، وأرجى لِتَخْرُجَ مَنْ يقوله . وذلك أن تقابل بين تشبيه النُّجُوم بالمصاييح والمصاييح بها ، وبين تشبيه سَلِّ السيوف بعقائق البرق وتشبيهها بسَلِّ السيوف ، فإنك تعلم أن الأوّل يقع في نفس الصبىّ أوّل ما يُحسّ بنفسه ، وأنّ الثاني لا يُجيب إجابته ، ولا يُبذل طاعته = وكذلك تعلم أنّ تشبيه الثريا / بنور العنقود ، لا يكون في قُرب تشبيهها بتفتّح النور = وأنّ تشبيه الشمس بالمرآة المجلّوة كما مضى ، يقع في نفس الغرّ العامى والصبىّ ، ولا يقع تشبيهها بالمرآة في كَفِّ الأشلّ إلا في قلب المميّز الحصيف ، وتشبيهها في حركتها تلك بمرآة تضطرب على الجملة ، من غير أن تُجعل في كَفِّ الأشلّ ، قد يقع لمن لا يقع له بهذا التقييد ، وذلك لما مضى من حاجته إلى الفكرة في حال الشمس ، وأنّ حركتها دائمة متصلة ، ثم طلب متحرّك حركة غير اختيارية ، وجعل حركة المرآة صادرة عن تلك الحركة ومأسورة في حكمها دائماً .^(١)

° ° °

شروع التشبيه
وابتدائه

١٥٧ - وإنما اشترطت عليك هذا الشرط لأنه لا يمتنع أن يسبق الأوّل إلى تشبيه لطيف بحسن تأمله وحِدّة خاطره ، ثم يشيع ويتسع ، ويُذكر ويُشهر حتى يخرج إلى حدّ المبتدل ، وإلى المشترك في أصله ، وحتى يجرى مع دقة تفصيل فيه مجرى الجمل الذي تقوله الوليدة الصغيرة والعجوزة الورهاء ،^(٢) فإنك تعلم أن قولنا : « لا يُشَقُّ غُباره » الآن في الابتدال كقولنا : « لا يُلْحَق ولا يُدرِك » ، و« هو كالبرق » ونحو ذلك ، إلّا أنّنا إذا رجعنا إلى أنفسنا علمنا أنه

(١) أسقط ريتز قوله : « دائماً » ، وهي ثابتة في مطبوعة رشيد رضا .

(٢) « الورهاء » ، الحمقاء .

لم يكن كذلك من أصله ، وأن هذا الابتدال أتاه بعد أن قَضِيَ زمانًا بطراءة الشباب وجِدَّة الفتاء وبعزّة المنيع ، ولو قد مَنَعَكَ جانبه وطوى عنك نفسه ، لعرفت كيف يَشْتُقُّ مطلبُهُ ويصعُبُ تناوله .

ومثّل هذا وأظهر منه أمرًا أن قولنا : « أَمَا بَعْدُ » ، منسوب في الأصل إلى واحد بعينه ، وإن كان الآن في البذلة كقولنا : « هذا بعد ذاك » ، مثلًا .

وهكذا الحكم في الطرق التي ابتدأها الأُولون ، والعبارات / التي لخصها المتقدمون ، والقوانين التي وضعوها حتى صارت في الاشتراك كالشيء المشترك من أوّله ، والمبتدّل الذي لم يكن الصَّوْنُ من شأنه ، والمبنول الذي لم يعترض دونه المنع في شيء من زمانه . ورُبَّ نَفِيسٍ جُلب إليك من الأمكنة الشاسعة ، ورُكِبَ فِيهِ التَّوَى الشَّطُونُ ، ^(١) وقُطِعَ بِهِ عَرْضُ الفَيَافِي ، ثم أَخْفَى عَنْكَ فَضْلَهُ حتى جَهَلْتَ قدره أن سَهْلَ مَرَامِهِ ، واتسع وجوده ، ولو انقطع مَدَدُهُ عَنْكَ حتى تحتاج إلى طلبه من مِظَنَّتِهِ ، لعلمت إحسان الجأئ به إليك ، والجالب المقرب نَيْلَهُ عَلَيْكَ ، ولأكثر من شكره بعد أن أقللت ، وأخذت نفسك بتلافي ما أهملت .

وكذلك رُبَّ شيء نال فوق ما يستحقّه من شَغَفِ النفوس به ، وأكثر مما توجهه المنافع الراجعة إليه ، لأنه لا يتسع اتِّسَاعُ الأوّل الذي فوائده أعمُّ وأكثر ، ووجودُ العَوْضِ عنه عند الفقد أَعْسَرُ ، فَكَسَبَتْ عِزَّةُ الوجود هذا عِزًّا لم يستحقّه بفضله ، كما منعت سَعْتُهُ الآخر فضلًا هو ثابت له في أصله .

(١) « الشَّطُونُ » ، البعيدة .

خير عبد الرحمن بن
حسان

١٥٨ - ويتصل بهذا الموضع حديث عبد الرحمن بن حسان ، وذلك أنه رجع إلى أبيه حسان وهو صبي ، يبكي ويقول : « كَسَعْنِي طَائِرٌ » ، فقال حسان : « صِفْهُ يَا بَنِي » ، فقال : « كَأَنَّهُ مُلْتَفٌّ فِي بُرْدَى حَبْرَةَ » ، وكان لسَعُهُ زُنْبُورٌ ، فقال حسان : « قَالَ أَيْبَى الشَّعْرِ وَرَبُّ الكَعْبَةِ ! » = أفلا تراه جعل هذا التشبيه مما يُسْتَدَلُّ به على مقدار قُوَّةِ الطَّبِيعِ ، ويُجْعَلُ عِيَارًا فِي الفَرْقِ بَيْنَ الذَّهْنِ المُسْتَعَدِّ للشَّعْرِ وَغَيْرِ المُسْتَعَدِّ لَهُ ، وَسَرَّهُ ذَلِكَ مِنْ ابْنِهِ كَمَا سَرَّهُ نَفْسَ الشَّعْرِ حِينَ قَالَ فِي وَقْتِ آخَرَ :

٩٩ / اللَّهُ يَعْلَمُ أَسَى كُنْتُ مُنْتَبِذًا فِي دَارِ حَسَانَ أَصْطَاذُ الْيَعَاسِيَا ^(١)
فَإِنْ قَلَّتْ : إِنْ التَّشْبِيهِ يُتَصَوَّرُ فِي مَكَانِ الصَّبْغِ وَالنَّقْشِ الْعَجِيبِ ،
وَلَمْ يُعْجِبْ حَسَانَ هَذَا ، وَإِنَّمَا أَعْجَبَهُ قَوْلُهُ : « مُلْتَفٌّ » ، وَحَسُنَ هَذِهِ الْعِبَارَةُ ،
إِذْ لَوْ قَالَ : « طَائِرٌ فِيهِ كَوْشِي الْحَبْرَةِ » ، لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذَا الْمَوْقِعُ ، فَهُوَ أَنْ يَكُونَ
مُشَبَّهًا مَا أَنْتَ فِيهِ ، فَمِنْ حَيْثُ دِلَالَتُهُ عَلَى الْفِطْنَةِ فِي الْجُمْلَةِ .

قِيلَ : مُسَلِّمٌ لَكَ أَنْ نَكْتَةَ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : « مُلْتَفٌّ » ، وَلَكِنْ لَا يَسَلِّمُ
أَنَّهُ خَارِجٌ مِنَ الْعَرَضِ ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْمَرَادِ مِنَ التَّشْبِيهِ وَتَمَامُهُ فِيهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَفِيدُ
الْهَيْئَةَ الْخَاصَّةَ فِي ذَلِكَ الْوَشْيِ وَالصَّبْغِ وَصُورَةَ الزُّنْبُورِ فِي اكْتِسَائِهِ لَهَا ، وَيُؤَدِّي
الشَّبَهَ كَمَا مَضَى مِنْ طَرِيقِ التَّفْصِيلِ دُونَ الْجُمْلَةِ ، فَمَا ظَنَنْتَ أَنَّهُ يُبْعِدُهُ عَمَّا نَحْنُ
بِصَدَدِهِ ، هُوَ الَّذِي يُدْنِيهِ مِنْهُ ، وَلَقَدْ نَفَيْتَ الْعَيْبَ مِنْ حَيْثُ أَرَدْتَ إِثْبَاتَهُ .

(١) الخبير والشعر في الكامل للميرد ١ : ٣٤٢ ، (طبعة محمد أحمد الدالي ، دمشق)
و « الْحَبْرَةُ » مِنَ الْبُرُودِ وَالنِّيَابِ مَا كَانَ مَوْشِيًّا مُخَطَّطًا .

فصل

في التشبيه المتعدد والفرق بينه وبين المركب^(١)

الفرق بين التشبيه
المتعدد والتشبيه
المركب

١٥٩ - أعلم أنني قد قدمت بيان المركب من التشبيه، وههنا ما يُذكر مع الذي عرفتكم أنه مركب ويُقرن إليه في الكتب، وهو على الحقيقة لا يستحق صفة التركيب، ولا يشارك الذي مضى ذكره في الوصف الذي له كان تشبيهاً مركباً. وذلك أن يكون الكلام معقوداً على تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة، إلا أن أحدهما لا يداخل الآخر في الشبه، ومثاله قول امرئ القيس: [من الطويل] كأن قلوب الطير، رطباً ويابساً، لدى وكرها العناب والحشف البالي^(٢)

وذلك أنه لم يقصد إلى أن يجعل بين الشيين اتصالاً، وإنما أراد اجتماعاً في مكانٍ فقط. كيف؟ ولا يكون لمضامة الرطب من القلوب اليابس / هيئة يُقصد ذكرها، أو يُعنى بأمرها، كما يكون ذلك لتباشير الصبح في أثناء الظلماء، وكون الشقيقة على قامتها الخضراء، فيؤدى ذلك الشبه الحاصل من مُداخلة أحد المذكورين الآخر واتصاله به، اجتماع الحشف البالي والعناب. كيف؟ ولا فائدة لأن ترى العناب مع الحشف، أكثر من كونهما في مكان واحد، ولو أن اليابسة من القلوب كانت مجموعة ناحية، والرطوبة كذلك في ناحية أخرى، لكان التشبيه بحاله. وكذلك لو قرنت التشبيه فقلت: « كأن الرطب من القلوب عناب، وكان اليابس حشف بال »، لم تر أحد التشبيهن

(١) زيادة من مطبوعة رشيد رضا.

(٢) هو لامرئ القيس في ديوانه في قصيدته البالغة الجودة. و « الحشف »، من التمر ما لم يتبو، فإذا يبس صلب وفسد، لا طعم له ولا لِحاء ولا حلاوة.

موقوفاً في الفائدة على الآخر ، وليس كذلك الحكم في المركبات التي تقدّمت .
 ١٦٠ - وقد يكون في التشبيه المركب ما إذا فضضت تركيبه وجدت
 أحد طرفيه يخرج عن أن يصلح تشبيهاً لما كان جاء في مقابلته مع التركيب .
 بيان ذلك أن « الجلال » في قوله :

كَطْرِيفٍ أَشْهَبٍ مُلْقَى الْجِلَالِ .^(١)

= في مقابلة الليل ، وأنت لو قلت : « كأن الليل جلال » وسكّث
 لم يكن شيئاً .

وقد يكون الشيء منه إذا فضّ تركيبه استوى التشبيه في طرفيه ، إلا أن
 الحال تتغير ، ومثال ذلك قوله :

وكان أجرامَ النجومِ لوامعاً دُرَّرَ تُثْرَنَ على بساطِ أزرقٍ^(٢)

فأنت وإن كنت إذا قلت : « كأن النجوم دُرَّرَ ، وكان السماء بساطاً
 أزرق » ، وجدت التشبيه مقبولاً معتاداً مع التفريق ، فإنك تعلم بعد ما بين
 الحالتين ، ومقدار الإحسان الذي يذهب من البين . وذلك أن المقصود من التشبيه
 أن يُرِيكَ الهَيْئَةَ التي تملأ النواظر عجباً وتستوقف / العيون وتستنطق القلوب بذكر الله
 تعالى من طلوع النجوم مؤلفة مُفْتَرَقَةً في أديم السماء وهي زرقاء زُرْقَتها الصافية
 التي تخدع العين ، والنجوم تتلألأ وتبرق في أثناء تلك الزرقة ، ومن لك بهذه الصورة
 إذا فرقت التشبيه ، وأزلت عنه الجمع والتركيب ؟ وهذا أظهر من أن يخفى .

(١) مضى في رقم : ١٤١ .

(٢) مضى في آخر رقم : ١٣٤ .

١٦١ - وإذ قد عرفت هذه التفاصيل ، فأعلم أن ما كان من التركيب في صورة بيت امرئ القيس ، فإنما يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا لأن للجمع فائدة في عين التشبيه . ونظيره أن للجمع بين عدّة تشبيهات في بيت كقوله : [من الوافر]

بَدَتْ قَمْرًا ، وَمَاسَتْ حُحُوطَ بَابٍ ، وَفَاحَتْ عَنبْرًا ، وَرَنَّتْ غَزَالًا ^(١)

= مكانًا من الفضيلة مرموقًا ، وشأوا ترى فيه سابقًا ومسبوقًا = لا أن حقائق التشبيهات تتغير بهذا الجمع ، أو أن الصور تتداخل وتركب وتأتلف ائتلاف الشككين يصيران إلى شكل ثالث . فكون قدها كحُوط البان ، لا يزيد ولا ينقص في شبه الغزال حين ترنو منه العينان . وهكذا الحكم في أنها تفوح فَوْحَ العنبر ، ويلوح وجهها كالقمر . وليس كذلك بيت بشار : « كَأَنَّ مِثَارَ النَّعَمِ » ، ^(٢) لأن التشبيه هناك كما مضى مركب وموضوع على أن يُرِيكَ الهَيْئَةَ التي ترى عليها النَّعَمَ المظلم ، والسيوف في أثنائه تَبْرِقُ وتُومِضُ وتعلو وتنخفض ، وترى لها حركات من جهات مختلفة كما يوجبها الحال حين يَحْمَى الجِلَادُ ، ^(٣) وترتكض بفرسانها الجياد .

= كما أن قول رؤبة مثلاً : [من الرجز]

فِيهَا خَطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَيَلْقَى كَأَنَّهَا فِي الْجِلْدِ تَوَلُّعُ الْبَهْقِ ^(٤)

(١) هو للمتنبى في ديوانه .

(٢) مضى في رقم : ١٤٦ .

(٣) « الجِلَادُ » ، التضارُب بالسيوف .

(٤) هو في ديوانه . و « الْبَلَقُ » ، يعنى هنا البياض ، وأصله سواد وبياض . و « الْبَهْقُ » بياض

يعترى الجسم بخلاف لونه ، وهو دون البرص ، و « التوليع » ، أن يكون في ساض بلقه استطلاعة وتفرق .

١٠٢ / ليس القَصْدُ فيه أن يُرِيكَ كل لونٍ على الانفراد ، وإنما القَصْدُ أن يُرَى
الشَّبه من اجتماع اللونين .

= وقول البحرى : [من الوافر]

ترى أَحْجَالَه يَصْعَدْنَ فيه صُعُودَ البَرْقِ في العَيْمِ الجَهَامِ^(١)

= لا يريد به تشبيه بياض الحُجُولِ على الانفراد بالبَرْقِ ، بل المقصودُ
الهيئةُ الخاصةُ الحاصلةُ من مخالطة أحد اللونين الآخر .

= كذلك المقصود في بيت بشار بتشبيه النَّقَعِ والسيوفِ فيه ، بالليل
المتهاوى كواكبه ،^(٢) لا تشبيه الليل بالنَّقَعِ من جانب ، والسيوفِ بالكواكب
من جانب . ولذلك وجب الحكم ، كما كنت ذكرت في موضع ، بأن الكلام إلى
قوله : « وأسيافنا » في حكم الصلة للمصدر ، وجارٍ مجرى الاسم الواحد ، لئلا
يقع في التشبيه تفریق وتوهُم أنه كقولنا : « كأن مثار النقع ليل وكأن السيوف
كواكب » ، ونصبُ « الأسياف » لا يمنع من تقدير الاتصال ، ولا يوجب أن
يكون في تقدير الاستئناف ، لأن الواو فيها معنى « مع » ، كقوله : [من الطويل]

• فَإِنِّي وَقِيَارًا بِهَا لَعْرِبُ^(٣) •

= وقوله : « كُلُّ رَجُلٍ وَصِيْعَتُهُ » ،^(٤) وهى إذا كانت بمعنى « مع » ،

(١) هو في ديوانه . و « الجهام » ، السحاب الذى فرغ ماؤه .

(٢) مضى في رقم : ١٤٦ .

(٣) هو لضائق بن الحارث البرجمي ، من شعر له في الأصمعيات رقم : ٦٤ ، وصلته :

• من يَلِكُ أُمْسَى بالمدينة رَحْلُهُ •

وهو بيتٌ تداولته النحاة .

(٤) هو في سيبويه ١ : ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٩٧ .

لم يكن في معطوفها الانقطاع ، وأن يكون الكلام في حكم جملتين . ألا ترى أن قولهم : « لو تُرِكَت النَّاقَةُ وَفَصِيلُهَا لَرَضِعَهَا » ، ^(١) لا يكون بمنزلة أن تقول : « لو تُرِكَت النَّاقَةُ وَلَوْ تُرِكَتْ فَصِيلُهَا » ، فتجعل الكلام جملتين = وكذا لا يمكنك أن تقول : « كل رجل كذا وضيعته كذا » ، فتفرق الخبر عنهما = كما يجوز في قولك : « زيد وعمرو كريمان » ، أن تقول : « زيد كريم وعمرو كريم » ، وهذا موضع غامض ، وللکلام فيه موضع آخر .

•••

التشبيه المعقود على
الجمع ، إذا فرّق
لم يصلح للتشبيه

١٦٢ - وإن أردت أن تزداد تبييناً ، لأن التشبيه إذا كان معقوداً على

الجمع دون التفريق ، كان حالاً / أحد الشيئين مع الآخر حال الشيء في صلة الشيء وتابعاً له ومبنيّاً عليه ، حتى لا يتصور إفراده بالذكر ، فالذي يُفَضَى بك إلى معرفة ذلك أنك تجد في هذا الباب ما إذا فرّق لم يصلح للتشبيه بوجه ، كقوله :

[من السريع]

كَأَمَّا الْمَرِيخُ وَالْمُشْتَرَى قَدَامَهُ ، فِي شَامِخِ الرَّفْعَةِ ^(٢)
مُنْصَرَفٌ بِاللَّيْلِ عَنِ دَعْوَةِ قَدْ أُسْرِجَتْ قَدَامَهُ شَمْعَةٌ

= لو قلت : « كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة » ، وتركت حديث المشتري والشمعة ، كان خلطاً من القول ، ^(٣) وذاك أن التشبيه لم يكن للمريخ من حيث هو نفسه ، ولكن من حيث الحالة الحاصلة له من كون المشتري أمامه . وأنت وإن كنت تقول : « المشتري شمعة » ، على التشبيه العامي الساذج في قولهم :

(١) هو في سيبويه ١ : ١٥٠ .

(٢) هو للقاضي التتوخي ، علي بن محمد بن داود بن فهم ، والبيتان في يتيمة الدهر ٢ : ٣١٠ .

(٣) « الخلف » ، الردى من القول ، بفتح الخاء وسكون اللام .

« كَأَنَّ التَّجْوِمَ مَصَابِيحٌ وَشَمْعٌ » ، فإنه لم يوضع التشبيه على هذا ، وإنما قصد إلى الهيئة التي يكتسبها المِرْيَخُ من كون المُشْتَرَى أُمَامَهُ .

= وهكذا قول ابن المعتز :

كَأَنَّهُ وَكَأَنَّ الكَأْسَ فِي فَمِهِ هَلَالٌ أَوَّلُ شَهْرِ غَاب فِي شَفَقِ (١)

= لم يقصد أن يشبه الكأس على الانفراد بالهلال ، والشفة بالشفق على الاستعناف ، بل أراد أن يشبه مجموع الصورتين ، ألا ترى أنك لو فرقت لم تحل من التشبيه بطائل ، إذ لا معنى لأن تقول : « كَأَنَّ الشفة شفق » وتسكت .

أترى أن قوله : [من الوافر]

بَيَاضٌ فِي جَوَانِبِهِ أَحْمَرَارٌ كَمَا أَحْمَرَّتْ مِنَ الخَجَلِ الخُدُودُ (٢)

= استوجبت الفضل والخروج من التشبيه العامي ، وأن يقال : « قد زاد زيادة لم يسبق إليها » إلا بالتركيب والجمع ، وبأن ترك أن يُرَاعَى الحمرة / وحدها؟

وقال القاضي أبو الحسن رحمه الله : (٣) « لو اتفق له أن يقول : « احمرار في جوانبه بياض ، لكان قد استوفى الحسن » = وذلك لأن خَدَّ الخَجَلِ هكذا ، يُحَدِّقُ البياضُ فيه بالحمرة لا الحمرة بالبياض ، إلا أنه لعله وجد الأمر كذلك في الوردة ، فشبّه على طريق العكس فقال : « هذا البياضُ حوله الحمرة

(١) هي ثلاثة أبيات في ديوانه ، هذا آخرها يقول قبل البيت :

أَبَاحَ عَيْنِي لَطُولَ اللَّيْلِ وَالْأَرْقِ وَصَاحَ إِنْسَانُهَا فِي الدَّمْعِ بِالْقَرَقِ

ظَنِّي مُخَلِّي مِنَ الْأَحْزَانِ أَوْ دَعْنِي مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ قَلْقٍ

(٢) هو لابن المعتز في ديوانه .

(٣) هو القاضي الجرجاني صاحب الوساطة ، وهذا الذي ذكره في الوساطة : ١٤٧ ، مع بعض

ههنا ، كالحمرة حولها البياض هناك » . فانظر الآن ، إن فرقت ، كيف يتفرق
عنك الحسن والإحسان ، ويحضر العيى ويذهب البيان ؟ لأن تشبيه البياض على
الانفراد لا معنى له ، وأما تشبيه الحمرة ، وإن كانت تصح على الطريقة الساذجة
= أعنى تشبيه الورد الأحمر بالحد = فإنه يُفسد من حيث إن القصد إلى جنس
من الورد مخصوص ، هو ما فيه بياضٌ تُحْدِقُ به حمرة ، فيجب أن يكون وصف
المشبه به على هذا الشرط أيضًا .

١٦٣ - وبهذا الاختصاص ولما ذكرت لك ، تجد أحد المشبهين في
الأمر الأعم الأكثر وقد ذُكر في صلة الآخر ، ولم يُعطَف عليه كقوله : [من الكامل]

ضروب التشبيه
المركب

• والشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ . (١)

• بَيَاضٌ فِي جَوَانِبِهِ أَحْمَرٌ . (٢)

= وأشبه ذلك . فإن جاءت « الواو » كانت واو حال كقوله :

• كَأَنَّمَا الْمِرْيَخُ وَالْمُشْتَرَى قُدَّامَهُ . (٣)

وهي إذا كانت حالية ، فهي كالصفة في كونها تابعة ، وبحيث لا ينفرد
بالذكر ، بل يُذكر في ضمن الأول ، وعلى أنه من تبعه وحاشيته .

وهكذا الحكم في الطرف الآخر ، ألا ترى قوله :

• لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ . (٤)

(١) هو للفرزدق في ديوانه ، وفي النقااض أيضًا ، تمامه :

والشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِيهِ نَهَارٌ

(٢) سلف لابن المعتز في رقم : ١٦٢ .

(٣) مضى في رقم : ١٦٢ .

(٤) مضى في رقم : ١٤٦ .

« فَتَهَاوَى كَوَاكِبَهُ » ، جملة من الصِّفَةِ لليل ، وإذا كان كذلك ،

١٠٥ فالكواكب مذكورة على سبيل التَّبَعِ لليل ، ولو / كانت مُسْتَبَدَّةً بِشَأْنِهَا لَقُلْتُ :
« لَيْلٌ وَكَوَاكِبٌ » . وكذلك قوله :

« لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ » .

١٦٤ - وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَجِيءَ « كَمَا » فِي الطَّرْفِ الثَّانِي كَقَوْلِهِ :
ضروب من التشبيه
المركب

« كَمَا أَحْمَرَّتْ مِنَ الْحَجَلِ الْخُلُودُ » (١)

ويشأ أمرى القيس على خلاف هذه الطريقة ، لأن أحد الشيئين فيه في
الطرفين معطوف على الآخر ، أما في طرف الخير ، وهو طرف المشبه به ، فبين
وهو قوله :

« الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي » (٢)

وأما في طرف المُخْبِرِ عنه ، وهو المشبه ، فإنك وإن كنت ترى اسماً
واحداً ، هو « القلوب » ، فإن الجمع الذى تفيده الصيغة فى المتفق يجرى مجرى
العطف فى المختلف ، فاجتماع شيئين أو أشياء فى لفظ تشبيهية أو جمع ، لا يوجب
أن أحدهما فى حكم التابع للآخر ، كما يكون ذلك إذا جرى الثانى فى صفة الأول
أو حاله أو ما شابه ذلك . هذا ، وقد صرح بالعطف فى البدل ، وهو المقصود
فقال : « رطباً ويابساً » .

(١) مضى فى رقم : ١٦٢ .

(٢) مضى فى رقم : ١٥٩ .

١٦٥ - وأعلم أنه قد يجيء في هذا الباب شيء له حدٌ آخر ، وهو نحو

ضرب آخر من
التشبيه المركب

[من الكامل]

قوله :

إني وتزييني بمدحى معشرًا كمُعلِّقٍ دُرًّا على خنزيرٍ^(١)

هو على الجملة جمعٌ بين شيئين في عَقْد تشبيه ، إلا أن التشبيه في الحقيقة لأحدهما . ألا ترى أن المعنى على أن فَعَلَهُ في التزين بالمدح ، كفعل الآخر في محاولته أن يزيّن الخنزير بتعليق الدرّ عليه ؟ ووجه الجمع أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الشيء غير قابل للتحسين . ومتى كان المشبّه به « كمعلّق » في البيت ، فلا شك أن التشبيه لا يرجع إلى ذات الشيء ، بل إلى المعنى / المشتق منه الصفة . وإذا رجع إليه مقروناً بصلته على ما مضى في نحو « مَا زَالَ يَفْتَلُ فِي الدَّرْوَةِ وَالغَارِبِ » ،^(٢) فقد شبه تزيينه بالمدح من ليس من أهله ، بتعليق الدرّ على الخنزير هكذا بجملته ، لا بالتعليق غير معدّى إلى الدرّ والخنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صلته . ولابدّ للواو في هذا النحو أن تكون بمعنى « مع » ، وأمرها فيه أيّن ، إذ لا يمكن أن يقال : « إني كذا وإن تزييني كذا » ، لأنه ليس معنا شيان يكون أحدهما خبراً عن ضمير المتكلم في « إني » الذي هو المعطوف عليه ، والآخر عن « تزييني » المعطوف ، كما يكون في نحو بيت بشارٍ شيان يمكن في ظاهر اللفظ أن يجعل أحدهما خبراً عن التّقع ، والآخر عن الأسياف ،^(٣) إلى أن تجيء إلى فساده من جهة المعنى . فأنت في نحو « إني وتزييني مُلجأً إلى جعل « الواو » بمعنى « مع » من كل وجه ، حتى

١٠٦

(١) لم أعرف قائله .

(٢) مضى في رقم : ٩٩ .

(٣) مضى بيت بشار في رقم : ١٤٦ .

لا تقدرُ على إخراج الكلام إلى صورة تكون فيها « الواو » عارية من معنى « مع » ،
ويكون تشبيهاً بعد تشبيهه .

فإن قلتَ : إنَّ في « مُعلِّقٍ » معنى الذات والصفة معاً ، فيمكن أن يكون
أراد أن يشبّه نفسه بذات الفاعل ، وتزيينه بالفعل نفسه .

أقول : لو أريد إتي « كَمعلِّقٌ ذُرّاً على خنزير » ، وإن تزييني بمدحى معشراً
كتعليق ذرٍّ على خنزير » ، كان قولاً ظاهر السقوط ، لما ذكرتُ من أنه لا يتصور
أن يشبّه المتكلم نفسه ، من حيث هو زيدٌ مثلاً ، بمعلِّقِ الذرِّ على الخنزير من
حيث هو عمّرو ، وإنما يشبّه الفعل بالفعل ، فأعرفه .

بيان دقائق التشبيه
المركب

[من الطويل] ١٦٦ - فإن قلت : فما تقول في قوله :

وحتى حسبتُ الليلَ والصبحَ إذ بدا حصائينِ مُختالينِ جَوًّا وأشقرًا (١)

= فإن ظاهره أنه من جنس المفرق ؟

أقول : نعم ، إلا أن ثَمَّةً شيئاً كالجمع ، وهو أن لاقتران الحصانين الجون
والأشقر في الاختيال ضرباً من الخُصوصية / في الهيئة ، لكنه لا يبلغ مبلغ « ليلٍ
تُهاوى كواكبُه » ، ولا يبلغ قوله :

[من الرجز]

« وَالصُّبْحُ مِثْلُ غُرَّةٍ فِي أَدْهَمٍ » (٢)

[من الكامل]

= كما أن قوله :

(١) لم أقف عليه .

(٢) لم أقف عليه .

دُونَ التَّعَاتِقِ نَاحِلِينَ كَشَكَّلْتِي نَصَبٍ أَدَقَّهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلُ (١)

= لا يكون كقوله : [من البسيط]

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تُعَانِقُنِي كَمَا تُعَانِقُ لَأْمُ الْكَاتِبِ الْأَيْفَا (٢)

= فإن هذا قد أدى إليك شكلاً مخصوصاً لا يتصور في كل واحد من المذكورين على الانفراد بوجه ، وصورة لا تكون مع التفريق = وأما المتنبي فأراك الشيعين في مكان واحد وشدد في القرب بينهما ، وذلك أنه لم يعرض لهيئة العناق ومخالفتها صورة الافتراق ، وإنما عمّد إلى المبالغة في فرط التحول ، واقتصر من بيان حال المعانقة على ذكر الضمّ مطلقاً = والأوّل لم يُعَنَّ بحديث الدقة والنحول ، وإنما عني بأمر الهيئة التي تحصل في العناق خاصّة ، من انعطاف أحد الشكّلين على صاحبه ، والتفاف الحبيب بمحبّه ، كما قال : [من المتقارب]

لَفَّ الصَّبَا بِقَضِيْبٍ قَضِيْبًا . (٣)

= وأجاد وأصاب الشبه أحسن إصاوية ، لأنَّ حَطَى اللام والألف في « لا » ترى رأسيهما في جهتين ، وتراهما قد تماساً من الوسط ، وهذه هيئة المعتنقين على الأمر المعروف ، فأما قصد المتنبي فليس بصفة عناق على الحقيقة ، وإنما هو تضام وتلاصق ، وهو بنحو قوله : [من البسيط]

(١) هو للمتنبي في ديوانه .

(٢) مختلف في نسبه ليكر بن النطاح في الأغاني ١٩ : ١١٠ ، ولأبي نواس في التشبيهات لابن عون : ٢٣٨ ، ولأبي بكر الموسوس في العقد الفريد ٦ : ١٧٣ ، وليكر بن خارجة في السمط : ٥١٨ ، وهذا البيت في الأمالي : ٢٢٦ .

(٣) هو للبحرئى في ديوانه ، وتماه :

ولم أنس ليلتنا في العناق لَفَّ الصَّبَا بِقَضِيْبٍ قَضِيْبًا

ضَمَمْتُهُ ضَمَّةً عُدْنَا بِهَا جَسَدًا فَلَوْ رَأَيْنَا عُمُونَ مَا حَشِينَاهَا (١)

= أشبهه ، لأن القصد في مثله شدة الالتصاق ، من غير تعريج على هيئة الاعتناق .

١٠٨ وذهب القاضى فى بيت المتنبى إلى أنه كأنه معنى مُفرد / غير مأخوذ من قوله : (٢)

كَمَا تُعَانِقُ لَأْمَ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا .

وقال : « ولئن كان أخذه ، كما يقولون ، فليس عليه مَعْتَبٌ ، لأنَّ التعب فى نقله ليس بأقل من التعب فى ابتدائه » . (٣)

وهذا التفضيل والتفصيل من قول القاضى ليس قادحاً فى غرضى ، لأننى أردتُ أن أُريك مثلاً فى وضع التشبيه على الجمع والتفريق ، وأجعل البيتين معياراً فيما أردت . ولئن كان المتنبى قد زاد على الأول ، فليس تلك الزيادة من حيث وضع الشبه على تركيب شكلين ، ولكن من جهة أخرى ، وهى الإغراق فى الوصف بالنحول وجمع ذلك للخيلين معاً ، ثم إصابة مثال له ونظير من الخط . فأعرف ذلك ، ولا تظن أن قصدى المفاضلة بين البيتين من حيث القول فى السابق والمسبوق ، والأخذ والسرقه ، فتحسب أنى خالفت القاضى فيما حكم به .

(١) لم أعرف قائله ، وإن ناشر الوساطة قد نسبه لأنى إسحق الفارسى ، ولا أدرى من أين جاء بهذه النسبة ؟

(٢) هو القاضى الجرجانى صاحب الوساطة ، وهو فى كتابه : ١٨٤ .

(٣) هذه مقالة الجرجانى فى الوساطة : ١٨٤ .

فصل

هذا فنٌ غير ما تقدّم في الموازنة بين التشبيه والتمثيل

١٦٧ - أعلم أنّي قد عرّفْتُك أن كل تمثيل تشبيهيّ ، وليس كل تشبيه

فصل في الموازنة بين
التشبيه والتمثيل

تمثيلاً ، وثبّت وجه الفرق بينهما .

وهذا أصلٌ إذا اعتبرته وعرضت كلّ واحدٍ منهما عليه فوجدته يجيء في التشبيه مجيئاً حسناً ، وينقاد القياس فيه انقياداً لا تعسّف فيه ، ثم صادفته لا يطاوعك في التمثيل تلك المطاوعة ، ولا يجرى في عِنَان مرادك ذلك الجرى = (١) ظهر لك نوعٌ من الفرق والفصل بينهما غير ما عرفت ، وأنفتح منه بابٌ إلى دقائق وحقائق ، وذلك جعلُ الفرع أصلاً والأصل فرعاً ، وهو إذا استقرت التشبيهات الصريحة وجدته يكثر فيها . وذلك نحو أنهم يشبهون / الشيء فيها بالشيء في حال ، ثم يعطفون على الثاني فيشبهونه بالأول ، فترى الشيء مُشَبَّهاً مرّةً ، ومشبَّهاً به أخرى .

١٠٩

١٦٨ - فمن أظهر ذلك أنك تقول في النجوم : « كأنها مصاييح » ،

قلب التشبيه

ثم تقول في حالة أخرى في المصاييح : « كأنها نجوم » = ومثله في الظهور الكثوة تشبيهُ الخدّ بالورد ، والورد بالخدّ = وتشبيه الرّوض المنوّر بالوشى المنمنم ونحو ذلك ، ثم يُشَبَّه النقش والوشى في الحُلل بأنوار الرياض = وتُشَبَّه العيون بالترجس ، ثم يُشَبَّه الترجس بالعيون ، كقول أبي نواس : [من الطويل]

لَدَى تَرْجِسٍ غَضَّ الْقِطَافِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَنَحْنَاهُ الْعُيُونَ عُيُونَ (٢)

(١) السياق : « وهذا أصل إذا اعتبرته ... ظهر على ... » .

(٢) هو في ديوانه .

= وكذلك تشبيه الثَّغْر بالأقاحى ، ثم تشبيهها بالثغر ، كقول ابن المعتز :

[من السريع]

والأقحوانُ كالثنايا العُرِّ قد صُقلت أنوارُه بالقطرِ (١)

وقول التَّنُوخِي : [من الخفيف]

أقحوانٌ مُعانقٌ لشقيقٍ كُثُغورٍ تَعَضُّ وردَ الخلودِ (٢)

وبعدُه ، وهو تشبيه النرجس بالعيون :

وعُيُونٌ من نرْجسٍ تترأى كعُيُونٍ مَوْصُولَةِ التَّسْهِيدِ (٣)

١٦٩ - = وكما يشبهون السيوف عند الانتضاء بعقائق البروق ،

[من الوافر]

كما قال :

وسيفي كالعقيقة وهو كيمي سلاجي ، لا أفل ولا فطاراً (٤)

ثم يعودون فيشبهون البرق بالسيوف المنتضة ، كما قال ابن المعتز يصف

[من المتقارب]

سحابة :

وسارية لا تملُّ البكا جَرى دَمْعها في حُلودِ الثَّرى (٥)

سرتَ تقدحُ الصَّبْحُ في ليلها - بيزرق كهنديّة تُنضى

(١) هو في ديوانه .

(٢) هو له من أبيات في بيتمة الدهر ٢ : ٣١٣ في صفة الروض .

(٣) هو للتنوخي في أبياته السالفة الذكر .

(٤) هو لعنترة العبي في ديوانه : « العقيقة » ، السحابة تنشق عن البرق . و « الكيمع » ،

الضجيج . و « الأفل » من السيوف الذي فيه فلول ، وهي الكسور في حدّه . و « سيف فطار » ، فيه صلوع وشقوق لا يقطع .

(٥) هما في ديوانه ، من أول قصيدة في الفخر .

وكقول الآخر يصف نار السدق :

[من المقارب]

وما زال يعلو عجاج الدخان إلى أن تلوّن منه زحل^(١)
 وكنّا نرى الموج من فضة فذهبهُ الثور حتى اشتعل
 / شراراً يحاكي انقراض النجوم ، وبرقاً كإمياض يبض تُسل

١١٠

ومن لطيفه قول علي بن محمد بن جعفر :

[من الكامل]

دِمْنٌ كَأَنَّ رِيَاضَهَا يُكْسِنُ أَعْلَامَ الْمَطَارِفِ^(٢)
 وكأتما غدرائها فيها عُشورٌ من مصاحف
 وكأتما أنوارها تهتزُّ في تكباء عاصف
 طررُ الوصائف يلتقُ بين بها إلى طرر الوصائف
 وكان لَمَعَ بُروقها في الجوّ أسياف المئاقف

المقصود البيت الأخير ، ولكن البيت إذا قطع عن القطعة كان كالكعب
 تُفرد عن الأتراب ، فيظهر فيها ذلُّ الاغتراب ، والجوهرة الثمينة مع أخواتها في
 العقد أبهى في العين ، وأملاً بالزين ، منها إذا أفردت عن النظائر ، وبَدَتْ فذة
 للناظر .

(١) لأبي الحسن السلمي ، محمد بن عبد الله ، في اليتيمة ٢ : ٣٨٧ ، وليس فيها البيت الثالث .
 و « السدق » ، هو ليلة وقود النار عند الفرس الجوس .

(٢) « علي بن محمد بن جعفر » ، هو أبو الحسن العلوي الحماني ، والشعر في أمالي القالي ١ :
 ١٧٧ ، والسمط : ٤٣٩ ، ٤٤٠ . « المطارف » جمع « مطرف » ، وهو رداء من القز فيه أعلام .
 و « الطرر » جمع « طرة » ، وهو أن يُقطع للجارية من مقدّم ناصيتها كالطرة تحت التاج ، لا تبلغ حاجبيها
 و « المئاقف » ، هو الذي يحسن المئاقفة بالسيف في الخصام والجلاد ، أي العمل به .

١٧٠ - ويشبّهون الجواشن والدروع بالغدير يضرب الريح منته عكس التشبيه
فيتكسّر، ويقع فيه ذلك الشنَج المعلوم، ^(١) كقوله: [من الطويل]

وبيضاء زَغِفِ ثَلَّةِ سَلْمِيَّةٍ لها رُفْرُفٌ فوق الأنايل من عَلٍ ^(٢)
وأشْبَرَنِيهَا الهالكى، كأنها غَدِيرٌ جَرَّتْ في منته الرِّيحُ سَلْسَلُ

وقال: [من المقارب]

وسابغةً من جِياد الثُّروع تَسْمَعُ للسيف فيها صليلاً ^(٣)
كَمْثِنِ الغَدِيرِ زَفْتُهُ الدَّبورُ يجرُّ المُدَجِّجُ منها فُضولاً

وقال البحتري: [من الكامل]

يَمْشون في زَغِفٍ كأنَّ مُتُونَهَا في كلِّ مَعْرَكَةٍ مُتُونُ نِهَاءٍ ^(٤)

وهو من الشهرة بحيث لا يخفى .

١١١

ثم إنهم يعكسون هذا التشبيه فيشبّهون / الغدران والبرك بالدروع

والجواشن، كقول البحتري يصف البركة: [من البسيط]

(١) « الجواشن » جمع « جوشن »، درع من الزرد، يُلبسه الصدر والحيزوم . و« الشنَجُ »

التقبُّض .

(٢) هو لأوس بن حجر في ديوانه المجموع . و« بيضاء » يعنى الدرع . « زَغِفِ »، درع محكمة واسعة طويلة حسنة السلاسل . و« ثَلَّة »، الدرع السابغة . و« سَلْمِيَّة » منسوبة إلى سليمان عليه السلام، وهو صانع الدروع . و« الرُّفْرُفُ »، ما تدلَّى من زرد الدرع على جوانبها . و« أشْبَرَنِيهَا » أعطائها . و« الهالكى »، هو الحداد، وهو هنا الصَّيقل .

(٣) هو لعبد قيس بن جُحاف البرجمي، من قصيدته في المفضليات . و« الصليل »، صوت قرع

السيف في الدرع . و« زفته الريح »، طردته واستخفته .

(٤) هو في ديوانه . و« النَّهَاءُ » جمع « نَهْيٌ »، وهو الغدير حيث يتبى ماء السيل ويتحير

ويضطرب بعصف الرياح .

إذا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبَدتْ لها حُبُكَا مِثْلَ الجَوَاشِينِ مصقُولًا حواشِيبَا (١)

ومن فاتن ذلك وفاخره ، لاستواء أوله في الحسن وآخره ، قول أبي فراس

الحمداني : [من الكامل]

أَنْظُرْ إلى زَهْرِ الرِّيحِ والماءِ في بَرَكِ البَدِيِّجِ (٢)
وإذا الرِّياحُ جَرَتْ عَلَيَّ في الذَّهَابِ وفي الرِّجْوِجِ
تَكَرَّرَتْ عَلَيَّ بِيضُ الصَّفَا نَحْ بَيْننا حَلَقَ الدَّرْوِجِ

...

١٧١ - وتُشَبَّه أنوارُ الرِّياضِ بالنجومِ ، كقولهِ : [من الكامل]

بَكَتِ السَّماءُ بِها رَدَاذَ دُموعِها فَعَدتْ تَبَسُّمُ عن نجومِ سَماءِ (٣)

ثم تُشَبَّه النجومُ بالنُّورِ كقولهِ : [من البسيط]

قد أَقْدِفُ العيسَ في ليلِ كَأَنَّ به وَشِيا من النُّورِ أو رَوْضًا من العُشْبِ (٤)

وكقول ابن المعتز : [من الطويل]

كَأَنَّ الثُّرَيَّا في أواخرِ ليلِها نَفَّتُحُ نُورٍ أو لجامٍ مُفَضَّضُ (٥)

وقال : [من الكامل]

(١) هو للبحترى في ديوانه . و « الحُبُكَا » ، الطرائق في الماء وغيره .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) هو للبحترى في ديوانه .

(٤) هو للبحترى أيضًا في ديوانه .

(٥) مضى في آخر رقم : ١٣٥ .

وَتَوَقَّدُ الْمِرْيُخُ بَيْنَ نُجُومِهَا كِبَهَارَةً فِي رَوْضَةٍ مِنْ نَرْجِسٍ^(١)

...

وكذلك تُشَبِّهُ غُرَّةَ الْفَرَسِ الْأَدْهَمِ بِالتَّجْمِ أَوْ الصَّبْحِ ، وَيَجْعَلُ جِسْمَهُ
كَاللَّيْلِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :
[من الرجز]

جَاءَ سَلِيلًا مِنْ أَبِي وَأُمِّ أَدْهَمَ مَصْقُولَ ظَلَامِ الْجِسْمِ^(٢)
. قَدْ سُمِّرَتْ جَبْهَتُهُ بِنَجْمٍ .

وكما قال كاتب المأمون يصف فرساً :
[من الرمل]

قَدْ بَعَثْنَا بِجَوَادٍ مِثْلِهِ لَيْسَ يُرَامُ^(٣)
فَرَسٌ يُزْهَى بِهِ لِلْحُ سُنِّ سَرَجٍ وَلِجَامٍ
وَجْهَهُ صَبِيحٌ ، وَلَكِنْ سَائِرُ الْجِسْمِ ظَلَامٌ
/ وَالَّذِي يَصْلِحُ لِلْمَوْ لَى ، عَلَى الْعَبْدِ حَرَامٌ

وقال ابن نباتة :
[من الوافر]

وَأَدْهَمَ يَسْتَمُدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا^(٤)

ثم يُعَكِّسُ فَيَشَبِّهُ النُّجُومَ أَوْ الصَّبْحَ بِالْغُرَّةِ فِي الْفَرَسِ ، كَقَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

[من الرجز]

(١) في ديوان المعتز ، و « البهارة » واحدة « البهار » ، وهو نبت طيب الرائحة ينبت في الربيع ، وهو النرجس البري .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) هو عمرو بن مسعدة الصولي ، كاتب المأمون ، والشعر في ترجمته في معجم الأدباء .

(٤) من ثلاثة أبيات له في يتيمة الدهر ٢ : ٣٦٢ .

والصُّبْحُ فِي طَرَّةٍ لَيْلٍ مُسْفِرٍ كَأَنَّهُ عُرَّةٌ مُهْرٍ أَشْقَرٍ (١)

•••

أمثلة لعكس التشبيه ١٧٣ - وتُشَبَّهُ الْجَوَارِي فِي قَلُودِهِنَّ بِالسَّرْوِ تَشْبِيهًا عَامِيًّا مُبْتَدَأً ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ قَدْ جَعَلُوا فِيهِ الْفَرْعَ أَصْلًا ، فَشَبَّهُوا السَّرْوَ بِهِنَّ ، (٢) كَقَوْلِهِ : [من الكامل]

حُفَّتْ بِسَرْوٍ كَالْقِيَانِ تَلَحَّفَتْ خُضْرَ الْحَرِيرِ عَلَى قَوَامٍ مُعْتَدِلٍ (٣)
فَكَأَنَّهَا وَالرَّيْحَ حِينَ تُمِيلُهَا تَبْغِي التَّعَانُقَ ثُمَّ يَمْنَعُهَا الْحَجَلَ

= المقصود من البيت الأول ظاهر ، وفي البيت الثاني تشبيه من جنس الهيئة المجردة من هيئات الحركة ، وفيه تفصيل طريف فائق ، فقد راعى الحركتين حركة التهبؤ للذنو والعناق ، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ، وأدى ما يكون في الحركة الثانية من سرعة زائدة تادية تحسب معها السمع بصراً ، تبييناً للتشبيه كما هو وتصوراً ، لأن حركة الشجرة المعتدلة في حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها في حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع ، أسرع أبداً من حركته إذا هم بالذنو ، فإزعاج الخوف والوجل أبداً أقوى من إزعاج الرجاء والأمل ، فمع الأول تمهل الاختبار ، وسعة الجوار ، ومع الثاني حفز الاضطراب ، وسلطان الوجوب .

= وأعود إلى العرض .

ومن تشبيه السرو بالنساء قول ابن المعتز : [من الطويل]

(١) هو في ديوانه .

(٢) « السرو » ، شجر من كبار الشجر ينبت في الجبال .

(٣) في وصف روضة ، نسبها ياقوت في معجم الأدياء لأحمد بن سليمان بن وهب في ترجمته ،

وقال : « ربما نسبوه إلى غيره » ، كأنه يعني نسبتها إلى سعيد بن حميد ، كما في التشبيهات لابن عون :

١٩٧ ، وحامسة ابن الشجري : ٧٦٢ .

١١٣

ظَلَلْتُ بِمَلَهَى خَيْرِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ / تَلُورُ عَلَيْنَا الْكَأْسُ فِي فِتْيَةِ زُهْرٍ (١)
 بِكَفِّ غَزَالٍ ذِي عِذَارٍ وَطَرَّةٍ / وَصُدَّعَيْنِ كَالْقَافَيْنِ فِي طَرْفَى سَطْرِ
 لَدَى نَرْجَسٍ غَضٌّ وَسُرُورٍ كَأَنَّهُ / قُدُودُ جَوَارٍ مَلَنَ فِي أُرْرِ مُحْضَرٍ

١٧٤ - وَتُشَبَّهُ تُدَى الْكَوَاعِبِ بِالرُّمَانِ كَقَوْلِهِ : [من الكامل]

وَبِمَا تَبِيَتْ أُنَامِلِي / يَجْنِينَ رُمَانَ التُّحُورِ (٢)

وقول المتنبي : [من الطويل]

وقابلني رُمَانَتَا غُصْنٍ بَانَةٍ / يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفٌ (٣)

وقوله : [من الطويل]

يَخْطَطُنُ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ / وَيَحْبَبَانُ رُمَانَ التُّدَى النَوَاهِدِ (٤)

ثم يُقَلِّبُ فَيُشَبِّهُ الرُّمَانَ بِالتُّدَى ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : [من الطويل]

وَرُمَانِيَّةٌ شَبَّهْتُهَا إِذْ رَأَيْتُهَا / بِتُدَى كَعَابٍ أَوْ بِحُقَّةٍ مَرْمَرٍ (٥)
 مُنْمَنِمَةٌ صَفْرَاءُ نُضِدٌ حَوْلَهَا / يَوَاقِيْتُ حُمُرًا فِي مُلَائٍ مُعْضَرٍ

(١) هي في ديوانه .

(٢) آخر ثلاثة أبيات للنميري ، محمد بن عبيد الله ، في ديوان المعاني ١ : ٢٥٣ .

(٣) هو في ديوانه ، يريد بالبدْر وجهها ، وبالْحُقْفِ رِدْفُهَا ، وَأَصْلُ « الْحُقْفِ » كُلُّ مَا طَالَ وَاعْوَجَّ مِنَ الرَّمْلِ .

(٤) هو للناطقة الذيباني في ديوانه .

(٥) من ثلاثة أبيات في محاضرات الأدباء ١ : ٣٨٤ ، لابن شاه ، (أبو نصر سعيد بن الشاه) .

١٧٥ - وتُشَبَّه الجداول والأنهار بالسيوف ، يراد بياض الماء الصافي
وبصيصه ، مع شكل الاستطالة الذي هو شكل السيف ، كقول ابن
المعتز :
[من السريع]

أعددتُ للجارِ وللغفاة . كُومَ الأعلى مُتسامياتٍ ^(١)
. رَوازِقًا في المَحَلِ مُطعماتٍ .

يعنى نخلًا ، ثم قال بعد أبيات :

تُسقى بأنهارٍ مُفجراتٍ على حصَى الكافورِ فائضاتٍ
بريئة الصَّفو من القَدَاة مثل السُّيوف المتعرياتِ

ابن بابك : [من الوافر]

فما سَيْلٌ تُخلِّصُهُ المَحاني كما سُلَّتْ من الخِللِ المناصِلِ ^(٢)

أبو فراس : [من الكامل]

والماءُ يفصِّلُ بين زَهِّ رِ الرُّوضِ في الشَّطْرَيْنِ فَصَلًا ^(٣)
/ كِبِساطٍ وشي جَرَّدتْ أيدى القُيُونِ عليه نَصَلًا

١١٤

كشاجم : [من الكامل]

وتَرى الجداولِ كالسُّيو في لَها سَواقٍ كالِمبارِدِ ^(٤)

(١) هي في ديوانه ، وقوله : « كُومَ الأعلى » أصله ضخامة سنامها ، وهي النوق وعنى بها هنا

النخل .

(٢) « المحاني » ، حيث تعطف الأودية وتنحني ، واحدها « منحنى » . ، و « الخلل » جمع « خلة »

وهي غمد السيف الموشى .

(٣) هو في ديوانه .

(٤) هو في ديوانه .

آخر:

[من البسيط]

وفي الجداول أسيافٌ مُحَادَثَةٌ والظفر تَسْجَعُ أَهْزَاجًا وَأَرْمَالًا (١)

وقال ذو الرمة:

[من الطويل]

فَمَا أَنْشَقَ ضَوْؤُ الصَّبْحِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ جَدَاوِلُ أَمْثَالِ السُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ (٢)

ابن الرومي:

[من الرجز]

عَلَى حِفَافِي جَنُودٍ مَسْجُورٍ أَيْضَ مِثْلِ الْمُهْرَقِ الْمَشْهُورِ (٣)
أَوْ مِثْلِ مَتَنِ الصَّارِمِ الْمَشْهُورِ

ثم يُقَلِّبُونَ أَحَدَ طَرَفِي التَّشْبِيهِ عَلَى الْآخَرِ ، فَيَشْبَهُونَ السُّيُوفَ بِالْجَدَاوِلِ ،

كقولهِ:

[من الكامل]

وَتَخَالُ مَا ضَرَبُوا بَيْنَ جَدَاوِلًا وَتَخَالُ مَا طَعَنُوا بِهِ أَشْطَانًا (٤)

ابن بابك:

[من الطويل]

وَأَهْدَى إِلَى الْغَارَاتِ عَزْمًا مَشِيعًا وَبَأْسًا وَبَاعًا فِي اللَّقَاءِ وَمَقْصَلًا
سَفِيهَ مَقْطَطِ الطَّرْتِينِ أَشِيمُهُ فَيُوحِي إِلَى الْأَعْضَاءِ أَنْ تَنْزِيلًا
أَغْرَّ كَأَنِّي حِينَ أُخْضِبُ حَدَّهُ خَرَقْتُ بِهِ فِي مُلْتَقَى الرُّوضِ جَنُودًا

(١) لم أقف على قائله: و «الأسياف المحاذة»، هي المصقولة، و «الأهزاج» جمع «هزج» و «الأرمال» جمع «رمل»، و هما من أوزان الشعر وأوزان الغناء أيضًا.

(٢) هو في ديوانه.

(٣) هو في ديوانه.

(٤) هو محمد بن الحارث التميمي المصري، وهو في معجم الشعراء: ٤٢٢.

السرى :

[من الوافر]

وكم نَحَرَقَ الحِجَابَ إِلَى مَقَامِ تَوَارَى الشَّمْسُ فِيهِ بِالحِجَابِ (١)
كَأَنَّ سَيْوْفَهُ بَيْنَ العَوَالِي جَدَاوِلُ يَطْرِدُنَ خِلَالَ غَابِ

وله أيضاً :

[من الطويل]

كَأَنَّ سَيْوْفَ الهِنْدِ بَيْنَ رِمَاحِهِ جَدَاوِلُ فِي غَابِ سَمًا فَتَأَشَّبَا (٢)

١٧٦ - وَتَشَبَّهُ الأَسِنَّةُ ، كَمَا لَا يَخْفَى ، بِالنَّجْمِ ، كَمَا قَالَ : [من الكامل]

• وَأَسِنَّةٌ زُرْقًا تُخَالُ نَجْمًا • (٣)

وقال البحترى :

[من الكامل]

/ وَتَرَاهُ فِي ظَلَمِ الوَعْيِ فَتَخَالُهُ قَمَرًا يَكُرُّ عَلَى الرُّجَالِ بِكُوكَبِ (٤)

١١٥

يعنى السنان ، وقال ابن المعتز :

[من الكامل]

وَتَرَاهُ يُصَغِي فِي القَنَاةِ بِكَفِّهِ نَجْمًا وَنَجْمًا فِي القَنَاةِ يَجْرُهُ (٥)

ومثله سواءً قوله :

[من السريع]

كَأَنَّمَا الحَرْبَةُ فِي كَفِّهِ نَجْمٌ دُجِّي شَيْعَهُ البَنْدَرُ (٦)

(١) هو في ديوانه .

(٢) هو في ديوان السرى الرفاء أيضاً .

(٣) هو للبي الأخيلية في ديوانها المجموع ، من أبيات ، والمراجع هناك ، وصدده :

قوم رباط الخيل وسط بيوتهم وأسنه زرق

(٤) هو في ديوانه .

(٥) هو في ديوانه .

(٦) في ديوان البحترى .

ثم قد شبهوا الكواكب بالسنان ، كقول الصنوبري : [من المنسرح]

بَشَّرَ بِالصُّبْحِ كوكبُ الصُّبْحِ فاضَ وَجِنْحُ الدُّجَى كَلا جِنِحِ (١)
فَهُوَ عَلَى الفَجْرِ كَالسَّنَانِ هَوَى للعَيْنِ لَمَّا هَوَى عَلَى رُمْحِ

ابن المعتز : [من السريع]

شَرِبْتُهَا وَالديكُ لَمْ يَنْتَبِهْ سَكَرَانَ مِنْ نَوْمَتِهِ طَافِحِ (٢)
وَأَلَحَتِ الشَّعْرَى وَجَوَازِهَا كَمَثَلِ زُجْ جَرَّهُ رَامِحِ

وهذه إن أردت الحق ، قضية قد سبقت وقدمت ، فقد قالوا : « السماك الرامح » ، على معنى أن كوكبا يتقدمه وهو رمحه ، ولاشك أن جُل الغرض في جعل ذلك الكوكب رمحا أن يقدره سنانا ، فالرمح رُمح بالسنان ، وإذا لم يكن السنان فهو قناة ، ولذلك قال :

« ورمحا طويل القنائة عسولا » (٣)

١٧٧ - ومن ذلك أن الدموع تُشبهه إذا قَطَرَتْ على خلود النساء عكس التشبيه

(١) ليس في تنمة ديوانه التي صنعها إحسان عباس ، وفي المطبوعتين : « كما هوى » ، والصواب ما في المخطوطة ، وبه يستقيم الميزان .

(٢) هو في ديوانه . و « الرُّجْح » ، الحديدية تتركب في أسفل الرمح ، والسنان يركب في عاليته .

(٣) هو لعبد قيس بن خفاف في المفضليات رقم : ١١٧ ، وهو في الشعر :

وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَاتِ عَرَضًا بَرِيثًا وَعَضْبًا صَقِيلًا

وَوَقَعَ لِسانِ كَحَدِّ السَّنَانِ ورمحا طويل القنائة عسولا

و « العضب » السيف القاطع . و « الصقيل » المصقول . و « الرمح العسول » ، الذي

يضطرب للينه .

بالطَّلِّ والقَطْرِ على ما يُشْبِهُ الخُدُودَ من الرياحين ، كقول الناشئ : [من المتقارب]

بَكَتْ لِلْفِرَاقِ وَقَدْ رَأَعَهَا بُكَاءُ الْحَبِيبِ لِبُعْدِ الدِّيَارِ (١)
كَانَ الدَّمُوعَ عَلَى خَدَّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جُلْنَارِ

وشبيهه به قول ابن الرومي : [من المنسرح]

/ لو كنت يوم الوداع حاضراً وَهَنْ يَطْفِئُنْ غَلَّةَ الْوَجْدِ (٢)
لم تر إلا الدموع ساكبةً تَقَطَّرُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدِّ
كَانَ تِلْكَ الدَّمُوعَ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ تَرْجَسٍ عَلَى وَرْدِ

= ثم يعكس ، كقول البحتري : [من الطويل]

شَقَاتُكَ يَحْمِلُنِ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ التَّصَالِي فِي حُدُودِ الْحَرَائِدِ (٣)

وشبيهه به قول ابن المعتز ، بعد قوله في الترجس : [من الطويل]

كَانَ عَيُونُ التَّرْجَسِ الْغَضُّ حَوْلَهَا مِدَاهِنُ دُرٍّ حَشْوَهِنَّ عَقِيقُ (٤)
إِذَا بَلَّهِنَّ الْقَطْرُ خِلَّتْ دُمُوعَهَا بُكَاءَ عَيُونٍ كُحْلِهِنَّ خَلُوقُ

...

١٧٨ - وفي فن آخر منه خارج عن جنس ما مضى ، يُشَبِّهُ الشَّيْخَ

إِذَا أَفْنَاهُ الْهَرَمَ ، وَحَنَاهُ الْقِمَمَ ، حَتَّى يَدْخُلُ رَأْسَهُ فِي مَنْكَبِيهِ ، بِالْفَرَخِ ، كَمَا

قال : [من الطويل]

(١) هما للناشئ الأكبر ، كما في زهر الآداب ٢ : ٢١٦ .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) هو في ديوانه .

(٤) هو في ديوانه ، وقد مضى البيت الأول في رقم : ٨٨ .

ثلاثٌ مِئِينَ قَدْ مَضَيْنَ كَوَامِلًا وَهَذَا أَنَا أُرْتَجَى مَرَّ أَرْبَعٍ ^(١)
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْفَرَّخِ فِي الْعُشِّ ثَاوِيًا إِذَا رَامَ تَطْيَارًا يُقَالُ لَهُ قَع

= وهو كثير ، ثم يُعكس فُيُشَبَّهُ بِالشَّيْخِ ، كما قال أبو نواس يَرَى خَلْفًا

[من الرجز]

الأحمر :

لو كان حَيٌّ وَائِلًا مِنَ التَّلَفِ لَوَأَلَّتْ شَعْوَاءُ فِي أَعْلَى شَعْفٍ ^(٢)
أَمْ فُرَيْجٍ أَحْرَزْتَهُ فِي لَجْفٍ مُزْغَبٍ الْأَلْفَادِ لَمْ يَأْكُلْ بِكَفِّ
. كَأَنَّهُ مُسْتَقْعَدٌ مِنَ الْحَرْفِ .

[من المنسرح]

وأعاده في قصيدة أخرى في مرثيته أيضًا :

لَا يَجِلُّ الْعُضْمُ فِي الْهَضَابِ ، وَلَا شَعْوَاءُ تَعْنُو فَرَّخِينَ فِي لَجِفٍ ^(٣)
تَعْنُو بِجَوْشُوشِهَا عَلَى ضَرِيمٍ كَقَعْدَةِ الْمُنْحَنِى مِنَ الْحَرْفِ

•••

(١) هو لكعب ، أو عمرو ، بن حُمَمة الدوسي من المعمرين ، وشعره المذكور في كتاب المعمرين : ٢٢ ، وحامسة البحترى : ٢٠٥ ، ومعجم الشعراء ٢٠٩ والبيت الثاني في تفسير الطبرى : ٢ : ٥٤٦ ، والشطر الأول من البيت الثاني رواه في المعمرين ، وفي تفسير الطبرى ، وحامسة البحترى : . وأصبحت مثل التَّسْر طارت فَرَأَحُهُ .

ولا شاهد فيه ، وفي معجم الشعراء :

. فَأَصْبَحْتُ بَيْنَ الْفَخِّ فِي الْعُشِّ ثَاوِيًا .

وهو مصحف ، وفي أصول أسرار البلاغة : « مثل الفرج في العين » ، وهو تصحيف أيضًا ،

صوابه ما أثبت ، بدلالة كلام الشيخ رحمه الله .

(٢) في ديوانه ، وقوله : « وَاللَّا » ، أى ناجيًا . « الشَّعْوَاءُ » ، العقاب ، وسميت بذلك لشعًا منقارها ، أى انعطاف المنقار الأعلى على الأسفل . و « الشَّعْفُ » رأس الجبل . و « اللَّحْفُ » شبه لُحْدٍ في قعر البئر ، وقوله : « مُزْغَبٌ » ، أى عليه الرُّغَبُ ، وهو ريش الفرخ أول ما يبدو . و « الْأَلْفَادُ » ، جمع « لُفْدٌ » ، وهو ما بين الخنك وجانب العنق . « لَمْ يَأْكُلْ بِكَفِّ » ، أى لم يمسك صيدًا يأكله ، ولم يطر ، وإنما هو في عش أبويه يُرْقَانُهُ . و « مُسْتَقْعَدٌ » ، مُقْعَدٌ زَيْنٌ .

(٣) هو في ديوانه أيضًا . و « الْجَوْشُوشُ » ، الصدر . وقوله : « ضَرِيمٌ » ، أى على فرخ جائع ، =

١٧٩ - وَيُشَبِّهُ الظَّلِيمَ فِي حَرَكَةِ جَنَاحِيهِ ، مَعَ إِسْرَالٍ لَهَا ، بِالْخِبَاءِ

المُقَوَّضِ ، أَنشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ لِعَلْقَمَةَ :

[من البسيط]

/ صَعْلٌ كَأَنَّ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُهُ بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومٌ ^(١)

١١٧ -

اشْتَرَطَ أَنْ تَتَعَاطَى تَقْوِيضَهُ خَرْقَاءُ ، لِيَكُونَ أَشَدَّ لَتَفَاوَتِ حَرَكَاتِهِ ،

وَخُرُوجِ اضْطِرَابِهِ عَنِ الْوِزْنِ ، وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

[من الطويل]

وَيَبِيضُ رَفَعْنَا بِالضَّحَى عَنْ مُتُونِهَا سَمَاوَةَ جَوْنٍ كَالْخِبَاءِ الْمُقَوَّضِ ^(٢)

هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ غَيْرٌ أَنَّهُ مَتَى يُرَمَ فِي عَيْنِيهِ بِالشَّيْخِ يَنْهَضُ

= قالوا في تفسيره : يعني بالبييض يبيض النعام ، و « رفَعْنَا » ، أى : أثرنا عن

ظهورها . و « سَمَاوَةَ جَوْنٍ » أى : شخص نعام جون ، و « سماوة الشيء » ،

شخصه . و « الجون » الأسود ههنا ، لأنه قابل بين البياض والسواد . ثم شبه النعام

في حال إثارته عن البييض بالخباء المقوَّض ، وهو الذى نُزِعَتْ أَطْنَابُهُ لِلتَّحْوِيلِ .

والبيت الثانى من أبيات الكتاب ، ^(٣) أنشده شاهداً على إعمال « فعول » عمل

الفعل ، وذلك قوله : « هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ » ، فنفسه منصوب بهجوم ، على أنه

من « هَجَمَ » متعدداً نحو : « هَجَمَ عَلَيْهَا نَفْسَهُ » ، أى : طرحها عليها ، كأنه أراد

أن يصف الظلِيمَ فِي خَوْفِهِ بِأَمْرَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ ، بِأَنْ يَبَالِغَ فِي الْإِنْكَبَابِ عَلَى الْبَيْضِ

= اشتدَّ خَرُّ جَوْفِهِ مِنَ الْجُوعِ . و « العصم » جمع « أعصم » ، وهو الزَّعْلُ يَسْكُنُ أَعْلَى الْجِبَالِ .

(١) « أبو العباس » يعنى المبرد فى الكامل ٢ : ٩٢٦ . (طبعة محمد أحمد الدالى ، دمشق) وهو

لعلقمة بن عبدة الفحل فى ديوانه . وقال أبو العباس : « الصَّعْلُ » ، الصغير الرأس . و « الخرقاء » التى

لا تحسن شيئاً ، فهى تفسد ما صنعت وما عرضت له . و « مهجوم » ، مهلوم .

(٢) هو فى ديوانه . و « الشَّيْخُ » بسكون الباء ، كالشَّيْخِ بفتحها ، وهو الشخص .

(٣) هو فى كتاب سيبويه ١ : ٥٦ .

فَعَلَ مَنْ شَأْنُهُ اللزوم والثبات = وأن يُثَبِّتَ عنها الشيءَ اليسير ، نحو أن يقع بصره على الشخص من بُعد ، فَعَلَ مَنْ كان مستوفِزًا في مكانه غير مطمئن ولا موطن نفسه على السكون ، وقوله : « يُرَمِّمُ في عينيه بالشَّبَّيحِ » ، كلام ليس لحسنه نهاية .

= وقد قال ابن المعتز ، فعكس هذا التشبيه ، فشبّه حَرَكَةَ الخبَاء بالطائر ، إلا أنه راعى أن يكون هناك صفةً مخصوصةً ، فشرطَ في الطائر أن يكون مقصوصًا ، وذلك قوله :
[من الخفيف]

ورفعنا خبَاءَنَا تَضْرِبُ الرِّيدَ حُحَّ حَشَاءَهُ كالجَادِفِ المَقْصُوصِ (١)

١١٨ / وأخرجه إلى هذا الشرط : أنه أراد حَرَكَةَ خِبَاءٍ ثابتٍ غير مُقَوَّضٍ ، إلا أن الريحَ تقع في جوفه فيتحرك جانباه على تَوَالٍ ، كما يفعل المقصوص إذا جدف ، (٢) وذلك أن يردّ جناحيه إلى خلفه . فحصل له أمران : أحدهما أن الموفور الجناح يَبْسُطُ جناحيه في الأكثر ، وذلك إذا صَفَّ في طيرانه ، فلا يدوم ضربه بجناحيه ، والمقصوص لقصوره عن البسط يُدِيمُ ضَرْبَهُمَا = والثاني تحريك الجناحين إلى خلف .

وهذا كثير جدًا ، وَتَتَّبَعُهُ في كل باب ونوع من التشبيه يَشغَلُ عن الغرض من هذه الموازنة .

١٨٠ - وإنما يمتنع هذا القلبُ في طرفي التشبيه ، لسبب يعرض في ما يجمع عكس التشبيه

(١) هو في ديوانه . و « الجادف » بالذال المهملة ، من قولهم : « جَدَفَ الطائرُ يَجْدِفُ جُدُوفًا » ، إذا كان مقصوص الجناحين ، فرأيتُه إذا طار كأنه يردُّهما إلى خلفه . وفي المطبوعتين : « الجاذف » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعتين : « إذا جدف » بالذال المعجمة ، والصواب ما في المخطوطة كما أسلفْتُ .

البين قِيمَنُعُ منه ، ولا يكون من صميم الوصف المشترك بين الشئيين المشبّه
أحدهما بالآخر .

فمن ذلك ، وهو أقواه فيما أُظُنُّ ، أن يكون بين الشئيين تفاوتٌ شديد في
الوصف الذي لأجله تُشَبَّه ، ثم قصدت أن تُلحق الناقصَ منهما بالزائد ، مبالغةً
ودلالةً على أنه يفضل أمثاله فيه .

بيان هذا : أن ههنا أشياء هي أصولٌ في شدة السواد كخافية الغراب ،
والقار ، ونحو ذلك ، فإذا شَبَّهت شيئاً بها كان طلبُ العكس في ذاك عكساً لما
يُوجبه العقل ونقضاً للعادة ، لأن الواجب أن يُثَبَّت المشكوك فيه بالقياس على
المعروف ، لا أن يُتكلَّف في المعروف تعريفٌ بقياسه على المجهول وما ليس بموجود
على الحقيقة . فأنت إذا قلت في شيء : « هو كخافية الغراب » ، فقد أردت أن
تُثبت له سواداً زائداً على ما يُعهد في جنسه ، وأن تصحَّح زيادةً هي مجهولة له ،
وإذا لم يكن ههنا ما يزيد على خافية الغراب في السواد ، فليت شعري ما الذي /
تريد من قياسه على غيره فيه ، ولهذا المعنى ضَعُف بيت البحترى : [من الطويل]

على باب قِنْسَرِينَ وَاللَّيْلَ لَأَطْعُ جَوَانِبِهِ مِنْ ظُلْمَةِ بَمْدَادٍ (١)

وذاك أن « المداد » ليس من الأشياء التي لا مزيد عليها في السواد ،
كيف ؟ ورُبَّ مِدَادٍ فاقد اللون ، والليلُّ بالسواد وشدته أحقُّ وأحرى أن يكون
مثلاً ، ألا ترى إلى ابن الرومي حيث قال :

جَبْرٌ أَيْ حَفْصٌ لُعَابُ اللَّيْلِ يَسِيلُ لِلْإِخْوَانِ أَيْ سَيْلٌ (٢)

(١) هو في ديوانه .

(٢) هو في ديوانه ، في خبر أبي حفص الوراق .

فبالغ في وصف الخبر بالسواد حين شَبَّهه بالليل ، وكأنَّ البحتري نظر إلى قول العامة في الشيء الأسود « هو كالتنقيس » ، ثم تركه للقافية إلى « المداد » .

•••

رد اعتراض

١٨١ - فإن قلت : فينبغي على هذا أن لا يجوز تشبيه الصُّبح بغرة الفرس ، لأجل أنَّ الصبح بالوصف الذي لأجله شَبَّه الغرة به أخصُّ ، وهو فيه أظهر وأبلغ ، والتفاوت بينهما كالتفاوت بين خافية الغراب والقار وبين ما يشبه بهما .

= فالجواب : أن الأمر ، وإن كان كذلك ، فإنَّ تشبيه غرة الفرس بالصبح حيث ذُكرت ، لم يقع من جهة المبالغة في وصفها بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ ، وإنما قصد أمر آخر : وهو وقوع مُنيرٍ في مُظلمٍ ، وحصول بياض في سوادٍ ، ثم البياض صغيرٌ قليل بالإضافة إلى السواد ، وأنت تجد هذا الشبه على هذا الحدِّ في الأصل ، فإذا عكست فقلت : « كأنَّ الصُّبح عند ظهور أوله في الليل غرةً في فرس أدهم » ، لم تقع في مناقضة ، كما أنك لو شَبَّهت الصُّبح في الظلام بعلم بياض على ديباج أسود ، لم تخرج عن الصواب ، وعلى نحو من ذلك قول / ابن المعتز :

١٢٠

[من الطويل]

فخلتُ الدُّجى والفجرُ قد مدَّ حَيْطَهُ رِداءً مُوشِيً بالكواكب مُعلِّماً^(١)

فالعلم في هذا الرداء هو الفجر بلا شبهة . وله ، وهو صريح ما أردت :

[من البسيط]

والليل كالحلَّة السوداءٍ لاح به من الصُّباح طِرازٌ غير مرقوم^(٢)

(١) ليس في ديوانه ، وهو له في ديوان المعاني ١ : ٣٤٤ .

(٢) ليس في ديوانه . و « المرقوم » ، الذي عليه الرَّم ، وهو الوشَى .

= وإن كان التفاوت في المقدار بين الصُّبح والطُّراز في الامتداد والانبساط شديداً .

وكذلك تشبيه الشَّمس بالمرآة المجلوة ، وبالدينار الخارج من السُّكَّة ، كما قال ابن المعتز :

[من الخفيف]

وكأنَّ الشَّمسَ المُنيرةَ دِيناً رَّجَلَتَهُ حَدَائِدُ الضُّرَابِ (١)

= حَسَنٌ مقبول ، وإن عَظُمَ التَّفَاوُتُ بين نُورِ الشَّمسِ ونورِ المرآةِ والدِّينارِ أو الجِرْمِ والجِرمِ ، لأنك لم تضع التشبيه على مجرد الثَّور والانتلاق ، وإنما قصدت إلى مستدير يتلأأ ويلمع ، ثم خصوص في جنس اللون يوجد في المرآة المجلوة والدينار المتخلص من حَمِي السُّكَّة ، كما يوجد في الشمس . فأما مقدار النور ، وأنه زائد أو ناقص ومتناه ، أو متقاصر ، والجِرمُ : أعْظِيمٌ هو أم صغير ؟ فلم تتعرض له ، ويستقيم لك العكس في هذا كله ، نحو أن تشبه المرآة بالشمس ، وكذلك لو قلت في الدينار : « كأنه شمس » ، أو قلت : « كأن الدنانير المنثورة شمس صغار » = لم تعد .

١٨٢ - وجملة القول أنه متى لم يُقصد ضربٌ من المبالغة في إثبات الصفة للشيء ، والقصيد إلى إيهام في الناقص أنه كالزائد ، واقتصر على الجمع بين الشئيين في مطلق الصورة والشكل واللون ، أو جمع وصفين على وجه يوجد في الفرع على حدّه أو قريب منه في الأصل ، فإن العكس يستقيم / في التشبيه ، ومتى أُريد شيء من ذلك لم يستقيم .

متى يستقيم عكس التشبيه

١٢١

(١) هو في ديوانه ، و « الضراب » ، الذين يضربون الدراهم والدنانير .

١٨٣ - وقد يَقْصِدُ الشاعر ، على عادة التخييل ، أن يُوهِم في الشيء هو قاصرٌ عن نظيره في الصفة أنه زائد عليه في استحقاقها ، واستيجاب أن يُجعل أصلاً فيها ، فيصحُّ = على موجب دعواه وسرفه = أن يجعل الفرع أصلاً ، وإن كُنَّا إذا رجعنا إلى التحقيق ، لم نجد الأمر يستقيم على ظاهر ما يضع اللفظ عليه ، ومثاله قول محمد بن وهيب :

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجَهُ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ (١)

فهذا على أنه جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأشهر وأتم وأكمل في النور والضياء من الصُّباح ، فاستقام له بحكم هذه التَّيَّة أن يجعل الصُّباح فرعاً ، ووجه الخليفة أصلاً .

وأعلم أن هذه الدعوى = وإن كنت تراها تُشبه قولهم : « لا يُدرى أوجُّههُ أنورُ أم الصُّبح ، وغُرَّتُهُ أضوأُ أم البدر » ، وقولهم إذا أفرطوا : « نور الصُّباح يَحْفَى في ضوء وجهه » ، أو « نور الشمس مسروق من جبينه » ، وما جرى في هذا الأسلوب من وجوه الإغراق والمبالغة = فإن في الطريقة الأولى خِلافةً وشيئاً من السحر ، وهو أنه كأنه يستكثر للصُّباح أن يُشَبَّه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه قد احتشد له ، وأجتهد في طلب تشبيهه يُفَعِّمُ به أمره ، ووجهته الساحرة أنه يُوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ، ويُفيدكها من غير أن يظهر ادِّعَاؤُها لها ، لأنه وضع كلامه وَضَعَ مَنْ يقيس على أصل متَّقٍ عليه ، ويُزجِّي الخبر عن أمرٍ مسلم لا حاجة فيه إلى دعوى ، ولا إشفاق من خلافٍ مخالفٍ وإنكارٍ منكرٍ ، وتجهُّمٍ / معترضٍ ، وتهكُّمٍ قائلٍ : « لِمَ ؟ » ، و « من أين لك ذلك ؟ » . والمعاني إذا

(١) هو له في ترجمته في الأغاني ١٩ : ٨٩ ، بقوله في المأمون ، ومعجم الشعراء : ٤٢١ .

وردت على النفس هذا المورد ، كان لها ضربٌ من السرور خاص ، وحدث بها من الفرح عجيب ، فكانت كالنعمة لم تُكدرها المنة ، والصنعة لم يُنقصها اعتداد المصطنع لها .

وفي هذا الموضع شبيهة بالنكتة التي ذكرتها في التجنيس ، ^(١) لأنك في الموضوعين تنال الربح في صورة رأس المال ، وترى الفائدة قد ملأت يدك من حيث حسبتها قد جازتك وأخلتلك ، وتجد على الجملة الوجود من حيث توهمت العدم .

ولطيفة أخرى ، وهي أن من شأن المدح إذا ورد على العاقل أن يقفه بين أمرين يصعب الجمع بينهما وتوفية حقهما : معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه ، وقصده من تفخيم شأنه في عيون الناس بالإصغاء إليه والارتياح له ، والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده = ^(٢) وملك النفس حتى لا يغلبها السرور عليه ، ويخرج بها إلى العجب المذموم وإلى أن يقول : « أنا » ، فيقع في ضعة الكبر من حيث لا يشعر ، ويظهر عليه من أمارته ما يُدَمُّ لأجله ويُحَقَّر ، فما كبر أحد في نفسه إلا غان الكبر على عقله ، ^(٣) وفسح عقده من حلمه . وهذا موقف تزل في الأقدام ، بل تخف عنده الحلوم ، حتى لا يسلم من خدع النفس هناك إلا أفراد الرجال ، وإلا من أدام التوفيق صُحبتَه ، ومن أين

(١) انظر آخر رقم : ٦ .

(٢) هو ثاني الأمرين ، وسياق الكلام « ... معرفة حق المادح ... وملك النفس ... » .

(٣) في المطبوعتين « أغان الكبر عقله » ، وفي المخطوطة « أغان الكبر على عقله » وكلاهما لا يصح ، وإنما الصواب ما أثبت . يقال : « غين على قلبه » . بالبناء للمجهول ، أى غطى عليه وتغشته الشهوة ، وفعلها الثلاثي « غان » مبنياً للمعلوم ، وفي الحديث : « إنه يُعَانُ على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة » ، رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، « باب استجاب الاستغفار والإكثار منه » .

ذلك وأنتى ! فإذا كان المدح على صورة قوله : « وجه الخليفة حين يمتدح » ، خَفَّ عنه الشطرُ من تكاليف هذه الخصلة .

التمثيل ، وجعل الفرع
أصلاً والأصل فرعاً

١٨٤ - وإذا قد تبين كيف يكون جعلُ الفرعِ أصلاً ، والأصلِ فرعاً

١٢٣

في التشبيه الصريح ، فأرجعُ إلى « التمثيل » ، وانظر هل تجيء فيه هذه / الطريقة على هذه السَّعة والقوة ؟ ثم تأمل ما حُمِل من « التمثيل » عليها كيف حكمه ؟ وهل هو مُساوٍ لما رأيت في التشبيه الصريح ، وحاذِ حَنَوَهُ على التحقيق ، أم الحال على خلاف ذلك ؟

والمثال فيما جاء من التمثيل مردوداً فيه الفرعُ إلى موضع الأصل ، والأصل إلى محلّ الفرع ، قوله : [من الخفيف]

وكانَّ النجومَ بين دُجَاهِ سُننٍ لآحَ يَبْتَهِنَنَّ آبتداعُ^(١)

وذلك أن تشبيه السنن بالنجوم ، تمثيل ، والشبه عقلي ، وكذلك تشبيه خلافها من البدعة والضلالة بالظلمة . ثم إنه عكس فشبه النجوم بالسنن ، كما يُفعل فيما مضى من المشاهدات ، إلا أننا نعلم أنه لا يجري مجرى قولنا : « كأن النجوم مصاييح » تارةً « وكان المصاييح نجوم » أخرى ، ولا مجرى قولك : « كأن السيوف بروق تنعق » ، و « كأن البروق سيوف تُسلُّ من أعمادها فتبرق » ، ونظائر ذلك مما مضى . وذلك أن الوصف هناك لا يختلف من حيث الجنس والحقيقة ، وتجده العين في الموضوعين ، وليس هو في هذا مشاهدًا محسوسًا ، وفي الآخر معقولًا متصورًا بالقلب ممتنعًا فيه الإحساس . فانت تجد

(١) من أبيات اللقاضي التنوخي في بيتمة الدهر ٢ : ٣١٠ ، وانظر تمام الشعر فيما سيأتي في آخر

في السيوف كَمَعَانًا على هيئة مخصوصة من الاستطالة وسرعة الحركة ، تجده بعينه أو قريبًا منه في البروق ، وكذلك تجد في المَدَاهِن من اللُّرِّ حَشَوُهِن عَقِيقٌ ، (١) من الشكل واللون والصورة ما تجده في النرجس ، حتى يُتَصَوَّرُ أن يشبّهه الحال في الشيء من ذلك ، فَيُظَنُّ أن أحدهما الآخرُ : فلو أن رجلًا رأى من بعيد بريقَ سيوف تُتَنَتَضِي من العُود ، لم يَبْعُد أن يغلطَ فيحسب أن بروقًا انعقت ، وما لم يقع فيه الغلط كان حاله قريبًا مما يجوز وقوع / الغلط فيه . ومحال أن يكون الأمر كذلك في التمثيل ، لأن « السُّنن » ليست بشيء يترأى في العين فيشبهه بالنجوم ، ولا ههنا وصفٌ من الأوصاف المشاهدة يجمع السنن والنجوم ، وإتّما يُقصد بالتنشيه في هذا الضرب ما تقدّم من الأحكام المتأولة من طريق المقتضى . فلمّا كانت « الضلالة والبدعة » وكل ما هو جهلٌ ، تجعل صاحبها في حكم من يمشى في الظلمة فلا يهتدى إلى الطريق ، ولا يفصل الشيء من غيره حتى يتردى في مَهْوَاةٍ ، ويعثر على عدوِّ قاتل وآفة مهلكة ، لزم من ذلك أن تُشَبَّه بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن تشبّه « السُّنَّة والهُدَى والشريعة وكل ما هو عِلْمٌ » بالنور .

١٥٥ - وإذا كان الأمر كذلك ، علمت أن طريقة العكس لا تحيء في « التمثيل » على حدها في التشبيه الصريح ، وأنها إذا سُلِّكت فيه كان مبنياً على ضرب من التلويح والتخمين يخرج عن الظاهر خروجًا ظاهرًا ، ويبعد عنه بُعدًا شديدًا .

العكس في التمثيل غير
العكس في التشبيه
وعلاقته بالتأويل

= فالتأويل في البيت : أنه لما شاع وتُعرف وشُهر وصف « السُّنَّة »

ونحوها بالبياض والإشراق ، و « البدعة » بخلاف ذلك ، كما قال النبي ﷺ :
 « أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليؤها كنهها » ، ^(١) وقيل : « هذه حجة بيضاء » ،
 وقيل للشبهة وكل ما ليس بحق : « إنه مظلم » ، وقيل « سواد الكفر » و « وظلمة
 الجهل » ، يُخَيَّلُ أن « السنن » كلها جنس من الأجناس التي لها إشراق ونور
 وأبيضاض في العين ، وأن « البدعة » نوع من الأنواع التي لها فضل اختصاص
 بسواد اللون ، فصار تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداء / ، على
 قياس تشبيههم النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب ، أو بالأنوار
 واتلاقها بين الثبات الشديد الخضرة ، فهذا كله ههنا ، كأنه ينظر إلى طريقة
 قوله :

وبدا الصباح كأن غرته . ^(٢)

= في بناء التشبيه على تأويل هو غير الظاهر ، إلا أن التأويل هناك أنه
 جعل في وجه الخليفة زيادة من النور والضيء يبلغ بها حال الصباح أو يزيد =
 والتأويل ههنا أنه خيَّل ما ليس بمتلون كأنه متلون ، ثم بنى على ذلك .

[من الكامل]

ومن هذا الباب قول الآخر :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق ^(٣)

لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد فيقال :
 « أسودَّ النهار في عيني » ، و « أظلمت الدنيا علي » ، جعل يوم النوى كأنه أعرف
 وأشهر بالسواد من الظلام ، فشبه به ، ثم عطف عليه « فؤاد من لم يعشق » ،

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ .

(٢) مضى بيت محمد بن وهيب في رقم : ١٨٣ .

(٣) هو من شعر أبي طالب الرقي في يتيمة الدهر ١ : ٢٤٤ .

تظرفاً وإتماماً للصنعة . وذلك أن العَزَل يدعى القَسْوَة على من لم يعرف العشق ، والقلب القاسى يُوصف بشدّة السواد ، فصار هذا القلب عنده أصلاً في الكُدرة والسواد فقاس عليه . وعلى ذلك قول العامّة : « ليل كقلب المنافق » أو « الكافر » ، إلا أنّ في هذا شوباً من الحقيقة ، من حيث يتصوّر في القلب أصل السواد ، ثم يدعى الإفراط ، ولا يدعى في « البدعة » نفس السواد ، لأنها ليس مما يتلون ، لأن اللون من صفات الجسم . فالذى يساويه في الشبه المساواة التامة قوهم : « أظلم من الكفر » ، كما قال ابن العميد في كتاب يُداعب فيه ، ويظهر التظلم من هلال الصوم ، ويدعو على القمر فقال : « وأرغب إلى الله تعالى في أن يقرب على القمر دَوْرَه ، وينقص / مسافة فلّكه » ، ثم قال بعد فصل : « ويُسمعى الثُغرة في قفّا شهر رمضان ، ويعرض علىّ هلاله أخفى من السحر وأظلم من الكفر » . (١)

١٢٦

وإن تأوّلت في قوله :

سنن لاح بينهنّ آبتداغ . (٢)

= أنه أراد معنى قوهم : إن سواد الظلام يزيد النجوم حسناً وبهاءً ، كان له مذهبٌ ، وذلك أنه لما كان وقوف العاقل على بطلان الباطل ، وأطلّعه على عوار البدعة ، وخرّقه الستر عن فضيحة الشبهة ، يزيد الحق نُبلًا في نفسه ، وحسناً في مرآة عقله ، جعل هذا الأصل من المعقول مثلاً للمُشاهد المُبصر هناك ، إلا أنه على ذلك لا يخرج من أن يكون خارجاً عن الظاهر ، لأن الظاهر أن يُمثّل المعقول في ذلك بالمحسوس ، كما فعل البحتري في قوله : [من الطويل]

(١) كلام ابن العميد في يتيمة الدهر ٣ : ١٤٤ من رسالة في شهر رمضان .

(٢) مضى في رقم : ١٨٤ .

وقد زَادَهَا إِفْرَاطُ حُسْنِ جِوَارِهَا خَلَائِقُ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيِّبِ (١)
وَحُسْنُ دَرَارِي النُّجُومِ بَأَنَّ تُرَى طَوَالِعَ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبِ

فبك مع هذا الوجه حاجة إلى مثل ما مضى من تنزيل السنّة والبدعة منزلة ما يقبل اللون ، ويكون له في رأي العين منظر المشرق المتبسّم ، والأسود الأقم ، حتى يُراد أنّ لَوْنَ هذا يزيد في بريق ذاك وبهائه وحسنه وجماله ، وفي القطعة التي هذا البيت منها غيرها مما مذهبه المذهب الأول ، وهو :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ كَصُلُودٍ أَوْ فِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ (٢)
مُوحِشٍ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعِي سُنُّ وَتَأْبَى حَدِيثُهُ الْأَسْمَاعُ
وَكَأَنَّ النُّجُومَ = الْبَيْتَ ، وَبَعْدَهُ :

مُشْرِقَاتٌ كَأَنَّهُنَّ حِجَاغٌ يَقْطَعُ الْخِصْمَ وَالظَّلَامَ أَنْقِطَاغُ

•••

١٨٦ - / وما حقه أن يُعدّ في هذا الباب قول القائل : [من الطويل]

كَأَنَّ أَنْتِضَاءَ الْبَلَدِ مِنْ تَحْتِ غَيْمَةٍ نَجَاءً مِنَ الْبِأْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِ (٣)

وذلك أن العادة أن يُشبه المتخلص من البأساء بالبدري الذي ينحسر عنه الغمام ، والشبه بين البأساء والغمام والظلماء من طريق العقل ، لا من طريق الحسّ .

وأوضح منه في هذا قول ابن طباطبا :

(١) هو في ديوانه .

(٢) انظر ما سلف رقم : ١٨٤ ، والتعليق عليه هناك .

(٣) في كتب البلاغة أنه لابن طباطبا نقيب الأشراف بمصر .

صَحَوْ وَعَيَّمْ وَضِيَاءٌ وَظَلَمٌ مثل سُورٍ شَابِهَ عَارِضُ غَمٍّ (١)

...

١٨٧ - ومن جيد ما يقع في هذا الباب قول التنوخي في قطعة ، وهي

ضرب من تشبيه
المحسوس بالمعقول

قوله : [من البسيط]

أما ترى البردَ قد وافتَ عساكره وعسكرُ الحرِّ كيف أنصاعَ مُنطلقاً (٢)
فالأرضُ تحتَ ضربِ الثلجِ تُحسبُها قد ألبستَ حُبُكاً أو غُشيتَ ورقاً
فأنهضُ بنارٍ إلى فحمٍ كأنهما في العينِ ظلمٌ وإنصافٌ قد أتفقا
جاءت ونحن كقلبِ الصَّبِّ حين سلا برداً فصرنا كقلبِ الصَّبِّ إذ عَشيقاً

المقصود : « فانهض بنار إلى فحم » ، فإنه لما كان يقال في « الحق » :

« إنه منير واضح لائح » ، فتستعار له أوصاف الأجسام المنيرة ، وفي « الظلم »
خلاف ذلك ، تخيلهُما شيئين لهما ايضاضٌ واسودادٌ ، وإنارةٌ وإظلامٌ ، فشبه
النَّارَ والفحمَ بهما .

١٨٨ - ومن الباب قول ابن بابك : [من الطويل]

وأرضُ كأخلاقِ الكريمِ قَطَعَتْهَا وقد كَحَلَ الليلُ السَّمَاءَ فأبصرًا (٣)

لما كانت الأخلاق توصف بالسعة والضيق ، وكثر ذلك واستمر ، توهمه

حقيقةً ، فقابل بين سعة الأرض التي هي سعة حقيقية وأخلاق الكريم .

(١) هو لابن طباطبا العلوي الأصفهاني في ديوان المعاني ١ : ٣٥١ من أبيات كثيرة .
(٢) هو للفاضل التنوخي في يتيمة الدهر ٢ : ٣١٣ . وقوله : « انصاع » ، أي انفتل راجعاً ومرَّ
مسرّعاً . و « الضرب » ، الصقيع الذي يقع على الأرض . و « الحيك » ، تكسر كل شيء ، كالرملة إذا
مرَّت عليها الريح الساكنة ، فتجمد وظهرت فيه طرائق . و « الورق » الفضة ، بكسر الراء .
(٣) لم أقف عليه .

ومثله قول أبى طالب المأمونى :

[من الكامل]

وَقَلَّا كَأَمَالٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى لَا تَصُدُّقُ الْأَوْهَامُ فِيهَا قِيَلًا ^(١)
أَقْرَبَتْهَا بِشِمْلَةٍ تَقْرَى الْفَلَا عَنَقًا ، وَتَقْرِيهَا الْفَلَاةُ نُحَوْلًا ^(٢)

١٢٨

/ قاسَ الفلا في السعة وهي حقيقة فيها ، على الآمال ، وهي إذا وُصفت بالسعة كان مجازًا بلا شبهة ، ولكن لما كان يقال : « آمالٌ طَوَالٍ » و « وآمالٌ لا نهاية لها » و « واتسعت آماله » ، وأشباه ذلك ، صارت هذه الأوصاف كأنها موجودةٌ فيها من طريق الحسّ والعيان .

ضرب آخر منه

١٨٩ - وعلى ذكر « الأمل » ، فمن لطيف ما جاء في التشبيه به على

هذا الحدّ ، إن لم يكن في معنى السعة والامتداد ، ولكن في الظلّمة والاسوداد ،

قول ابن طباطبا :

[من الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ أَمَلِي فِي — لَكَ وَقَدْ رُحْتُ عَنْكَ بِالْحِرْمَانِ ^(٣)
جُبَّتْهُ وَالتُّجُومُ تَنْعَسُ فِي الْأَفْدِ حَقَّ وَيَطْرِفُنَ كَالْعَيُونِ الرُّوَانِي
هَارِبًا مِنْ ظِلَامٍ فِعْلِكَ بِي نَحْوِ حَوَ ضِيَاءِ الْفَتَى الْأَعْرَّ الْهَيْجَانِ

(١) لم أقف عليه .

(٢) في المطبوعتين : « أقرئها » ، كما هو ثابت هنا ، وفي المخطوطة « أفرشتها » ، وكلاهما لا معنى

له فيما أعلم ، والمعنى على كل حال يراد به قطعها ، أى الفلاة . و « الشِّمْلَةُ » ، الناقة السريعة و « العنق » ، سير فسيح واسع . و « تقرى » أى يكون قرى الفلاة عنقًا ، ويكون قرى الفلاة للإبل نحوًا ، مما تقاسبه ولو قرئت : « قرئتها بشملة » ، أى قربت مسافتها البعيدة ، لكان جيدًا .

(٣) لم أقف على شعر ابن طباطبا . وقوله : « كالعيون الروانى » ، جمع « رانية » ، من « رنا إلى

الشيء يرنو » ، أى أدام النظر ، وفي المطبوعتين : « الزوانى » ، بالزاي المعجمة ، وهو في المخطوطة كما أثبتته ، وعلى الرأء علامة الإهمال . و « طرفت العين » ، تحركت .

لما كان يقال في الأمر لا يُرجى له نجاح : « قد أظلم علينا هذا الأمر » ،
و « هذا أمر فيه ظلمة » ، ثم أراد أن يبالغ في ألتباس وجه التّجح عليه في أمره ،
تخيّل كأنّ أمره شخصٌ شديد السواد ففاس ليله به ، كأنه يقول : « تفكّرتُ
فيما أعلمه من الأشياء السود ، فرأيتُ صورةً أُملي فيك زائدةً على جميعها في
شدة السّواد ، فجعلته قياساً في ظلمة ليل الذي جُبتّه » .

١٩٠ - ومن الباب ، وهو حسنٌ ، قول ابن المعتزّ : [من الكامل]

ضرب آخر منه

لَا تَخْلُطُوا اللَّوْشَابَ فِي قَدَحٍ بِصَفَاءِ مَاءٍ طَيِّبِ الْبَرْدِ (١)
لَا تَجْمَعُوا بِاللَّهِ وَيَحْكُمُ غِلْظَ الْوَعِيدِ وَرِقَّةَ الْوَعْدِ

لما كان يقال : « أغلظ له القول » ، ويوصف الجافي وكل من أساء وقال
ما يُكره بالغلظ ، ويوصف كلامُ المحسن ومن يعمد إلى الجميل باللطافة ، جعل
الوعيد والوعد أصلاً في الصفتين ، وقاس عليهما .

١٩١ - فأما قول الآخر : [من الوافر]

شَرِبْتُ عَلَى سَلَامَةٍ أَفْتَكِينِ شَرَابًا صَفْوُهُ صَفْوُ الْيَقِينِ (٢)

/ فهو على الحقيقة لا يدخل في تشبيه الحقيقة بالمجاز ، لأن الصفاء
تُخلوص الشيء وخلوه من شيء يغيره عن صفته ، إلا أنه من حيث يقع في الأكثر
لِمَا لَهُ بَرِيْقٌ وَبَصِيصٌ ، كان كأنه حقيقةً في المحسوسات ، ومجازاً في المعقولات .

١٢٩

١٩٢ - وأما قولهم : « هواءٌ أرقٌ من تشاكي الأحباب » ، فمن

(١) هو في ديوانه : و « اللّوشاب » ، نبيذ التمر .

(٢) لم أجده .

الباب ، لأن الرقة في الهواء حقيقة وفي التشاكي مجاز . وهكذا قول أبي نواس في خلاعته : [من الرمل]

« حَتَّى هِيَ فِي رِقَّةٍ دِينِي » (١)

لأن الرقة من صفات الأجسام ، فهي في الدين مجاز .

١٩٣ - ومما كأنه يدخل في هذا الجنس قول المتنبي : [من الخفيف]

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ (٢)

والنفس تنبو عن زيادة القول عليه . وقد اقتدى به بعض المتأخرين في

هذه الإساءة فقال : [من البسيط]

سَوَادٌ صُدُغَيْنِ مِنْ كَفْرِ يُقَابِلُهُ بِيَاضِ خَدَّيْنِ مِنْ عَدْلِ وَتَوْحِيدِ

وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق ، إذا دعت شهوة الإغراب إلى أن

يستعير للهزل والعبث من الجِدِّ ، ويتغزل بهذا الجنس .

١٩٤ - ومما هو حسن جميل من هذا الباب ، قول الصاحب كتب

به إلى القاضي أبي الحسن : روى عن القاضي أنه قال : أنصرفت عن دار

الصاحب قبيل العيد ، فجاءني رسوله بعطر الفطر ، ومعه رُقعة فيها هذان

البيتان : [من الكامل]

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ مَعَ قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاقَةٌ (٣)

أَهْدِيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ ، فَكَأَنَّمَا أَهْدَيْتُ لَهُ أَخْلَاقَهُ

(١) هو في ديوانه ، والبيت بنامه : يعني الخمر :

عُتِّقْتُ فِي الدُّنِّ حَتَّى هِيَ فِي رِقَّةٍ دِينِي

(٢) هو في ديوانه .

(٣) القاضي هو الجرجاني صاحب الوساطة ، والقصة في تيممة الدهر ١ : ١٧٨ ، ١٧٩ .

وَكَوْنُ هذا التشبيه مما نحن فيه من أوضح ما يكون ، فليس بخافٍ أن العادة أن يشبه الثناء بالعطر ونحوه ويشتق منه ، وقد عكس / كما ترى ، وذلك على أدعاء أن ثناءه أحقُّ بصفة العطر وطيبه من العطر وأخصُّ به ، وأنه قد صار أصلاً حتى إذا قيس نوعٌ من العطر عليه ، فقد بُوِّغ في صفته بالطيب ، وجُعِل له في الشرف والفضل على جنسه أوفرُّ نصيب .

•••

١٩٥ - وإذا قد عرفت الطريقة في جعل الفرع أصلاً في « التمثيل » فأرجع وقابل بينه وبين التشبيه الظاهر ، تَعَلَّم أن حاله في الحقيقة مخالفةٌ للحال ثم . وذلك أنك لا تحتاج في تشبيه البرق بالسيوف والسيوف بالبرق إلى تأويل أكثر من أن العين تؤدِّي إليك من حيث الشكل واللون وكيفية اللمعان ، صورةً خاصةً تجدها في كل واحد من الشئيين على الحقيقة . ولا يُمكننا أن نقول إن الثريا شُبِّهت باللجم المفضَّض ، ^(١) ويعنقود الكرم المنور ، ^(٢) وبالوشاح المفصل ، ^(٣) لتأويل كذا ، بل ليس بأكثر من أن أنجم الثريا لونها لون الفضة ، ثم إن أجرامها في الصغر قريبة من تلك الأطراف المركبة على سيور اللجم ، ثم إنها في الاجتماع والافتراق على مقدارٍ قريبٍ من مواقع تلك الأطراف = وكذا القول في : « العنقود » ، فإن تلك الأنوار مشاكلةٌ لها في البياض ، وفي أنها ليست متضامةً تضامً التلاصق ، ولا هي شديدة التباين ، حتى يبعد الفصل بين بعضها وبعض ، بل مقاديرها في القرب والبعد على صفةٍ قريبةٍ مما يترأى في العين من مواقع تلك الأنجم .

مقابلة بين جعل
الفرع أصلاً في
التمثيل ، وبين التشبيه
الظاهر

(١) يعنى في شعر ابن المعتز ، مضى في آخر رقم : ١٣٥ .

(٢) يعنى في شعر أبق قيس بن الأسلت ، مضى في رقم : ٨٨ .

(٣) يعنى قول امرئ القيس ، مضى في رقم : ١٣٨ .

وإذا كان مدارُّ الأمر على أن العين تصف من هذا ما تصف من ذلك ، لم يكن تشبيه اللجام المفضَّض بالثريا إلا كتشبيه الثريا به ، والحكم على أحدهما بأنه فرعٌ أو أصلٌ ، يتعلق بقصد المتكلم ، فما بدأ به في الذكر فقد جعله فرعًا وجعل الآخر / أصلًا .

١٣١

وليس كذلك قولنا : « له تُخلق كالمسك » ، و « هو في دُنُوّه بعطائه ، ويُعده بعزّه وعلائه ، كالبلر في ارتفاعه ، مع نزول شعاعه » ، ^(١) لأن كون الخلق فرعًا والمسك أصلًا ، أمرٌ واجب من حيث كان المعلوم من طريق الإحساس والعيان متقدمًا على المعلوم من طريق الروية وهاجس الفكر .

الفرع لا يخرج عن
كونه فرعًا على
الحقيقة

١٩٦ - وحُكِمَ هذا في أن الفرع لا يخرج عن كونه فرعًا على الحقيقة ، حكمٌ ما طريق التشبيه فيه المبالغة من المشاهدات والمحسوسات ، كقولك : « هو كحنك الغراب في السواد » ، ^(٢) لما هو دونه فيه ، وقولك في الشيء من الفواكه مثلاً : « هو كالعسل » . فكما لا يصح أن يُعكس فيشبهه حنك الغراب بما هو دونه في السواد ، والعسل بما لا يساويه في صديق الحلاوة ، كذلك لا يصح أن تقول : « هذا مسك كخُلق فلان » ، إلا على ما قدمت من التخيل . ألا ترى أنه كلامٌ لا يقوله إلا من يُريد مدح المذكور ؟ فأما أن يكون القصدُ بيانُ حال المسك ، على حدِّ قصدك أن تبين حال الشيء المشبه بحنك الغراب

(١) يعنى قول البحرى فى رقم : ١٠٩ .

(٢) فى المطبوعين والمخطوطة : « كحنك الغراب » ، وهو صواب ، لأن « الحنك » السواد . و « الحنك » منقار الغراب ، وهو الأشهر فى التشبيه ، وسيأتى أيضاً فى الأسطر الآتية « حنك الغراب » فقيرتها جميعاً .

في السواد والمشبه بالعتسل في الحلاوة ، فما لا يكون . كيف ؟ ولولا سبق المعرفة من طريق الحس بحال المسك ، ثم جريان العرف بما جرى من تشبيه الأخلاق به ، واستعارة الطيب لها منه ، لم يتصور هذا الذي تريد تخيله من أنا نبالغ في وصف المسك بالطيب بتشبيها له بخلق المملوح . وعلى ذلك قولهم : « كأنما سرق المسك عرقه من خلقتك ، والعتسل حلاوته من لفظك » ، هو مبنئ على العرف السابق ، من تشبيه الخلق بالمسك واللفظ بالعتسل . ولو لم يتقدم ذلك ولم يتعارف ولم يستقر في العادات ، لم يُعقل لهذا النحو / من الكلام معنى ، لأن كل مبالغة ومجاز فلا بد من أن يكون له استناد إلى حقيقة .

١٣٢

° ° °

١٩٧ - وإذا ثبتت هذه الفروق والمقابلات بين التشبيه الصريح الواقع في العيان وما يدركه الحس ، وبين التمثيل الذي هو تشبيه من طريق العقل والمقاييس التي تجمع بين الشئين في حكم تقتضيه الصفة المحسوسة لا في نفس الصفة = كما بينت لك في أول قول ابتدأته في الفرق بين التشبيه الصريح وبين التمثيل ، من أنك تشبه اللفظ بالعتسل على أنك تجمع بينهما في حكم توجيه الحلاوة دون الحلاوة نفسها .^(١)

الفرق بين التمثيل
والتشبيه

= فهنا لطيفة أخرى تعطيك للتمثيل مثلاً من طريق المشاهدة ، وذلك أنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة واحدة ، إلا أنه يراها تارة في المرآة ، وتارة على ظاهر الأمر ، وأما في التشبيه الصريح ، فإنك ترى صورتين على الحقيقة .
يبين ذلك : أنا لو فرضنا أن تزول عن أوامنا ونفوسنا صور الأجسام

(١) مضى ذلك في رقم : ٩٥ .

من القرب والبعد وغيرهما من الأوصاف الخاصة بالأشياء المحسوسة ، لم يمكننا تخيّل شيءٍ من تلك الأوصاف في الأشياء المعقولة . فلا يُتصوّر معنَى كون الرجل بعيداً من حيث العزّة والسلطان ، قريباً من حيث الجود والإحسان ، حتى يخطر ببالك وتطمح بفكرك إلى صورة البدر ويُعدّ جرّمه عنك ، وقرب نوره منك . وليس كذلك الحال في الشيئين يُشبه أحدهما الآخر من جهة اللون والصورة والقدر ، فإنك لا تفتقر في معرفة كون التّرجس وخرطه واستدارته وتوسّط أحمره لأبيضه إلى تشبيهه بمداهن دُرّ حشوهن عقيق ، ^(١) كيف ؟ وهو شيء تعرضه عليك العين ، وتضعه في قلبك المشاهدة ، وإنما يزيدك / التشبيه صورةً ثانيةً مثل هذه التي معك ، ويجتلبها لك من مكان بعيد حتى تراهما معاً وتجدهما جميعاً . وأما في الأول ، فإنك لا تجد في الفرع نفس ما في الأصل من الصفة وجنسه وحقيقته ، ولا يُحضرك التمثيل أوصاف الأصل على التعيين والتحقيق ، وإنما يُخيّل إليك أنه يحضرك ذلك ، فإنه يُعطيك من المملوح بديراً ثانياً ، فصار وزانٌ ذلك وزانٌ أن المرأة تُخيّل إليك أنّ فيها شخصاً ثانياً صورته صورة ما هي مقابلةٌ له ، ومتى ارتفعت المقابلة ، ذهب عنك ما كنت تتخيّنه ، فلا تجد إلى وجوده سبيلاً ، ولا تستطيع له تحصيلاً ، لا جملةً ولا تفصيلاً .

(١) في شعر ابن المعتز رقم : ٨٨ .

فصل

في الفرق بين الاستعارة والتمثيل^(١)الفرق بين الاستعارة
والتمثيل

١٩٨ - أعلم أن من المقاصد التي تقع العناية بها أن تُبين حال
« الاستعارة » مع « التمثيل » ، أهي هو على الإطلاق حتى لا فرق بين العبارتين ،
أم حدها غير حده إلا أنها تتضمنه وتتصل به ؟ فيجب أن نُفرد جملة من القول
في حالها مع التمثيل .

قد مضى في « الاستعارة » أن حدها يكون للفظ اللغوي أصل ، ثم يُنقل
عن ذلك الأصل على الشرط المتقدم .^(٢) وهذا الحد لا يجيء في الذي تقدم في
معنى التمثيل ، من أنه الأصل في كونه مَثَلًا و تَمَثِيلًا ، وهو التشبيه المنتزع من
مجموع أمور ، والذي لا يُحصّله لك إلا جملة من الكلام أو أكثر ،^(٣) لأنك قد
تجد الألفاظ في الجمل التي يُعقد منها جارية على أصولها وحقائقها في اللغة .
وإذا كان الأمر كذلك ، بان أن « الاستعارة » يجب أن تُفيد حكمًا زائدًا
على المراد بالتمثيل ، إذ لو كان مرادنا بالاستعارة هو المراد بالتمثيل ، لوجب أن
يصح إطلاقها في كل شيء يقال فيه / إنه تمثيل ومثل .

١٣٤

والقول فيها أنها دلالة على حكم يثبت للفظ ، وهو نقله عن الأصل
اللغوي وإجراؤه على ما لم يوضع له . ثم إن هذا النقل يكون في الغالب من أجل
شبهه بين ما نُقل إليه وما نُقل عنه .

(١) زيادة في مطبوعة رشيد رضا وحدها .

(٢) انظر ما تقدم في رقم : ٢٥ .

(٣) انظر ما تقدم في رقم : ١٠٢ .

وبيان ذلك ما مضى من أنك تقول: ^(١) « رأيت أسدًا » ، تريد رجلًا شبيهًا به في الشجاعة = و « ظبية » تريد امرأة شبيهة بالظبية . فالتشبيه ليس هو « الاستعارة » ولكن الاستعارة كانت من أجل التشبيه ، وهو كالغرض فيها ، وكالعلة والسبب في فعلها .

١٩٩ - فإن قلت : كيف تكون الاستعارة من أجل التشبيه ، والتشبيه يكون ولا استعارة ؟ وذلك إذا جئت بحرفه الظاهر فقلت : « زيد كالأسد ؟ » .

التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه المبالغة والاختصار والإيجاز

فالجواب : أن الأمر كما قلت ، ولكن التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه خاص وهو المبالغة . فقولى : « من أجل التشبيه » ، أردت به من أجل التشبيه على هذا الشرط ، وكما أن التشبيه الكائن على وجه المبالغة غرض فيها وعلة ، كذلك الاختصار والإيجاز غرض من أغراضها . ألا ترى أنك تُفيد بالاسم الواحد الموصوف والصفة والتشبيه والمبالغة ، لأنك تُفيد بقولك : « رأيت أسدًا » ، أنك رأيت شجاعًا شبيهًا بالأسد ، وأنَّ شَبَّهه به في الشجاعة على أتم ما يكون وأبلغه ، حتى إنه لا ينقص عن الأسد فيها . وإذا ثبت ذلك ، فكما لا يصح أن يقال : « إن الاستعارة هي الاختصار والإيجاز على الحقيقة ، وأنَّ حقيقتها وحقيقتها واحدة » ، ولكن يقال : إن الاختصار والإيجاز يحصلان بها ، أو هما غرضان فيها ، ومن جملة ما دعا إلى فعلها ، كذلك حكم التشبيه معها . فإذا ثبت أنها ليست التشبيه على الحقيقة ، كذلك لا تكون التمثيل / على الحقيقة ، لأن التمثيل تشبيه إلا أنه تشبيه خاص ، فكلُّ تمثيل تشبيه ، وليس كلُّ تشبيه تمثيلًا .

وإذ قد تقررَتْ هذه الجملة ، فإذا كان الشبّه بين المستعار منه والمستعار له من المحسوس والغرائز والطبائع وما يجرى مجراها من الأوصاف المعروفة ، كان حقها أن يقال إنها تتضمن التشبيه ، ولا يقال إنّ فيها تمثيلاً وضربَ مثل . وإذا كان الشبّه عقلياً جاز إطلاق التمثيل فيها ، وأن يقال : ضُربَ الاسمُ مثلاً لكذا ، نقولنا : « ضُربَ النور مثلاً للقرآن » ، و « الحياةُ مثلاً للعلم » .

٢٠٠ - فقد حصلنا من هذه الجملة على أن المستعير يَعْمِدُ إلى نقل اللفظ عن أصله في اللغة إلى غيره ، ويجوز به مكانه الأصلي إلى مكان آخر ، لأجل الأغراض التي ذكرنا من التشبيه والمبالغة والاختصار ، والضَّارِبُ للمثل لا يفعل ذلك ولا يقصده ، ولكنه يقصد إلى تقرير الشبّه بين الشئين من الوجه الذي مضى . ثم إن وقع في أثناء ما يُعقَدُ به المثل من الجملة والجملتين والثلاث لفظة منقولة عن أصلها في اللغة ، فذاك شيء لم يعتمد من جهة المثل الذي هو ضاربه . وهكذا كل متعاطٍ لتشبيه صريح ، لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه . فإذا قلت : « زيد كالأسد » ، و « هذا الخبز كالشمس في الشهرة » ، و « له رأي كالسيف في المضاء » ، لم يكن منك نقل اللفظ عن موضوعه . ولو كان الأمر على خلاف ذلك ، لوجب أن لا يكون في الدنيا تشبيه إلا وهو مجاز ، وهذا مُحالٌ ، لأن التشبيه معني من المعاني وله حروف وأسماء تدل عليه ، فإذا صرح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه ، كان الكلام حقيقةً كالحكم في سائر المعاني ، فأعرفه .

المستعير ينقل اللفظ عن أصله في اللغة ، للتشبيه والمبالغة والاختصار ، وضارب المثل يقصد إلى تقرير الشبه بين الشئين

...

الاستعارة تكون اسماً أو فعلاً وبيان ذلك

٢٠١ - وأعلم أن اللفظة المستعارة / لا تخلو من أن تكون اسماً أو فعلاً ، فإذا كانت اسماً كان اسم جنس أو صفةً . فإذا كان اسم جنس فإنك

تراه في أكثر الأحوال التى تُنقل فيها محتملاً مُتَكَفِّفاً بين أن يكون للأصل ، وبين أن يكون للفرع الذى من شأنه أن يُنقل إليه . فإذا قلت : « رأيت أسداً » ، صلح هذا الكلام لأن تريد به أنك رأيت واحداً من جنس السبع المعلوم ، وجاز أن تريد أنك رأيت شجاعاً بأسلاً شديد الجرأة ، وإنما يفصل لك أحد الغرضين من الآخر شاهدُ الحال ، وما يتصل به من الكلام من قبل وبعد .

وإن كان فعلاً أو صفةً ، كان فيهما هذا الاحتمال في بعض الأحوال ، وذلك إذا أسندت الفعل وأجريت الصفة على اسم مبهم يقع على ما يكون أصلاً في تلك الصفة وذاك الفعل ، وما يكون فرعاً فيهما ، نحو أن تقول : « أنار لى شىء » و « هذا شىءٌ مُنير » . فهذا الكلام يحتمل أن يكون « أنار » و « مُنير » فيه واقعين على الحقيقة ، بأن تعنى بالشىء بعض الأجسام ذوات النور = وأن يكونا واقعين على المجاز ، بأن تريد بالشىء نوعاً من العلم والرأى وما أشبه ذلك من المعانى التى لا يصح وجود النور فيها حقيقةً ، وإنما توصف به على سبيل التشبيه .

= وفي الفعل والصفة شىء آخر ، وهو أنك كأنك تدعى معنى اللفظ المستعار للمستعار له ، فإذا قلت : « قد أنارت حُجَّتُه » ، و « هذه حجةٌ منيرة » ، فقد ادعيت للحجة النور ، ولذلك تجيء فتضيفه إليه ، كما تضاف المعانى التى يُشتق منها الفعل والصفة إلى الفاعل والموصوف فتقول : « نُورُ هذه الحجة جلاً بصري ، وشرح صندري » ، كما تقول : « ظهر نُورُ الشمس » . والمثل لا يوجب شيئاً من هذه الأحكام ، فلا هو يقتضى تردد اللفظ بين احتمال شيئين ولا أن / يدعى معناه للشىء ، ولكنه يدع اللفظ مستقراً على أصله .

الاستعارة من شأنها
أن تسقط ذكر المشبه

٢٠٢ - وإذ قد ثبت هذا الأصل ، فأعلم أن ههنا أصلاً آخر يُبنى عليه ، وهو أن الاستعارة وإن كانت تعتمد التشبيهة والتمثيل = وكان التشبيه يقتضى شيئين مشبَّهًا ومشبِّهًا به ، وكذلك التمثيل ، لأنه كما عرفت تشبيهة إلا أنه عقلِي = فإن الاستعارة من شأنها أن تُسقط ذكر المشبه من البين وتطرحة ، وتدعى له الاسم الموضوع للمشبه به ، كما مضى من قولك : « رأيت أسدًا » ، تريد رجلًا شجاعًا = و « وردت بحرًا زاحرًا » ، تريد رجلًا كثير الجود فائض الكف = و « أبدت نورًا » ، تريد علمًا وما شاكل ذلك . فاسم الذى هو المشبه غير مذكور بوجه من الوجوه كما ترى ، وقد نقلت الحديث إلى اسم المشبه به ، لقصْدك أن تبالغ ، فتضع اللفظ بحيث يُخيّل أن معك نفس الأسد والبحر والنور ، كى تُقوى أمر المشابهة وتشدده ، ويكون لها هذا الصنيع حيث يقع الاسم المستعار فاعلاً أو مفعولاً أو مجروراً بحرف الجرّ أو مضافاً إليه ، فالفاعل كقولك : « بدا لى أسدٌ » و « أنبرى لى لَيْثٌ » و « بدا نُورٌ » و « ظهرت شمسٌ ساطعة » و « فاض لى بالمواهب بحرٌ » ، كقوله :

وفى الجيرة الغادين من بطن وجرّة غزال كحيل المُقلتين ربيب^(١)
والمفعول كما ذكرت من قولك : « رأيت أسدًا » ، والمجرور نحو قولك :
« لا عار إن فر من أسد يزأر » ، والمضاف إليه كقوله :

يا آبن الكواكب من أئمة هاشم والرُجج الأحساب والأحلام^(٢)

(١) هو لابن الدمينية فى سمط اللآلى لأبى عبيد البكرى : ٤٥٨ ، وفى الأملال ١ : ١٨٧ لأعرابى ، وفى شرح الحماسة ٣ : ١٥٧ غير معزو ، وهو فى ديوان ابن الدمينية فى القسم الرابع « صلة الديوان : الزيادات » : ٢٠٠ (تحقيق أحمد راتب النفاخ) وبعد البيت :
ولا تحسبى أن الغريب الذى نأى ولكن من تنأين عنه غريب
و « بطن وجرّة » ، اسم مكان تكثر فيه الغزلان . و « ريبٌ مُرئى .

(٢) هو لأبى تمام فى ديوانه .

١٣٨

٢٠٣ - وإذا تجاوزت هذه الأحوال ، كان أسم المشبه مذكورًا وكان /
 مبتدأ ، واسم المشبه به واقعا في موضع الخبر ، كقولك : « زيد أسد » ، أو على
 هذا الحد ، وهل يستحق الاسم في هذه الحالة أن يوصف بالاستعارة أم لا ؟ فيه
 شبهة وكلام سيأتيك إن شاء الله تعالى . (١)

ليس كل مشبه به
 يجوز تسليط
 الاستعارة عليه

٢٠٤ - وإذا قد عرفت هذه الجملة ، فينبغي أن تعلم أنه ليس كل
 شيء يجيء مشبهًا به بكافٍ أو بإضافة « مثل » إليه ، يجوز أن تسلط عليه
 الاستعارة ، وتنفذ حكمها فيه ، حتى تنقله عن صاحبه وتدعيه للمشبه على حد
 قولك : « أبيت نورًا » تريد علمًا ، و « سللت سيفًا صارمًا » ، تريد رأيًا نافذًا
 = وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه ويسهل
 متناوله ، ويكون في الحال دليلًا عليه ، وفي العرف شاهد له ، حتى يمكن
 المخاطب إذا أطلقت له الاسم أن يعرف العرض ويعلم ما أردت .

فكل شيء كان من الضرب الأول الذي ذكرت أنك تكتفى فيه بإطلاق
 الاسم داخلًا عليه حرف التشبيه نحو قولهم : « هو كالأسد » ، فإنك إذا أدخلت
 عليه حكم الاستعارة وجدت في دليل الحال ، وفي العرف ما يبين غرضك ، إذ
 يُعلم إذا قلت : « رأيت أسدًا » ، وأنت تريد الممدوح ، أنك قصدت وصفه
 بالشجاعة = وإذا قلت : « طلعت شمس » ، وأنت تريد امرأة ، علم أنك تريد
 وصفها بالحسن ، وإن أردت الممدوح علم أنك تقصد وصفه بالنباهة والشرف .

فأما إذا كان من الضرب الثاني الذي لا سبيل إلى معرفة المقصود من
 الشبه فيه إلا بعد ذكر الجمل التي يعقد بها التمثيل ، فإن الاستعارة لا تدخله ،

(١) انظر ما سيأتي رقم : ٢٧١ .

لأن وجه الشبه إذا كان غامضاً لم يَجْزُ أن تقتصر الاسم وتُعصَّب / عليه موضعه ،
وتنقله إلى غير ما هو أهله من غير أن يكون معك شاهد يُنبئُ عن الشبه .

١٣٩

٢٠٥ - فلو حاولت في قوله :

من مثال ذلك
بيت النابغة

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي .^(١)

= أن تُعامل الليل معاملة الأسد في قولك : « رأيت أسداً » ، أعنى أن
تُسقط ذكر المملوح من التين ، لم تجد له مذهباً في الكلام ، ولا صادفت طريقة
تُوصِّلُك إليه ، لأنك لا تخلو من أحد أمرين : إما أن تحذف الصفة وتقتصر على
ذكر الليل مجرداً فتقول : « إن فررتُ أظلني الليل » ، وهذا محال ، لأنه ليس في
الليل دليل على النكته التي قصدها من أنه لا يفوته وإن أبعد في الهرب ، وصار
إلى أقصى الأرض ، لسعة مُلكه وطول يده ، وأن له في جميع الآفاق عاملاً
وصاحب جيش ومطيعاً لأوامره يرُدُّ الهارب عليه ويستوفقه إليه = وغاية ما يتأتى في
ذلك أن يريد أنه إن هرب عنه أظلمت عليه الدنيا ، وتخيّر ولم يهتد ، فصار كمن
يحصُلُ في ظلمة الليل . وهذا شيء خارج عن العَرَض ، وكلامنا على أن تستعير
الاسم ليؤدّي به التشبيه الذي قُصِدَ في البيت = ولم أَرِدْ أنه لا تُمكن استعارته
على معنى ما ، ولا يصلح في غرض من الأغراض .

وإن لم تحذف الصفة ، وجدت طريق الاستعارة فيه يؤدّي إلى تعسّف ،
إذ لو قلت : « إن فررتُ منك وجدتُ ليلاً يُدركني ، وإن ظننتُ أن المنتأى واسعٌ
والمهرب بعيدٌ » = قلت ما لا تقبله الطباع ، وسلكت طريقةً مجهولةً ، لأن العرف
لم يَجْرِ بأن يُجعل المملوح ليلاً هكذا .

(١) مضى للنابغة في رقم : ٢٣ .

٢٠٦ - فأما قولهم : إن التشبيه بالليل يتضمن الدلالة على سُخْطه ،

فإنه لا يُفسح في أن يجرى أسم الليل على المملوح جَرَى / الأسد والشمس ونحوهما ، وإنما تصلح استعارة الليل لمن يُقصد وصفه بالسواد والظلمة ، كما قال ابن طباطبا :

[من الطويل]

بَعَثْتُ مَعِيَ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا .^(١)

يعنى زنجياً قد أنفذه المخاطبُ معه حين انصرف عنه إلى منزله . هذا ، ورتما - بل كلما - وجدت ما إن رُمِتَ فيه طريقة الاستعارة ، لم تجد فيه هذا القدر من التمثل والتكلف أيضاً ، وهو كقول النبي ﷺ : « الناسُ كإبل مئة لا تجد فيها راحلة » ،^(٢) قل الآن من أى جهة تصل إلى الاستعارة ههنا ، وبأى ذريعة تنزِع إليها ؟ هل تقدر أن تقول : « رأيت إبلاً مئة لا تجد فيها راحلة » في معنى : « رأيت ناساً » أو « الإبل المئة التي لا تجد فيها راحلة » ، تريد الناس ، كما قلت : « رأيت أسداً » على معنى « رجلاً كالأسد » أو « الأسد » ، على معنى : « الذى هو كالأسد ؟ » وكذا قول النبي ﷺ : « مثل المؤمن كمثل النخلة = أو مثل الخامة » ،^(٣) لا تستطيع أن تتعاطى الاستعارة في شيء منه فتقول :

(١) ليس لابن طباطبا ديوان ولا شعرٌ مجموع ، ولم أعرف تمام البيت .

(٢) سلف تخرج الحديث في رقم : ١٠٦ .

(٣) حديث « مثل المؤمن كمثل النخلة » بالخاء المعجمة . تمامه : « ما أخذت منها من شيء نفعك » ، ذكره في فتح التقدير ، عن الطبراني عن ابن عمر : وأشار إلى أنه حسن .

وحديث « إن مثل المؤمن كمثل النخلة ، أكلت طيباً ، ووضعت طيباً ، ووقعت فلم تُكسّر ولم تُفسد » ، بالخاء المهملة ، رواه أحمد في المسند ، عن عبد الله بن عمرو ، برقم : ٦٨٧٢ ، (طبعة أخى أحمد محمد شاكر رحمه الله) ، وهو حديث طويل ، وقال : « إسناده صحيح » .

وأما حديث الخامة ، فهو : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع ، من حيث أتبها الرِّيح كفأتها ، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء » ، رواه البخارى في كتاب المرضى في أوله ، عن أنى هريرة ، ثم رواه في كتاب التوحيد ، في « باب في المشيئة والإرادة » .

« رأيت نَحْلَةً » أو « خَامَةً » على معنى « رأيت مؤمناً » . إن من رام مثل هذا كان كما قال صاحب الكتاب : « مُلَغِزًا تَارِكًا للكلام الناس الذي يَسْبِقُ إلى أفهدهم » ، ^(١) وقد قَدِمْتُ طرفاً من هذا الفصل فيما مضى ، ^(٢) ولكنني أعدته ههنا لاتصاله بما أريد ذكره .

فقد ظهر أنه ليس كل شيء يجيء فيه التشبيه الصريح بذكر الكاف ونحوها ، يستقيم نُقْلُ الكلام فيه إلى طريقة الاستعارة ، وإسقاط ذكر المشبّه جملةً ، والاقتصار على المشبّه به .

التشبيه الصريح
يكون المشبّه به
معرفة لا نكرة

٢٠٧ - وبقي أن نتعرّف الحكمَ في الحالة الأخرى ، وهي التي يكون كل واحدٍ / من المشبّه والمشبّه به مذكوراً فيه ، نحو : « زيدٌ أسدٌ » و « وجدته أسداً » ، هل تُسَاوِقُ صريحَ التشبيه حتى يجوز في كل شيئين قُصِدَ تشبيهُ أحدهما بالآخر أن تحذف الكاف ونحوها من الثاني ، وتجعله خبراً عن الأول أو بمنزلة الخبر ؟ والقولُ في ذلك أن التشبيه إذا كان صريحاً بالكاف و « مثل » ، كان الأعرافُ الأشهر في المشبّه به أن يكون معرفةً ، كقولك : « هو كالأسد » و « هو كالشمس » و « هو كالبحر » و « كليث العرين » و « كالصبح »

١٤١

= ورواه مسلم في كتاب صفات المنافقين ، « باب مثل المؤمن كالزرع » ، من حديث أبي هريرة ، ومن حديث كعب بن مالك .

ثم راجع فتح القدير ٥ : ٥١١ ، ٥١٢ .

وفي مطبوعة ريتر « النحلة » بالحاء المهملة ، وهي في المخطوطة وفي مطبوعة رشيد رضا ،

بالحاء المعجمة .

(١) هو في كتاب سيبويه ١ : ١٥٦ (بولاق) / ١ : ٣٠٨ (تحقيق عبد السلام هارون) في :

« هذا بابٌ منه ، يضمرون فيه الفعل لقبح الكلام إذا حُجِلَ آخره على أوله » .

(٢) سلف في رقم : ١٠٦ .

و « كالنجم » وما شاكل ذلك ، ولا يكاد يجيء نكرةً مجيئاً يُرتضى نحو : « هو كأسد » و « كبحر » و « كغيث » ، إلا أن يُخصَّص بصفة نحو « كبحر زاخر » ، فإذا جعلت الاسمَ المجرور بالكاف مُعرَّباً بالإعراب الذى يستحقه الخبر من الرفع أو النصب ، كان كلا الأمرين = التعريف والتكبير = فيه حسناً جميلاً ، تقول : « زيدُ الأسد » و « الشمس » و « البحرُ » و « زيدُ أسدٌ » و « شمس » و « بلر » و « بحر » .

٢٠٨ - وإذ قد عرفت هذا ، فأرجع إلى نحو :

« فإنك كالليل الذى هو مدركى »^(١) .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ فِيهِ أَنْ تَحْذِفَ الْكَافَ وَتَجْعَلَ الْمَجْرُورَ كَانِ بِهِ ، خَيْرًا ، فَتَقُولُ : « فَإِنَّكَ اللَّيْلَ الَّذِي هُوَ مَدْرِكِي » ، أَوْ « أَنْتَ اللَّيْلُ الَّذِي هُوَ مَدْرِكِي » ، وَتَقُولُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ »^(٢) « الْمُؤْمِنُ الْخَامَةُ مِنَ الزَّرْعِ » ، وَفِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « النَّاسُ كِأَيْلٍ مِثَّةٍ »^(٣) : « النَّاسُ لِأَيْلٍ مِثَّةٍ » ، وَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ عَلَى أَنَّكَ قَدَّرْتَ مِضَافًا مَحْنُوقًا عَلَى حَدِّ : (وَأَسْئَلُ الْقُرَيْبَةَ) ، [سُورَةُ يُوسُفَ : ٨٢] .

تجعل الأصل : « فإنك مثل الليل » ثم تحذف « مثلاً » .

حذف أداة التشبيه
وحذفها
١٤٢

٢٠٩ - والنكتة في الفرق بين هذا الضرب الذى لا بُدَّ للمجرور بالكاف ونحوها من وصفه بجملة من الكلام أو نحوها ، وبين الضرب / الأول

(١) سلف في رقم : ٢٣ .

(٢) انظر ما سلف رقم : ٢٠٧ .

(٣) انظر ما سلف رقم : ٢٠٦ ، والتعليق عليه .

الذى هو نحو « زيد كالأسد » = أنك إذا حذف الكاف هناك فقلت : « زيد الأسد » ، فالقصد أن تبالغ في التشبيه فتجعل المذكور كأنه الأسد ، وتشير إلى مثل ما يحصل لك من المعنى إذا حذف ذكر المشبه أصلاً فقلت : « رأيت أسداً » أو « الأسد » ، فأما في نحو : « فإنك كالليل الذى هو مدركى » ، فلا يجوز أن تقصد جعل المملوح الليل ، ولكنك تنوى أنك أردت أن تقول : « فإنك مثل الليل » ، ثم حذف المضاف من اللفظ ، وأبقيت المعنى على حاله إذا لم تحذف . وأما هناك ، فإنه = وإن كان يقال أيضاً إن الأصل « زيد مثل أسد » ثم تحذف = فليس الحذف فيه على هذا الحد ، بل على أنه جعل كأن لم يكن لقصد المبالغة . ألا تراهم يقولون : « جعله الأسد » ؟ وبيد أن تقول : « جعله الليل » ، لأن القصد لم يقع إلى وصف في الليل كالظلمة ونحوها ، وإنما قصد الحكم الذى له ، من تعميمه الآفاق ، وامتناع أن يصير الإنسان إلى مكان لا يدركه الليل فيه .

٢١٠ - وإن أردت أن تزداد علماً بأن الأمر كذلك = أعنى أن ههنا

ما يصلح فيه التشبيه
الظاهر ولا تصلح فيه
المبالغة والاستعارة

ما يصلح فيه التشبيه الظاهر ولا تصلح فيه المبالغة والاستعارة إلى ما نجد الاسم الذى افتتح به المثل فيه غير محتمل لضرب من التشبيه إذا أفرد وقطع عن الكلام بعده ، كقوله تعالى : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) [سورة يونس : ٢٤] ، لو قلت : « إنما الحياة الدنيا ماءً أنزلناه من السماء » أو « الماء ينزل من السماء فتحضر منه الأرض » ، لم يكن للكلام وجه غير أن تقلد حذف مثل نحو : « إنما الحياة الدنيا مثل ماء ينزل من السماء »

١٤٣ فيكون كيت وكيت» ، ^(١) إذ لا / يُتصوّر بين الحياة الدنيا والماء شبهً يصحّ قصده وقد أُفرد ، كما قد يُتخيّل في البيت أنه قصد تشبيه المملوح بالليل في السُّخط .

وهذا موضعٌ في الجملة مُشكّل ، ولا يمكن القطع فيه بحكم على التفصيل ، ولكن لا سبيل إلى جحد أنك تجد الاسم في الكثير وقد وُضع موضعاً في التشبيه بالكاف ، لو حاولت أن تُخرجه في ذلك الموضع بعينه إلى حدّ الاستعارة والمبالغة ، وجعل هذا ذاك ، لم يتقدّ لك ، كالنكرة التي هي « ماء » في الآية وفي الآي الأخر نحو قوله تعالى : (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) [سورة البقرة : ١٩] ، ولو قلت : « هم صيّبٌ » ، ولا تُضمّر « مثلاً » ألبتّة ، على حدّ « هو أسد » لم يجز ، لأنه لا معنى لجعلهم صيِّباً في هذا الموضع ، وإن كان لا يمتنع أن يقع « صيّبٌ » = في موضع آخر ليس من هذا الغرض في شيء = استعارةً ومبالغةً ، كقولك : « فاضَ صيّبٌ منه » ، تريد جوده ، و « هو صيّبٌ يفيض » ، تريد مندفق في الجود . فلسنا نقول إن ههنا اسمَ جنسٍ وأسمًا صفةً لا يصلح للاستعارة في حال من الأحوال . وهذا شعب من القول يحتاج إلى كلام أكثر من هذا ويدخل فيه مسائل ، ولكن استقصاءه يقطع عن الغرض .

٢١١ - فإن قلت : فلا بدّ من أصلٍ يُرجع إليه في الفرق بين ما يحسن ما يصلح أن يصرف إلى الاستعارة وما لا يصلح أن يُصرف وجهه إلى الاستعارة والمبالغة ، وما لا يحسن ذلك فيه ، ولا يُجيبك المعنى إليه ، بل يصدّ بوجهه عنك متى أردته عليه .

= فالجواب : إنه لا يمكن أن يقال فيه قولٌ قاطع . ولكن ههنا نكتة يجب
الاعتماد عليها والنظر إليها ، وهي أن الشبّه إذا كان وصفاً معروفاً في الشيء قد
جرى العُرف بأن يُشبّه من أجله / به ، وتُعرف كونه أصلاً فيه يقاسُ عليه =
كالنور والحُسن في الشمس ، أو الاشتهار والظهور ، وأنها لا تخفى فيها أيضاً =
وكالطيب في المسك ، والحلاوة في العسل ، والمرارة في الصاب ، والشجاعة في
الأسد ، والفيض في البحر والغيث ، والمضاء والقَطْع والحِدَّة في السيف ،
والنفاذ في السنان ، وسرعة المرور في السهم ، وسرعة الحركة في شعله النار ، وما
شاكل ذلك من الأوصاف التي لكل وصف منها جنسٌ هو أصل فيه ، ومُقَدِّم
في معانيه = فاستعارة الاسم للشيء على معنى ذلك الشبّه تجيء سهلةً مُتقادةً ،
وتقع مألوفةً معتادة . وذلك أنّ هذه الأوصاف من هذه الأسماء قد تعرف كونها
أصولاً فيها ، وأنها أخصُّ ما توجد فيه بها ، فكل أحد يعلم أن أخصَّ المنيرات
بالنور الشمسُ ، فإذا أُطلقت ودلّت الحال على التشبيه ، لم يخف المراد . ولو أنك
أردت من الشمس الاستدارة ، لم يَجُز أن تدلّ عليه بالاستعارة ، ولكن إن أردتها
من الفلك جاز ، فإن قصدتها من الكرة كان أئين ، لأن الاستدارة من الكرة
أشهر ووصفٍ فيها . ومتى صلحت الاستعارة في شيء ، فالمبالغة فيه أصلح ،
وطريقها أوضح ، ولسان الحال فيها أفصح ، أعنى أنك إذا قلت :

• يا آبن الكواكبِ من أئمة هاشم .^(١)

• و : يا ابنَ الليوثِ العُربِ .^(٢)

= فأجريت الاسم على المشبّه إجراءه على أصله الذي وُضع له وادّعيته

(١) سلف في رقم : ٢٠٢ .

(٢) لم أقف عليه ، وإن كان يحكى في صدرى أنى قرأته .

له ، كان قولك : « هم الكواكب » و « هم الليوث » أو « هم كواكب وليوث » ،
أخرى أن تقوله ، وأخف مؤونةً على السامع في وقوع العلم له به .

٠٠٠

الاستعارة والمبالغة

وتفسيرهما

١٤٥

٢١٢ - وأعلم أن المعنى في المبالغة وتفسيرنا / لها بقولنا : « جعلَ هذا
ذاك » ، و « جعله الأسد » و « ادعى أنه الأسد حقيقةً » ، أن المشبه الشيء
بالشيء من شأنه أن ينظر إلى الوصف الذي به يجمع بين الشئين ، وينفى عن
نفسه الفكر فيما سواه جملةً ، فإذا شبه بالأسد ، ألقى صورة الشجاعة بين
عينيه ، وألقى ما عداها فلم ينظر إليه . فإن هو قال : « زيد كالأسد » ، كان قد
أثبت له حظًا ظاهرًا في الشجاعة ، ولم يخرج عن الاقتصاد . وإذا قال : « هو
الأسد » ، تناهى في الدعوى ، إما قريبًا من المحق لفرط بسالة الرجل ،
وإما متجاوزًا في القول ، فجعله بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد
ولا يعدم منها شيئًا . وإذا كان = بحكم التشبيه ، وبأنه مقصوده من ذكر الأسد =
في حكم من يعتقد أن الاسم لم يوضع على ذلك السبع إلا للشجاعة التي فيه ،
وأن ما عداها من صورته وسائر صفاته عيالٌ عليها وتبع لها في استحقاقه هذا
الاسم ، ثم أثبت لهذا الذي يشبهه به تلك الشجاعة بعينها حتى لا اختلاف
ولا تفاوت ، فقد جعله الأسد لا محالة ، لأن قولنا : « هو هو » على معنيين :

أحدهما : أن يكون للشيء اسمان يعرفه المخاطب بأحدهما دون الآخر ،
فإذا ذكر باسمه الآخر توهم أن معك شيئين ، فإذا قلت : « زيد هو أبو عبد الله » ،
عرّفته أن هذا الذي تذكر الآن بزيد هو الذي عرّفه بأبي عبد الله .

والثاني : أن يراد تحقيق التشابه بين الشئين ، وتكميله لهما ، ونفى
الاختلاف والتفاوت عنهما ، فيقال : « هو هو » ، أى : لا يمكن الفرق بينهما ،

لأن الفرق يقع إذا آخِضَ أحدهما بصفة لا تكون في الآخر . وهذا المعنى الثاني فرغ / على الأول ، وذلك أن المتشابهين التشابه التام ، لما كان يُحَسَّبُ أحدهما الآخر ، ويتوهم الرأى لهما في حالين أنه رأى شيئاً واحداً ، صاروا إذا حققوا التشابه بين الشيعين يقولون : « هو هو » . والمشبه إذا وقف وهمه كما عرفتكَ على الشجاعة دون سائر الأمور ، ثم لم يُثبت بين شجاعة صاحبه وشجاعة الأسد فرقاً ، فقد صار إلى معنى قولنا : « هو هو » بلا شبهة .

١٤٦

٢١٣ - وإذا تقررت هذه الجملة فقوله :

فإنك كالليل الذى هو مدركى .

بيت النابغة وغيره
في باب الاستعارة
والمبالغة

= إن حاولت فيه طريقة المبالغة فقلت : « فإنك الليل الذى هو مدركى » ، لزمك لا محالة أن تعمد إلى صفة من أجلها تجعله الليل ، كالشجاعة التى من أجلها جعلت الرجل الأسد .

فإن قلت : تلك الصفة الظلمة ، وإنه قصد شدة سخطه ، وراعى حال المسخوط عليه ، وتوهم أن الدنيا تُظلم في عينيه حسب الحال في المُستوحش الشديد الوحشة ، كما قال :

[من الطويل]

أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب .^(١)

= قيل لك : هذا التقدير ، إن استجزناه وعملنا عليه ، فإننا نحتمله ، والكلام على ظاهره ، وحرف التشبيه مذكور داخل على الليل كما تراه في البيت .

(١) هو للمتنى في ديوانه ، مطلع قصيدة ، وتامه :

ورُدُّوا رُقَادى فهو لَحْظُ الحَبَائِبِ .

فأما وأنت تريد المبالغة ، فلا يجيء لك ذلك ، لأن الصفات المذكورة لا يُواجه بها الممدوحون ، ولا تُستعار الأسماء الدالة عليها لهم إلا بعد أن يُتدارك وتُقَرَن إليها أضدادها من الأوصاف المحبوبة ، كقوله :

[من البسيط]

أنت الصَّابُّ والعَسَلُ .^(١)

ولا تقول وأنت مادح : « أنت الصَّابُّ » وتسكت ، وحتى إن الحاذق لا يرضى بهذا الاحتراز وحده حتى يزيد ويحتال في دفع ما يَغشَى النفس من الكراهة بإطلاق الصفة التي / ليست من الصفات المحبوبة ، فيصل بالكلام ما يخرج به إلى نوع من المدح ، كقول المتنبيء :

١٤٧

[من الخفيف]

حَسَنٌ ، في وُجوه أعدائه أَقْدُ بَحْجٍ من ضَيْفِهِ ، رَأَتْهُ السَّوَامُ^(٢)

بدأ فجعله حسناً على الإطلاق ، ثم أراد أن يجعله قبيحاً في عيون أعدائه ، على العادة في مدح الرجل بأن عدوه يكرهه ، فلم يُقنعه ما سبق من تمهيدته وتقدم من احترازه في تلافى ما يجنيه إطلاق صفة القبح ، حتى وصل به هذه الزيادة من المدح ، وهي كراهة سوامه لرؤية أضيافه ، وحتى حصل ذكر القبح مغموراً بين حسنين ، فصار كما يقول المنجمون : « يقع النَّحْسُ مضغوطاً بين سَعْدَيْنِ ، فيبطل فعله وينمحق أثره » .

خطأ أي تمام وعدم
مبالاته بتحسين
ظاهر اللفظ

وقد عرفت ما جناه التهاون بهذا النحو من الاحتراز على أبنى تمام ، حتى صار ما يُنعى عليه منه أبلغ شيء في بسط لسان القادح فيه والمُنْكَرِ لفضله ، وأخضِرَ حُجَّةً للمتعصّب عليه . وذلك أنه لم يُبال في كثير من مخاطبات

(١) لا أدري أهو شعر أم نثر .

(٢) مضي في رقم : ١١٨ .

الممدوح بتحسين ظاهر اللفظ ، واقتصر على صميم التشبيه ، وأطلق اسم الجنس الخسيس كإطلاق الشريف التَّيبه ، كقوله :
[من الخفيف]

وإذا ما أردتُ كنتَ رشاءً وإذا ما أردتُ كنتَ قليباً (١)

فصنكُ وجهَ الممدوح كما ترى بأنه رشاءٌ وقلبٌ ، ولم يحتشم أن قال :

[من الكامل]

ما زال يهذى بالمكارمِ والعُلَى حتى ظننا أنه محمومٌ (٢)

فجعله يهذى وجعل عليه الحمى ، وظن أنه إذا حصل له المبالغة في إثبات المكارم له ، وجعلها مستبدةً بأفكاره وخواطره ، حتى لا يصدر عنه غيرها ، فلا ضير أن يتلقاه بمثل هذا الخطاب الجافي ، والمدح المتناقض .

فكذلك أنت ، هذه قصيتك ، وهذه قضيتك ، في اقتراحك / علينا أن

١٤٨

نسلك بالليل في البيت طريق المبالغة على تأويل السُّخط . (٣)

٢١٤ - فإن قلت : أفترى أن تأبى هذا التقدير في البيت أيضاً حتى

عودة إلى بيت النابغة

يُقصر التشبيه على ما تُفيدة الجملة الجارية في صلة « الذى ؟ » .

قلت : إن ذلك الوجه فيما أظنه ، فقد جاء في الخبر عن النبي ﷺ :

« ليدخلن هذا الدين ما دخل عليه الليل » ، (٤) فكما تجرد المعنى ههنا للحكم

(١) هو في ديوانه . و « الرشاء » حبل الدلو ، جعله واسطة لليل المعروف . و « القلب » ،

البحر ، يعترف منه المعروف .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) معنى بيت النابغة :

« فإنك كالليل الذى هو مُدركى »

(٤) لم أعرف هذا الخبر .

الذي هو لليل من الوصول إلى كل مكان ، ولم يكن لاعتبار ما اعتبروه من شبه ظلمته وجهه ، كذلك يجوز أن يتجرد في البيت له ، ويكون ما ادّعوه من الإشارة بظلمة الليل إلى إدراكه له سائطاً ، ضرباً من التعمق والتطلب لما لعل الشاعر لم يقصده . وأحسن ما يمكن أن ينتصر به لهذا التقدير أن يقال : إن النهار بمنزلة الليل في وصوله إلى كل مكان ، فما من موضع من الأرض إلا ويدركه كل واحد منهما ، فكما أن الكائن في النهار لا يمكنه أن يصير إلى مكان لا يكون به ليل ، كذلك الكائن في الليل لا يجد موضعاً لا يلحقه فيه نهار ، فاختصاصه الليل دليل على أنه قد روى في نفسه ، فلما علم أن حالة إدراكه وقد هرب منه حالة سُخِطِ ، رأى التمثيل بالليل أولى ، ويُمكن أن يزداد في نصرته بقوله : [من الرمل]

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ بَثَّتِ الإِشْرَاقَ فِي كُلِّ بَلَدٍ ^(١)

وذاك أنه قصد ههنا نفس ما قصده النابغة في تعميم الأقطار ، والوصول إلى كل مكان ، إلا أن النعمة لما كانت تُسْرُ وتُؤْنِسُ ، أخذ المثل لها من الشمس . ولو أنه ضرب المثل لوصول النعمة إلى أقاصي البلاد ، وانتشارها في العباد ، بالليل ووصولها إلى كل بلد ، وتلوعه / كل أحد ، لكان قد أخطأ خطأ فاحشاً ، إلا أن هذا وإن كان يجيء مستويًا في الموازنة ، ففرق بين ما يُكره من الشبه وما يُحب ، لأن الصفة المحبوبة إذا اتصلت بالعرض من التشبيه ، نالت من العناية بها والمحافظه عليها قريباً مما يناله العرض نفسه . وأمّا ما ليس بمحبوب ، فيحسن أن يعرض عنها صفحاً ، ويدع الفكر فيها .

(١) هو في زيادات ديوان العباس بن الأحنف ، وهو في الوساطة : ٢٠١ منسوباً إليه ، وفي المخطوطة ومطبوعة ريت : « ثبت الإشراق » وفي مطبوعة رشيد رضا والوساطة ما أثبت .

وأما تركه أن يمثّل بالنهار ، وإن كان بمنزلة الليل فيما أراد ، فيمكن أن يُجاب عنه بأنّ هذا الخطأ من النابغة كان بالنهار لا محالة ، وإذا كان يكلمه وهو في النهار ، بُعد أن يضرب المثل بإدراك النهار له ، وكان الظاهر أن يمثّل بإدراك الليل الذي إقباله منتظر ، وطريانه على النهار متوقع ، ^(١) فكأنه قال وهو في صدر النهار أو آخره : « لو سرتُ عنك لم أجد مكانًا يقيني الطلب منك ، ولكان إدراكك لي وإن بُعدت واجبًا ، كإدراك هذا الليل المقبل في عقب نهارى هذا إيّاي ، ووصوله إلى أى موضع بلغت من الأرض » .

٢١٥ - وههنا شيء آخر : وهو أن تشبيه « النعمة » في البيت بالشمس ، ^(٢) وإن كان من حيث الغرض الخاص ، وهو الدلالة على العموم ، فكان الشبه الآخر من كونها مؤنسة للقلوب ، وملبسة العالم البهجة والبهاء كما تفعل الشمس ، حاصلًا على سبيل العرض ، وبضرب من التطفل . فإن تجريد التشبيه لهذا الوجه الذي هو الآن تابع ، وجعله أصلًا ومقصودًا على الانفراد ، مألوف معروف كقولنا : « نعمتك شمس طالعة » ، وليس كذلك الحكم في « الليل » ، لأن تجريده لوصف المملوح بالسخط مستكبر ، حتى لو قلت : « أنت في حال السخط ليل وفي الرضى نهار » ، فكافحت هكذا تجعله ليلًا لسخطه ، ^(٣) / لم يحسن ، وإنما الواجب أن تقول : « النهار ليل على من تغضب عليه ، والليل نهار على من ترضى عنه ، وزمان عدوك ليل كله ، وأوقات وليك نهار »

١٥٠

(١) قوله : « وطريانه » يعنى طرّوه ، فهو المصدر الثابت في المعاجم « طرأ عليهم طرودًا » و « طرا عليهم طرودًا » ، وأصله همز ، أتى من مكان بعيد ، أو أتى فجأة .

(٢) انظر بيت العباس بن الأحنف في رقم : ٢١٤ .

(٣) قوله : « فكافحت » كأنه يعنى عملت وتكلفت . وفي مطبوعة رشيد رضا : « فطفقتا »

وهي أيضًا تحتاج إلى تأويل كالذى سلف .

[من الكامل]

كلها ، كما قال :

أَيَّامَنَا مَصْفُوقَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ ، وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ^(١)

وقد يقول الرجل لمحبيه : « أنت ليلي ونهارى » ، أى : بك تُضىء على الدنيا وتُظلم ، فإذا رضيت فدهرى نهار ، وإذا غضيت فليل = كما تقول : « أنت دأى ودوائى ، وبرئى وسقامى » ، ولا تكاد تجد أحداً يقول : « أنت ليل » ، على معنى أن سخطك تُظلم به الدنيا ، لأن هذه العبارة بالذم ، وبالوصف بالظلمة وسواد الجلد ، وتجهُّم الوجه ، أخص ، وبأن يُراد بها أخلق ، وهذا المعنى منها إلى القلب أسبق ، فأعرفه .

* * *

(١) هو لآنى تمام فى ديوانه .

فصل

٢١٦ - أعلم أنك تجد الاسم وقد وقع من نظم الكلام الموقَّع الذي يقتضى كونه مستعاراً، ثم لا يكون مستعاراً. وذلك لأن التشبيه المقصود منوطٌ به مع غيره، وليس له شبهٌ ينفردُ به، على ما قدَّمْتُ لك من أن الشبه يحىء مُتَنَزِعاً من مجموع جملة من الكلام، فمن ذلك قول داود بن عليّ حين خطب فقال:

« شُكْرًا شُكْرًا، إنا والله ما خرجنا لَنُحْفِرَ فيكم نَهْرًا، ولا لَنُبْنِيَ فيكم قَصْرًا، أَظَنَّ عَدُوُّ اللَّهِ أن لن يُظْفَرَ به، أُرِخِيَ له في زِمَامِهِ، حتى عَثَرَ في فضلِ خِطَامِهِ، فالآن عاد الأمرُ في نِصَابِهِ، وطلعت الشمس من مَطْلَعِهَا، والآن قد أخذ القوسَ باريها، وعاد النَّبْلُ إلى النَّزْعَةِ، ورجع الأمرُ إلى مستقرِّهِ في أهل بيت نبيِّكم، أهل بيت الرَّأْفَةِ والرَّحْمَةِ ». (١)

الفرق بين التمثيل
والاستعارة

فقوله: « الآن أخذ القوسَ باريها »، وإن كان / القوس تقع كنايةً عن الخلافة، والبارى عن المستحق لها، فإنه لا يجوز أن يقال إن القوس مستعارٌ للخلافة على حدِّ استعارة النور والشمس، لأجل أنه لا يتصوَّر أن يخرج للخلافة شبهٌ من القوس على الانفراد، وأن يقال: « هي قوس »، كما يقال: « هي نور » و « شمس »، وإنما الشَّبهُ مؤلَّفٌ لحال الخِلافة مع القائم بها، من حال القوس مع الذى بَرَّأها، وهو أن البارى للقوس أعرفُ بخيرها وشرِّها، وأهدى إلى توتيرها وتصريفها، إذ كان العامل لها = فكذلك الكائنُ على الأوصاف المعترِّبة في الإمامة والجامع لها، يكون أهدى إلى توفية الخلافة حقَّها،

١٥١

(١) خطبة داود بن عليّ في تاريخ الطبرى بغير هذا اللفظ ٩: ١٢٦، ومثل ذلك في شرح نهج

وأَعْرَفَ بما يحفظ مَصَارِفَهَا عن الخَلَلِ ، وأن يراعَى في سياسة الخلق بالأمر والنهي التي هي المقصودُ منها ترتيبًا ووزنًا تقع به الأفعالُ واقعها من الصواب ، كما أنَّ العارفَ بالقوس يراعى في تسوية جوانبها ، وإقامة وئرها ، وكيفية نزعها ووضع السهمِ الموضعَ الخاصَّ منها ، ما يوجب في سهامه أن تصيب الأغراض ، وتقرطس في الأهداف ، وتقع في المقاتل ، وتُصيب شاكلة الرُمَى .^(١)

٢١٧ - وهكذا قول القائل وقد سمع كلامًا حسنًا من رجلٍ دميم :
 « عَسَلٌ طَيِّبٌ فِي ظَرْفِ سَوِيٍّ » ، ليس « عَسَلٌ » ههنا على حدِّه في قولك :
 « ألفاظه عسل » ، لأجل أنه لم يقصد إلى بيان حال اللَّفْظِ الحسن وتشبيهه بالعسل في هذا الكلام ، وإن كَانَ ذلك أمرًا معتادًا ، وإنما قصد إلى بيان حال الكلام الحسن من المتكلم المَشْتَوِي في منظره ، وقياس اجتماع فَضْلِ المخير مع نَقْصِ المنظر ، بالشبه المؤلَّف من العَسَلِ والظَّرْفِ . ألا ترى أن الذي يقابل الرجل هو « ظَرْفٌ سَوِيٌّ » ؟ وظرفٌ سَوِيٌّ لا يصلح تشبيهُ الرجل به / على الانفراد ، لأن الدَّمَامَةَ لا تُعْطِيه صفة الظَّرْفِ من حيث هي دمامةٌ ، ما لم يتقدم شيءٌ يُشْبِهُ مَا فِي الظرف من الكلام الحسن أو الخُلُقِ الجميل ، أو سائر المعاني التي تُجْعَلُ الأشخاصُ أوعيةً لها .

١٥٢

...

٢١٨ - فمن حَقَّكَ أن تحافظ على هذا الأصل ، وهو أن الشَّبه إذا كان موجودًا في الشيء على الانفراد = من غير أن يكون نتيجةً بينه وبين شيء

(١) « قرطس الرامي » ، أصاب الهدف . و « الشاكلة » ، الخاصرة يكون فيها المقتل . و « الرمي »

هي الطريقة التي يرميها الصائد بسهمه .

آخر = فالاسم مستعار لما أخذ له الشبه منه ، كالتور للعلم ، والظلمة للجهل ،
والشمس للوجه الجميل ، أو الرجل النبيه الجليل . وإذا لم تمكن نسبة الشبه إلى
الشيء على الانفراد ، وكان مركباً من حالة مع غيره ، فليس الاسم بمستعار ،
ولكن مجموع الكلام مثل .

...

٢١٩ - وأعلم أن هذه الأمور التي قصدت البحث عنها أموراً كانت
معروفة مجهولة ، وذلك أنها معروفة على الجملة ، لا ينكر قيامها في نفوس العارفين
ذوق الكلام ، والمتمهمين في فصل جيده من رديئه = ومجهولة من حيث لم يتفق
فيها أوضاع تجرى مجرى القوانين التي يرجع إليها ، فُتستخرج منها العلة في
حُسن ما استُحسن وقبح ما استُهجِن ، حتى تُعلم علم اليقين غير المهوم ،
وتُضبط ضبط المزموم المخطوم . ولعل الملال إن عرض لك ، أو النشاط إن
فتر عنك ، قلت : « ما الحاجة إلى كل هذه الإطالة ؟ وإنما يكفي أن يقال :
الاستعارة مثل كذا ، فتعدُّ كلمات ، وتُنشدُ أبيات ، وهكذا يكفي الموثونة في
التشبيه والتمثيل يسيراً من القول » .

بيان آخر في الفرق
بين التمثيل والاستعارة

= فإنك تعلم أن قائلاً لو قال : « الخير مثل قولنا : زيد منطلق » ، ورضى
به وقنع ، ولم تطالبه نفسه بأن يعرف حداً للخير ، إذا عرفه تميز في نفسه
من سائر الكلام ، حتى يمكنه أن يعلم ههنا كلاماً / لفظه لفظ الخير ، وليس هو
بخير ، ولكنه دعاء كقولنا : « رحمة الله عليه » و « غفر الله له » = ولم يجد في نفسه
طلباً لأن يعرف أن الخير هل ينقسم أو لا ينقسم ، وأن أول أمره في القسمة أنه
ينقسم إلى جملة من الفعل والفاعل ، وجملة من مبتدأ وخبر ، وأن ما عدا هذا من
الكلام لا يأتلف .

نعم ، ولم يُحِبَّ أن يعلم أن هذه الجملة يدخل عليها حروف بعضها يؤكد كونها خبرًا ، وبعضها يُحدث فيها معاني تخرج بها عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب .

وهكذا يقول إذا قيل له : « الاسم مثل زيد وعمرو » ، اكتفيت ولا أحتاج إلى وصف أو حدٍّ يميّزه من الفعل والحرف أو حدٍّ لهما ، إذا عرفتهما عرفتُ أن ما خالفهما هو الاسم ، على طريقة الكتاب ، ويقول : « لا أحتاج إلى أن أعرف أن الاسم ينقسم فيكون متمكّنًا أو غير متمكّن ، والمتمكّن يكون منصرفًا وغير منصرف ، ولا إلى أن أعلم شرح غير المنصرف ، والأسباب التسعة التي يقف هذا الحكم على اجتماع سببين منها أو تكرر سبب في الاسم = ولا أنه ينقسم إلى المعرفة والنكرة ، وأن « النكرة » ما عمّ شيئين فأكثر ، وما أريد به واحدٌ من جنس لا بعينه ، و « المعرفة » ما أريد به واحدٌ بعينه أو جنس بعينه على الإطلاق = ولا إلى أن أعلم شيئًا من الانقسامات التي تجيء في الاسم = ^(١) كان قد أساء الاختيار ، وأسرف في دعوى الاستغناء عما هو محتاج إليه إن أراد هذا النوع من العلم .

٢٢٠ - ولكن كان الذى نتكلّف شرحه لا يزيد على مؤدّى ثلاثة أسماء ، وهى « التمثيل » و « التشبيه » و « الاستعارة » ، فإن ذلك يستدعى جُملاً من القول يصنعدُ ، استقصاؤها ، وشُعَبًا من الكلام لا يستبين لأول النظر أنحاءها ، إذ قولنا : ^(٢) « شئ » ، يحتوى على ثلاثة أحرف ، ولكنك إذا مدت يدا إلى

(١) سياق الكلام من حيث قال قديماً : « فإنك تعلم أنّ قائلاً لو قال : الخير مثل قولنا كان قد أساء الاختيار ... » .

(٢) من أول قوله : « فإن ذلك يستدعى » إلى قوله « أنحاءها » ، ساقط في المخطوطة ومطبوعة ريتز ، وهو ثابت في إحدى نسخه ، ومطبوعة رشيد رضا .

القِسْمَة / وأخذت في بيان ما تحويه هذه اللفظة ، احتجت إلى أن تقرأ أوراقاً لا تُحصَى ، وتتجشَّم من المَشَقَّة والنظر والتفكير ما ليس بالقليل النزر . و « الجزء الذى لا يتجزأ » ، يفوت العين ، ويدقُّ عن البَصَر ، والكلام عليه يملأ أجلاً عظيمة الحجم . فهذا مثلك إن أنكرت ما عُنيْتُ به من هذا التَّبَع ، ورأيتُه من البحث ، وآثرته من تجشُّم الفكرة وسؤمها أن تدخل في جوانب هذه المسائل وزواياها ، وتستشير كوامنها وخفاياها ، فإن كنت ممن يرضى لنفسه أن يكون هذا مثله ، وههنا محلُّه ، فعِبْ كيف شئت ، وقل ما هويت ، وثق بأن الزمان عونك على ما آبتغيت ، وشاهدك فيما ادَّعيت ، وأنتك واجدٌ من يصوب رأيك ويُحسن مذهبك ، ويخاصم عنك ، ويُعادى المخالف لك .

فصل

في الأخذ والسرقة وما في ذلك من التعليل ، وضروب الحقيقة والتخييل

القسم العقلي^(١)

٢٢١ - أعلم أن الحُكْم على الشاعر بأنه أخذ من غيره وسرق ، والمعاني تنقسم إلى عقل وتخييل ، والأخذ والسرقة واقتدى بمن تقدم وسبق ، لا يخلو من أن يكون في المعنى صريحاً ، أو في صيغة تتعلق بالعبارة . ويجب أن نتكلم أولاً على المعاني ، وهي تنقسم أولاً قسمين : عقلي وتخييلي ، وكل واحد منهما يتنوع .

فالذي هو « العقلي » على أنواع :

أولها : عقلي صحيح مجراه في الشعر والكتابة والبيان والخطابة ، مجرى الأدلة التي تستنبطها العقلاء ، والفوائد التي تُثيرها الحكماء ، ولذلك تجد الأكثر من هذا الجنس مُنتزَعاً من أحاديث النبي ﷺ وكلام الصحابة رضي الله عنهم ، ومنقولاً من آثار السلف الذين شأتهم الصدق ، وقصدُهم الحق = أو ترى له أصلاً في / الأمثال القديمة والحكم المأثورة عن القدماء ، فقله : [من الطويل] ١٥٥

وَمَا الْحَسْبُ الْمُرُوثُ لَا دَرَّ دَرُهُ بِمُحْتَسَبٍ إِلَّا بَأْخَرَ مُكْتَسَبٍ^(٢)

ونظائره ، كقله : [من الطويل]

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَبْنَى سَيِّدِ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحُ الْمَهْدَبُ^(٣)
لَمَّا سَوَّدْتَنِي عَامِرٌ عَنِ وِرَاثَةِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمَّ وَلَا أَبِ

(١) زيادة من مطبوعة رشيد رضا ، ثم انظر ما سيأتي ص : ٣٣٨ .

(٢) هو لابن الرومي في ديوانه .

(٣) هو لعامر بن الطفيل في ديوانه .

= معنَى صرِيحٍ محضٍ يشهد له العقل بالصحة ، ويُعطيه من نفسه أَكْرَمَ النسبة ، وتتفق العقلاء على الأخذ به ، والحكم بموجبه ، في كل جيل وأمة ، ويوجد له أصل في كل لسان ولغة ، وأعلى مناسبه وأنورها ، وأجلها وأفخرها ، قول الله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [سورة الحجرات : ١٣] ، وقول النبي ﷺ : « من أَبْطَأَ به عمله لم يُسْرِع به نسبه » ، ^(١) وقوله عليه السلام : « يا بني هاشم ، لا تميحنى الناسُ بالأعمال وتحييونى بالأنساب » . ^(٢)

وذلك أنه لو كانت القضية على ظاهرٍ يَغْتَرُّ به الجاهل ، ويعتمده المنقوصُ ، لأدَّى ذلك إلى إبطال النسب أيضاً ، وإحالة التكثر به ، والرجوع إلى شرفه ، فإن الأول لو عِدِمَ الفضائل المكتسبة ، والمساعي الشريفة ، ولم يَبْنِ من أهل زمانه بأفعالٍ تُؤَثِّرُ ، ومناقب تُدَوِّنُ وتُسَطِّرُ ، لما كان أولاً ، ولكان المَعْلَم من أمره مَجْهَلاً ، ولما تُصَوِّرُ آفتخار الثاني بالانتماء إليه ، وتمويله في المفاضلة عليه ، ولكان لا يُتصَوَّرُ فَرْقٌ بين أن يقول : « هذا أبى ، ومنه نسبي » ، وبين أن يُنسَبَ إلى الطين ، الذى هو أصل الخلق أجمعين ، ولذلك قال ﷺ : « كلُّكم لآدم ، وآدمٌ من التراب » ، ^(٣) وقال محمد بن الربيع الموصلي : [من البسيط]

(١) رواه أبو داود في كتاب العلم « باب الحث على طلب العلم » ، عن أبى هريرة ، ورواه الترمذى عنه أيضاً في أبواب القرآن عن رسول الله ﷺ « باب » وهو العاشر منها .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، ولكن مثله في الجامع الكبير للسيوطى : « يا بنى عبد مناف ، يا بنى عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ... لا يأتينى الناس بالأعمال ، وتأتونى بالدنيا تحملونها ... » عن أبى هريرة ، رواه الحكيم الترمذى في نوادر الأصول .

(٣) رواه الترمذى في تفسير سورة الحجرات عن ابن عمر أنه خطب الناس يوم فتح مكة ، فمن قوله : (... والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب) . ورواه أبو داود في كتاب الأدب : « باب في التفاضل بالأنساب » عن أبى هريرة بلفظ : « أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب » ، ورواه ابن إسحق في سيرته ، في فتح مكة لما قام رسول الله ﷺ على باب الكعبة ، فكان فيما قال : « ... الناس من آدم ، وآدم من تراب » ، وهو خير مرسل ، السيرة ٤ : ٥٤ .

الناس في صورة التشبيه أكفاء أبوهم آدم والأم حواء (١)
 / فإن يكن لهم في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
 ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
 ووزن كل أمرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

فهذا كما ترى باب من المعاني التي تُجمع فيها النظائر ، وتذكر الآيات
 الدالة عليها ، فإنها تتلاق وتتناظر ، وتشابه وتتشاكل ، ومكانه من العقل ما ظهر
 لك واستبان ، ووضح وأستار .

٢٢٢ - وكذلك قوله : [من الطويل]

• وكل أمرىء يولى الجميل محبب . (٢)

صريح معنى ليس للشعر في جوهره وذاته نصيب ، وإنما له ما يلبسه من
 اللفظ ، ويكسوه من العبارة ، وكيفية التأدية من الاختصار وخلافه ، والكشف
 أو ضده ، وأصله قول النبي ﷺ : « جُبلت القلوب على حب من أحسن
 إليها » ، (٣) بل قول الله عز وجل : (أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [سورة فصلت : ٢٤] .

٢٢٣ - وكذا قوله : [من الكامل]

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه اللثم (٤)

(١) هنا في الشعر الذى ينسب إلى علي بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٢) هو لأبى الطيب المتنى في ديوانه ، وتمامه :

• وكل مكان ينبت العز طيب •

(٣) ذكره في فتح القدير ، ونسبه لحلية أبى نعيم ، وشعب الإيمان للبيهقي وابن عدى في الكامل ،

وهو حديث باطل .

(٤) هو للمتنى في ديوانه .

= معنى معقول لم يزل العقلاء يقضون بصحته ، ويرى العارفون بالسياسة الأخذ بسنته ، وبه جاءت أوامر الله سبحانه ، وعليه جرت الأحكام الشرعية والسُنن النبوية ، وبه استقام لأهل الدين دينهم ، وانتفى عنهم أذى من يفتنهم ويضيرهم . إذ كان موضوع الجبلّة على أن لا تخلو الدنيا من الطغاة الماردين ، والقوّة المعاندين ، الذين لا يعون الحكمة فتردّعهم ، ولا يتصوّرون الرشد فيكفهم النصّح ويمنعهم ، ولا يحسّون بنقائص العمى والضلال ، وما في الجور والظلم من الضعة والحبال ، فيجدوا لذلك مسّ ألم يجسّهم على الأمر ، / ويقف بهم عند الزجر ، بل كانوا كالبهائم والسباع ، لا يوجعهم إلا ما يحرق الأبخار من حدّ الحديد ، وسطو البأس الشديد ، فلو لم تُطبع لأمثالم السيوف ، ولم تُطلق فيهم الخوف ، لما استقام دين ولا دنيا ، ولا نال أهل الشرف ما نالوه من الرتبة العليا ، فلا يطيب الشرب من منهل لم تُنف عنه الأقداء ، ولا تقرّ الروح في بدنٍ لم تُدفع عنه الأدواء .

١٥٧

[من الطويل]

٢٢٤ - وكذلك قوله :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(١)
 ووضع الندى في موضع السيف بالعلی مضير ، كوضع السيف في موضع الندى

...

القسم التخيلي^(١)

٢٢٥ - وأما القسم التخيلي ، فهو الذى لا يمكن أن يقال إنه القسم التخيل من المعانى
صِدْق ، وإن ما أثبتته ثابت وما نفاه منقَى . وهو مفتنُ المذاهب ، كثير
المسالك ، لا يكاد يُحصَرُ إلا تقريبًا ، ولا يُحاط به تقسيمًا وتبويبًا . ثم إنه يجيء
طبقاتٍ ، ويأتى على درجاتٍ ، فمنه ما يجيء مصنوعًا قد تُلَطَّف فيه ، واستعين
عليه بالرفق والحذق ، حتى أعطى شَبَهًا من الحق ، وغُشِيَ رَوْتًا من الصدق ،
باحتراجٍ مُمَحَّل ، وقياسٍ تُصنَّع فيه وتُعمَل ، ومثاله قول أبى تمام : [من الكامل]
لا تُنكرى عَطَل الكَرِيم من الغنى فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكانِ العالى^(٢)

فهذا قد حُيِّل إلى السامع أن الكريم إذا كان موصوفًا بالعلو ، والرِّفعة في
قدره ، وكان السى كالعَيْث في حاجة الخلق إليه وعِظَم نفعه ، وجب بالقياس أن
يُرَلَّ عن الكريم ، زَلِيل السَّيْل عن الطُّود العظيم . ومعلوم أنه قياسُ تخييل وإيهام ،
لا تحصيل وإحكام ، فالعلة في أن السيل لا يستقرَّ على الأمكنة العالية ، أن الماء
سَيَّال لا يثبت / إلا إذا حصل في موضع له جوانبٌ تُدفعه عن الانصباب ،
١٥٨ وتمنعه عن الانسياب ، وليس في الكريم والمال ، شىء من هذه الخلال .

٢٢٦ - وأقوى من هذا في أن يُظَنَّ حقًا وصدقًا ، وهو على التخيل
قوله :

الشيبُ كُرَّةٌ ، وكُرَّةٌ أن يفارقنى أُعجِبُ بشيءٍ على البغضاءِ مودودٍ^(٣)

(١) هذه زيادة من مطبوعة رشيد رضا وحدها ، وانظر ما سلف أول رقم : ٢٢١ .

(٢) هو لأبى تلم في ديوانه .

(٣) هو في ديوان ابن المعتز ، باب الزهد والشيب ، وينسب أيضًا لمسلم بن الوليد في ذنبل

ديوانه ، ومراجعته هناك ، ونسبته لمسلم أكثر .

= هو من حيث الظاهر صدق وحقيقة ، لأن الإنسان لا يُعجبه أن يُلكره الشيب ، فإذا هو أدركه كره أن يفارقه ، فتراه لذلك يُنكره ويتكرهه على إرادته أن يلمّ له ، إلا أنك إذا رجعت إلى التحقيق ، كانت الكراهة والبغضاء لاحقةً للشيب على الحقيقة ، فأما كونه مُرادًا ومودودًا ، فمتخيّل فيه ، وليس بالحقّ والصدق ، بل المودود الحياة والبقاء ، إلا أنه لما كانت العادة جاريةً بأنّ في زوال رؤية الإنسان للشيب ، زواله عن الدنيا وخروجه منها ، وكان العيش فيها محببًا إلى النفوس ، صارت محبته لما لا يتّقى له حتى يبقى الشيب ، كأنها محبةٌ للشيب .

٢٢٧ - ومن ذلك صَنِيعُهُمْ إذا أرادوا تفضيلَ شيءٍ أو نقصه ، ومدحه أو ذمه ، فتعلّقوا ببعض ما يشاركه في أوصافٍ ليست هي سبب الفضيلة والنقيصة ، وظواهرٍ أمورٍ لا تُصحح ما قصده من التهجين والتزيين على الحقيقة ، كما تراه في باب الشيب والشباب ، كقول البحترى : [من الخفيف]

ويَياضُ البازيُّ أصدقُ حُسنا إن تأملتِ من سوادِ الغرابِ (١)

وليس إذا كان البياضُ في البازي آتقُ في العين وأخلق بالحسن من السواد في الغراب ، وجب لذلك أن لا يُلَمَّ الشيبُ ولا تنفِرَ منه طباع ذوى الألباب ، لأنه ليس الذنب كله لتحوّل / الصبغ وتبدّل اللون ، ولا أتت الغواني ما أتت من الصدّ والإعراض لمجرد البياض ، فإنّهن يرينه في قُباطي مصر فيأنسن ، (٢) وفي أنوار الرّوض وأوراق النرجس الغضّ فلا يعيسن ، فما أنكرن ايضاض شعر الفتى

١٥٩

(١) هو في ديوانه ، وقبله :

عيرتني المشيب وهي بدتُه في عناري بالصدّ والاجتناب
لا تريه عازًا ، فما هو بالشـيب ، ولكنه جلاء الشباب
(٢) القباطي ، ثياب كانت تُصنع بمصر ، هي إلى الرقة والدقة والبياض .

لنفس اللون وذاته ، بل لذهاب بهجاته ، وإدباره في حياته . وإنك لترى الصُّفرة الخالصة في أوراق الأشجار المتناثرة عند الخريف وإقبال الشتاء وهبوب الشمال ، فتكرهها وتنفرُ منها ، وتراها بعينها في إقبال الربيع في الزهر المتفتق ، وفيما يُنشِئُه ويَشِبهه من الديداج المُؤنق ، فتجد نفسك على خلاف تلك القضية ، وتمتلئ من الأريحية ، ذاك لأنك رأيت اللونَ حيثُ الحماة والريادة ، والحياةُ المستفادة ، وحيثُ أبشرتُ أرواح الرياحين ، وبشرتُ أنواع التحاسين ، ورأيتُه في الوقت الآخر حين ولتُ السعود ، واقشعُرُ العود ، وذهبت البشاشة والبشر ، وجاء العُبوس والعُسر .

هذا ، ولو عدم البازي فضيلة أنه جارح ، وأنه من عتيق الطير ، لم تجد ليياضه الحسن الذي تراه ، ولم يكن للمحتج به على من يُنكر الشيب ويذمه ما تراه من الاستظهار ، كما أنه لولا ما يُهدى إليك المسك من رِيَّاه التي تتطلع إليها الأرواح ، وتَهشُّ لها النفوس وترتاح ، لضَعُفَت حُجَّة المتعلق به في تفضيل الشباب . وكما لم تكن العلة في كراهة الشيب يياضه ، ولم يكن هو الذي غَضَّ عنه الأبصار ، ومنحه العيب والإنكار ، كذلك لم يحسُن سواد الشعر في العيون لكونه سوادًا فقط ، بل لأنك رأيت رُونق الشباب ونضارته ، وبَهجته وطلاوته / ورأيت بريقه وبصيصه يعيدانك الإقبال ، ويريانك الاقبال ، ويُحضرانك الثقة بالبقاء ، ويُبعدان عنك الخوف من الفناء . وإنك لترى الرَّجُل وقد طَعَن في السنِّ وشعره لم يبيض ، وشبيه لم ينقص ، ولكنه على ذاك قد عدم إبهاجه الذي كان ، وعاد لا يزينُ كما زان ، وظهر فيه من الكمود والجمود ، ما يُريكه غير محمود .

والصَّارِمُ المَصْتُقُولُ أَحْسَنُ حَالَةً . يَوْمَ الوَغَى من صَارِمٍ لم يُصْقَلْ (١)

= احتجاجٌ على فضيلة الشيب ، وأنه أحسن منظراً من جهة التعلق باللون ، وإشارةً إلى أن السواد كالصَدَلِ على صفحة السيف ، فكما أن السيف إذا صُقِلَ وجُلِيَ وأزيلَ عنه الصَّدَأُ ونُقِيَ كان أبهى وأحسن ، وأعجب إلى الرأى وفي عينه أزين ، كذلك يجب أن يكون حُكْمُ الشَّعْرِ في انجلاء صدى السواد عنه ، وظهور بياض الصَّقَالِ فيه ، وقد ترك أن يفكر فيما عدا ذلك من المعانى التى لها يُكره الشيب ، ويُناط به العيب .

٢٢٨ - وعلى هذا موضوع الشعر والخطابة ، أن يجعلوا اجتماع الشيبين في وصفِ عِلَّةٍ لحكمٍ يريدونه ، وإن لم يكن كذلك في المعقول ومُقْتَضِيَّاتِ العقول ، ولا يؤخذ الشاعر بأن يصحح كون ما جعله أصلاً وعلة كما ادَّعاه فيما يُبرم أو يُنقض من قضية ، وأن يأتي على ما صيره قاعدةً وأساساً بيّنة عقلية ، بل تُسَلِّمُ مقدّمته التى اعتمدها بيّنة ، كتسليمنا أن عائب الشيب لم يُنكر منه إلا لونه ، وتناسينا سائر المعانى التى لها كره ، ومن أجلها عيب .

بناء الشعر والخطابة
على التخيل
لا المعقول

وكذلك قول البحتري :

كَلَّفْتُمُونَا حُلُودَ مَنْطِقِكُمْ فى الشَّعْرِ ، يَكْفِي عن صِدْقِهِ كَذْبُهُ (٢)

/ أراد كلفتمونا أن نُجرى مقاييس الشعر على حدود المنطق ، ونأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقّق ، حتى لا ندعى إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ، ويُلجىء إلى موجبه . ولاشك أنه إلى هذا النحو قصد ، وإياه عمد ،

١٦١

(١) هو للبحتري فى ديوانه ، من خمسة أبيات فى مدح الشيب .

(٢) هو فى ديوانه .

إذ يبعد أن يريد بالكذب إعطاء المملوح حظاً من الفضل والسُودد ليس له ،
ويُبلغه بالصفة حظاً من التعظيم ليس هو أهله ، وأن يجاوز به من الإكثار محله ، لأن
هذا الكذب لا يُبين بالحجج المنطقية ، والقوانين العقلية ، وإنما يكذب فيه القائل
بالرجوع إلى حال المذكور واختباره فيما وُصف به ، والكشف عن قدره وخسسته ،
ورفعته أو ضَعَعته ، ومعرفة محله ومرتبته .

...

٢٢٩ - وكذلك قول من قال : « خير الشعر أكذبه » ، فهذا مراده ، تفسير قولهم : « خير
الشعر أكذبه »

لأن الشعر لا يكتسب من حيث هو شعرٌ فضلاً ونقصاً ، وانحطاطاً وارتفاعاً ،
بأن ينحل الوضيع صفةً من الرفعة هو منها عارٍ ، أو يصف الشريف بنقص
وعار ، فكم جواد بخله الشعر وبخيل سخاه ؛ وشجاع وسمه بالجبن وجبان
ساوى به الليث ؛ وذئبٍ أوطاه قِمة العيوق ، وغبيّ قضى له بالفهم ، وطائش
ادعى له طبيعة الحُكم ، ثم لم يُعتبر ذلك في الشعر نفسه حيث تُنتقدُ دنانيره
وتُنشر دياييجه ، ويُفتق مسكه فيضوعُ أريجُه .

= وأما من قال في معارضة هذا القول : « خير الشعر أصدقه » ، كما

قال :

وإنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيِّتٌ يَقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا (١)

فقد يجوز أن يراد به أن خير الشعر ما دلَّ على حِكْمَةٍ يقبلها العقل ،
وأدبٍ يجب به الفضل ، وموعظةٌ تُروِّضُ جِماحَ الهوى / وتبعث على التقوى ،

(١) ينسب إلى حسان بن ثابت في ديوانه ، وإلى زهير ، وإلى بقيلة الأشجعي في الإصابة في

ترجمته ، وفي المؤلف والمختلف للآمدي : ٦٣ .

وثبّين موضع القبح والحسن في الأفعال ، وتُفصّل بين المحمود والمذموم من الخصال ، وقد يُنحَى بها نحو الصدق في مدح الرجال ، كما قيل : « كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه » ، والأول أولى ، لأنهما قولان يتعارضان في اختيار نوعي الشعر .

فمن قال : « خيره أصدقه » كان تركُ الإغراق والمبالغة والتجوّز إلى التحقيق والتصحيح ، واعتماد ما يجرى من العقل على أصل صحيح ، أحبّ إليه وآثر عنده ، إذ كان ثمره أحلى ، وأثره أبقي ، وفائدته أظهر ، وحاصله أكثر = ومن قال : « أكذبه » ، ذهب إلى أن الصنعة إنما تُمدُّ باعها ، وتنشر شعاعها ، ويتسع ميدانها ، وتتفرّع أفنانها ، حيث يعتمد الاتساع والتخييل ، ويُدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل ، وحيث يُقصد التلطّف والتأويل ، ويُذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذمّ والوصف والنعته والفخر والمباهاة وسائر المقاصد والأغراض ، وهناك يجد الشاعرُ سبيلاً إلى أن يُبدع ويزيد ، ويُبدى في اختراع الصور ويُعيد ، ويصادف مضطرباً كيف شاء واسعاً ، وممدداً من المعاني متابعاً ، ويكون كالمغترف من عدّ لا ينقطع ،^(١) والمُستخرج من معدنٍ لا ينتهى .

وأما القبيل الأول فهو فيه كالمقصود المُداني قيّده ،^(٢) والذي لا تتسع كيف شاء يده وأيّده ،^(٣) ثم هو في الأكثر يسرد على السامعين معاني معروفةً وصوراً مشهورةً ، ويتصرّف في أصول هي وإن كانت شريفةً ، فإنها

(١) « العُدّ » ، الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها .

(٢) « داني قيّد اللابة » ، ضيقه .

(٣) « الأيد » ، القوة .

كالجواهر تُحفظ أعدادها ، ولا يُرجى ازديادها ، وكالأعيان الجامدة التي لا تُنمى ولا تزيد ،^(١) ولا تريح ولا تُفيد ، وكالحسناء / العقيم ، والشجرة الرائقة لا تُمتع بجنى كريم .

١٦٣

...

نصرة التخيل
وتفضيله

٢٣ - هذا ونحوه يمكن أن يُتعلق به في نصرة التخيل وتفضيله ، والعقل بعدد على تفضيل القبيل الأول وتقديمه ، وتفخيم قدره وتعظيمه ، وما كان العقل ناصره ، والتحقيق شاهده ، فهو العزيز جانبه ، المنيع مناكبه ، وقد قيل : « الباطل محصور وإن قضى له ، والحق مُفليح وإن قضى عليه » . هذا ، ومن سلم أن المعاني المعرقة في الصدق ، المستخرجة من معدن الحق ، في حكم الجامد الذي لا ينمى ، والمحصور الذي لا يزيد ؟ وإن أردت أن تعرف بطلان هذه الدعوى فانظر إلى قول أبي فراس :

وكنا كالسهام إذا أصابت مراميها فراميتها أصابا^(٢)

أست تراه عقلياً عريقاً في نسبه ، معترفاً بقوة سببه ، وهو على ذلك من فوائد أبي فراس التي هو أبو عندها ، والسابق إلى إثارة سيرها .

...

الاستعارة ليست من
التخيل

٢٣١ - وأعلم أن « الاستعارة » لا تدخل في قبيل « التخيل » ، لأن المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة ، وإنما يعمد إلى إثبات شبهه هناك ، فلا يكون مخيرةً على خلاف تحيره . وكيف يعرض الشك في أن

(١) « تنمى » ترداد .

(٢) هو في ديوانه .

لا مدخل للاستعارة في هذا الفن ، وهي كثيرة في التنزيل على ما لا يخفى ، كقوله عز وجل : (وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) [سورة مريم : ٤٤] ؟ ثم لا شبهة في أن ليس المعنى على إثبات الاشتعال ظاهرًا ، وإنما المراد إثبات شبهه . وكذلك قول النبي ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن » ، ^(١) ليس على إثباته مرآة من حيث الجسم الضئيل ، لكن من حيث الشبه المعقول ، وهو كونها سببًا للعلم بما لولاها / لم يُعلم ، لأن ذلك العلم طريقه الرؤية ، ولا سبيل إلى أن يرى الإنسان وجهه إلا بالمرآة وما جرى مجراها من الأجسام الضئيلة ، فقد جمع بين المؤمن والمرآة في صفة معقولة ، وهي أن المؤمن ينصح أخاه ويُرِيه الحسن من القبيح ، كما تُرى المرآة الناظر فيها ما يكون بوجهه من الحسن وخلافه . وكذا قوله ﷺ : « إياكم وحُضْرَاءُ الدِّمَنِ » ، ^(٢) معلوم أن ليس القصدُ إثبات معنى ظاهر اللفظين ، ولكن الشبهُ الحاصل من مجموعهما ، وذلك حُسن الظاهر مع خُبثِ الأصل .

١٦٤

٢٣٢ - وإذا كان هذا كذلك ، بانَ منه أيضًا أن لك مع لزوم الصدق ، والثبوت على محض الحق ، الميدانَ الفسيح والمجالَ الواسع ، وأن ليس الأمر على ما ظنَّه ناصر الإغراق والتخيل الخارج إلى أن يكون الخبر على خلاف المخبر ، من أنه إنما يتسع المقال ويفتن ، وتكثر موارد الصنعة ويعزُر يَنبوعها ، وتكثر أغصانها وتنشعب فروعها ، إذا بسط من عنان الدعوى ، فأدعى ما لا يصح دعواه ، وأثبت ما ينفيه العقل ويأباه .

...

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب ، في « باب في النصيحة والحياطة » ، من حديث أبي هريرة ، ورواه الترمذي في كتاب البر ، « باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم » من حديث أبي هريرة ، بلفظ : « إن أحدكم مرآة أخيه » . وراجع فتح القدير .

(٢) مضى في رقم : ٦٦ .

٢٣٣ - وجملته الحديث أن الذي أريده بالتخييل ههنا ، ما يُثبت فيه مُرآة بالتخييل الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلاً ، ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها ، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويُريها ما لا ترى .

فأما الاستعارة ، فإن سبيلها سبيل الكلام المحنوف ، في أنك إذا رجعت إلى أصله ، وجدت قائله وهو يُثبت أمرًا عقليًا صحيحًا ، ويدعى دعوى لها سِنخ في العقل . وستمر بك ضروب من « التخييل » هي أظهر أمرًا في البعد عن الحقيقة ، وأكشف وجهًا في أنه خداع للعقل ، وضرب من التزييق ، فتزداد استبانة للغرض / بهذا الفصل ، وأزيدك حينئذ إن شاء الله ، كلامًا في الفرق بين ما يدخل في حيز قولهم : « خير الشعر أكذبه » ، وبين ما لا يدخل فيه مما يشاركه في أنه أوسع وتجوز ، فأعرفه .

وكيف دار الأمر ، فإنهم لم يقولوا : « خير الشعر أكذبه » ، وهم يريدون كلامًا غفلاً ساذجًا يكذب فيه صاحبه ويُفريط ، نحو أن يصف الحارس بأوصاف الخليفة ، ويقول للبائس المسكين : « إلتك أمير العراقين » ، ولكن ما فيه صنعة يتعمّل لها ، وتدقيق في المعاني يحتاج معه إلى فطنة لطيفة وفهم ناقي وغوص شديد ، والله الموافق للصواب .

٢٣٤ - وأعود إلى ما كنت فيه من الفصل بين المعنى الحقيقي وغير الحقيقي .

وأعلم أن ما شأنه « التخييل » ، أمره في عظم شجرته إذا تُؤمّل نسبه ، وعُرفت شعوبه وشعبه ، على ما أشرت إليه قبيل ، لا يكاد تجيء فيه قسمة تستوعبه ، وتفصيل يستغرقه ، وإنما الطريق فيه أن يتبع الشيء بعد الشيء ، ويُجمع ما يحصره الاستقراء .

الفعل بين المعنى
الحقيقي وغير
الحقيقي

فالذي بدأتُ به من دعوى أصلٍ وعليةٍ في حُكْمٍ من الأحكام ، هما كذلك ما تُرِكَتِ المضايقة ، وأُخذتِ بالمساحة ، ونُظِرَ إلى الظاهر ، ولم يُنقَر عن السرائر ، وهو التَّمَطُّ العَدْلُ والتَّمَرُّقَةُ الوُسْطَى ، وهو شيءٌ تراه كثيراً بالأدب والحِكم البريئة من الكذب .

ومن الأمثلة فيه قول أبي تمام :

[من الخفيف]

إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يُهـ
يُدِي الرَّزَايَا إِلَى ذَوِي الْأَحْسَابِ (١)
فَلِهَذَا يَجِفُّ بَعْدَ أَحْضِرَارِ
قَبْلَ رَوْضِ الْوَهَادِ رَوْضُ الرَّوَابِي

وكذا قوله يذكر أن المملوح قد زاده ، مع بعده عنه وغيبته ، في العطايا

على الحاضرين عنده الألامين خِدْمَتَهُ :

[من الخفيف]

لَزِمُوا مَرَكَزَ النَّدَى وَذَرَاهُ
وَعَدْتْنَا عَنْ مِثْلِ ذَاكَ الْعَوَادِي (٢)
غَيْرَ أَنَّ الرَّبِّيَّ إِلَى سَبِيلِ الْأَنْزِ
سَوَاءٍ أَدْنَى ، وَالْحِطُّ حِطُّ الْوَهَادِ

١٦٦

لم يقصد من الربى ههنا إلى العلو ، ولكن إلى الدنو فقط ، وكذلك لم يُرِدْ

بذكر الوهاد الضعة والتسفل والهبوط ، كما أشار إليه في قوله :

« والسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِيِ » . (٣)

وإنما أراد أن الوهاد ليس لها قُربُ الرَّبِّيِّ من فيض الأنواء ، ثم إنها تتجاوزُ

الرَّبِّيِّ التي هي دانية قريبة إليها ، إلى الوهاد التي ليس لها ذلك القُرب .

ومن هذا التَّمَطُّ ، في أنه تخييل شبيهة بالحقيقة لاعتدال أمره ، وأن ما تعلق

(١) هو في ديوانه .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) مضى في رقم : ٢٢٥ .

به من العلة موجود على ظاهرٍ ما ادعى ، قوله : [من البسيط]
لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَعِنِكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تُحْتَجَبُ (١)

فاستأر السماء بالغيم هو سبب رجاء الغيث الذي يُعدُّ في مجرى العادة
جودًا منها ، ونعمة صادرة عنها ، كما قال ابن المعتز : [من الخفيف]

مَا تَرَى نِعْمَةَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ ضِيًّا وَشُكْرًا لِلرِّيَاضِ لِلْأَمْطَارِ (٢)

...

٢٣٥ - وهذا نوع آخر ، وهو دعواهم في الوصف هو خِلقة في التخييل الشيء بالحققة مما أصله التشبيه
الشيء وطبيعة ، أو واجب على الجملة ، من حيث هو أن ذلك الوصف حصل له من المملوح ومنه استفادة . وأصل هذا التشبيه ، ثم يتزايد فيبلغ هذا الحد ، وهم فيه عبارات منها قولهم : « إن الشمس تستعير منه النور وتستفيد ، أو تتعلم منه الإشراق وتكتسب منه الإضاءة » . وألطف ذلك أن يقال : « تُسْرِقُ » ، و « أن نورها مسروق من المملوح » . وكذلك يقال : « الْمِسْكُ يَسْرِقُ مِنْ عَرْفِهِ ، وَأَنْ طَيْبِهِ مُسْتَرْقٍ مِنْهُ وَمِنْ أَخْلَاقِهِ » ، قال ابن بابك : [من الطويل]

أَلَا يَا رِيَّاضَ الْحَزْنِ مِنْ أُبْرُقِ الْجَمَى نَسِيْمُكَ مَسْرُوقٌ وَوَصْفُكَ مُنْتَحَلٌ
/ حَكِيْمَتِ أَبَا سَعْدٍ ، فَنَشْرُكَ نَشْرَهُ وَلَكِنْ لَهُ صِدْقُ الْهَوَى ، وَلِكِ الْمَلَلُ

١٦٧

...

٢٣٦ - ونوع آخر ، وهو أن يدعى في الصفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعلة يضعها الشاعر ويختلفها ، إما لأمر يرجع إلى تعظيم المملوح ، أو تعظيم

(١) هو في ديوان أبي تمام .

(٢) هو في ديوانه .

أمرٍ من الأمور ، فمن الغريب في ذلك معنى بيت فارسيّ ترجمتهُ : [من البسيط]
 لَوْ لَمْ تَكُن نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدًا مُنْتَطِقًا
 فهذا ليس من جنس ما مضى ، أعنى ما أصله التشبيه ، ثم أريد التناهي
 في المبالغة والإغراق والإغراب .

ويدخل في هذا الفن قول المتنبي :

[من الكامل]

لَمْ تَحُلِكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ ، وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَيَّبُهَا الرَّحْضَاءُ ^(١)

= لأنه وإن كان أصله التشبيه ، من حيث يشبهه الجواد بالقيث ، فإنه
 وَضَعَ المعنى وضعا وصوره في صورة خرج معها إلى ما لا أصل له في التشبيه ،
 فهو كالواقع بين الضريين . وقريب منه في أن أصله التشبيه ثم باعده بالصنعة في
 تشبيهه وخلع عنه صورته خلعا ، قوله :

[من الوافر]

وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا ، وَلَكِنْ كَسَّاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طَيِّبًا ^(٢)

ومن لطيف هذا النوع قول أبي العباس الضبي :

[من الكامل]

لَا تَرْتَكِنَنَّ إِلَى الْفِرَاقِ وَإِنْ سَكَنْتَ إِلَى الْعِنَاقِ ^(٣)
 فَالشمسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا تَصْفَرُّ مِنْ فَرَقِ الْفِرَاقِ

= ادّعى لتعظيم شأن الفراق أن ما يُرى من الصفرة في الشمس حين
 يرقُّ نورها بدنوها من الأرض ، إنما هو لأنها تُفارق الأفق الذي كانت فيه ،

(١) هو في ديوانه . « الصيب » المصوب . و « الرّحضاء » ، عرق الحمى .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) هو له في البيتمة ٣ : ٢٦٥ .

أو الناس الذين طلعت عليهم وأنست بهم وأنسوا بها وسرّتهم رؤيتها .

°°°

٢٣٧ - ونوع منه قول الآخر : [من الوافر]

١٦٨ / قضيب الكرم تقطعه فينكي ولا تبكي وقد قطع الحبيب^(١)

وهو منسوب إلى إنشاد الشبلي ، ويقال أيضاً أن أبا العباس أخذ معناه في بيته من قول بعض الصوفية وقيل له : « لِمَ تصفرُّ الشمس عند الغروب ؟ فقال من حذر الفراق » .

°°°

٢٣٨ - ومن لطيف هذا الجنس قول الصولي : [من الكامل]

الريح تحسّني عليـك ، ولم أخلها في العدا^(٢)
لما هممت بقبلية ردت على الوجه الردا

وذلك أن الريح إذا كان وجهها نحو الوجه ، فواجب في طباعها أن تردّ الرداء عليه ، وأن تلتف من طرفيه ، وقد ادّعى أن ذلك منها لحسدٍ بها وغيره على المحبوبة ، وهي من أجل ما في نفسها تحول بينه وبين أن ينال من وجهها .

وفي هذه الطريقة قوله : [من المقارب]

وحارّبتني فيه ريب الزمان كأن الزمان له عاشق^(٣)

(١) لم أقف عليه في كثير مما أنشده الشبلي . وهو صوفي كبير من الطبقة الرابعة .

(٢) ليس فيما نشره أستاذ الراجكوتي من شعر الصولي ، ولا في زياداته هو .

(٣) هو محمد بن وهيب من أربعة أبيات في ترجمته في الأغاني ١٩ : ٧٧ .

= إلاً أنه لم يضع علةً ومعلولاً من طريق النصّ على شيء ، بل أثبت محاربةً من الزمان في معنى الحبيب ، ثم جعل دليلاً على علتها جواز أن يكون شريكاً له في عشقه . وإذا حقّقنا لم يجب = لأجل أن جعل العشق علةً للمحاربة ، وجمّع بين الزمان والريح ، في أدعاء العداوة لهما = أن يتناسب البيتان من طريق الخصوص والتفصيل .

وذاك أن الكلام في وضع الشاعر للأمر الواجب علةً غير معقول كونها علةً لذلك الأمر .^(١) وكون العشق علةً للمعاداة في المحبوب معقول معروف غير بدع ولا منكر . فإذا بدأ فادعى أن الزمان يعاديه ويحاربه فيه ، فقد أعطاك أن ذلك لمثل هذه العلة = وليس إذا ردت الريح الرداء ، فقد وجب أن يكون ذلك لعلّة الحسد أو لغيرها ، لأن ردّ الرداء / شأنها ، فأعرفه ، فإن من شأن حكم المحصل أن لا ينظر في تلاق المعاني وتناظرها إلى جمّل الأمور ، وإلى الإطلاق والعموم ، بل ينبغي أن يدقّق النظر في ذلك ، ويراعى التناسب من طريق الخصوص والتفاصيل . فأتت في نحو بيت ابن وهيب تدعى صفةً غير ثابتة ، هي إذا ثبتت اقتضت مثل العلة التي ذكرها ، وفي نحو بيت الريح ، تذكر صفةً غير ثابتة حاصلةً على الحقيقة ، ثم تدعى لها علة من عند نفسك وضعاً واختراعاً ، فأفهمه .

١٦٩

[من الطويل]

= وهكذا قول المتنبي :

مَلَأَمِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ^(٢)
فَلَوْ لَمْ تَعْرِ لَمْ تَزِرْ عَنِّي لِقَاءَكُمْ وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ حَصْمِي

(١) في المخطوطة ومطبوعة ريتز : « وذاك أنا في وضع ... » ، والذي أثبتته في أحد مخطوطاته ،

وفي مطبوعة رشيد رضا .

(٢) هو في ديوانه .

= الدعوى فى إثبات الخصومة ، وجعل الثوى كالشئ الذى يعقل ويميز ويريد ويختار ، وحديث العيرة والمشاركة فى هوى الحبيب ، يثبت بثبوت ذلك من غير أن يفترق منك إلى وضع وأختراع .

... .

٢٣٩ - وما يلحق بالفن الذى بدأت به قوله : [من الطويل]

بِنَفْسِي مَا يَشْكُوهُ مَنْ رَاحَ طَرْفُهُ وَنَزَجِسُهُ مِمَّا دَهَى حُسْنَهُ وَرَدُّ^(١)
أَرَأَيْتَ دَمِي عَمَلًا مَحَاسِنُ وَجْهِهِ فَأَضْحَى فِي عَيْنِهِ آثَارُهُ تَبْلُو

= لأنه قد أتى لحمرة العين = وهى عارض يعرض لها من حيث هى عين = بعلّة يعلم أنها مخترعة موضوعة ، فليس ثم إراقة دم . وأصل هذا قول ابن المعتز :

قَالُوا أَشْتَكْتُ عَيْنَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَصْبُ^(٢)
حُمُرُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلْتُ وَالِدُكُمْ فِي النَّصْلِ شَاهِدًا عَجَبُ

= وبين هذا الجنس وبين نحو : « الرّيح تحسدنى » ، فرق ، وذلك أن لك هناك / فعلاً هو ثابت واجب فى الرّيح ، وهو ردُّ الرداء على الوجه ، ثم أحببت أن تتطرف ،^(٣) فادّعت لذلك الفعل علة من عند نفسك . وأما ههنا فنظرت إلى صفة موجودة ، فتأولت فيها أنها صارت إلى العين من غيرها ، وليست هى التى من شأنها أن تكون فى العين ، فليس معك هنا إلا معنى واحد ، وأما هناك

(١) لأنى الفرج البيضاء ، من أربعة أبيات فى يتيمة الدهر ١ : ٢٢٣ .

(٢) همالابن الرومى فى ديوانه ، وفى حماسة ابن الشجرى : ٨٨٤ ، وينسبان أحياناً لابن المعتز ،

وليسا فى ديوانه .

(٣) فى المخطوطة : « تتطرق » ، بالقاف .

فمعك معنيان : أحدهما موجود معلوم ، والآخر مُدعى موهوم ، فأعرفه .

٢٤٠ - ومما يشبه هذا الفن الذي هو تأوُّل في الصفة فقط ، من غير أن يكون معلول وعلة ، ما تراه من تأوُّلم في الأمراض والحُميات أنها ليست بأمراض ، ولكنها فِطَنٌ ثاقبة وأذهانٌ متوقِّدة وعزِّمات ، كقوله : [من الطويل] وحوشيت أن تُضرى بجسمك علةً ألا إنها تلك العزوم الثواقب^(١)

التعليل التخييل
والتأول في الصفة

وقال ابن بابك : [من الوافر] ففرت وما وجدت أبا العلاء سيوى قرط التوقد والدكاء

ولكشاجم ، يقوله في علي بن سليمان الأخفش : [من الرمل]

ولقد أخطأ قومٌ زعموا أنها من فضل برِّدٍ في العصب^(٢)
هو ذاك الذهن أذكى ناره والمِرْاجُ المُفْرِطُ الحرُّ آتِهب

= ولا يكون قول المتنبى : [من الكامل]

ومنازل الحُمى الجسوم ، فقل لنا : ما عُذْرُها في تركها خَيْرَاتِها^(٣)
أعجبتَها شرفاً فطال وقوفُها لتأمل الأعضاء لا لِأذاتِها

= من هذا في شيء ، بأكثر من أن كلا القولين في ذكر الحُمى ، وفي تطيب النفس عنها ، فهو اشتراك في القرص والجنس ،^(٤) فأما في عمود المعنى

(١) بيت من قصيدة طويلة ، لأبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي العامري ، ذكر فيها مرضاً ألم بالصاحب بن عباد ، يتيمة الدهر ٣ : ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٢) البيت الأول في ديوانه المطبوع ، ولس فيه البيت الثاني .

(٣) هما في ديوانه .

(٤) في النسخ جميعاً : « العرض » بالعين المهملة ، وكان الصواب ما أثبت .

١٧١ وصورته الخاصة فلا ، لأن المتنبى لم ينكر أن ما يجده المملوح / حُمى كما أنكره الآخر ، ولكنه كأنه سأل نفسه : كيف اجترأت الحمى على المملوح ، مع جلالته وهيبته ، أم كيف جاز أن يقصد شيء إلى أذاه مع كرمه وثبله ، وأن المحبة من النفوس مقصورة عليه ؟ فتمحلّ لذلك جواباً ، ووضع للحمى فيما فعلته من الأذى عُذراً ، وهو تصريح ما اقتصر فيه على التعجب في قوله : [من الوافر]

أَيْدِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ ؟ وَهَلْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَكَ الْخَطُوبُ ؟ (١)
وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَائٍ فَقُرْبُ أَقْلِهَا مِنْهُ عَجِيبُ !

= إلا أن ذلك الإيهام أحسن من هذا البيان ، وذلك التعجب موقوفاً غير مجاب ، أولى بالإعجاب ، وليس كل زيادة تُفلح ، وكل استقصاء يملح .

...

أمثلة في التعليل
التخيلي والتأويل
في الصفة

٢٤١ - ومن واضح هذا النوع وجيده قول ابن المعتز : [من الكامل]

صَدَّتْ شُرَيْرٌ وَأَزْمَعَتْ هَجْرِي وَصَعَتْ ضَمَائِرُهَا إِلَى الْعَنْدِرِ (٢)
قَالَتْ : كَبِرَتْ وَشَبِتَتْ ! قَلْتُ لَهَا : هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ

= ألا تراه أنكرا أن يكون الذي بدا به شيئا ، ورأى الاعتصام بالجحد أحصر طريقاً إلى نفى العيب وقطع الخصومة ، ولم يسلك الطريقة العامة فيثبت المشيب ، ثم يمتع العائب أن يعيب ، ويريه الخطأ في عيبه به ، ويلزمه المناقضة في مذهبه ، كنحو ما مضى ، أعني كقول البحرى : « وبياض البازي » . (٣)

(١) هو في ديوان المتنبى .

(٢) هو في ديوانه . « شُرَيْر » ، تصغير اسم صاحبه . و « صَعَتْ » ، مالت .

(٣) انظر بيت البحرى في رقم : ٢٢٧ .

وهكذا إذا تأوّلوا في الشيب أنه ليس بابيضاض الشعر الكائن في مجرى العادة وموضوع الخَلقة ، ولكنه نُور العقل والأدب قد انتشر ، وبان من وجهه وظهر ، كقول الطائي الكبير :

[من البسيط]

ولا يُروِّعك إِمَاضُ القَتِيرِ به فَإِنَّ ذاك ابتسامُ الرّأى والأدب^(١)

...

٢٤٢ - / وينبغي أن تعلم أنّ باب التشبيهات قد حظي من هذه الطريقة بضرب من السُّخر ، لا تأتي الصفة على غرابته ، ولا يبلغ البيان كنه ما ناله من اللطف والظرف ، فإنه قد بلغ حدًّا يرُدُّ المعروف في طباع العزّل ،^(٢) ويُلهي الثكلان عن الثكل ، وينثف في عُقد الرّوحشة ، وينشد ما ضلّ عنك من المسرّة ، ويشهد للشعر بما يطيل لسانه في الفخر ، ويبيّن جملة ما للبيان من القدرة والقدر .

١٧٢

[من الكامل]

فمن ذلك قول ابن الرومي :

خَجَلْتُ خلودُ الورد من تفضيله خَجَلًا تورّدُها عليه شاهدُ^(٣)
لم يَخْجَلِ الوردُ المورّدُ لوئه إلّا وناحله الفضيلةَ عاندُ
للنرجس الفضلُ المبيّنُ وإن أباي آبٍ وحادَ عن الطريقة حائدُ
فَصُلُّ القضية أنّ هذا قائدُ زَهَرَ الرياضِ وأنّ هذا طاردُ

(١) هو في ديوانه ، ورواية الديوان : « ولا يُورِّقك » ، من الأرق . و « إِمَاضُ القَتِيرِ » ، لمعان أول الشيب في رأسه .

(٢) في المخطوطة ومطبوعة ريتز : « يرد العزوف » ، وهي قليلة المعنى ، وفي مطبوعة رشيد رضا : « يبرُّ المعروف » ، ولا بأس بها ، والأجود ما أثبت .

(٣) هي في ديوانه ، أربعة عشر بيتا بزيادة أربعة أبيات ، ومع اختلاف يسير في الترتيب .

شَتَانٌ بين آئينين : هذا مُوعِدٌ بَسَلْبِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاَعْدُ
يَنْهَى النَّدِيمَ عن القَبِيحِ بِلِحْظِهِ ، وَعَلَى المُدَامَةِ وَالسَّمَاعِ مُسَاعِدُ
أَطْلَبُ بِعَفْوِكَ فِي المِلاحِ سَمِيهِ أَبَدًا ، فَإِنَّكَ لَا مَحَالَةَ وَاجِدُ
وَالوَرْدُ إِنْ فَكَّرْتَ فَرْدٌ فِي آسَمِهِ مَا فِي المِلاحِ لَهُ سَمِيٌّ وَاحِدُ ^(١)
هَذِي النُّجُومُ هِيَ الَّتِي رَبَّتَهُمَا بِحَيَا السَّحَابِ كَمَا يُرَبِّي الوَالِدُ
فَانظُرْ إِلَى الأَخْوَيْنِ مَنْ أَدْنَاهُمَا شَبَّهًا بِوَالِدِهِ ، فَذَلِكَ المَاجِدُ ^(٢)
أَيْنَ الخُدُودِ مِنَ العَيُونِ نَفَاسَةٌ وَرِثَاسَةٌ ، لَوْلَا القِيَاسُ الفَاسِدُ ^(٣)

وترتيب الصنعة في هذه القطعة ، أنه عمل أولًا على قلب طرفي التشبيه ، كما مضى في فصل التشبيهات ، فشبه حُمرة الورد بحمرة الخجل ، ثم تناسى ذلك وتحدَّع عنه نفسه ، وحملها على أن تعتقد أنه تحجَّل على الحقيقة . ثم لما اطمأنَّ ذلك في قلبه واستحكمت صورته ، طَلَبَ لذلك الخجل عِلَّةً ، فجعل / عِلَّتَهُ أَنْ فُضِّلَ عَلَى النُّرْجِسِ ، وَوُضِعَ فِي مَنزِلَةٍ لَيْسَ يَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لَهَا ، فَصَارَ يَتَشَوَّرُ مِنْ ذَلِكَ ، ^(٤) وَيَتَخَوَّفُ عَيْبَ العَائِبِ ، وَغَمِيضَةَ المَسْتَهْزِئِ . وَبِحُجْدٍ مَا يَجِدُ مَنْ مُدِّحٍ مُدْحَةً يَظْهَرُ الكَذِبَ فِيهَا وَيُفْرِطُ ، حَتَّى تَصِيرُ كَالهُزْءِ بَيْنَ قُصِيدِهَا . ثُمَّ زَادَتْهُ الفِطْنَةُ الثَّاقِبَةُ وَالمُطَبِّعُ المُثْمِرُ فِي سِحْرِ البَيَانِ ، مَا رَأَيْتَ مِنْ وَضْعِ جِجَاجٍ فِي شَأْنِ النُّرْجِسِ ، وَجِهَةً اسْتِحْقَاقِهِ الفُضْلَ عَلَى الوَرْدِ ، فَجَاءَ بِحُسْنِ وَإِحْسَانٍ لَا تَكَادُ تَجِدُ مِثْلَهُ إِلَّا لَهُ .

(١) في الديوان : « والورد لو قششت » .

(٢) في الديوان : « فتأمل الإثنين ... » .

(٣) في الديوان : « أين العيون من الخنود » .

(٤) « يتشور » ، أى يخجل ، وفي مطبوعة رشيد رضا « يثوب » وشرحها بأنه يعنى يرجع إلى

نفسه ، والأولى أجود .

٢٤٣ - وما هو خليق أن يوضع في منزلة هذه القطعة ، ويلحق بها

في لطف الصنعة ، قول أبي هلال العسكري :

[من الكامل]

زَعِمَ الْبَنْفَسُجُ أَنَّهُ كَعِذَارِهِ حُسْنًا ، فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ (١)
لَمْ يَظْلِمُوا فِي الْحُكْمِ إِذْ مَثَلُوا بِهِ ، فَلَشَدْمًا رَفَعَ الْبَنْفَسُجُ شَانَهُ

٢٤٤ - وقد اتفق للمتأخرين من المحدثين في هذا الفن نُكَّتْ

ولطائف ، وبِدَعٌ وظرائف ، لا يُسْتَكْثَرُ لها الكثير من التناء ، ولا يضيق مكانها

من الفضل عن سَعَةِ الإطراء ، فمن ذلك قول ابن نباتة في صفة الفرس : [من الوافر]

وَأَدْهَمُ يَسْتَمُدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا (٢)
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشْبِيًا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكُ طِيًّا
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْفَوْتَ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالْقَوَائِمِ وَالْمُحَيَّا

وأحسن من هذا وأحكم صنعةً قوله في قطعة أخرى :

[من الكامل]

فَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ وَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ (٣)

وأول القطعة :

قَدْ جَاءَنَا الطَّرْفُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ هَادِيهِ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ
أَوْلَايَةً وَلَيْتَنَا فَبِعَثْتَهُ رُمَحًا سَيِّبُ الْعُرْفِ عَقْدُ لَوَائِهِ
/ نَخْتَالُ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مَحْجَلٍ مَاءُ الدِّيَاجِي قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ وَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

١٧٤

(١) هما في ديوانه المجموع : ١٥٧ ، ومراجعته هناك : (جمع محسن غياض ، بغداد) ، وقدم أبو هلال لشعره هذا بقوله : « قلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ، ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً » . وقوله : « مثلوا به » ، أي نكلوا به .

(٢) مضى البيت الأول في رقم : ١٧٢ .

(٣) هو في اليتيمة : ٢ : ٣٦١ ، وفي مختارات البارودي : ٤ : ١٣٦ بزيادة بيت :

متمهلاً والبرق من أسمائه ، متبرقاً والحسن من أكفائه
 ما كانت الثيران يكمن حُرَّها لو كان للثيران بعض ذكائه
 لا تعلق الأخطاف في أعطافه إلا إذا كففت من غلوائه
 لا يكمل الطرف المحاسن كلها حتى يكون الطرف من أسرائه

٢٤٥ - ومما له في التفضيل الفضل الظاهر لحسن الإبداع ، مع
 السلامة من التكلف ، قوله :
 [من الطويل]

وماء على الرضراض يجرى كأنه صحائف تبر قد سبكن جداولاً (١)
 كأن بها من شدة الجري جنة وقد ألبستهن الرياح سلاسلًا

وإنما ساعده التوفيق ، من حيث وطمى له من قبل الطريق ، فسبق
 العرف بتشبيه الحُبك على صفحات العُدران بملق الدروع ، فتدرج من ذلك
 إلى أن جعلها سلاسل ، كما فعل ابن المعتز في قوله :
 [من الطويل]

وأنهار ماء كالسلاسل فجزت لترضيع أولاد الرياحين والزهر (٢)
 ثم أتم الحذق بأن جعل للماء صفة تقتضى أن يسلسل ، وقرب مأخذ
 ما حاول عليه ، فإن شدة الحركة وفرط سرعتها من صفات الجنون ، كما أن التمهّل
 فيها والتأبى من أوصاف العقل .

٢٤٦ - ومن هذا الجنس قول ابن المعتز في السيف ، في أبيات قالها في
 الموفق ، وهى :
 [من السريع]

(١) هو لأى سعيد الرسمى ، من قصيدة له طويلة ذكرها صاحب يتيمة الدهر ٣ : ١٨٥ -
 ١٨٧ . وكان البيت الأول في المخطوطة والمطبوعتين ناقصاً هكذا :

« وماء على الرضراض يجرى »

(٢) هو في ديوانه .

وفارس أغمَدَ في جُنَّةٍ تُقَطِّعُ السيفَ إذا ما وَرَدَ^(١)
 كأنها ماءٌ عليه جَرَى حتى إذا ما غاب فيه جَمَدٌ
 في كفه عَضْبٌ إذا هزَّهُ حَسْبَتُهُ من خَوْفِهِ يَرْتَعِدُ
 فقد أراد أن يخرع لهزّة السيف عِلَّةً ، فجعلها رِعْدَةً تناله من خوف
 المملوح / وهَيْبَتِهِ .

١٧٥

ويُشبهه أن يكون ابن بابك نظر إلى هذا البيت وعلّق منه الرعدة في
 قوله :

فإن عَجَمْتَنِي نُبُوبُ الخُطُوبِ وَأَوْهَى الزمانُ قُوَى مُنْتَبِي
 فَمَا أَضْطَرَبَ السيفُ من خِيفَةٍ ، ولا أُرْعِدَ الرمحُ من قِرَّةٍ
 = إلا أنه ذهب بها في أسلوب آخر ، وقصد إلى أن يقول : إن كون
 حركات الرمح في ظاهر حركة المرتعد ، لا يوجبُ أن يكون ذلك من آفة وعارض ،
 وكأنه عكس القضية فأتى أن تكون صفة المرتعد في الرمح للعلل التي لمثلها تكون
 في الحيوان .

وأما ابن المعتز فحَقَّقَ كونها في السيف على حقيقة العِلَّةِ التي لها تكون في
 الحيوان ، فأعرفه .

وقد أعاد هذا الإرتعادَ على الجملة التي وصفتُ لك ، فقال : [من السريع]

قالوا : طَواهُ حُزْنُهُ فَأَتَخَنَى فقلتُ ، والشكُّ عُلُوُّ اليقين^(٢)
 ما هَيْفُ التَّرْجِسِ من صَبْوَةٍ ولا الضننى في صُفْرَةِ الياسمينِ
 ولا آرتعادُ السيفِ من قِرَّةٍ ولا أنعطافُ الرمحِ من قِرطِ لينِ

(١) هو في ديوانه .

(٢) كأنه يعنى أنه من شعر ابن بابك .

٢٤٧ - وما حقه أن يكون طرازًا في هذا النوع قول البحترى :

[من الخفيف]

يَتَعْتَرْنَ فِي التُّحُورِ وَفِي الْأَوْ جِهٍ سَكْرًا لَمَّا شَرِبْنَ الدَّمَاءَ (١)

جعل فعلاً الطاعن بالرماح تعترًا منها ، كما جعل ابن المعتز تحريكه للسيف وهزه له ارتعادًا ، ثم طلب للتعتر علة ، كما طلب هو للارتعاد ، فأعرفه .

٢٤٨ - ومن هذا الباب قول علبة : (٢)

[من الخفيف]

وَكأن السَّمَاءَ صَاهَرَتِ الْأُرُ ضَ فَصَارَ النَّثَارُ مِنْ كَافُورٍ

[من الطويل]

وقول أبي تمام :

كَأنَّ السَّحَابَ العُرَّ غَيَّبَ تَحْتَهَا حَيِّبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِعُ (٣)

[من المنسرح]

/وقول السري يصف الهلال :

جَاءَكَ شَهْرُ السُّرُورِ سُؤَالَ وَغَالِ شَهْرَ الصِّيَامِ مَغْتَالَ (٤)

ثم قال :

(١) من قصيدة للبحترى في ديوانه .

(٢) قوله : « قول علبة » ، خطأ لاشك فيه وتصحيح ، والبيت للصاحب بن عباد ، كما في بئمة

الدهر ٣ : ٢٣٧ ، في ثلاثة أبيات ، وجاء البيت مفردًا فيها أيضًا ٣ : ٢٥٠ .

(٣) هو في ديوانه ، وقبله :

أَلَا إِنَّ صَدْرِي مِنْ بِلَائِي بِلَاقِعِ عَشِيَةِ شَاقَتْنِي الدِّيَارُ البِلَاقِعِ

و « تحتها » ، أي تحت الديار البلاقع .

(٤) هو في ديوانه ، ثلاثة أبيات ، منها التالي ، وقبله :

أَمَا رَأَيْتَ الهَلَالَ يَلْحَظُهُ قَوْمٌ لَهْمٌ مَا رَأَوْهُ إِهْلَالَ

وقوله : « كأنه قيد فضية » ، يعني الهلال ، و « الحرج » ، الضيق .

كَأَنَّهُ قَيْدٌ فِضَّةٍ حَرَجَّ فُضْرًا عَنِ الصَّائِمِينَ فَأَخْتَالُوا

كل واحد من هؤلاء قد خدع نفسه عن التشبيه وغالطها ، وأوهم أن الذى جرى العرف بأن يؤخذ منه الشبه قد حضر وحصل بحضرتهم على الحقيقة ، ولم يقتصر على دعوى حصوله حتى نصب له علة ، وأقام عليه شاهداً . فأثبت علة زفافاً بين السماء والأرض ، ^(١) وجعل أبو تمام للسحاب حبيباً قد غُيب في التراب ، وأدعى السرى أن الصائمين كانوا في قيد ، وأنه كان حرجاً ، فلما فُضْر عنهم انكسر بنصفين ، أو اتسع فصار على شكل الهلال . والفرق بين بيت السرى وبيتى الطائيين ، ^(٢) أن تشبيه الثلج بالكافور معتاد عامي جارٍ على الألسن ، وجعل القطر الذى ينزل من السحاب دموعاً ، ووصف السحاب والسماء بأنها تبكى ، كذلك . فأما تشبيه الهلال بالقيد فغير معتاد نفسه إلا أن نظيره معتاد ، ومعناه من حيث الصورة موجود ، وأعنى بالنظير ما مضى من تشبيه الهلال بالسوار المنقسم ، كما قال : [من الرمل]

حَاكِيًا نِصْفَ سِوَارٍ مِنْ نُضَارٍ يَتَوَقَّدُ ^(٣)

وكما قال السرى نفسه : [من الوافر]

وَلَاحٌ لَنَا الْهَلَالُ كَشَطْرِ طَوِّقٍ عَلَى لَبَاتِ زَرْقَاءِ اللَّبَاسِ ^(٤)

إلا أنه ساذج لا تعليل فيه يجب من أجله أن يكون سواراً أو طوقاً ،

فَاعْرِفْهُ .

(١) ذكر « علة » ، خطأ لما رأيت في ص ٢٨٩ ، تعليق : ٢ .

(٢) قوله « وبيتى الطائيين » - كأنه سهو ، والصواب : « بيت الطائي » .

(٣) لم أعتد إلى قائله .

(٤) هو في ديوانه .

ورأيت بعضهم ذكر بيت السرى الذى هو :
كَأَنَّهُ قَيْدُ فِضَّةٍ حَرَجٌ .

مع أبيات شعر جمعه إليها ، أنشد قطعة ابن الحجاج : [من الكامل]

١٧٧

/ ياصاحب البيت الذى قد مات ضيفاه جميعاً^(١)
مالى أرى فللك الرغى — فى لديك مشترفاً ربيعاً
كالبدر لا نرجو إلى وقت المساء له طلوعاً

ثم قال : إنه شبه الرغيف بالبدر ، لعلتين : إحداهما : الاستدارة ،
والثانية : طلوعه مساءً ، قال : وخير التشبيه ما جمع معنيين ، كقول ابن
الرومى :

[من الرمل]

يا شبيه البدر فى الحسد — من وفى بعد المنال^(٢)
جذ فقد تنفجر الصء — خرة بالماء الزلال

وأنشد أيضاً لإبراهيم بن المهدي : [من الكامل]

ورحمت أطفالا كأفراخ القطا — وحنين وإلهة كقوس النازع^(٣)

ثم قال : ومثله قول السرى :

كَأَنَّهُ قَيْدُ فِضَّةٍ حَرَجٌ .

وهو لا يشبه ما ذكره ، إلا أن يذهب إلى حديث أنه أفاد شكل الهلال
بالقيد المفضوض ، ولونه بالفضة ، فأما إن قصد النكتة التى هى موضع

(١) هو فى بيتمة الدهر ٣ : ٦٨ .

(٢) هو فى ديوانه .

(٣) من قصيدة له فى ترجمته فى الأغاني ١٠ : ١١٧ ، وروايته : « وحنين عانسبة » .

الإغراب ، فلا يستقيم الجمع بينه وبين ما أنشد ، لأن شيئاً من تلك الأبيات لا يتضمنُ تعليلاً ، وليس فيها أكثر من ضمّ شبيهٍ إلى شبه ، كالحنين والانحناء من القوس ، والاستدارة والطلوع مساءً من البدر ، وليس أحد المعنيين بعلّة للآخر ، كيف ؟ ولا حاجة بواحد من الشبهين المذكورين إلى تصحيح غيره له .

٢٤٩ - ومما هو نظيرٌ لبيت السرى وعلى طريقة قول ابن المعتز :

[من المقارب]

سَقَانِي وَقَدْ سُلَّ سَيْفُ الصَّبَا ح ، وَاللَّيْلُ مِنْ خَوْفِهِ قَدْ هَرَبَ ^(١)

لم يقنع ههنا بالتشبيه الظاهر والقول المرسل ، كما اقتصر في قوله :

[من السريع]

حتى بدا الصبا ح من نقابٍ كما بدا المنصل من قرابٍ ^(٢)

وقوله : [من الكامل]

/ أَمَا الظَّلَامُ فَحِينَ رَقَّ قَمِيصُهُ وَأَتَى بِيَاضُ الصُّبْحِ كَالسَّيْفِ الصَّدَى ^(٣)

١٧٨

= ولكنه أحب أن يحقق دعواه أن هناك سيفاً مسلولاً ، ويجعل نفسه كأنها لا تعلم أن ههنا تشبيهاً ، وأن القصد إلى لونِ البياض في الشكل المستطيل ، فتوصل إلى ذلك بأن جعل الظلام كالعدو المنهزم الذي سلَّ السيف في قفاه ، فهو يهرب مخافة أن يضرب به .

ومثل هذا في أن جعل الليل يخاف الصبح ، لا في الصنعة التي أنا في

(١) هو في ديوانه ، باب المدح والتهاني .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) هو في ديوانه ، وروايته ، و « وأرى بياض الفجر » .

سببها، قوله: [من الطويل]

سَبَقْنَا إِلَيْهَا الصُّبْحَ وَهُوَ مُقَنَّعٌ كَمِينٌ، وَقَلْبُ اللَّيْلِ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ^(١)

وقد أخذ الخالدِيُّ بيته الأولَ أخذًا، فقال: [من المنسرح]

وَالصُّبْحُ قَدْ جَرَدَتْ صَوَارِمُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ هَمَّ مِنْهُ بِالْهَرَبِ^(٢)

° ° °

٢٥٠ - وهذه قطعة لابن المعتز، بيتٌ منها هو المقصود: [من الكامل]

وَأَنْظُرْ إِلَى دُنْيَا رَبِيعٍ أَقْبَلْتُ مِثْلَ الْبَغْيِ تَبَرَّجَتْ لُزْنَاةً^(٣)

جَاءَتْكَ زَائِرَةٌ كَعَامِ أَوْلٍ وَتَلَبَّسَتْ وَتَعَطَّرَتْ بِنَبَاتٍ^(٤)

وَإِذَا تَعَرَّى الصُّبْحُ مِنْ كَافُورِهِ نَطَقَتْ صُنُوفٌ طُيُورِهَا بِلُغَاتٍ

وَالْوَرْدُ يَضْحَكُ مِنْ نَوَاطِرِ تَرْجِسٍ قَذِيَّتٍ، وَآذَنَ حَيْثُهَا بِمَمَاتٍ

هذا البيت الأخير هو المراد، وذلك أن الضحك في الورد وكل ربحان

ونور يتفتح، مشهور معروف، وقد علله في هذا البيت، وجعل الورد كأنه

يعقل ويميز، فهو يشمت بالترجس لانقضاء مدته وإدبار دولته، ويُلَوُّ أمارات

الفناء فيه، وأعاد هذا الضحك من الورد فقال: [من الخفيف]

ضَحِكَ الْوَرْدُ فِي قَفَا الْمَثُورِ وَأَسْتَرْحَنَا مِنْ رِعْدَةِ الْمَقْرُورِ^(٥)

(١) هو لابن المعتز أيضًا في ديوانه .

(٢) أحد خمسة أبيات له في بيتمة الدهر ٢ : ١٨٠ .

(٣) من قصيدة له في ديوانه، مرّ مطلعها في رقم : ١١٦ .

(٤) « نبات »، هكذا في الديوان، ولا معنى له، والصواب المحض إن شاء الله: « لِيَابِ »،

يعنى للمبيت عنده .

(٥) هو في ديوان ابن المعتز .

/ أراد إقبال الصيف وحرّ الهواء ، ألا تراه قال بعده :
وَأَسْتَطْبِنَا الْمَقِيلَ فِي بَرْدِ ظِلِّ وَشَمِمْنَا الرَّيْحَانَ بِالْكَافورِ
فالرحيلَ الرحيلَ يا عَسْكَرَالدِّ لَذَاتِ عَنْ كُلِّ رَوْضَةٍ وَعَدِيرِ

فهذا من شأنِ الورد الذي عابه به ابن الرومي في قوله :

فَصَلِّ الْقَضِيَةَ أَنْ هَذَا قَائِدُ زَهْرِ الرِّيَاضِ وَأَنْ هَذَا طَارِدُ (١)
وقد جعله ابن المعتز لهذا الطردِ ضاحكًا ضحكًا من آستولى وظفر وابتزَّ
غيره على ولاية الرّمان واستبدَّ بها .

ومما يشوب الضحك فيه شيء من التعليل قوله أيضًا : [من الكامل]

مَاتَ الْهَوَى مِنْهُ وَضَاعَ شَبَابِي وَقَضَيْتُ مِنْ لَذَاتِهِ آرَافِي (٢)
وإذا أردتُ تصايًا في مجلسٍ فالشَّيْبُ يَضْحَكُ بِي مَعَ الْأَحْبَابِ

لاشكَّ أن لهذا الضحك زيادةً معنًى ليست للضحك في نحو قول

دعبل : [من الكامل]

ضَحِكَ الْمَشْيِبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى (٣) .

وما تلك الزيادة إلا أنه جعل المشيب يضحك ضحك المتعجب من
تعاطي الرجل ما لا يليق به ، وتكلفه الشيء ليس هو من أهله ، وفي ذلك
ما ذكرتُ من إخفاء صورة التشبيه ، وأخذ النفس بتناسيه ، وهكذا قوله :

[من الرجز]

(١) مضى في أبياته في رقم : ٢٤٢ .

(٢) في ديوانه ، والذي في الديوان : « مع الأصحاب » .

(٣) في المجموع من شعر دعبل ، وصدر البيت :

« لا تعجبي يا سلم من رجل » .

لَمَّا رَأَوْنَا فِي حَمِيمٍ يَلْتَهَبُ فِي شَارِقٍ يَضْحَكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ^(١)
 كَأَنَّهُ صَبَّ عَلَى الْأَرْضِ ذَهَبٌ وَقَدْ بَدَتْ أَسْيَافُنَا مِنَ الْقُرْبِ
 حَتَّى تَكُونَ لِمَنَايَاهُمْ سَبَبٌ نَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ وَالْأَرْضُ تَجِبُ
 وَحَنٌّ شَرِيانٌ وَيَبِغُ فَاصْطَخَبُ تَتَرَسُّوْا مِنَ الْقِتَالِ بِالْهَرَبِ

المقصودُ قوله: « يضحك من غير عجب »، وذلك أن نفيه العلة إشارة

إلى أنه من جنس ما يُعلَّل، وأنه ضحك قطعاً وحقيقة. ألا ترى أنك لو /
 رجعت إلى صريح التشبيه فقلت: « هيئته في تالأؤه كهيئة الضاحك »، ثم
 قلت: « من غير عجب »، قلت قولاً غير مقبول. وأعلم أنك إن عددت قول
 بعض العرب:

وئثره تهرأ بالنصال كأنها من خلع الهلال ^(٢)

= الهلال الحية ههنا، واللام للجنس = في هذا القبيل، ^(٣) لم يكن لك

ذلك.

...

(١) في ديوان ابن المعتز، باب الفخر.

(٢) هو في اللسان (هـ)، والمعاني الكبير: ٦٧٣، ورواية اللسان: « في تلة »، و« الثرة »
 و« التلة »، الدرع الواسعة السلسلة، وهزؤها بالنصال، زدّها إياها. و« الهلال » الذكر من الحيات،
 أو الحية إذا سلخت. يصف درعاً، شبهها في صفاتها بسلخ الحية، وهو جلدها الذي انسلخت عنه.

(٣) السياق: « وأعلم أنك إن عددت... في هذا القبيل..... ».

فصل

نوع آخر في التعليل

٢٥١ - وهذا نوع آخر في التعليل .

نفي علة مشهورة
وادعاء علة أخرى

وهو أن يكون للمعنى من المعاني والفعل من الأفعال علة مشهورة من طريق العادات والطباع ، ثم يجيء الشاعر فيمنع أن تكون لتلك المعروفة ، ويضع له علة أخرى . مثاله قول المتنبي :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تُرْجُو الذَّنَابُ ^(١)

= الذى يتعارفه الناس أن الرجل إذا قتل أعدايه فلا يرادته هلاكهم ، وأن يدفع مضارهم عن نفسه ، وليسلم ملكه ويصفو من منازعاتهم ، وقد ادعى المتنبي كما ترى أن العلة في قتل هذا الممدوح لأعدائه غير ذلك .

وأعلم أن هذا لا يكون حتى يكون في استئناف هذه العلة المدعاة فائدة شريفة فيما يتصل بالممدوح ، أو يكون لها تأثير في الذم ، كقصد المتنبي ههنا في أن يبالح في وصفه بالسخاء والجود ، وأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبتته أن يصدق رجاء الراجين ، وأن يجنبهم الخيبة في آمالهم ، قد بلغت به هذا الحد . فلما علم أنه إذا غدا للحرب غدت الذناب تتوقع أن يتسع عليها الرزق ، ويخصب لها الوقت من قتلى أعداءه ، كره أن يخلفها ، وأن يجيب رجاءها ولا يسعفها . وفيه نوع آخر من المدح / ، وهو أنه يهزم العدى ويكسبهم كسراً لا يطمعون بعده في المعاودة ، فيستغنى بذلك عن قتلهم وإراقة دمايهم ، وأنه

١٨١

ليس ممن يُسْرِفُ في القتل طاعةً للغيظ والحنق ، ولا يعفو إذا قَدَّر ، وما يُشبه
هذه الأوصاف الحميدة ، فأعرفه .

° ° °

٢٥٢ - ومن الغريب في هذا الجنس على تَعَمُّقٍ فيه ، قول أبي طالب
المأموني في قصيدة يمدح بها بعض الوزراء ببخارى :
[من الخفيف]

مُغْرَمٌ بالثناءِ ، صَبَّ بِكسبِ الـ مَجِد ، يهْتَرُ للسَّمَّاحِ آرْتِيَاخَا (١)
لا يَنْتُوقُ الإغْفَاءَ إِلَّا رجاءً أن يَرَى طيفَ مُسْتَمِيحِ رَوَاخَا

وكانه شَرَطَ الرُّواحَ على معنى أن العُفاة والرَّاجين إنما يَحْضُرُونَهُ في صَنْدُرِ
النهار على عادة السلاطين . فإذا كان الرواح ونحوه من الأوقات التي ليست من
أوقات الإذن قَلُوا ، فهو يشْتاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم . والإفراط في
التمقق ربما أخلَّ بالمعنى من حيث يُرَاد تأكيدُه به ، ألا تَرى أن هذا الكلام قد
يُوهم أنه يَحْتَجُّ له أنه ممن لا يرغب كل واحد في أخذ عطائه ، وأنه ليس في طبقة
من قيل فيه :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لأمريءٍ إن أصبته بخير ، وما كَلَّ العطاءِ يَزِينُ (٢)

ومما يدفع عنه الاعتراض ويوجب قلة الاحتفال به ، أن الشاعر يُهَمُّه أبداً
إثبات مملوحه جواداً أو تَوَاقفاً إلى السُّؤال فَرِحاً بهم ، وأن يُبَرِّئَهُ من عبوس البخيل
وقطوب المتكلف في البذل ، الذي يقاتل نفسه عن ماله حتى يُقال : « جوادٌ » ،
ومَنْ يهوى الثناء والثراء معاً ، ولا يتمكن في نفسه معنى قول أبي تمام : [من الطويل]

(١) من قصيدة له طويلة في بيتمة الدهر ٤ : ١٥٧ - ١٥٩ .

(٢) من أبيات لامية بن أبي الصلت في ديوانه .

/ وَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا مَجْدٌ فِي كَفِّ أَمْرِيٍّ وَالِدِرَاهِمِ^(١)
فهو يُسرع إلى استماع المدائح ، ويُبطئ عن صيلة المادح . نعم ، فإذا
سُلم للشاعر هذا الغرض ، لم يفكر في حَطرات الظنون .

٢٥٣ - وقد يجوز شيء من الوهم الذي ذكرته على قول المتنبي :

[من البسيط]

يُعْطَى الْمُبَشِّرُ بِالْقَصَادِ قَبْلَهُمْ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانًا
وهذا شيء عَرَضَ ، ولاستقصائه موضع آخر ، إن وفق الله .

وأصل بيت « الطيف المستميح » ، من نحو قوله : [من الطويل]

وَإِنِّي لِأَسْتَعْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا^(٢)

وهذا الأصل غير بعيد أن يكون أيضًا من باب ما استؤنف له علة غير
معروفة ، إلا أنه لا يبلغ في القوة ذلك المبلغ في الغرابة والبعد من العادة ، وذلك أنه
قد يُتصور أن يُريد المُغْرَمُ المتيم ، إذا بُعد عهده بحبيبه ، أن يراه في المنام ، وإذا
أراد ذلك جاز أن يريد النوم له خاصة ، فأعرفه .

o o o

٢٥٤ - وما يلحق بهذا الفصل قوله : [من الكامل]

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرَحَلَتِي فَكَأَنَّنِي أَتْبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ^(٣)

(١) في ديوانه .

(٢) هو للمجنون في ديوانه .

(٣) هو للمتنبي في ديوانه .

وذلك أنه علّل تصعّد الأنفاس من صدره بهذه العلة الغريبة ، وترك ما هو المعلوم المشهور من السبب والعلة فيه ، وهو التحسّر والتأسّف . والمعنى : رحل عني العزاء بارتحالي عنكم ، أى : عنده ومعهُ أو به وبسببه ، فكأنه لما كان محلّ الصبر الصّدْر ، وكانت الأنفاس تتصعّد منه أيضاً ، صار العزاء وتنفس الصّعْداء كأنهما نزيلان ورفيقان ، فلما رحل ذلك ، كان حقّ هذا أن يشيّعهُ قضاءً لحقّ الصُّحبة .

٢٥٥ - وما يلاحظُ هذا النوع ، ويجرى في مسلكه ويتنظم في / أنواع من التعليل
١٨٣
سِلْكَه ، قول ابن المعتز :

عاقبتُ عَيْنِي بالدمع والسَّهَرِ إِذْ غَارَ قَلْبِي عَلَيْكَ مِنْ بَصْرِي ^(١)
وَأَحْتَمَلْتُ ذَاكَ وَهِيَ رَاجِعَةٌ فِيكَ ، وَفَازَتْ بِلَدَّةِ النَّظْرِ

وذاك أن العادة في دمع العين وسهرها أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب ، أو اعتراض الرقيب ، ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب . وقد ترك ذلك كله كما ترى ، وأدعى أن العلة ما ذكره من غيرة القلب منها على الحبيب وإيثاره أن يتفرد برؤيته ، وأنه بطاعة القلب وامتنال رسمه ، رام للعين عقوبةً ، فجعل ذلك أن أبكاها ، ومنعها النوم وحماها .

وله أيضاً في عقوبة العين بالدمع والسهر ، من قصيدة أولها : [من الخفيف]

قُلْ لِأَحْلَى الْعِبَادِ شِكْلًا وَقَدْ أَبَجِدُّ ذَا الْهَجْرِ أَمْ لَيْسَ جِدًّا ^(٢)

(١) ليسا في ديوان ابن المعتز .

(٢) هو في ديوانه . وه الشِكْلُ بكسر الشين ، الذُّل .

ما بَدَا كانت المُنَى حَدَّثْتَنِي لَهَفَ نَفْسِي أُرَاكَ قَدْ حُنُتَ وَدَا
 ما تَرَى فِي مُتَيْمٍ بِكَ صَبٌّ خَاضِعٌ لَا يَرَى مِنَ الذَّلِّ بَدَا
 إِنْ زَنْتَ عَيْنُهُ بِغَيْرِكَ فَأَضْرِبْ بِهَا بِطُولِ السُّهَادِ وَالذَّمِّعَ حَدَا

قد جعل البكاء والسهاد عقوبةً على ذنب أثبتته للعين ، كما فعل في البيت الأول ، إلا أن صورة الذنب ههنا غير صورته هناك . فالذنب ههنا نَظَرُهَا إلى غير الحبيب ، واستجازتها من ذلك ما هو محرمٌ محظور = والذنب هناك نَظَرُهَا إلى الحبيب نفسه ، ومزاحمتها القلب في رؤيته ، وَغَيْرَةُ القلب من العين سببُ العقوبة هناك ، فأما ههنا فالغيرة كائنة بين الحبيب وبين شخص آخر ، فأعرفه .

ولا شبهة في قصور البيت الثاني عن الأول ، وأنَّ للأوَّل عليه فضلاً كبيراً ، وذلك بأن جعل بعضه يغار من بعض ، وجعل الخصومة في / الحبيب بين عينيه وقلبه ، وهو تمام الظرف والالطف . فأما الغيرة في البيت الآخر ، فعلى ما يكون أبداً . هذا ، ولفظ « زَنْتَ » ، وإن كان ما يتلوها من أحكام الصنعة يُحَسِّنُهَا ، وورودها في الخبر « العينُ تزني » ، ^(١) يؤنس بها ، فليست تدعُ ما هو حكمها من إدخال نُفْرَةٍ على النفس .

١٨٤

وإن أردت أن ترى هذا المعنى بهذه الصنعة في أعجب صورة وأظرفها ،
 فأنظر إلى قول القائل :

[من المقارب]

أَتَنَسَى تُؤَنِّبُنِي بِالْبِكَا فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيهَا ^(٢)
 تقول ، وفي قولها حِشْمَةٌ : أَتَبْكِي بَعِيْنٍ تَرَانِي بِهَا ؟
 فقلت : إذا استحسنت غيركم أمرتُ الدَّمْعَ بِتَأْدِيهَا

(١) جزء من حديث أنس بن مالك ، رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير واحد ،

وهو ثقة ، ذكره الميثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٢٥٦ .

(٢) هي في معاهد التنصيص : ٣٧٦ ، لبعضهم ، بلا نسبة .

= أعطاك بلفظة التأديب ، حُسْنُ أدب اللبيب ، في صيانة اللفظ عما يُحوج إلى الاعتذار ، ويؤدى إلى التفار ، إلا أن الأستاذية بعدُ ظاهرة في بيت ابن المعتز .^(١) وليس كل فضيلة تبلى مع البدئية ، بل بعقب النظر والروية ، وبأن يفكر في أول الحديث وآخره . وأنت تعلم أنه لا يكون أبلغ في الذى أراد من تعظيم شأن الذنب ، من ذكر الحد ، وأن ذلك لا يتم له إلا بلفظة « زنت » ، ومن هذه الجهة يلحق الضم كثيرًا من شأنه وطريقه طريق أى تمام ، ولم يكن من المطبوعين .

وموضع البسط في ذلك غير هذا ، فعرضى الآن أن أريك أنواعًا من التخيل ، وأضع شبه القوانين ليستعان بها على ما يُراد بعدُ من التفصيل والتبيين .

• • •

فصل

في تخييل بغير تعليل

التخييل بغير تعليل ٢٥٧ - وهذا نوع آخر من التخييل ، وهو يرجع إلى ما مضى من تناسي التشبيه وصرف النفس عن / توهمه ، إلا أن ما مضى مُعلَّل ، وهذا غير معلَّل . ١٨٥

بيان ذلك أنهم يستعيرون الصفة المحسوسة من صفات الأشخاص للأوصاف المعقولة ، ثم تراهم كأنهم قد وجدوا تلك الصفة بعينها ، وأدركوها بأعينهم على حقيقتها ، وكأن حديث الاستعارة والقياس لم يجزِ منهم على بال ، ولم يَرَوْه ولا طيف خيال .

تناسي التشبيه ومثاله استعارتهم « العلو » لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان ، ثم وَضَعَهُم الكلامَ وَضَع من يذكر علوًّا من طريق المكان . ألا ترى إلى قول أبي تمام :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهْلُ بَانَ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ (١)

فلولا قصده أن يُنسى التشبيه ويرفعه بجهد ، ويصم على إنكاره وجَّحده ، فيجعله صاعدًا في السماء من حيث المسافة المكانية ، كما كان لهذا الكلام وجه .

ومن أبلغ ما يكون في هذا المعنى قول ابن الرومي :

[من الخفيف]

(١) هو في ديوانه .

أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنُّجُومِ يُنُو نُو بَخَّتْ عِلْمًا لَمْ يَأْتِهِم بِالْحِسَابِ (١)
بَلْ بَأْنَ شَاهَلُوا السَّمَاءَ سُمُوًّا بِتَرَقٍّ فِي الْمَكْرَمَاتِ الصَّعَابِ
مَبْلَعٌ لَمْ يَكُنْ لِيَلْفَهُ الطَّا لِبُ إِلَّا يَتَلَكَّمُ الْأَسْبَابِ

وأعاده في موضع آخر ، فزاد الدعوى قُوَّةً ، ومرَّ فيها مرورَ من يقول

صهيقًا ، ويذكر حقًا :

[من المنسرح]

يَا آلَ نُؤِيْحَتٍ لَا عِدْمَتِكُمْ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بَدَلًا (٢)
إِنْ صَحَّ عِلْمُ النُّجُومِ ، كَانَ لَكُمْ حَقًّا ، إِذَا مَا سَوَاكُمُ أَنْتَحَلَا
كَمْ عَالِمٍ فِيكُمْ وَلَيْسَ بَأْنَ قَاسٍ ، وَلَكِنْ بَأْنَ رَقِي فَعَلَا
أَعْلَاكُمُ فِي السَّمَاءِ مَجْدُكُمْ فَلَسْتُمْ تَجْهَلُونَ مَا جُهَلَا
/ شَافَهْتُمْ الْبَدْرَ بِالسُّؤَالِ عَنِ الْ أَمْرِ إِلَى أَنْ بَلَّغْتُمْ زُحَلَا

١٨٦

تناسي التشبيه
والاستعارة

وهكذا الحكم إذا استعاروا أسم الشيء بعينه من نحو شمس أوبدر أو بحر

أو أسد ، فإنهم يبلغون به هذا الحد ، ويصوغون الكلام صياغاتٍ تقضى بأن

لا تشبيه هناك ولا استعارة ، ومثاله قوله :

[من الكامل]

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي (٣)
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

فلولا أنه أنسى نفسه أن ههنا استعارةٌ ومجازًا من القول ، وعَمِلَ على

دعوى شمس على الحقيقة ، لما كان لهذا التعجب معني ، فليس بيدع ولا مُنْكَرَ

أَنْ يَظَلِّلَ إِنْسَانٌ حَسَنَ الْوَجْهِ إِنْسَانًا وَيَقِيهِ وَهَجًا بِشَخْصِهِ .

(١) هو في ديوانه .

(٢) من أبياتٍ في ديوانه .

(٣) هما لابن العميد في يتيمة الدهر ٣ : ١٦٠ ، مع اختلاف في اللفظ ، وهي أربعة أبيات في

معاهد التصيص : ٢٣١ .

= وهكذا قول البحترى :

[من الطويل]

طَلَعَتْ لَهُمْ وَقَّتْ الشُّرُوقَ فَعَايَنُوا سَنَا الشَّمْسِ مِنْ أَفْقٍ وَوَجَّهَكَ مِنْ أَفْقٍ^(١)
وما عَايَنُوا شَمْسِينَ قَبْلَهُمَا أَلْتَقَى ضِيَاؤُهُمَا وَقْفًا ، مِنْ الْعَرَبِ وَالشَّرْقِ

معلوم أن القصد أن يُخرج السامعين إلى التعجب لرؤية ما لم يروه قط ، ولم تَجْرِ العادة به . ولم يتم للتعجب معناه الذي عناه ، ولا تظهر صورته على وصفها الخاص ، حتى يجترىء على الدَّعوى جُرْأَةً من لا يتوقف ولا يخشى إنكار مُنْكَرٍ ، ولا يَحْفَل بتكذيب الظاهر له ، ويسوم النفس ، شاءت أم أبت ، تصور شمس ثانية طلعت من حيث تغرب الشمس ، فالتقتا وَقْفًا ، وصار غرب تلك القديمة لهذه المتجددة شرقًا .

ومدارُ هذا النوع في الغالب على التعجب ، وهو وإلى أمره ، وصانع سيخره ، وصاحب سرّه ، وتراه أبدًا وقد أفضى بك إلى خِلاية لم تكن عندك ، وبرز لك في صورة ما حسبتها تظهر لك ، ألا ترى أن صورة قوله : « شمس / تظللني من الشمس » ، غير صورة قوله : « وما عاينوا شمسين » ، وإن أتفق الشعران في أنهما يتعجبان من وجود الشيء على خلاف ما يُعقل ويُعرف .

١٨٧

= وهكذا قول المتنبي :

[من الكامل]

كَبُرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَّتْ مِنْهَا الشَّمْسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ^(٢)
= له صورةٌ غير صورة الأولين .

[من الطويل]

= وكذا قوله :

(١) هو في ديوانه .

(٢) هو في ديوانه .

ولم أرَ قبلي من مَشَى البدرُ نحوهُ ولا رجُلًا قامت تُعانقُهُ الأسدُ (١)

= يعرض صورة غير تلك الصُّور كلها ، والاشترار بينها عامي لا يدخل في السرقة ، إذ لا اتفاق بأكثر من أن أثبت الشيء في جميع ذلك على خلاف ما يعرفه الناس . فأما إذا جئت إلى خصوص ما يخرج به عن المتعارف ، فلا اتفاق ولا تناسب ، لأن مكان الأعجوبة مرة أن تظلل شمس من الشمس ، وأخرى أن يُرى للشمس مثل لها يطلع من الغرب عند طلوعها من الشرق ، وثالثة أن تُرى الشمس طالعة من ديارهم . وعلى هذا الحد قوله : « ولم أرَ قبلي من مَشَى البدر نحوه » ، العجب من أن يمشی البدر إلى آدمي ، وتعانق الأسد رجلاً .

عكس مذهب
التعجب في تناسي
التشبيه

٢٥٩ - وأعلم أن في هذا النوع مذهبا هو كأنه عكس مذهب التعجب ونقيضه ، وهو لطيف جدا . وذلك أن يُنظر إلى خاصية ومعنى دقيق يكون في المشبه به ، ثم يُثبت تلك الخاصية وذلك المعنى للمشبه ، ويُتوصل بذلك إلى إيهام أن التشبيه قد خرج من اليقين ، وزال عن الوهم والعين = أحسن توصل والطفه ، ويقام منه شبه الحجة على أن لا تشبيه ولا مجاز ، ومثاله قوله :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرُّ أزراره على القمر (٢)

١٨٨ = قد عمد ، كما ترى ، إلى شيء هو خاصية في طبيعة القمر ، وأمر غريب من تأثيره ، ثم جعل يُرى أن قوما أنكروا بلى الكتان بسرعة ، وأنه قد أخذ

(١) هو في ديوانه .

(٢) نسبة صاحب معاهد التنصيص : ٢٣٧ ، لأبي الحسن بن طباطبا العلوي ، أحد ثلاثة أبيات .

ينهاهم عن التعجب من ذلك ويقول : « أما ترونه قد زرَّ أزراره على القمر ، والقمرُ من شأنه أن يُسرِّع بلى الكتان » ، وغرضه بهذا كله أن يُعلم أن لاشك ولا مِرية في أن المعاملة مع القمر نفسه ، وأن الحديث عنه بعينه ، وليس في البين شيءٌ غيره ، وأن التشبيه قد نُسِيَ وأُنسى ، وصار كما يقول الشيخ أبو علي فيما يتعلق به الظرف : ^(١) « إته شريعةً منسوخة » .

وهذا موضعٌ في غاية اللطيف ، لا يبين إلا إذا كان المتصفح للكلام حساساً ، يعرف وَحَى طَبِيع الشعر ، وخفى حركته التي هي كالحلْس ، وكَمَسْرَى النَّفْسِ في النَّفْسِ .

وإن أردت أن تظهر لك صحَّةُ عزيمتهم في هذا النحو على إخفاء التشبيه وَمَحْوِ صورته من الوهم ، فأبرِز صفحة التشبيه ، وأكشِفْ عن وجهه ، وقُلْ : « لا تعجبوا من بلى غلالته ، فقد زرَّ أزراره على مَنْ حُسْنُهُ حَسَنُ القمر » ، ثم أنظر هل ترى إلا كلاماً فاتراً ومعنى نازلاً ، وأخبر نفسك هل تجد ما كنت تجده من الأريحية ؟ وأنظر في أعين السامعين هل ترى ما كنت تراه من ترجمة عن المسرة ، ودلالة على الإعجاب ؟ ومن أين ذلك وأنت بإظهار التشبيه تُبطل على نفسك ما له وُضِعَ البيت من الاحتجاج على وجوب البلى في الغلالة ، والمَنع من العجب فيه بتقرير الدلالة ؟

وقد قال آخر في هذا المعنى بعينه ، إلا أن لفظه لا يُنبئ عن القوة التي

لهذا البيت في دعوى القمر ، وهو قوله : [من البسيط]

تَرَى الثَّيَابَ مِنَ الْكَتَّانِ يَلْمَحُهَا نُورٌ مِنَ الْبَدْرِ أَحْيَانًا فَيُبْلِيهَا ^(٢)

(١) هو أبو علي الفارسي ، ولم أهند إلى قوله هنا في شيء من كتبه .

(٢) هو في بيتمة الدهر ١ : ٧٤ ، لأبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة الحمداني . =

/ فكيف تُنكر أن تَبَلَى مَعَاجِرُهَا ، والبدرُ في كل وقتٍ طَالَعٌ فيها

٢٦٠ - وما ينظر إلى قوله : « قد زرَّ أزراره على القمر » ، في أنه بلغ
إخفاء التشبيه وادعاء
الحقيقة في المجاز
بدعواه في المجاز حقيقةً ، مبلغ الاحتجاج به كما يُحتجُّ بالحقيقة ، قولُ العباس بن
الأخنف :
[من المقارب]

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّزُ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلًا (١)
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ التَّنْزُولَ

صورة هذا الكلام وَنَصَّبْتَهُ وَالْقَالَِبَ الَّذِي فِيهِ أَفْرِغُ ، يقتضى أن التشبيه
لم يَجْرِ فِي حَلْدِهِ ، وأنه معه كما يقال : « لَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ مِنِّي » ، وأن الأمر في
ذلك قد بلغ مبلغًا لا حاجة معه إلى إقامة دليل وتصحيح دعوى ، بل هو في
الصِّحَّةِ وَالصَّدَقِ بَمَحِثٍ تُصَحِّحُ بِهِ دَعْوَى ثَانِيَةً . ألا تراه كأنه يقول للنفس :
« مَا وَجَّهَ الطَّمَعُ فِي الْوَصُولِ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ حَدِيثَكَ مَعَ الشَّمْسِ ، وَمَسْكَنُ
الشَّمْسِ السَّمَاءُ ؟ » أفلا تراه قد جعل كونها الشَّمْسُ حُجَّةً لَهُ عَلَى نَفْسِهِ ،
يَصْرِفُهَا بِهَا عَنْ أَنْ تَرْجُو الْوَصُولَ إِلَيْهَا ، وَيُلْجِئُهَا إِلَى الْعَزَاءِ ، وَرَدَّهَا فِي ذَلِكَ إِلَى
مَا لَا تَشْكُ فِيهِ ، وَهُوَ مُسْتَقَرٌّ ثَابِتٌ ، كَمَا تَقُولُ : « أَوْ مَا عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ »
و « أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ ؟ » ، وَيُبَيِّنُ لَكَ هَذَا التَّفْسِيرَ وَالتَّقْرِيرَ فَضَّلَ بَيَانِ بِأَنَّ تَقَابُلَ
هَذَا الْبَيْتِ بِقَوْلِ الْآخَرِ :

فَقَلْتُ لِأَصْحَابِي : هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَرِيبٌ ، وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدٌ (٢)

= و « المعاجر » جمع « معجر » ، وهو ثوبٌ تلفه المرأة على الرأس من غير إدارة تحت الحنك ، ثم تجلبب
فوقه بجلبائها .

(١) هو في ديوانه .

(٢) هو لمحمد بن أبي عينية بن المهلب بن أبي صفرة ، والبيت من أبيات له في الأغاني ٢٠ : ٩٣ ،

في ترجمته .

وتتأمل أمر التشبيه فيه ، فإنك تجده على خلاف ما وصفتُ لك . وذلك أنه في قوله : « فقلت لأصحابي هي الشمس » ، غيرُ قاصد أن يجعل كونها الشمس حُجَّةً على ما ذكر بعدُ ، من قرب شخصها ومثالها في العين ، مع بُعد منالها بل قال : « هي الشمس » ، هكذا قولاً مرسلًا يُؤمىءُ فيه بل / يُفصح بالتشبيه ، ولم يُرد أن يقول : « لا تعجبوا أن تُقرب وتبُعد بعد أن علمتم أنها الشمس » ، حتى كأنه يقول : « ما وجهُ شكِّكم في ذلك ؟ » ، ولم يشك عاقل في أن الشمس كذلك ، كما أراد العباس أن يقول : كيف الطمع في الوصول إليها مع علمك بأنها الشمس ، وأن الشمس مسكنها السماء . فبيت ابن أبي عيينة في أن لم ينصرف عن التشبيه جملةً ، ولم يبرز في صورة الجاحد له والمتمبرء منه ، كبيت بشار الذي صرح فيه بالتشبيه ، وهو :

أو كبتلر السماءِ ، غيرُ قريبٍ حين يُوفى ، والضوءُ فيه اقترابٌ ^(١)

وكبيت المتنبي :

كأنها الشمس يُعبي كف قابضيه شعاعها ويَراه الطُرفُ مُقترَبًا ^(٢)

٢٦١ - فإن قلت : فهذا من قولك يؤدي إلى أن يكون العَرَض من ذكر الشمس ، بيان حال المرأة في القرب من وجهه ، والبعد من وجه آخر ، دون المبالغة في وصفها بالحسن وإشراق الوجه . وهو خلاف المعتاد ، لأن الذي يسبق إلى القلوب ، أن يُقصد من نحو قولنا : « هي كالشمس أو هي شمس » ، الجمالُ والحُسن والبهاء .

اعتراض الورد عليه

(١) هو في ديوانه ، في قصيدة أولها :

رُبَّ زورٍ عليك منه اكتسابُ طرقتنا بالزَّائِبِينَ الربابُ

ورواية الديوان : « حين أوفى » .

(٢) هو في ديوانه .

= فالجواب : إنَّ الأمر وإن كان على ما قلت ، فإنه في نحو هذه الأحوال التي يُقصد فيها إلى بيان أمر غير الحُسن ، يصير كالشيء الذي يُعقل من طريق العرف ، وعلى سبيل التبع ، فأما أن يكون الغرض الذي له وضع الكلام ، فلا .

وإذا تأملت قوله : « فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها قريب » ، وقول بشار : « أو كبلر السماء » ، وقول المتنبي : « كأنها الشمس » ، علمت أنهم جعلوا جُلَّ غرضهم أن / يُصيِّبوا لها شبهًا في كونها قريبةً بعيدةً . فأما حديث الحُسن ، فدخل في القصد على الحد الذي مضى في قوله ، وهو للعباس أيضًا :
[من الرمل]

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ بَثَّتِ الْإِشْرَاقَ فِي كُلِّ بَلَدٍ ^(١)

فكما أن هذا لم يضع كلامه لجعل النعمة كالشمس في الضياء والإشراق ، ولكن عَمَّتْ كما تعمُّ الشمس بإشراقها = كذلك لم يضع هؤلاء آياتهم على أن يجعلوا المرأة كالشمس والبلد في الحسن ونور الوجه ، بل أموا نحو المعنى الآخر ، ثم حصَّل هذا لهم من غير أن احتاجوا فيه إلى تجشُّم . وإذا كان الأمر كذلك ، فلم يقل إن النعمة إنما عَمَّتْ لأنها شمس ، ولكن أراك لعمومها وشمولها قياسًا ، وتحريُّ أن يكون ذلك القياس من شيء شريف له بالنعمة شبه من جهة أوصافه الخاصَّة ، فاخترت الشمس . وكذلك لم يُرد ابن أبي عيينة أن يقول إنها إنما دنت وثأت لأنها شمس ، أو لأنها الشمس ، بل قاس أمرها في ذلك كما عرفتك .

وأما العباس فإنه قال : إنها إنما كانت بحيث لا تُنال ، ووجب اليأس من الوصول إليها ، لأجل أنها الشمس ، فأعرفه فرقًا واضحًا .

(١) مضي البيت في رقم : ٢١٤ ، وانظر التعليق عليه ، وهو هنا على الصواب .

٢٦١ - وما هو على طريقة بيت العباس في الاحتجاج ، وإن
خالفه فيما أذكره لك ، قول الصائغ في بعض الوزراء يهتفه بالتخلص من
الاستتار : (١)

[من الخفيف]

صَحَّ أَنْ الْوَزِيرَ بَدْرٌ مُنِيرٌ إِذْ تَوَارَى كَمَا تَوَارَى الْبَلُورُ
غَابَ ، لَا غَابَ ، ثُمَّ عَادَ كَمَا كَانَ عَلَى الْأَفْقِ طَالِعًا يَسْتَتِيرُ
لَا تَسَلَّنِي عَنِ الْوَزِيرِ فَقَدِيَّ نَثُّ بِالْوَصْفِ أَنَّهُ سَابُورُ
لَا خَلَا مِنْهُ صِلْرُ دَسْتٍ ، إِذَا مَا قَرَّ فِيهِ تَقَرَّرَ مِنْهُ الصَّلُورُ

١٩٢ / فهو كما نراه يحتج أن لا مجاز في البين ، وأن ذكر البدر وتسمية المملوح
به حقيقة ، واحتجاجه صريح لقوله : « صح » أنه كذلك . وأما
احتجاج العباس وصاحبه في قوله : « قد زرَّ أززاره على القمر » ، فعلى طريق
الفحوى . (٢) فهذا وجه الموافقة ، وأما وجه المخالفة ، فهو أنهما ادعيا الشمس
والقمر بأنفسهما ، وادعى الصائغ بدرا ، لا البدر على الإطلاق .

ومن أدعاه الشمس على الإطلاق قول بشار :

[من الوافر]

بَعَثْتُ يَذْكُرُهَا شِعْرِي وَقَدَّمْتُ الْهَوَى شَرَكَا (٣)
فَلَمَّا شَاقَهَا قَوْلِي وَشَبَّ الْحُبُّ فَاحْتَنَكَا
أَتَتْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحُ الْفَلَكََا
وَجَدْتُ الْعَيْشَ فِي سَعْدِي وَكَانَ الْعَيْشُ قَدْ هَلَكََا

(١) الوزير ، هو أبو نصر سابور بن أردشير ، انظر البيهقي ٣ : ١٠٩ - ١١٦ ، ولم أقف على
آيات الصائغ .

(٢) مضي في رقم : ٢٥٩ .

(٣) هو في ملحقات ديوان بشار خمسة أبيات ، ومراجعته هناك .

فقوله : « ولم تك تَبْرُحُ الْفَلَكَا » ، يريك أنه ادَّعى الشمس نفسها .

٢٦٢ - وقال أشجع يرى الرشيد ، فبدأ بالتعريف ، ثم نكّر فخلط

إحدى الطريقتين بالأخرى ، وذلك قوله : [من الرمل]

غَرَبْتُ بِالْمَشْرِقِ الشَّمْسُ — سُسُ فُقُلٌ لِلْعَيْنِ تَدْمَعُ ^(١)
 مَا رَأَيْنَا قَطُّ شَمْسًا غَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ

فقوله : « غربت بالمشرق الشمس » على حدّ قول بشار : « أتنتى الشمس زائرة » ، في أنه خيّل إليك شمس السماء . وقوله بعد : « ما رأينا قط شمسًا » ، يُفترّ أمر هذا التخيل ، ويميل بك إلى أن تكون الشمس في قوله : « غربت بالمشرق الشمس » ، غير شمس السماء ، أعنى غير مدّعى أنها هي ، وذلك مما يضطرب عليه المعنى ويقلق ، لأنه إذا لم يدّع الشمس نفسها ، لم يجب أن تكون جهة خراسان مشرقًا لها ، وإذا لم يجب / ذلك ، لم يخص ما أراده من الغرابة في غروبها من حيث تطلع . وأظنّ الوجه فيه أن يتأوّل تنكيه للشمس في الثاني على قولهم : « خرجنا في شمس حارة » ، يريدون في يوم كان للشمس فيه حرارة وفضل توقّد ، فيصير كأنه قال : « ما عهدنا يوما غربت فيه الشمس من حيث تطلع ، وهوت في جانب المشرق » . وكثيرًا ما يتفق في كلام الناس ما يؤهم ضربًا من التنكير في الشمس كقولهم : « شمسٌ صيفية » ، وكقوله : [من البسيط]

« والله لا طلّعت شمسٌ ولا غربت . ^(٢) »

[من السريع]

ولا فرق بين هذا وبين قول المتنبي :

(١) هما لأبي الشيص ، يرى هارون الرشيد ، في ديوانه المجموع ، والمراجع هناك .

(٢) كأنى أعرفه ، لكن نسيت ونسيت تمامه ، ولم أعرّف صاحبه .

لم يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ فَشَكَّتْ الْأَنْفُسُ فِي غَرَبِهِ (١)

ويجىء التنكير في القمر والهِلال على هذا الحدّ، فمنه قول بشار: [من المديد]

أَمْلى لَا تَأْتِ فِي قَمَرٍ بِحَدِيثٍ وَأَتَقِ الدَّرْعَا (٢)
وَتَوَقَّ الطَّيِّبَ لَيْلَتَنَا إِيَّاهُ وَإِذَا سَطَعَا

فهذا بمعنى: لا تأت في وقت قد طلع فيه القمر. وهكذا قول عمر بن

أبي ربيعة: [من الطويل]

وَعَابَ قَمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو عُيُوبَهُ وَرَوَّحَ رُغَيَّانٌ وَنَوْمٌ سُمَّرٌ (٣)

= ظاهره يوهم أنه كقولك: «جاءني رجل»، وليس كذلك في الحقيقة، لأن الاسم لا يكون نكرة حتى يعم شيئين وأكثر، وليس هنا شيان يعمهما اسم القمر.

وهكذا قول أبي العتاهية: [من الوافر]

تَسَّرُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى هَلَالٍ وَتَقْصُكُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْهَلَالِ (٤)

= ليس المنكر غير المعرف، على أن للهلال في هذا التنكير فضل تمكن ليس للقمر، ألا تراه قد جُمع في قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ) / [سورة البقرة: ١٨٩]، ولم يجمع القمر على هذا الحدّ.

(١) هو في ديوانه.

(٢) هو في ملحقات ديوانه، ومراجعته هناك. و«الليلال الدرْع» هي السود الصلور البيض الأعجاز من آخر الشهر، والليلال البيض الصلور السود الأعجاز من أول الشهر.

(٣) هو في ديوانه في قصيدته البارعة.

(٤) هو من قصيدة في ديوانه، (نشره شكري فيصل، دمشق).

ومن لطيف هذا التذكير قول البحرى :

[من الطويل]

وَبَدْرَيْنِ أَنْضَيْنَاهُمَا بَعْدَ ثَالِثٍ أَكَلْنَاهُ بِالْإِيجَافِ حَتَّى تَمَحَّقًا (١)

٢٦٣ - وما أتى مستكرها نايًا يتظلم منه المعنى وينكره ، قول أبى

[من الطويل]

تمام :

قَرِيبُ التَّدَى نَائِي المَحَلِّ كَأَنَّهُ هِلَالٌ قَرِيبُ الثُّورِ نَائِي مَنَازِلُهُ (٢)

سبب الاستكراه ، وأن المعنى ينبو عنه : أنه يُوهَم بظاهره أن ههنا أهلة ليس لها هذا الحكم ، أعنى أنه ينأى مكانه ويدنو نوره . وذلك مُحَالٌ = فالذى يستقيم عليه الكلام أن يؤتى به معرّفًا على حدّه فى بيت البحرى : [من الكامل]

كالبئرِ أفرطَ فى العلوِّ وضوءه للعُصْبَةِ السَّارِينِ جِدُّ قَرِيبٍ (٣)

فإن قلت : أقطعُ وأستأنفُ فأقول : « كأنه هلال » وأسكتُ ، ثم أبتدىءُ

وأخذ فى الحديث عن شأنِ الهلال بقولى : « قريب النور ناءٍ منازلهُ » = (٤) أمكنك ، ولكنك تعلم ما يشكوه إليه المعنى من نبوّ اللفظ به وسوء ملاءمة العبارة . واستقصاء هذا الموضوع يَقْطَعُ عن الغرض ، وحقّه أن يُفرد له فصل .

...

٢٦٤ - وأعود إلى حديث المجاز وإخفائه ، ودعوى الحقيقة وحمل

النفس على تحيّلها .

(١) هو فى ديوانه .

(٢) ليس فيما بين أيدينا من ديوان أبى تمام .

(٣) مضى فى رقم : ١٠٩ .

(٤) السياق : « فإن قلت : أقطع أمكنك » ، أى أمكنك ذلك .

فمما يدخل في هذا الفن ويجب أن يُوازَنَ بينه وبين ما مضى ، قولُ سعيد

[من الخفيف] ابن حميد :

وَعَدَ الْبَدْرُ بِالزِّيَارَةِ لَيْلًا فَإِذَا مَا وَفَى قَضَيْتُ نُثُورِي ^(١)
 قَلْتُ : يَا سَيْدِي ، وَلِمَ تُؤَثِّرُ اللَّيْلُ لَمْ عَلَى بَهْجَةِ النَّهَارِ الْمُنِيرِ
 قَالَ لِي : لَا أَحِبُّ تَغْيِيرَ رَسْمِي هَكَذَا الرَّسْمُ فِي طُلُوعِ الْبُدُورِ

قالوا : وله في ضده :

قَلْتُ زُورِي ، فَأَرْسَلْتُ أَنَا آتِيكَ سُحْرَةَ ^(٢)
 / قَلْتُ : فَالليل كان أخذ فَفِي وَأَدَّتْ مِسْرَةَ
 فَأَجَابَتْ بِحُجَّةٍ زَادَتْ الْقَلْبَ حَسْرَةَ
 أَنَا شَمْسٌ ، وَإِنَّمَا تَطَّلَعَ الشَّمْسُ بُكْرَةَ

١٩٥

وينبغي أن تعلم أن هذه القطعة ضدُّ الأولى ، من حيث اختار النهار وقتًا للزيارة في تلك ، والليل في هذه ، فأما من حيث يختلف جوهر الشعر ويتفق ، وخصوصًا من حيث تُنظَرُ الآن ، فمثلٌ وشبيهة ، وليس بضدٍّ ولا نقيض .

٢٦٥ - ثم أعلم أنا إن وازنًا بين هاتين القطعتين وبين ما تقدّم من بيت العباس : « هي الشمس مسكنها في السماء » ، ^(٣) وما هو في صورته ، وجدنا أمرًا بين أمرين : بين ادعاء البدر والشمس أنفسهما ، وبين إثبات بدر ثانٍ وشمس ثانية ، ورأينا الشاعر قد شاب في ذلك الإنكارَ بالاعتراف ،

ادعاء الحقيقة في
المجاز في عقد الشبية

(١) لم أقف عليه .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) مضى في رقم : ٢٦٠ .

وصادفت صورة المجاز تُعرضُ عنك مرةً ، وتعرضُ لك أخرى . فقوله : « البدرُ »
 بالتعريف مع قوله : « لا أحبّ تغييرَ رَسْمِي » ، وتركه أن يقول : « رَسْمٌ مِثْلِي » ،
 يُخَيِّلُ إليك البدرَ نَفْسَهُ . وقوله : « في طلوعِ البدرِ » بالجمع دون أن يفرد
 فيقول : « هكذا الرسم في طلوعِ البدرِ » يلتفت بك إلى بدرٍ ثانٍ ، ويُعطيك
 الاعترافَ بالمجاز على وجه . وهكذا القول في القطعة الثانية لأنّ قوله : « أنا شمس »
 بالتكثير ، اعترافٌ بشمسٍ ثانية أو كالاتعريف .

٢٦٦ - وما يدلُّ دلالةً واضحةً على دعوى الحقيقة ، ولا يستقيم إلا
 عليها قولُ المتنبي :

وأستقبلتَ قَمَرَ السَّماءِ بوجْهِها فَأَرْتِنِي القَمَرينِ في وقتٍ مَعًا ^(١)
 أراد : فأرتنى الشمسَ والقمرَ ، ثم غلبَ اسمَ القمرِ كقول الفرزدق :
 [من الطويل]

أخذنا بأفاقِ السَّماءِ عليكمُ لَنَا قَمَرًاها والتَّجْوِمِ الطَّوَالِعُ ^(٢)

١٩٦ / لولا أنه يُخَيِّلُ الشمسَ نَفْسَها ، لم يكن لتغليبِ اسمِ القمرِ والتعريفِ
 بالألف واللام مَعْنَى . وكذلك لولا ضبطُهُ نَفْسَهُ حتى لا يُجْرِي المَجَازَ والتشبيهِ في
 وَهْمِهِ ، لكان قوله : « في وقتٍ مَعًا » ، لغوًا من القول ، فليس بعجيبٍ أن
 يترأى لك وَجْهُ غَادِةٍ حَسَناءَ في وقتِ طلوعِ القمرِ وتوسُّطِهِ السَّماءِ ، وهذا
 أظهر من أن يخفى .

وأما تشبيهه أبا الفتح لهذا البيت بقول القائل : ^(٣)
 [من الكامل]

(١) هو في ديوانه .

(٢) هو في ديوانه ، وفي النقاظ .

(٣) أبو الفتح ، يعنى ابن جنى ، عند تفسير هذا البيت .

وإذا الغزاةُ في السماء ترفعتُ وبداَ النهارُ لوقته يترجّلُ^(١)
أبدتُ لوجه الشمس وجهًا مثلهُ تلقى السماءَ بمثل ما تستقبلُ

= فتشبية على الجملة ، ومن حيث أصل المعنى وصورته في المعقول ، فأما
الصورة الخاصة التي تحدث له بالصنعة ، فلم يعرض لها .

وبما له طبقة عالية في هذا القبيل وشكل يدل على شدة الشكيمة وعلو

المأخذ ، قول الفرزدق :

أبى أحمدُ الغيثين صَعَصَعَةُ الذي متى تُخْلِيفُ الجوزاءُ والدَّلُو يُمَطِّرُ^(٢)
أجارَ بناتِ الوائدين ومن يُجِرُّ على المَوْتِ يُعَلِّمُ أنه غيرُ مُخْفَرِ

أفلا تراه كيف ادعى لأبيه اسم الغيث ادعاءً من سلم له ذلك ، ومن
لا يخطر بباله أنه مجاز فيه ، ومتناول له من طريق التشبيه ، وحتى كأن الأمر في
هذه الشهرة بحيث يقال : « أبى الغيثين أجود ؟ » فيقال : « صعصعة » ، أو
يقال : « الغيثان » ، فيعلم أن أحدهما صعصعة ، وحتى بلغ تمكن ذلك في
العرف إلى أن يتوقف السامع عند إطلاق الاسم ، فإذا قيل : « أتاك الغيث ! » ،
لم يعلم أيراد صعصعة أم المطر .

وإن أردت أن تعرف مقدار ما له من القوة في هذا التخيل ، وأن مصدره
/ مَصْنَعُ الشئ المتعارف الذي لا حاجة به إلى مقدمة يُبنى عليها = نحو أن
تبدأ فتقول : « أبى نظيرُ الغيث وثانٍ له ، وغيثٌ ثانٍ » ، ثم تقول : « وهو خير

١٩٧

(١) لم أعرف قائل البيتين ، وهما في شرح الواحدي لديوان المتنبي : ١٨٣ ، وقوله : « يترجّل » ،
ترجّل النهار ، ارتفع .

(٢) هو في ديوانه : « أبى أخذُ الغيثين » ، ورواية الديوان أيضًا : « ومن يُجِرُّ على الفقر »
و « أخفَرُ ذمته يُخفَرُها » ، نقض عهده ولم يف بالذمة .

الغيثين « لأنه لا يُخْلَف إذا أُخْلِفَت الأنواء = ^(١) فأنظر إلى موقع الاسم ، فإنك تراه واقعاً موقعاً لا سبيل لك فيه إلى حُلِّ عَقْدِ التثنية ، ^(٢) وتفريق المذكورين بالاسم . وذلك أن « أفعال » لا تصحّ إضافته إلى اسمين معطوف أحدهما على الآخر ، فلا يقال : « جاءني أفضل زيد وعمرو » ، ولا : « إن أعلم بكرٍ وخالدٍ عندي » ، بل ليس إلا أن تُضَيَّف إلى اسمٍ مثني أو مجموع في نفسه ، نحو : « أفضل الرجلين » ، و « أفضل الرجال » . وذلك أن أفعال التفضيل بعض ما يضاف إليه أبداً ، فحقّه أن يُضاف إلى اسمٍ يحويه وغيره . وإذا كان الأمر كذلك ، علمت أن اللفظ بالتشبيه ، والخروج عن صريح جعل اللفظ للحقيقة متعذّر عليك ، إذ لا يمكنك أن تقول : « أبي أحمد الغيث والثاني له والشبيه به » ، ولا شيئاً من هذا النحو ، لأنك تقع بذلك في إضافة « أفعال » إلى اسمين معطوف أحدهما على الآخر .

٢٦٧ - وإذا قد عرفت هذا ، فأنظر إلى قول الآخر : [من المنسرح]

قد أفضت الناس في زمانهم حتى إذا جمت جمت بالدرر ^(٣)
غيثان في ساعة لنا آتفا ، فمرحباً بالأمير والمطر

' = فإنك تراه لا يبلغ هذه المنزلة ، وذلك أنه كلامٌ من يُثبت الآن غيثاً ولا يدعى فيه عرفاً جارياً ، وأمرًا مشهوراً متعارفاً ، يعلم كل واحدٍ منه ما يعلمه ،

(١) السياق : « فإذا أردت أن تعرف فانظر ... » .

(٢) في إحدى نسخ الشيخ رشيد : « عَقْدِ التثنية » ، وهي كلا شيء ، وانظر ما سيأتى في رقم :

(٣) لم أعرف قائلهما . و « الدرر » ، يعنى المطر يدر . وكان في المخطوطة والمطبوعتين : « فُجِط

الناس » والثلاثي منه يقال : فُجِط المطر ، أى احتبس ، و « أفضت الناس » ، لم يمتروا .

وليس بمتعلِّز أن تقول : « غَيْثٌ وَثَانٌ لِلغَيْثِ اتَّفَقَا » ، أو تقول : « الأَمِيرُ ثَانِي الغَيْثِ وَالغَيْثُ اتَّفَقَا » .

فقد حصل من هذا الباب : أن الاسم المستعار كلما كان قَدَمُهُ أثبت في مكانه ، وكان / موضعه من الكلام أَضَنُّ به ، وَأَشَدُّ محاماةً عليه ، وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر وتصرِّح بالتشبيه ، فأمرُ التخييل فيه أقوى ، ودعوى المتكلم له أظهر وأتم .

١٩٨

٢٦٨ - وأعلم أن نحو قول البحترى :

[من الكامل]

غَيْثَانِ إِنْ جَدَبْتَ تَتَابَعِ أَقْبَلَا وهما رَيْبِعٌ مُؤَمَّلٌ وَخَرِيفَةٌ^(١)

= لا يكون مما نحن بصدده في شيء ، لأنَّ كلَّ واحدٍ من الغيثن في هذا البيت مجازٌ ، لأنه أراد أن يشبَّه كل واحد من المملوحين بالغيث ، والذي نحن بصدده هو أن يُضَمَّ المجاز إلى الحقيقة في عقد الشبية ،^(٢) ولكن إن ضممت إليه قوله :

[من الطويل]

فلم أرَ ضِرْغَامِينَ أَصْدَقَ مِنْكُمْ عِرَاكًا ، إِذَا الْهَيْبَةُ النِّكْسُ كَذْبَا^(٣)

= كان لك ذلك ، لأنَّ أحدَ الضرغامين حقيقةً والآخرُ مجازٌ .

٢٦٩ - فإن قلت : فهنا شيءٌ يردُّك إلى ما أبيتُه من بقاءِ حُكْمِ

التشبيه في جعله أباه الغيث ، وذلك أن تقدير الحقيقة في المجاز إنما يتصوَّر في نحو بيت البحترى :

(١) هو في ديوانه .

(٢) انظر ما سلف رقم : ٢٦٦ ، ص : ٣١٧ ، تعليق : ٢ .

(٣) هو للبحترى في ديوانه .

• فلم أرَ ضِرْغَامِينَ •

من حيث عمَد إلى واحدٍ من الأسودِ ، ثم جعل المملوحَ أسدًا على الحقيقة قد قَارَنَهُ وضامتهُ . ولا سبيل للفرزدق إلى ذلك ، لأن الذي يَقْرِنه إلى أبيه هو الغيث على الإطلاق ، وإذا كان الغيثُ على الإطلاق ، لم يبق شيءٌ يستحقُّ هذا الاسم إلا ويدخل تحته . وإذا كان كذلك ، حصل منه أن لا يكون أبو الفرزدق غيثًا على الحقيقة .

= فالجواب أن مذهب ذلك ليس على ما توهمه ، ولكن على أصلٍ في التشبيه ، وهو أن يقصدَ إلى المعنى الذي من أجله يشبه الفرع بالأصل كالشجاعة في الأسد ، والمضاء في السيف ، وينحى سائر الأوصاف جانبًا . وذلك المعنى في الغيث / هو النَّفْع العام ، وإذا قُدِّر هذا التقدير ، صار جنس الغيث كأنه عينٌ واحدة وشيءٌ واحد . وإذا عاد بك الأمر إلى أن تتصوره تصوّر العين الواحدة دون الجنس ، كان ضمُّ أبى الفرزدق إليه بمنزلة ضمِّك إلى الشمس رجلًا أو امرأةً تريد أن تبلغ في وصفهما بأوصاف الشمس ، وتنزيلهما منزلتها ، كما تجده في نحو قوله :

فَلَيْتَ طالعةَ الشَّمْسِينَ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِينَ لم تَغِبْ^(١)

•••

فصل

في الفرق بين التشبيه والاستعارة (١)

٢٧٠ - أعلم أن الاسم إذا قصد إجراؤه على غير ما هو له لمشابهة

بينهما ، كان ذلك على ما مضى من الوجهين :

الفرق بين التشبيه
والاستعارة
الفرق الأول

أحدهما : أن تُسقط ذكر المشبّه من اليّين ، حتى لا يُعلّم من ظاهر الحال أنك أردته ، وذلك أن تقول : « عنت لنا ظلية » ، وأنت تريد امرأة ، و « وردنا بحراً » ، وأنت تريد المملوح . فأنت في هذا النحو من الكلام إنما تعرف أن المتكلم لم يُرد ما الاسمُ موضوعٌ له في أصل اللغة ، بدليل الحال ، أو إفصاح المقال بعد السؤال ، أو بفحوى الكلام وما يتلوه من الأوصاف .

مثال ذلك أنك إذا سمعت قوله :

تَرْنَحَ الشَّرْبُ وَأَغْتَالَتْ حُلُومُهُمْ شَمْسٌ تَرَجَّلُ فِيهِمْ ثُمَّ تَرْتَحُلُ (١)

= استدلتّ بذكر الشَّرْبِ ، واغتيال الحلوم ، والارتجال ، أنه أراد قينة .

ولو قال : « ترجلت شمس » ، ولم يذكر شيئاً غيره من أحوال الأدميين ، لم يُعقل قط أنه أراد امرأة إلا بإخبار مُستأنف ، أو شاهدٍ آخر من الشواهد .

ولذلك تجد الشيء يلتبس منه حتى على أهل المعرفة ، كما روى أن عدى

ابن حاتم أشتبّه عليه المراد بلفظ الخَيْط في قوله تعالى : (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ) [سورة البقرة : ١٨٧] وحمله على ظاهره . فقد

٢٠٠

(١) هذه الزيادة من مطبوعة رشيد رضا .

(٢) هو للبحرئى في ديوانه .

رُوى أنه قال لما نزلت هذه الآية : « أخذت عِقْلاً أَسْوَدَ وَعِقْلاً أَيْضَ ، فوضعتهما تحت وِسَادَتِي ، فنظرت فلم أتبين ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : إن وِسَادَكَ لَطَوِيلٌ عَرِيضٌ ، وإنما هو الليل والنهار » .^(١)

الفرق الثاني

٢٧١ - والوجه الثاني : أن تذكر كل واحد من المشبّه والمشبّه به فتقول : « زيدٌ أسدٌ » ، و « هندٌ بدرٌ » ، و « هذا الرجل الذي تراه سيفٌ صارمٌ على أعدائك » . وقد كنتُ ذكرتُ فيما تقدّم ، أن في إطلاق الاستعارة على هذا الضرب الثاني بعضُ الشبهة ، ووعدتكُ كلاً ما يجيء في ذلك ، وهذا موضعه .^(٢)

أعلم أنّ الوجه الذي يقتضيه القياسُ ، وعليه يدلّ كلام القاضي في الوساطة ،^(٣) أن لا تُطلق الاستعارة على نحو قولنا : « زيدٌ أسدٌ » و « هندٌ بدرٌ » ، ولكن تقول : هو تشبيه ، وإذا قال : « هو أسدٌ » ، لم تقل : استعار له اسم

(١) خير عدى بن حاتم ، رواه عنه الشعبي . رواه البخاري في كتاب الصيام ، « باب فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود » (الفتح ٤ : ١١٣) ، ثم في كتاب التفسير عند تفسير الآية (الفتح ٨ : ١٣٧) ، ورواه أحمد في المسند : ٣٧٧ (حلي) ، وانظر تفسير الطبري ٣ : ٥١١ ، والتعليق رقم : ١ ، ثم انظر رقم : ٢٩٨٦ - ٢٩٨٩ من التفسير (طبع المعارف) .
(٢) انظر ما سلف آخر رقم : ٢٠٣ .

(٣) هو إشارة إلى قول القاضي الجرجاني في الوساطة : ٤٠ ، « وربّما جاء من هذا الباب ما يظنّه الناس استعارة ، وهو تشبيه أو مثل ، فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة ، عدّ فيها قول أبي نواس :

والحُبُّ ظَهْرٌ أَنْتَ رَاكِبُهُ فَإِذَا صَرَفْتَ عِنَانَهُ أَنْصَرَفَا

ولستُ أرى هذا وما أشبهه استعارة ، وإنما معنى البيت : أن الحبّ مثل ظهْر ، أو الحبّ كظهر تديره كيف شئت إذا ملكت عنانه ، فهو إما ضربٌ مثل ، أو تشبيه شيء بشيء ، وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراضٌ عن الآخر » ، انتهى كلام القاضي ، ثم انظر دلائل الإعجاز رقم : ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

الأسد» ، ولكن تقول : « شَبَّهَ بالأسد » وتقول في الأول إنه استعارة لا تتوقف فيه ولا تتحاشى البتة . وإن قلت في القسم الأول : إنه تشبيه كنت مصيبًا ، من حيث تُخبر عمًا في نفس المتكلم وعن أصل الغرض ، وإن أردت تمام البيان قلت : أراد أن يشبَّه المرأة بالظبية فاستعار لها اسمها مبالغة .

٢٧٢ - فإن قلت : فكذلك فقل في قولك : « زيد أسد » ، إنه أراد تشبيهه بالأسد ، فأجرى اسمه عليه ، ألا ترى أنك ذكرته بلفظ التَّنكير فقلت : « زيد أسد » ، كما تقول : « زيد واحد من الأسود » ، فما الفرق بين الحالين ، وقد جرى الاسم في كل واحد منهما على المشبَّه ؟

رد اعتراض

= فالجواب أن الفرق بين ، وهو أنك عزلت في القسم الأول الاسم الأصلي عنه واطرحت ، وجعلته كأن ليس هو باسم له ، وجعلت الثانى هو الواقع عليه والمتناول / له ، فصار قصدك التشبية أمرًا مطوياً في نفسك مكنوناً في ضميرك ، وصار في ظاهر الحال وصورة الكلام ونصبتَه ، كأنه الشيء الذى وُضع له الاسم في اللغة وتُصوَّر - إن تَعَلَّقَهُ الوهم - كذلك . وليس كذلك القسم الثانى ، لأنك قد صرحت فيه بذكر المشبَّه ، وذكرك له صريحاً يأتى أن تتوهم كونه من جنس المشبَّه به . وإذا سمع السامع قولك : « زيد أسد » و « هذا الرجل سيف صارم على الأعداء » ، استحال أن يظن = وقد صرحت له بذكر زيد = أنك قصدت أسداً وسيفاً ، وأكثر ما يمكن أن يدعى تخيُّله في هذا : أن يقع في نفسه من قولك : « زيد أسد » ، حال الأسد في جراته وإقدامه وبطشه ، فأما أن يقع في وهمه أنه رجل وأسد معاً بالصورة والشخص ، فمحال .

...

٢٧٣ - ولما كان كذلك ، كان قصد التشبيه من هذا النحو بيننا لائحاً ، وكائنًا من مقتضى الكلام ، وواجبًا من حيث موضوعه ، حتى إن لم

يُحْمَلُ عَلَيْهِ كَانَ مُحَالًا . فالشيء الواحد لا يكون رجلًا وأسدًا ، وإنما يكون رجلًا وبصفة الأسد فيما يرجع إلى غرائز النفوس والأخلاق ، أو خصوصي في الهيئة كالكرهية في الوجه . وليس كذلك الأول ، لأنه يحتمل الحمل على الظاهر على الصحة ، فلست بممنوع من أن تقول : « عَنَّتْ لَنَا ظِيئَةٌ » ، وأنت تريد الحيوان = و « طلعت شمس » ، وأنت تريد الشَّمْسَ ، كقولك : « طلعت اليوم شمسٌ حارّةٌ » = وكذلك تقول : « هزرتُ على الأعداء سيفًا » وأنت تريد السيف ، كما تقوله وأنت تريد رجلًا بأسلًا استعنت به ، أو رأيا ماضيًا وقفت فيه ، وأصبت به من العلوِّ فأرهبته وأثرت فيه .

٢٧٤ - وإذا كان الأمر كذلك ، وجب أن يُفصّل بين القسمين ، الفصل بين التشبيه والاستعارة ٢٠٢ .
فيسمى / الأول : « استعارة » على الإطلاق ، ويقال في الثاني إنه : « تشبيه » .
فأما تسمية الأول تشبيهاً فغير ممنوع ولا غريب ، إلا أنه على أنك تُخبر عن الغرض وتنبئ عن مضمون الحال ، فأما أن يكون موضوع الكلام وظاهره موجبا له صريحا ، فلا .

فإن قلت : فكذلك قولك : « هو أسد » ، ليس في ظاهره تشبيه ، لأن التشبيه يحصل بذكر الكاف أو « مثل » أو نحوهما .

= فالجواب أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن موضوعه من حيث الصورة يوجب قصدك التشبيه ، لاستحالة أن يكون له معنى وهو على ظاهره .

٢٧٥ - وله مثال من طريق العادة ، وهو أن مثل الاسم مثل الهيئة التي يُستدل بها على الأجناس ، كزبيّ الملوك وزبيّ السوقة ، فكما أنك لو خلعت من الرجل أبواب السوقة ، ونفيت عنه كل شيء يختص بالسوقة ، وألبسته زبيّ الملوك ، فأبديته للناس في صورة الملوك حتى يتوهموه ملكًا ، وحتى لا يصلوا إلى

معرفة حاله إلا بإخبار أو اختبار واستدلال من غير الظاهر ، كنت قد أعرته هيئة المَلِكِ وزِيَّه على الحقيقة . ولو أنك ألقيت عليه بعض ما يلبسه المَلِكِ من غير أن تُعْرِيَهُ من المعاني التي تدل على كونه سُوقَةً ، لم تكن قد أعرته بالحقيقة هيئة الملك ، لأن المقصود من هيئة الملك أن يحصل بها المَهَابَةُ في النفس ، وأن يُتَوَهَّم العظمة ، ولا يحصل ذلك مع وجود الأوصاف الدالة على أن الرجل سُوقَةٌ .

افرض هذه الموازنة في الشيء الواحد ، كالثوب الواحد يُعَارُهُ الرجل فيلبسه على ثوبه أو منفردًا ، وإنما اعتبر الهيئة وهي تحصل بمجموع أشياء ، وذلك أن الهيئة هي التي يُشبه حالها حال الاسم ، لأن الهيئة تخصُّ جنسًا دون جنس ، كما أن الاسم كذلك ، والثوب على الإطلاق لا يفعل ذلك إلا بخصوصائص تُقْتَرَن به وتُرَاعَى معه ، فإذا كان السامع قولك : « زيد أسدٌ » لا يتوهم / أنك قصدت أسدًا على الحقيقة ، لم يكن الاسم قد لحقه ، ولم تكن قد أعرته إياه إعارةً صحيحةً ، كما أنك لم تُعِرِ الرجل هيئة المَلِكِ حين لم تُزَلِّ عنه ما يُعلم به أنه ليس بملك .

٢٠٣

٢٧٦ - هذا ، وإذا تأملنا حقيقة الاستعارة في اللغة والعادة ، كان في ذلك أيضًا بيان لصحة هذه الطريقة ، ووجوب الفرق بين القسمين . وذلك أن من شرط المستعار أن يحصل للمستعير منفعة على الحد الذي يحصل للمالك ، فإن كان ثوبًا لِبَسَهُ كما لبسه ، وإن كان أداة استعملها في الشيء تصلح له ، حتى إن الرائي إذا رآه معه لم تفصل حاله عنده من حال ما هو ملك يد ليس بعارية ، وإنما يفضلهُ المالك في أن له أن يتلف الشيء جملةً ، أو يدخل التلف على بعض أجزائه قصداً ، وليس للمستعير ذلك . ومعلوم أن ما هو كالمنفعة من الاسم أن

حقيقة الاستعارة في
اللغة والعادة

يوجب ذكره القصد إلى الشيء في نفسه . فإذا قلت : « زيد » ، علم أنك أردت أن تُخبر عن الشخص المعلوم ، وإذا قلت : « لقيت أسداً » ، علم أنك علقت اللقاء بواحد من هذا الجنس .

وإذا كان الأمر كذلك ، ثم وجدنا الاسم في قولك : « عنت ظبية » ، يُعقل من إطلاقه أنك قصدت الجنس المعلوم ولا يُعلم أنك قصدت امرأةً ، فقد وقع من المرأة في هذا الكلام موقعه من ذلك الحيوان على الصحة ، فكان ذلك بمنزلة أن المستعير ينتفع بالاستعارة انتفاع مالكة ، فيلبسُه لبسُه ، ويتجمل به تجملُه ، ويكون مكانه عنده مكان الشيء المملوك ، حتى يعتقد من ينظر إلى الظاهر أنه له .

ولما وجدنا الاسم في قولك : « زيد أسد » ، لا يقع من زيد ذلك الموقع ، من حيث إن ذكره باسمه يمنع من أن يصير الاسم مطلقاً عليه ، ومتناوئاً له على حد تناوله / ما وضع له ، كان وزان ذلك وزان أن تضع عند الرجل ثوباً وتمنعه أن يلبسه ، أو بمنزلة أن تطرح عليه طرف ثوب كان عليك ،^(١) فلا يكون ذلك عاريةً صحيحة ، لأنك لم تدخله في جملة ، ولم تعطه صورة ما يختص به ويصير إليه ، ويخفى كونه لك دونه . فأعرفه .

٢٧٧ - وههنا فصل آخر من طريق موضوع الكلام ، يُبين وجوب فصل آخر في الفرق

بين التشبيه
والاستعارة

الفرق بين القسمين :

(١) في المخطوطة ومطبوعة ريتز : « كافته عليه » ، وهو غير واضح ، وأثبت ما في مطبوعة رشيد

وهو أن الحالة التي يُخْتَلَفُ في الاسم إذا وقع فيها، أيسمى استعارة أم لا يسمى؟ هي الحالة التي يكون الاسم فيها خبراً مبتدئاً أو منزلاً منزلة، أعني أن يكون خبر « كان »، أو مفعولاً ثانياً لباب « علمت »، لأن هذه الأبواب كلها أصلها مبتدأ وخبر = أو يكون « حالاً »، لأن الحال عندهم زيادة في الخبر . فحكمها حكم الخبر فيما قصدته ههنا خصوصاً، والاسم إذا وقع في هذه المواضع، فأنت واضعٌ كلامك لإثبات معناه، وإن أدخلت النفي على كلامك تعلق النفي بمعناه .

تفسير هذه الجملة : أنك إذا قلت : « زيد منطلق » ، فقد وضعت كلامك لإثبات الانطلاق لزيد . ولو نفيت فقلت : « ما زيد منطلقاً » ، كنت نفيت الانطلاق عن زيد . وكذلك : « أكان زيد منطلقاً » ، و « علمتُ زيداً منطلقاً » ، و « رأيتُ زيداً منطلقاً » ، أنت في ذلك كله واضعٌ كلامك ومزج له تثبت الانطلاق لزيد ، ولو تحولفت فيه انصرف الخلاف إلى ثبوته له . وإذا كان الأمر كذلك ، فأنت إذا قلت : « زيد أسدٌ » و « رأيتُه أسداً » ، فقد جعلت اسم المشبه به خبراً عن المشبه . والاسم إذا كان خبراً عن الشيء كان خبراً عنه ، إماماً لإثبات وصِفٍ هو مشتقٌ منه لذلك الشيء ، كالانطلاق في قولك : « زيد منطلقٌ » ، أو إثباتٍ / جنسيةٍ هو موضوعٌ لها كقولك : « هذا رجل » . فإذا امتنع في قولنا : « زيد أسدٌ » أن تثبت الجنسية لزيد على الحقيقة ، كان لإثبات شبيهٍ من الجنس له . وإذا كنا إنما نثبت شبه الجنس ، فقد اجتلبنا الاسم لتحدث به التشبيه الآن ، ونقرّه في حيز الحصول والثبوت . وإذا كان كذلك ، كان خليقاً بأن تسميه تشبيهاً ، إذ كان إنما جاء ليُفيدَه ويُوجبه .

من غير خلافٍ ، فهي حالةٌ إذا وقع الاسم فيها لم يكن الاسم مجتلباً لإثبات معناه للشيء ، ولا الكلام موضوعاً لذلك ، لأن هذا حكم لا يكون إلا إذا كان الاسم في منزلة الخبر من المبتدأ . فأما إذا لم يكن كذلك ، وكان مبتدأً بنفسه ، أو فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه ، فأنت واضعٌ كلامك لإثبات أمرٍ آخر غير ما هو معنى الاسم .

بيان ذلك : أنك إذا قلت : « جاءني أسدٌ » و « رأيت أسداً » و « مررت بأسدٍ » ، فقد وضعت الكلام لإثبات المجيء واقعاً من الأسد ، والرؤية والمرور واقعين منك عليه . وكذلك إن قلت : « الأسدُ مُقبِلٌ » ، فالكلام موضوعٌ لإثبات الإقبال للأسد ، لا لإثبات معنى الأسد . وإذا كان الأمر كذلك ، ثم قلت : « عنتُ لنا ظييةً » ، و « هززت سيفاً صارماً على الأعداء » = وأنت تعنى بالظيية امرأةً ، وبالسيف رجلاً = لم يكن ذكرُك للاسمين في كلامك هذا لإثبات الشبه المقصود الآن . وكيف يُتصوّر أن تقصد إلى إثبات الشبه منهما بشيء ، وأنت لم تذكر قبلهما شيئاً ينصرف إثبات الشبه إليه ، وإنما ثبتت / الشبه من طريق الرجوع إلى الحال ، والبحث عن تحييء في نفس المتكلم ؟

٢٠٦

وإذا كان كذلك ، بان أن الاسم في قولك : « زيد أسدٌ » ، مقصودٌ به إيقاع التشبيه في الحال وإيجابه = وأما في قولك : « عنت لنا ظييةً » و « سللت سيفاً على العدو » ، فوضع الاسم هكذا انتهازاً واقتضاباً على المقصود ، وادعاء أنه من الجنس الذي وُضع له الاسم في أصل اللغة .

وجوب الفرق بين
التشبيه والاستعارة في
الاصطلاح

٢٧٩ - وإذا افترقا هذا الافتراق ، وجب أن نفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة ، كما أننا نفرق بين الخبر والصفة في العبارة ، لاختلاف الحكم فيهما ، بأن الخبر إثباتٌ في الوقت للمعنى ، والصفة تبيينٌ وتوضيحٌ

وتخصيصُ بأمْرٍ قد ثبت واستقرَّ وعُرِفَ . فكما لم نرضَ لاتِّفاق العَرَضِ في الخبر والصفة على الجملة واشتراكهما إذا قلت : « زيد ظريفٌ » و « جاءني زيد الظريف » ، في التباس زيد في الظرف واكتسائه له ، أن نجعلهما في الوضع الاصطلاحى شيئاً واحداً ، ولا نفرِّق بتسميتهما هذا خبراً وذاك صفةً = كذلك ينبغي أن لا يدعونا اتفاق قولنا : « جاءني أسدٌ » و « هزرت سيفاً صارماً » وقولنا : « زيد أسدٌ » و « سيف صارمٌ » ، في مطلق التشبيه = ^(١) إلى التسوية بينهما ، وتترك الفرق من طريق العبارة ، بل وجب أن نفرِّق ، فنسمي ذلك « استعارةً » وهذا « تشبيهاً » .

٢٨٠ - فإن أبيتَ إلا أن تُطلق الاستعارة على هذا القسم الثاني ، فينبغي أن تعلم أن إطلاقها لا يجوز في كل موضع يحسن دخول حرف التشبيه فيه بسهولة ، وذلك نحو قولك : « هو الأسد » و « هو شمسُ النهار » و « هو البدر حسناً وبهجةً ، والقضبُ عطفاً » ، وهكذا كل موضع ذكر فيه المشبه به بلفظ التعريف . فإن قلت : « هو بحرٌ » و « هو ليثٌ » و « وجدته / بحرًا » ، وأردت أن تقول إنه استعارة ، كنت أعذرٌ وأشبه بأن تكون على جانب من القياس ، ومتشبهًا بطرفٍ من الصواب . وذلك أن الاسم قد خرج بالتنكير عن أن يحسن إدخال حرف التشبيه عليه ، فلو قلت : « هو كأسدٌ » و « هو كبحرٌ » ، كان كلاماً نازلاً غير مقبول ، كما يكون قولك : « هو كالأسد » ، إلا أنه وإن كان لا يحسن فيه الكاف فإنه يحسن فيه « كأن » كقولك : « كأنه أسدٌ » ، أو ما يجري مجرى « كأن » في نحو « تحسبه أسداً » و « تمخَّله سيفاً » .

إطلاق الاستعارة
لا يجوز في كل
موضع

٢٠٧

(١) السياق : « كذلك ينبغي أن لا يدعونا ... إلى التسوية ... » .

٢٨١ - فإن غَمَضَ مكانُ الكافِ و « كَأَنَّ » ، بأن يوصف الاسم الذي فيه التشبيهُ بصفةٍ لا تكون في ذلك الجنس ، وأمرٌ خاصٌّ غريبٌ فقيل : « هو بحر من البلاغة » ، و « هو بلر يسكن الأرض » ، و « هو شمس لا تغيب » ، وكقوله :

شَمْسٌ تَأْتِي وَالْفِرَاقُ غُرُوبُهَا عَنَّا ، وَيَلْرُّ وَالصُّلُودُ كَسُوفُهُ ^(١)
فهو أقرب إلى أن نسميه استعارةً ، لأنه قد غمضَ تقدير حرف التشبيه فيه ، إذ لا تصلُ إلى الكافِ حتى تُبطل بنية الكلام وتُبدل صورته فتقول : « هو كالشمس المتألقة » ، إلا أن فراقها هو الغروب ، وكالبدر إلا أن صلوده الكسوف .

...

ما تجوز تسميته
استعارة وما لا تجوز

٢٨٢ - وقد يكون في الصفات التي تجيء في هذا النحو ، والصلوات التي تُوصَلُ بها ، ما يَحْتَلُّ به تقدير [حرف] التشبيه ، ^(٢) فيقرب حينئذٍ من القبيل الذي تُطلَقُ عليه « الاستعارة » من بعض الوجوه ، وذلك مثل قوله : [من الكامل]

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبِيُّ خِضَابُهُ مَوْتٌ فَرِيصُ الْمَوْتِ مِنْهُ تُرْعَدُ ^(٣)

= لا سبيل لك إلى أن تقول : « هو كالأسد » و « هو كالموت » ، لما يكون في ذلك من التناقض ، لأنك إذا قلت : « هو كالأسد » فقد شبهته بجنس / السبع المعروف ، ومُحالٌ أن تجعله محمولاً في الشبه على هذا الجنس أولاً ،

٢٠٨

(١) هو للبحترى في ديوانه .

(٢) ما بين القوسين ، زاده ريتز في مطبوعته ، وقد أصاب ، لأنه أوضح .

(٣) هو للمتني في ديوانه .

ثم تجعل دَمَ الهزبرِ الذى هو أقوى الجنس ، خضابَ يده ، لأنَّ حملك له عليه في الشَّبه دليل على أنه دونه ، وقولك بَعْدُ « دَمُ الهزبر من الأسود خضابه » ، دليل على أنه فوقها . وكذلك محالٌ أن تشبَّه بالموت المعروف ، ثم تجعله يخافه ، وترتعد منه أكتافه .

[من الطويل]

٢٨٣ - وكذا قوله :

مثال آخر

سَحَابٌ عَدَانِي سَيْلُهُ وَهُوَ مُسْبِلٌ وَيَحْرُ عَدَانِي فَيْضُهُ وَهُوَ مُفْعَمٌ (١)
ويدرُ أضاءَ الأرضَ شرقًا ومغربًا ومَوْضِعُ رَحْلِي مِنْهُ أَسْوَدٌ مُظْلَمٌ

= إن رجعت فيه إلى التشبيه الساذج فقلت : « هو كالبلدر » ، ثم جئت تقول : « أضاء الأرض شرقًا ومغربًا ومَوْضِعُ رَحْلِي مُظْلَمٌ لم يضيء به » ، كنت كأنك تجعل البلدر المعروف يُلبس الأرض الضياءَ ويمنعه رحلك ، وذلك محالٌ ، وإنما أردت أن تُثبت من المملوح بلدرًا مفردًا له هذه الخاصَّة العجيبة التي لم تُعرَف للبلدر . وهذا إنما يَتَأْتَى بكلام بعيدٍ من هذا النظم ، وهو أن يقال : « هل سمعت بأن البدر يطلع في أفقٍ ، ثم يمنع ضوءه موضعا من المواضع التي هي مُعرَّضة له وكائنة في مقابلته ، حتى ترى الأرض الفضاء قد أضاءت بنوره وفيما بينهما قدرٌ رحلٍ مظلمٍ يتجافى عنه ضوءه ؟ » . ومعلومٌ بَعْدُ هذا من طريقة البيت ، فهذا النحو موضوع على تخييل أنه زاد في جنس البلدر واحدٌ له حُكْمٌ وخاصَّةٌ لم تُعرَف .

وإذا كان الأمر كذلك ، صار كلامك موضوعًا لا لإثبات الشبه بينه وبين / البلدر ، ولكن لإثبات الصِّفة في واحد متجددٍ حادثٍ من جنس البلدر ،

٢٠٩

(١) هو للبحترى في ديوانه .

لم تُعرَف تلك الصفة للبدر ، فيصير بمنزلة قولك : « زيد رجل يقرى الضيوف ويفعل كيت وكيت » ، فلا يكون قصدك إثبات زيد رجلاً ، ولكن إثبات الصفة التي ذكرتها له . فإذا خرج الاسم الذى يتعلق به التشبيه من أن يكون مقصوداً بالإثبات ، تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدم ، من كون الاسم لإثبات الشبه . فالبحترى فى قوله :

« وَيَبْدُرُ أَضَاءَ الْأَرْضِ » .

= قد بنى كلامه على أن كون المملوح بدرًا ، أمرٌ قد استقرَّ وثبت ، وإنما يعمل فى إثبات الصفة الغريبة ، والحالة التى هى موضع التعجب . وكما يمتنع دخول « الكاف » فى هذا النحو ، كذلك يمتنع دخول « كَأَنَّ » و « تحسب » و « تخال » . فلو قلت : « كأنه بدر أضواء الأرض شرقًا ومغربًا وموضع رحلى منه مظلم » ، كان خلْفًا من القول .

وكذلك إن قلت : « تحسبه بدرًا أضواء الأرض ورحلى منه مظلم » ، كان كالأوّل فى الضعف . ووجه بُعده من القبول بين ، وهو أن « كَأَنَّ » و « حسبت » و « خلت » و « ظننت » تدخل إذا كان الخبر والمفعول الثانى أمرًا معقولًا ثابتًا فى الجملة ، إلا أنه فى كونه متعلقًا بما هو اسم « كَأَنَّ » أو المفعول الأوّل من « حسبت » مشكوك فيه ، كقولنا : « كَأَنَّ زَيْدًا منطلق » ، أو مجازٌ يُقصد به خلاف ظاهره ، نحو : « كَأَنَّ زَيْدًا أسدً » ، فالأسد على الجملة ثابت معروف ، والغريب هو كون زيد إياه ومن جنسه . والنكرة فى نحو هذه الآيات موصوفة بأوصاف تدل على أنك تُخبر بظهور شيء لا يُعرف ولا يُتصور . وإذا كان كذلك ، كان إدخال « كَأَنَّ » و « حسبت » عليه ، كالمقياس / على المجهول .

٢١٠

٢٨٤ - وتأمل هذه النكتة فإنه يَضْعُفُ ثانيًا إطلاق « الاستعارة »

على هذا النحو أيضاً ، لأن موضوع الاستعارة = كيف دارت القضية = على التشبيه . وإذا بان بما ذكرت أن هذا الجنس إذا فليته عن سيره ، ^(١) ونقرت عن خبيته ، ^(٢) فمحصوله أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور ، إلا أنه اختص بصفة غريبة وخاصية بدیعة ، لم يكن يُتوهم جوازها على ذلك الجنس ، كأنك تقول : « ما كنا نعلم أن ههنا بدرًا هذه صفة » ^(٣) كان تقدير التشبيه فيه نقضًا لهذا الغرض ، لأنه لا معنى لقولك : « أشبهه بيدرٍ حَدَثٍ خلافِ البدر ما كان يُعرف » .

وهذا موضع لطيف جدًا لا تنتصف منه إلا باستعانة الطبع عليه ، ولا يمكن توفية الكشف فيه حقه بالعبارة ، لدقة مسلكه .

ooo

٢٨٥ - ويتصل به أن في « الاستعارة » الصحيحة : ما لا يحسن دخول كليم التشبيه عليه . وذلك إذا قوى الشبه بين الأصل والفرع ، حتى يتمكن الفرع في النفس بمداخلة ذلك الأصل والاتحاد به ، وكونه إياه . وذلك في نحو « النور » إذا استعير للعلم والإيمان ، و « الظلمة » للكفر والجهل . فهذا النحو تمكّنه وقوة شَبَّهه ومثانة سببه ، قد صار كأنه حقيقة ، ولا يحسن لذلك أن تقول في العلم : « كأنه نور » ، وفي الجهل : « كأنه ظلمة » ، ولا تكاد تقول

الاستعارة الصحيحة
ما لا يحسن دخول
أداة التشبيه عليه

(١) في المخطوطة والمطبوعتين : « قلبته » ، بالقاف والباء ، وهو تصحيف لا معنى له . يقال : « فليت الشعر » ، إذا تديرته واستخرجت معانيه وغريبه ، وكذلك كل أمر تتأمله وتنتظر في وجوهه وعواقبه .

(٢) « نقر عن خبيته » . قش وبحث .

(٣) السياق : « وإذا بان بما ذكرت أن هذا الجنس كان تقدير التشبيه ... » .

للرجل في هذا الجنس : « كأنك قد أوقعتني في ظلمة » بل تقول : « أوقعتني في ظلمة » . وكذلك الأكثرُ على الألسُن والأسبقُ إلى القلوب أن تقول : « فهمت المسألة فانشرح صدرى وحصل في قلبى نور » ، ولا تقول : « كأن نورًا حصل في قلبى » .

ولكن إذا تجاوزت هذا النوع إلى نحو قولك : / « سللتُ منه سيفًا على الأعداء » ، وجدت « كأن » حسنةً هناك كثيرةً ، كقولك : « بعثته إلى العدو فكأنى سللت سيفًا » وكذلك في نحو : « زيدٌ أسدٌ » و « كأن زيدًا أسدٌ » . وهكذا يتدرج الحكمُ فيه ، حتى كلما كان مكان الشبه بين الشيين أخفى وأغمض وأبعد من العُرف ، كان الإتيان بكلمة التشبيه أئين وأحسن وأكثر في الاستعمال .

فرق شاف بين التشبيه والاستعارة

٢٨٦ - ومما يجب أن تجعله على ذكر منك أبدًا ، وفيه البيان الشافى : أن بين القسمين تباينًا شديدًا = أعنى بين قولك : « زيد أسدٌ » وقولك : « رأيت أسدًا » وهو ما قدمته لك = من أنك قد تجد الشيء يصلح في نحو : « زيد أسدٌ » حيث تذكر المشبه باسمه أولًا ، ثم تُجرى اسم المشبه به عليه ، ولا يصلح في القسم الآخر الذى لا تذكر فيه المشبه أصلًا وتطرُحه .

ومن الأمثلة البينة في ذلك قولُ أبى تمام :

وَكَانَ الْمَطْلُ فِي بَدْيٍ وَعَوْدٍ دُخَانًا لِلصَّنِيعَةِ وَهِيَ نَارٌ (١)

= قد شبه المظل بالدخان ، والصنيعة بالنار ، ولكنه صرح بذكر المشبه ،

وأوقع المشبه به خبرًا عنه ، وهو كلام مستقيم .

(١) هو في ديوانه .

ولو سلكت به طريقة ما يسقط فيه ذكر المشبه فقلت مثلاً : « أقبستنى نازاً لها دخان » ، كان ساقطاً . ولو قلت : « أقبستنى نوراً أضاء أقمى به » ، تريد علماً ، كان حسناً ، حسنه إذا قلت : « علمك نور في أقمى » . والسبب في ذلك أن أطراح ذكر المشبه والاقتصار على اسم المشبه به ، وتنزيله منزلته ، وإعطاءه الخلافة على المقصود ، إنما يصح إذا تقرر الشبه بين المقصود وبين ما تستعير اسمه له ، وتستبينه في الدلالة . وقد تقرر في العرف الشبه بين النور والعلم وظهر وأشتهر / ، كما تقرر الشبه بين المرأة والظبية ، وبينها وبين الشمس = ولم يتقرر في العرف شبه بين الصنعة والنار ، وإنما هو شيء يضعه الآن أبو تمام ويتمحله ، ويعمل في تصويره ، فلا بُدَّ له من ذكر المشبه والمشبه به جميعاً حتى يُعقل عنه ما يريد ، ويبين الغرض الذي يقصده ، وإلا كان بمنزلة من يريد في إعلام السامع أن عنده رجلاً هو مثل زيد في العلم مثلاً ، فيقول له : « عندى زيد » ، ويسومه أن يعقل من كلامه أنه أراد أن يقول : « عندى رجل مثل زيد » ، أو غيره من المعاني . وذلك تكليف علم الغيب .

فأعرف هذا الأصل وتبينه ، فإنك تزداد به بصيرة في وجوب الفرق بين الضريين ، وذلك أنهما لو كانا يجريان مجرى واحداً في حقيقة الاستعارة ، لوجب أن يستويا في القضية ، حتى إذا استقام وضع الاسم في أحدهما استقام وضعه في الآخر ، فأعرفه .

٢٨٧ - فإن قلت : فما تقول في نحو قولهم : « لقيت به أسداً »

بيان آخر

و « رأيت منه ليثاً » .

= (١) فإنه مما لا وجه لتسميته استعارةً ، ألا تراهم قالوا : « لئن لقيتُ
 فلائناً ليلقيَنَّكَ منه الأسدُ » ، فأتوا به معرفةً على حدِّه إذا قالوا : « احذرِ الأسد ! » ،
 وقد جاء على هذه الطريقة ما لا يُتصوَّر فيه التشبيه ، فيُظنُّ أنه استعارة ، وهو
 قوله عز وجل : (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) [سورة نعت : ٢٨] ، والمعنى : - والله أعلم -
 أن النَّارَ هي دار الخلد ، وأنت تعلم أن لا معنى ههنا . يقال : « إن النار شُبِّهت
 بدارِ الخلد » ، إذ ليس المعنى على تشبيه النَّارِ بشيءٍ يسمَّى « دار الخلد » ،
 كما تقول في زيد : « إنه مثل الأسد » ، ثم تقول : « هو الأسد » ، وإنما هو
 كقولك : « النار منزلهم ومسكنهم » . نعوذ بالله منها .
 = وكذا قوله :

٢١٣ / يَا أَيُّ الظُّلَمَةِ مِنْهُ التَّوْفَلُ الرَّفْرُ (٢)

المعنى على أنه « التَّوْفَلُ الرَّفْرُ » ، وليس الرفر باسمٍ لجنسٍ غير جنس
 الممدوح كالأسد ، فيقال إنه شبه الممدوح به ، وإنما هو صفة كقولك : « هو
 الشجاع » و « هو السيّد » و « هو النَّهَّاضُ بأعباء السيادة » .

= وكذا قوله : [من المنسرح]

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطْيَ وَلَا يَشْرِبُ كَأَسًا بِكَفٍّ مِنْ بَخْلًا (٣)

= لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى : أنه ليس ببخيل .

(١) قوله : « فإنه مما لا وجه لتسميته استعارة » ، هو جواب قوله : « فإن قلت » .

(٢) هو عجز بيت لأعشى باهلة ، (في ديوان الأعشى) ومراجعته هناك ، وصدرة :

أخو رَغَائِبٍ يُعْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا .

و « الرغائب » ، العطايا الكثيرة . و « الظُّلَمَةُ » ، هو ما تطلبه عند الظلم ، وهو اسم ما أخذ منك .
 و « التَّوْفَلُ » . العزيز الذي يدفع الضيم . و « الرَّفْرُ » هو السيد ، لأنه يزدفر ، أى يتحمّل بالأموال في
 الحِمالات من دين ودية .

(٣) البيت للأعشى الكبير في ديوانه .

ما لا يجوز أن
يسمى استعارة

٢٨٨ - هذا ، وإنما يُتصوّر الحكمُ على الاسم بالاستعارة ، إذا جرى

بوجهٍ على ما يُدعى أنه مستعارٌ له ، والاسمُ في قولك : « لقيتُ به أسداً »
أو « لقينى منه الأسد » ، لا يُتصوّر جزيه على المذكور بوجه ، لأنه ليس بخبرٍ
عنه ، ولا صفةٍ له ، ولا حالٍ ، وإنما هو بنفسه مفعولٌ « لقيتُ » وفاعلٌ « لقينى » .

ولو جاز أن يجرى الاسم ، ههنا مجرى المستعارِ المتناولِ المستعارَ له ،

لوجب أن نقول في قوله :

حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَأَخْتَلَطُ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَل رَأَيْتِ الذَّبَّ قَطُ (١)

= إنه استعار آسم الذئب للمذق ، وذلك بين الفساد .

= وكذا نحو قوله :

تُبِّعْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أُوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ (٢)

= لا يكون استعارة ، وإن كنت تجد من يفهم البيت قد يقول : أراد

بالأسد الثُّعْمَانَ ، أو شَبَّهه بِالْأَسَدِ ، لأن ذلك بيانٌ لِلْعَرَضِ . فَأَمَّا الْقَضِيَّةُ

(١) البيت يدور في كتب النحاة ، وينسب للعجاج ولا يصح . وأنشده المبرد في الكامل لأحد

الرجاز ، أربعة أبيات . وقال : « والعرب تختصّر التشبيه ، وربما أومأت إليه إيماءً ، قال أحد الرجاز :

بِتَّنَا بِحَسَّانٍ وَمِعْرَاهُ تَبْطُ مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمُ وَالْتَبِطُ

حتى إذا كاد الظلام

(الكامل : ١٠٥٤ ، طبعة محمد أحمد الدالي ، دمشق) . و « حَسَّان » ، اسم رجل .

و « المعزى » من الغنم . و « تَبْطُ » ، يصوت جوفها من الجوع . و « أَلْتَبِطُ » ، أسعى هنا وهناك .

و « المذق » ، اللين المزوج ، قال المبرد : « يقول : في لون الغبرة ، واللبن إذا جُهد (أى إذا أخرج

زبده) وتخلط بالماء ، ضرب إلى الغبرة » ، وقوله : « هل رأيت الذئب قط » صفة المذق ، والذئب

يضرب لونه إلى الغبرة .

(٢) هو للنايفة الديباني في ديوانه ، و « أبو قابوس » ، هو النعمان بن المنذر .

الصحيحة وما يقع في نفس العارف ، ويوجهه نقد الصيرف ، فإن الأسد واقع على حقيقته حتى كأنه قال : « ولا قرار على زار هذا الأسد » ، وأشار إلى الأسد خارجاً من عرينه مُهذّباً مُوعداً بزئيره . وأى / وجه للشك في ذلك ، وهو يؤدي ٢١٤ إلى أن يكون الكلام على حد قولك : « ولا قرار على زار من هو كالأسد » ؟ وفيه من العي والفجاجة شيء غير قليل .

هذا ، ومن حق غلط غلط في نحو ما ذكرت = على قلة عذره = أن لا يغلط في قول الفرزدق :

قياما ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالاً^(١)
ولا يتوهم أن « هلالاً » استعارة لسعيد ، لأن الحكم على الاسم بالاستعارة مع وجود التشبيه الصريح ، محال جار مجرى أن يكون كل اسم دخل عليه كاف التشبيه مستعاراً . وإذا لم يغلط في هذا فالباقي بمنزلة ، فأعرفه .

° ° °

(١) هو له في ديوانه . و « قياما » مفعول « ترى » في بيتين قبله ، هما :
ترى الشم الجحاجح من قرينش إذا ما الأمر في الحدثنان عالاً
بنى عم الرسول ورهط عمرو وعثمان الذين علوا فعلاً

فصل

« في الاتفاق في الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة »^(١)

٢٨٩ - أعلم أن الشعراء إذا اتفقا ، لم يحل ذلك من أن يكون في الغرض على الجملة والعموم ، أو في وجه الدلالة على ذلك الغرض .

الأخذ والسرقة
وبيان أمرها

والاشتراك في الغرض على العموم : أن يقصد كل واحد منهما وصف ممدوحه بالشجاعة والسخاء ، أو حُسن الوجه والبهاء ، أو وصف فرسه بالسرعة ، أو ما جرى هذا المجرى .

وأما وجه الدلالة على الغرض ، فهو أن يذكر ما يُستدل به على إثباته له الشجاعة والسخاء مثلا . وذلك ينقسم أقساما :

= منها التشبيه بما يوجد هذا الوصف فيه على الوجه البليغ والغاية البعيدة ، كالتشبيه بالأسد ، وبالبحر في البأس والجود ، والبئر والشمس في الحسن والبهاء والإنارة والإشراق .

= ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة من حيث كانت لا تكون إلا فيمن له الصفة ، كوصف الرجل في حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر ، كقوله :

/ كأن دنانيرا على قسيماتهم وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء^(٢)

٢١٥

(١) هذه الزيادة من مطبوعة رشيد رضا وحدها ، وانظر ما سلف ص : ٢٦٣ وما بعدها .

(٢) هو محرز بن المكشور الضبي ، جاهل ، من أبيات رواها أبو تمام في شرح الحماسة ٤ : ١٥ ،

١٦ ، ورواها أبو العباس المبرد في الكامل ١ : ١٠٧ ، ١٠٨ (طبعة محمد أحمد الدالي ، دمشق) .

و « القسيمات » ، هي مجازي الدموع في أعلى الوجه . « شَفَّ الوجوه » ، أذهب نضرتها ، و « اللقاء » ،

لقاء الأعداء في الحرب .

= وكذلك الجوادُ يوصف بالتَّهَلُّل عند ورود العُفَاة ، والارتياح لرؤية المُجْتَدِين ، ^(١) والبخيلُ بالعبوس والقُطوب وقلة البشر ، مع سعة ذات اليد ومُساعدة الدهر .

٢٩٠ - فأما الاتفاق في عموم الغرض ، فما لا يكون الاشتراك فيه داخلاً في الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة ، لا ترى مَنْ به حِسٌّ يدعى ذلك ، ويأبى الحكم بأنه لا يدخل في باب الأخذ ، وإنما يقع الغلط من بعض مَنْ لا يُحسن التحصيل ، ولا يُنعم التأمل ، فيما يؤدي إلى ذلك ، حتى يدعى عليه في المُحَاجَّة أنه بما قاله قد دخل في حكم من يجعل أحد الشعاعين عيالاً على الآخر في تصوُّر معنى الشجاعة ، وأنها مما يُمدح به ، وأن الجهل مما يُذمُّ به ، فأما أن يقوله صريحاً ، ويرتكبه قصداً ، فلا .

٢٩١ - وأما الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض ، فيجب أن يُنظر ، فإن كان مما اشترك الناس في معرفته ، وكان مستقراً في العقول والعادات ، فإن حُكْمَ ذلك ، وإن كان خصوصاً في المعنى ، حُكْمُ العموم الذي تقلّم ذكره .

من ذلك التشبيه بالأسد في الشجاعة ، وبالبحر في السخاء ، وبالبدر في النور والبهاء ، وبالصبح في الظهور والجلاء ونفى الالتباس عنه والخفاء . وكذلك قياس الواحد في خصلة من الخصال على المذكور بذلك والمشهور به والمشار إليه ، سواء كان ذلك ممن حضرك في زمانك ، أو كان ممن سبق في الأزمنة الماضية والقرون الخالية ، لأن هذا مما لا يُختص بمعرفته قومٌ دون قوم ، ولا يحتاج في العلم به إلى رويّة واستنباط وتدبّر وتأمّل ، وإنما هو في حكم الغرائز المركوزة في النفوس ، والقضايا التي وُضع العلم / بها في القلوب .

وإن كان مما ينتهي إليه المُتَكَلِّمُ بنظرٍ وتدبُّرٍ، وَيَنَالُهُ بطَلْبٍ واجتهادٍ، ولم يكن كالأوَّلِ في حضوره إياه، وكونه في حكم ما يقابله الذي لا معاناةَ عليه فيه، ولا حاجةً به إلى المحاولة والمزاولة والقياس والمباحثة والاستنباط والاستشارة، بل كان من دونه حجابٌ يحتاج إلى خَرْقِهِ بالنظر، وعليه كَيْمٌ يفتقر إلى شَقِّهِ بالتفكير، ^(١) وكان دُرًّا في قعرٍ بجرٍ لا يبدُّ له من تكلفِ العَوُصِ عليه، وممتنعًا في شأني لا يناله إلا بتجشُّمِ الصعود إليه، وكامنًا كالنار في الرَّندِ، لا يظهر حتى تقتدحه، ومُشَابِهًا لغيره كعُروُقِ الذهب التي لا تُبْدَى صَفْحَتِهَا بالهُوَيْتِنا، بل تُنَالُ بِالْحَفْرِ عنها وتعريقِ الجبين في طلب التمكن منها.

نعم، إذا كان هذا شأنه، وههنا مكانه، وبهذا الشرط يكون إمكانه، فهو الذي يجوز أن يُدْعَى فيه الاختصاصُ والسَّبْقُ والتقدُّمُ والأوَّلِيَّةُ، وأن يُجْعَلَ فيه سَلْفٌ وخَلْفٌ، ومُفِيدٌ ومستفيد، وأن يُقْضَى بين القائلين فيه بالتفاضل والتباين، وأن أحدهما فيه أكملُ من الآخر، وأن الثاني زاد على الأوَّلِ أو نقص عنه، ^(٢) وترقى إلى غايةٍ أبعد من غايته، أو انحطَّ إلى منزلةٍ هي دون منزلته.

٢٩٢ - وأعلم أن ذلك الأوَّلِ الذي هو المشترك العامي، والظاهر

الجلِّي، والذي قلتُ إن التفاضل لا يدخله، والتفاوت لا يصح فيه، إنما يكون كذلك ما كان صريحًا ظاهرًا لم تلحقه صنعة، وساذجًا لم يعمل فيه نقش. فأما إذا رُكِبَ عليه معنَى، ووُصِلَ به لطيفة، ودُخِلَ إليه من باب الكناية والتعريض، والرَّمزِ والتلويح، فقد صار بما غيَّر من طريقتِه، واستؤنِف من صورته،

الصنعة الساحرة في
التشبيه الساذج

(١) « الكيم » بكسر الكاف، هو غلاف الثمر والحَبِّ قبل أن يظهر أو يتفتح، وجمعه

« أكيم ».

(٢) في المخطوطة والمطبوعتين: « ونقص عنه » بالواو، والصواب ما أثبت.

٢١٧

واستُجِدَّ له من المِعْرَضِ ، ^(١) وكُسى من دَلَّ التعرض ، / داخلاً في قبيل الخاصّ
الذي يُتَمَلَّك بالفكرة والتعمُّل ، ويُتوصَّل إليه بالتدبُّر والتأمُّل . وذلك كقولهم ،
وهم يريدون التشبيه : « سلبنَ الطِّبَاءُ العيونَ » ، كقول بعض العرب : [من الوافر]

سَلَبْنَ طِبَاءَ ذِي نَفْرِ طُلَاهَا وَنَجَلَ الْأَعْيُنَ الْبَقَرَ الصُّوَارَا ^(٢)

وكقوله : [من البسيط]

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَى نَدَاكَ ، ففاسسته بما فيها ^(٣)

وكقوله : [من الكامل]

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بَوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ ^(٤)

وكقوله : [من الكامل]

وَاهْتَزَّتْ فِي وَرَقِ النَّدَى فَتَحَيَّرَتْ حَرَكَاتُ عُصْنِ الْبَاتَةِ الْمُتَأَوِّدِ ^(٥)

وكقوله : [من الطويل]

فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِي مَهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرَ الْأَفْقِ حِينَ أَقَابِلُهُ ^(٦)
إِلَى مُسْرِيفٍ فِي الْجُودِ ، لَوْ أَنَّ حَاتِمًا لَدَيْهِ ، لَأُمْسَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَاذِلُهُ

(١) « المِعْرَضِ » ، بكسر الميم ، الثوبُ تعرض فيه الجاريةُ وتُجَلَى فيه .

(٢) رأيت من نسبه إلى الراعي ، وهو لا يكاد يدخل في قصيدته الرائية من الوافر . و « ذو نفر » ، اسم مكان ، و « الطُّلَى » ، الأعناق . و « الأعين الثُّجَل » ، الواسعة . و « الصُّوَارَا » ، القطيع من بقَر الوحش ، وهي نخيل العيون .

(٣) هو لأي نواس في ديوانه .

(٤) هو للمتنبي في ديوانه .

(٥) هو للبحترى في ديوانه . « وَرَقِ النَّدَى » ، أى عطاؤه الحسن . و « المتأوِّد » ، الذى يتشى

من لينه .

(٦) هو للبحترى في ديوانه .

فهذا كله في أصله ومغزاه وحقيقة معناه تشبيهية ، ولكن كُنِيَ لك عنه ،
 وَخُودِعَتْ فيه ، وَأُتِيَتْ به من طريق الخِلافة في مسلك السحر ومذهب
 التَّخْيِيل ، فصار لذلك غريبَ الشكل ، بديعَ الفن ، منيعَ الجانب ، لا يدينُ
 لكل أحد ، وأبَى العُطْف لا يدين به إِلَّا للمُرُويِّ المجتهد . (١) وإذا حَقَّقْتَ
 النظر ، فالخصوصُ الذي تراه ، والحالةُ التي تراها ، تنفى الاشتراك وتأباه ، إنما
 هُما من أجل أنهم جعلوا التشبيه مدلولاً عليه بأمرٍ آخر ليس هو من قبيل الظاهر
 المعروف ، بل هو في حدِّ لحن القول والتعمية اللَّذين / يُتعمدُ فيهما إلى إخفاء
 المقصود حتى يصير المعلوم اضطراراً ، يُعرف امتحاناً واختباراً ، كقوله : [من الوافر]
 مررتُ ببابِ هِنْدَ فَكَلَّمْتَنِي فلا والله ما نَطَقَتْ بِحَرْفٍ (٢)

٢١٨

فكما يوهمك بإتقان اللفظ أنه أراد الكلام ، وأن الميم موصولةً باللام ،
 كذلك المشبه إذا قال : « سرقن الأطباء العيون » ، فقد أوهم أن ثمَّ سرقَةٌ وأنَّ
 العيون منقولةٌ إليها من الأطباء ، وإن كنت تعلم إذا نظرت أنه يريد أن يقول : إن
 عيونها كعيون الأطباء في الحسن والهيئة وفترة النظر . وكذلك يوهمك بقوله : « إن
 السحاب لتستحيى » ، أن السحاب حتى يعرف ويعقل ، وأنه يقيس فيضه
 بفيض كَفِّ المملوح فيَحْزَى ويَحْجَل .

فلاحتفال والصنعة في التصويرات التي تروق السامعين وتروعوهم ،
 والتخييلات التي تهز المملوحين وتحركهم ، وتفعل فعلاً شبيهاً بما يقع في نفس
 الناظر إلى التصاوير التي يشكّلها الحذاق بالتخطيط والنقش ، أو بالتحت

(١) الأجود أن يقال : « وأبَى العُطْف لا يلين به ... » .

(٢) لم أعرف قائله .

والنقر . فكما أن تلك تُعجب وتُخلب ، وتروق وتؤنق ، وتُدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبيل رؤيتها ، ويغشاها ضربٌ من الفتنة لا يُنكر مكانه ، ولا يخفى شأنه .

صنعة الشعر
الساحرة

٢٩٣ - فقد عرّفت قضية الأصنام وما عليه أصحابها من الافتتان بها والإعظام لها . كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور ، ويُشكّله من البِدَع ، ويوقعه في النفوس من المعاني التي يُتوهم بها الجماد الصامت في صورة الحى الناطق ، والموات الأخرس في قضية الفصيح المُعرب والمُبين المميز ، والمعدوم المفقود في حكم الموجود المشاهد ، كما قدّمت القول / عليه في باب التمثيل ، (١) حتى يكسب الدنى رفعة ، والغامض القدر نباهة . وعلى العكس يغيض من شرف الشريف ، ويظلم من قدر ذى العزة المُنيف ، ويظلم الفضل ويَهْضُمُه ، ويخُدش وجه الجمال ويتخوّثه ، ويُعطى الشبهة سلطان الحجّة ، ويردّ الحجّة إلى صيغة الشبهة ، ويصنع من المادة الخسيسة بدعًا تغلو في القيمة وتعلو ، ويفعل من قلب الجواهر وتبديل الطبائع ما ترى به الكيمياء وقد صحّت ، ودعوى الإكسير وقد وضحت ، إلا أنها روحانية تتلبس بالأوهام والأفهام ، دون الأجسام والأجرام ، ولذلك قال :

[من الطويل]

يُرى حِكْمَةً ما فيه وَهُوَ فُكَاهَةٌ وَيَقْضَى بما يَقْضَى به وَهُوَ ظالِمٌ (٢)

[من الطويل]

وقال :

عَلِيمٌ يَأْبُدالِ الحُرُوفِ وَقامِعٌ لِكُلِّ حَطيِّبٍ يَقْمَعُ الحَقَّ باطلُهُ (٣)

(١) انظر رقم : ٨٠ وما بعدها .

(٢) البيت لأبي تمام في ديوانه .

(٣) هو لأبي الطروق الضبي من شعراء المعتزلة ، يقوله في واصل بن عطاء ، البيان والتبيين ١ : ١٥٠ .

وقال ابن سُكْرَةَ فأحسن : [من مخلع البسيط]

والشعر نَارٌ بلا دُخَانٍ وللقوافي رُقَى لَطِيفَةٌ (١)
لو هُجِيَ المِسْكُ ، وهو أَهْلٌ لكل مدح ، لصار جِيفَةٌ
كَمْ من ثَقِيلِ المَحَلِّ سَامٍ هَوَتْ به أَحْرُفٌ خَفِيفَةٌ

وقد عرفت ما كان من أمر القبيلة الذين كانوا يعيرون بأنف الناقة ، حتى
قال الخطيئة : [من البسيط]

قَرِمَ هُمُ الأَنْفِ والأذُنَابُ غَيْرُهُمْ ، وَمَنْ يُسَوَّى بِأَنْفِ الثَّاقَةِ الذَّنْبَا (٢)

فَنَفَى العَارَ ، وَصَحَّحَ الافتخارَ ، وجعل ما كان نَقْصًا وَشَيْئًا ، فَضْلًا
وَزَيْتًا ، وما كان لِقْبًا وَنَبْرًا يسوءُ السَّمْعَ ، شَرَفًا وَعِزًّا يرفعُ الطرفَ ، وما ذاك
إلا بحسن الانتزاع ، ولطف القرينة الصنّاع ، والذهن / الناقد في دقائق الإحسان
والإبداع ، كما كساهم الجمال من حيث كانوا عَرُوا منه ، وأثبتهم في نِصَابِ
الفضل من حيث نُفِوا عنه ، فَلَربَّ أَنْفِ سَلِيمٍ قد وَضَعَ الشعرُ عليه حَدَّهُ فجدَّعَه ،
واسم رفيع قلب معناه حتى حط به صاحبه ووَضَعَه ، كما قال : [من الكامل]

يا حاجِبَ الوزراءِ ! إنَّكَ عندهم سَعَدٌ ، ولكن أنت سَعَدُ الذابِحِ (٣)

(١) هو له في الهجاء ، في بيتمة الدهر ٣ : ١٣ .

(٢) هو له في ديوانه .

(٣) يُنسب في المختار من شعر بشار : ٧٦ ، ونسبه ياقوت في معجم الأديباء ١ : ٣٩٢ في ترجمة
جحظة (أحمد بن جعفر) ، ولا يكاد يُفهم معنى البيت حتى تسمع ما قبله ؛ يقول :

يا سَعَدُ إنَّكَ قد حَجَبْتَ ثلاثة كُلاً قَتَلْتَ وَفِيكَ وَسَمٌّ واضعُ

وَأَتَيْتَ تَحْجُبُ رابعاً لِتَبِيرِهِ فارقُ به ، فالشيخ شيخُ صالح

و « سعد » ، المذكور هنا هو حاجب الوزير الخاقاني . و « سعد الذابح » فيه يقول ابن قتيبة =

ومن العجيب في ذلك قول القائل في كثير بن أحمد: ^(١) [من مخلع البسيط]

لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا مَا قَالَ : « لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ » ^(٢)

فأنظر من أي مدخل دخل عليه ، وكيف بالهويينا هدى البلاء إليه ؟ وكثير

هذا هو الذي يقول فيه الصاحب : [من الطويل]

• ومثُلُ كَثِيرٍ فِي الزَّمَانِ قَلِيلٌ • ^(٣)

فقد صار الاسم الواحد وسيلة إلى الهدم والبناء ، والمدح والهجاء ،

وذريعة إلى التزيين والتّهجين .

•••

فن ابن المعتز في
ذم القمر

٢٩٤ - ومن عجيب ما اتفق في هذا الباب قول ابن المعتز في ذم

القمر ، واجترأه بقدرة البيان على تقييحه ، وهو الأصل والمثل ، وعليه الاعتماد
والمعول في تحسين كل حسن ، وتزيين كل مزين ، وأوّل ما يقع في النفوس
إذا أريد المبالغة في الوصف بالجمال ، والبلوغ فيه غاية الكمال ، فيقال :

= في الأنواء : ٧٦ ، « سعد الذابح . وهو كوكبان غير تيزين ، بينهما في رأى العين قدر ذراع ،
وأحدهما مرتفع للشمال ، والآخر هابط في الجنوب ، ويقرب الأعلى منهما كوكب صغير يكاد يلزق به .
وتقول الأعراب : هو شأته التي يذبحها » ، وهو أحد منازل القمر .

(١) هو أبو منصور ، كثير بن أحمد .

(٢) اقتباس سيء من آية سورة النساء : ١١٤ ، (لَأَخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ) ، ولا أدري

كيف استساغه الشيخ رحمه الله ؟

(٣) هو في البيّمة ٣ : ٢٤٨ ، يقول الصاحب يرثي كثيرا :

يقولون لى : أودى كثير بن أحمد وذلك رزء في الأنام جليل

فقلت : دَعُونِي وَالْعُلَى تَبِكُهُ مَعًا فَمِثْلُ كَثِيرٍ فِي الرِّجَالِ قَلِيلُ

«وجه كأنه القمر»، و « كأنه فلقه قمر » ، ذلك لثقته بأن هذا القول إذا شاء
سَحَر ، ^(١) وَقَلَبَ الصُّورَ ، وأنه لا يهاب أن يخزق الإجماع ، ويسحر العقول
ويقتسير الطباع ، وهو :

يا سارق الأنوار من شمس الضحى يا مُشكِلِي طيب الكرى ومُنغصِي ^(٢)
أما ضياء الشمس فيك فناقص وأرى حرارة نارها لم تنقص
/ لم يظفر التشبيه منك بطائل ، مُتسلِّحٌ بهقًا كلون الأبرص

٢٢١

٢٩٥ - وقد عُلِمَ أن ليس في الدنيا مُثَلَّةٌ أخزى وأشنع ، ونكال أبلغ
وأفطع ، ومَنْظَرٌ أحقُّ بأن يملأ النفوس إنكارًا ، ويُزعج القلوب استفظاعًا له
واستنكارًا ، ويُغري الألسنة بالاستعاذة من سوء القضاء ، ودرك الشقاء ، من أن
يُصلب المقتول ويشبِّح في الجذع ، ثم قد ترى مرثية أبي الحسن الأنباري لابن
بقية حين صلب ، وما صنَّع فيها من السحر ، حتى قلب جملة ما يُستنكر من
أحوال المصلوب إلى خلافها ، وتاول فيها تأويلات أراك فيها وبها ما تقضى منه
العجب :

[من الوافر]

عُلُوٌّ في الحياة وفي المماتِ بحقُّ أنت إحدى المعجزات ^(٣)
كأن الناس حولك حين قاموا وفودُ نذاك أيام الصلّات
كأنك قائمٌ فيهم خطيبًا وكلُّهم قيامٌ للصلاة

(١) « ذلك لثقته » ، يعنى ثقة ابن المعتز بسحر القول .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) ذكرها صاحب يتيمة الدهر في ترجمة أبي بكر محمد بن أبي القاسم ، المعروف بالأنباري

٢ : ٣٤٤ ، وذكر بعضها صاحب الوافي بالوفيات في ترجمة وزير عز الدولة بن بختيار ، محمد بن محمد

ابن بقية ١ : ١٠٠ - ١٠٣ ، حين ظفر به عضد الدولة فرماه تحت أرجل الفيلة ؛ ثم صلبه ، وفي تاريخ ابن

خلكان ٥ : ١٢٠ ، وغيرها من الكتب .

مددت يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ أَحْتَفَاءَ كَمَدَّهَما إِلَيْهِم بِالْهَبَاتِ
ولما ضاق بطنُ الأرضِ عن أن يَضُمُّ عُلَاكَ من بعد المماتِ
أَصَارُوا الْجَوَّ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا عن الأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ
لِعُظْمِكَ فِي النُّفُوسِ تَبِيْتُ تُرْعَى بِحُرَّاسٍ وَحُفَافٍ ثِقَاتِ
وَتُشْعَلُ عِنْدَكَ النِّيرانُ لَيْلًا كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ
رَكِبْتَ مَطِيَّةً ، من قَبْلِ زَيْدٍ عَلاهَا فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَاتِ (١)
وتلك فَضِيلَةٌ فِيهَا تَأْسُ تُبَاعِدُ عَنكَ تَعْيِيرَ الْعُدَاةِ
أَسَأَتْ إِلَى الْحَوَادِثِ فَاسْتَارَتْ ، فَأَنْتَ قَتِيلٌ نَارِ النَّائِبَاتِ
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامِي بِفَرَضِكَ وَالْحَقُوقِ الْوَاجِبَاتِ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَافِي ، وَنُحْتُ بِهَا خِلَالَ النَّائِحَاتِ (٢)
/ وَلَكِنِّي أَصْبِرُ عَنكَ نَفْسِي مَخَافَةَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْجُنَاةِ
وما لك تَرْبَةٌ فَأَقُولُ تُسْقَى ، لِأَنَّكَ نُصِبُ هَطْلِ الْهَاطِلَاتِ
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تُثْرَى بِرَحْمَاتِ غَوَادِ رَائِحَاتِ

٢٢٢

٢٩٦ - ومما هو من هذا الباب ، إلا أنه مع ذلك احتجاج عقلي

تفسير بيت المتنبي

صحيح ، قول المتنبي :

وَمَا التَّائِيْتُ لِأَسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّدْكِيرُ فِخْرٌ لِلْهَلَالِ (٣)

فحق هذا أن يكون عنوان هذا الجنس ، وفي صدر صحيفته ، وطراراً

(١) « زيد » ، هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، انظر خبر مقتله ، ثم صلبه في مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : ١٢٧ - ١٥١ .

(٢) في المطبوعتين والمخطوطة : « خلال النائحات » ، وما في يتيمة الدهر أجود : « خلاف النائحات » ، أي بدهن .

(٣) هو في ديوانه .

لدياجته ، لأنه دفع للنقص ، وإبطال له ، من حيث يشهدُ العقل للحجة التي نطق بها بالصحة . وذلك أن الصفات الشريفة شريفةً بأنفسها ، وليس شرفها من حيث الموصوف . وكيف ؟ والأوصاف سبب التفاضل بين الموصوفات ، فكان الموصوف شريفاً أو غير شريف من حيث الصفة ، ولم تكن الصفة شريفةً أو خسيصةً من حيث الموصوف . وإذا كان الأمر كذلك وجب أن لا يعترض على الصفات الشريفة بشيء إن كان نقصاً ، فهو في خارج منها ، وفيما لا يرجع إليها أنفسها ولا حقيقتها . وذلك الخارج ههنا هو كون الشخص على صورة دون صورة . وإذا كان كذلك ، كان الأمر : مقدارُ ضرر التأنيث إذا وُجد في الخِلقة على الأوصاف الشريفة ، مقداره إذا وُجد في الاسم الموضوع للشيء الشريف ، لأنه في أن لا تأثير له من طريق العقل في تلك الأوصاف في الحالين على صورة واحدة ، لأن الفضائل التي بها فضل الرجل على المرأة ، لم تكن فضائل لأنها قارنت صورة التذكير وخلقته ، ولا أوجبت ما أوجبت من التعظيم لاقترانها بهذه الخِلقة دون تلك ، بل إنما أوجبت لأنفسها ومن حيث هي ، كما أن الشيء / لم يكن شريفاً أو غير شريف من حيث أنت اسمه أو ذكر ، بل يثبت الشرف وغير الشرف للمسميات من حيث أنفسها وأوصافها ، لا من حيث أسماءها ، لاستحالة أن يتعدى من لفظ ، هو صوت مسموع ، نقص أو فضل إلى ما يجعل علامة له ، فأعرفه .

وأعلم أن هذا هو الصحيح في تفسير هذا البيت ، والطريقة المستقيمة في الموازنة بين تأنيث الخِلقة وتأنيث الاسم ، لا أن يقال إن المعنى أن المرأة إذا كانت في كمال الرجل من حيث العقل والفضل وسائر الخلال المملوحة ، كانت من حيث المعنى رجلاً ، وإن عُدَّت في الظاهر امرأة ، لأجل أنه يفسد من وجهين :

أحدهما أنه قال : « ولا التذكير فخر للهلال » ، ومعلوم أنه لا يريد أن يقول : إن الهلال وإن ذُكِّر في لفظه فهو مؤنث في المعنى ، لفساد ذلك .

= ولأجل أنه إن كان يريد أن يضربَ تأنيث اسم الشمس مثلاً لتأنيث المرأة ، على معنى أنها في المعنى رجلٌ ، وأن يُثبت لها تذكيراً ، فأى معنى لأن يعود فيُنَجِّي على التذكير ، ويُعْضُّ منه ويقول : « ليس هو بفخر للهلال » = هذا يبين التناقض .

فصل

« في حَدَى الحقيقة والمجاز »^(١)

٢٩٧ - وأعلم أن حَدَّ كل واحد من وصفى المجاز والحقيقة إذا كان الموصوف به المفرد ، غيرُ حدّه إذا كان الموصوف به الجملة ، وأنا أبدأ بحدّها في المفرد .

حدّ الحقيقة والمجاز
وما فيه من الشروط

= كلُّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وَضْع واضح = وإن شئت قلت :
في مُواضعة = وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي « حقيقة » . وهذه عبارة تنتظم
الوضع الأول وما تأخر عنه ، كلغةٍ تحدث في قبيلة من العرب ، أو في جميع
العرب ، أو في جميع الناس مثلاً ، أو تحدثُ اليوم ، ويدخل / فيها الأعلام منقولةً
كانت كزيد وعمرو ، أو مرتجلةً كعطفان = وكلُّ كلمة استؤنّف لها على الجملة
مواضعةٌ ، أو ادّعى الاستئناف فيها .

٢٢٤

٢٩٨ - وإنما اشترطُ هذا كله ، لأنّ وصف اللَّفظة بأنها حقيقة أو
مجازٌ ، حُكِّم فيها من حيث إنّ لها دلالةً على الجملة ، لا من حيث هي عربية أو
فارسية ، أو سابقة في الوضع ، أو مُحدثة مولدة . فمن حقّ الحدّ أن يكون
بحيث يجري في جميع الألفاظ الدالّة .

ونظيرُ هذا نظيرُ أن تضع حدّاً للاسم والصفة ، في أنك تضعه بحيث
لو اعتبرت به لغةً غير لغة العرب ، وجدته يجري فيها جريانه في العربية ، لأنك
تحدّ من جهةٍ لا اختصاصَ لها بلغةٍ دون لغة . ألا ترى أن حدّك « الخبر » بأنه

(١) زيادة من مطبوعة رشيد رضا وحدها .

« ما احتمل الصدق والكذب » مما لا يَحْصُرُ لسانًا دون لسان ؟ ونظائر ذلك كثيرة ، وهو أحد ما غَفَلَ عنه الناس ، ودخل عليهم اللبس فيه ، حتى ظنوا أنه ليس لهذا العلم قوانين عقلية ، وأنَّ مسائله مُشْبِهَةٌ باللغة ، في كونها اصطلاحًا يُتَوَهَّمُ عليه النقل والتبديل . ولقد فَحَشَ غَلَطُهُمْ فِيهِ • وليس هذا موضع القول في ذلك .

٢٩٩ - وإن أردت أن تمتحن هذا الحد ، فانظر إلى قولك : « الأسد » ، تريد به السَّبْعَ ، فإنك تراه يُوَدِّي جميع شرائطه ، لأنك قد أردت به ما تعلم أنه وقع له في وضع واضح اللغة . وكذلك تعلم أنه غير مستند في هذا الوقوع إلى شيء غير السَّبْعِ ، أي : لا يحتاج أن يُتَصَوَّرَ له أصلٌ أداه إلى السبع من أجل التباس بينهما وملاحظة . وهذا الحكم إذا كانت الكلمة حادثة ، ولو وُضِعَت اليوم ، متى كان وضعها كذلك ، وكذلك الأعلام . وذلك أتى قلت : « ما وقعت / له في وضع واضح أو مواضعة » على التنكير ، ولم أقل : « في وَضْع الواضع الذي ابتداءً للغة » ، أو « في المواضعة اللغوية » ، فَيُتَوَهَّمُ أن الأعلام أو غيرها مما تأخر وَضَعُهُ عن أصل اللغة يخرج عنه . ومعلوم أن الرجل يُواضِعُ قَوْمَهُ في أسم آبنه ، فإذا سَمَّاه « زيدًا » ، فحاله الآن فيه كحال واضع اللغة حين جعله مصدرًا « لزيد » ، وسَبَقَ واضع اللغة له في وضعه للمصدر المعلوم ، لا يقدح في اعتبارنا ، لأنه يقع عند تسميته به ابنه وقوعًا بآثًا ، ولا تستند حاله هذه إلى السابق من حاله بوجه من الوجوه .

•••

٣٠٠ - وأما المجاز ، فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وَضْع واضعها ، للملاحظة بين الثاني والأول ، فهي مجاز = وإن شئت قلت :

« كل كلمة جُزئت بها ما وقعت له في وَضْع الواضِع إلى ما لم توضع له ، من غير أن تستأنف فيها وضْعًا ، للملاحظة بين ما تُجَوِّزُ بها إليه ، وبين أصلها الذى وُضعت له في وضع واضعها ، فهى « مجاز » .

ومعنى « الملاحظة » : هو أنها تستند فى الجملة إلى غير هذا الذى تريده بها الآن ، إلا أن هذا الاستناد يَقْوَى وَيَضْعُف . يَبَيِّنُ ما مضى من أنك إذا قلت : « رأيت أسدًا » ، تريد رجلًا شبيهاً بالأسد ، لم يشبهه عليك الأمر فى حاجة الثانى إلى الأول . إذ لا يُتَصَوَّرُ أن يقع الأسد للرجل = على هذا المعنى الذى أردته على التشبيه على حدِّ المبالغة ، وإيهام أن معنى من الأسد حصل فيه = إلا بعد أن تجعل كونه أسماً للسمع إزاء عينيك . فهذا استنادٌ تعلمه ضرورةً ، ولو حاولت دفعه عن وهْمك حاولت محالاً . فمتى عُقِلَ فرغ من غير أصل ، ومشبَّه من غير مشبَّه به ؟ وكلُّ ما طريقه التشبيه فهذا سبيله / = أعنى : كل اسم جرى على الشئ للاستعارة ، فالاستناد فيه قائم ضرورةً :

٢٢٦

٣٠١ - وأما ما عدا ذلك ، فلا يَقْوَى استناده هذه القوة ، حتى لو حاول محاول أن ينكره أمكنه فى ظاهر الحال ، ولم يلزمه به خروج إلى المحال . وذلك كاليد للنعمة : لو تكلف متكلف فزعم أنه وضع مستأنف أو فى حكم لغة مفردة ، لم يمكن دفعه إلا برفق وباعتبارٍ خفى ، وهو ما قدمت من أنا رأيانهم لا يوقعون هذه اللفظة على ما ليس بينه وبين هذه الجارحة التباس واختصاص .

٣٠٢ - ودليل آخر ، وهو أن « اليد » لا تكاد تقع للنعمة إلا وفى الكلام إشارة إلى مصدر تلك النعمة ، وإلى المولى لها ، ولا تصلح حيث تراد النعمة مجردة من إضافة لها إلى المنعم أو تلويح به .

اليد مجازًا للنعمة

بيان ذلك : أنك تقول : « اتسعت النعمة فى البلد » ، ولا تقول :

« اتسعت اليد في البلد » ، وتقول : « أَقْتَنَى نِعْمَةً » ، ولا تقول : « اقتنى يدًا » ، وأمثال ذلك تكثر إذا تأملت = وإنما يقال : « جَلَّتْ يَدُهُ عِنْدِي » ، و « كَثُرَتْ أَيْدِيهِ لَدَيَّ » ، فتعلم أن الأصل صنائعُ يده وفوائدهُ الصادرةُ عن يده وآثارِ يده . ومحالُّ أن تكون « اليد » اسمًا للنعمة هكذا على الإطلاق ، ثم لا تقع موقع النعمة . لو جاز ذلك ، لجاز أن يكون المترجم للنعمة باسم لها في لغة أخرى ، واضعًا اسمها من تلك اللغة في مواضع لا تقع النعمة فيها من لغة العرب ، وذلك محالُّ .

مجازات أخرى
« الإصبع »
و « العصا »

٣٠٣ - ونظير هذا قولهم في صفة راعى الإبل : « إن له عليها إصبعا » ،
أى : أثرا حسنا ، وأنشدوا :

ضَعِيفُ الْعَصَا ، بَادِي الْعُرُوقِ ، تَرَى لَهُ عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعًا ^(١)

وأنشد شيخنا رحمه الله مع هذا البيت قول الآخر : ^(٢)

صَلْبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دَمَّاهَا . ^(٣)

٢٢٧

أى : جعلها كالدمى في الحُسن . وكان قوله : « صَلْبُ الْعَصَا » ، وإن كان زيد قول الآخر : « ضَعِيفُ الْعَصَا » ، فإنهما يرجعان إلى غرض واحد ، وهو حُسن الرِّعْيَةِ ، والعمل بما يُصلحها ويحسنُ أثره عليها . فأراد الأول بجعله « ضَعِيفُ الْعَصَا » أنه رفيقٌ بها مُشَفِّقٌ عليها ، لا يقصِد من حمل العصا أن يُوجِعها

(١) هو للراعى في ديوانه المجموع ، مع أبيات .

(٢) لا أدري أى شيخه يريد ، القاضى المجرجاني ، أم ابن أخت أبى على الفارسى .

(٣) هو في اللسان (دمى) و (فى) وغيرهما من كتب اللغة .

بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير ما لأن من العصى ، وأراد الثاني أنه جيد الضبط لها عارف بسياستها في الرعى ، يزجرها عن المراعى التي لا تُحمد ، ويتوخى بها ما تسمن عليه ، ويتضمن أيضاً أنه يمنعها عن التشرد والتبؤد = وأنها ، لما عرفت من شدة شكيمته وقوة عزيمته ، تنساق وتستوسق في الجهة التي يريدتها ، من غير أن يجدد لها في كل حال ضرباً .

وقال آخر :

[من الرجز]

صَلْبُ الْعَصَا جَافٍ عَنِ التَّغْزَلِ .^(١)

فهذا لم يبين ما بينه الآخر = وأعود إلى الغرض .

٣٠٤ - فأنت الآن لا تشكُّ أن « الإصبع » مشارٌ بها إلى إصبع اليد ، وأن وقوعها بمعنى الأثر الحسن ، ليس على أنه وضعٌ مستأنفٌ في إحدى اللغتين .^(٢) ألا تراهم لا يقولون : « رأيت أصابع الدار » ، بمعنى : آثار الدار = و « له إصبع حسنة » ، و « إصبع قبيحة » ، على معنى : أثر حسن وأثر قبيح ونحو ذلك ، وإتما أرادوا أن يقولوا : « له عليها أثرٌ حذيق » ، فدُلُّوا عليه بالإصبع ، لأن الأعمال الدقيقة لها اختصاص بالأصابع ، وما من حذيق في عمل يدٍ إلا وهو مستفاد من حسن تصريف / الأصابع ، واللطف في رفعها ووضعها ، كما تعلم في الخط والنقش وكل عمل دقيق . وعلى ذلك قالوا في تفسير قوله عز وجل : (بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) [سورة القيامة : ٤] ، أى : نجعلها كحُفِّ البعير فلا تتمكن من الأعمال اللطيفة .

٢٢٨

(١) هو لأبي النجم في ديوانه المجموع . وفي الطرائف الأدبية لأستاذنا الراجكوتى رحمه الله .

(٢) في المخطوطة ومطبوعة ريتز « في حدِّ اللغتين » ، وأثبت ما في إحدى مخطوطات ريتز ،

وما في مطبوعة رشيد رضا ، لأنه أوضح .

فكما علمت ملاحظة « الإصبع » لأصلها ، وامتناع أن تكون مستأنفةً بأنك رأيتها لا يصح استعمالها حيث يراد الأثر على الإطلاق ، ولا يُقصد الإشارة إلى حذيق في الصنعة ، وأن يُجعل أثر الإصبع إصبعاً = كذلك ينبغي أن تعلم ذلك في « اليد » لقيام هذه العلة فيها ، أعني : أن لم يُجعل أثر اليد يداً ، لم تقع للنعمة مجردة من هذه الإشارات ، وحيث لا يتصور ذلك كقولنا : « أقتني نعمة » ، فأعرفه .

•••

٣٠٥ - ويُشبه هذا في أن عُبر عن أثر اليد والإصبع باسمهما ، مجاز الخاتم ، وضعهم الخاتم موضع الختم كقولهم : « عليه خاتم الملك » ، و « عليه طابع من الكرم » ، والمحصول أثر الخاتم والطابع ، قال : [من الطويل]

وقلن حراماً قد أحل برئنا وتترك أموال عليها الخواتم^(١)

وكذا قول الآخر : [من الوافر]

إذا فضت خواتمها وفكت يقال لها دم الودج الذبيح^(٢)

وأما تقدير الشيخ أبي علي في هذين البيتين حذف المضاف ،^(٣) وتأويله على معنى : « وتترك أموال عليها نقش الخواتم » و « إذا فضت خواتمها » ، فبيان لما يقتضيه الكلام من أصله ، دون أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرت

(١) لم أعرف قائله . وفي المخطوطة والمطبوعتين : « قد أحل برئنا » بالحاء المهملة ، وهو خطأ : يقال : « حل الرجل ، وأحل به » ، إذا افتقر وذهب ماله واحتاج .

(٢) هو لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه (شرح أشعار الهذليين) ، ومراجعته هناك . و « الذبيح » ، مرفوع ، ومعناه المشقوق ، وإنما الذبيح هو الودج ، والبيت في صفة الخمر حين يفض دنها عنها .

(٣) « أبو علي » ، هو أبو علي الفارسي .

من جعل أثر الخاتم حائماً . وأنت إذا نظرت إلى الشعر من جهته الخاصة به ، وذقته بالحاسة المهيأة لمعرفة طعمه ، لم تشك في أن الأمر على ما أشرت لك إليه .
ويبدل / على أن المضاف قد وقع في المنسأة ، ^(١) وصار كالشريعة المنسوخة ،
تأنيث الفعل في قوله : « إذا فضت خواتمها » ، ولو كان حكمه باقياً لذكرت
الفعل كما تذكّره مع الإظهار ، ولاستقصاء هذا موضع آخر .

٢٢٩

٣٠٦ - وينظر إلى هذا المكان قولهم : « ضربته سوطاً » ، لأنهم عبروا
عن الضربة التي هي واقعة بالسوط بأسمه ، وجعلوا أثر السوط سوطاً . وتعلم على
ذلك أن تفسيرهم له بقولهم : إن المعنى : « ضربته ضربةً بسوطٍ » ، بيان لما كان
عليه الكلام في أصله ، وأن ذلك قد نسي ونسخ ، وجعل كأن لم يكن ، فأعرفه .

عجاز السوط

٣٠٧ - وأما إذا أريد باليد القدرة ، فهي إذن أحن إلى موضعها الذي
بدئت منه ، وأصب بأصلها ، ^(٢) لأنك لا تكاد تجدها تُراد معها القدرة ، إلا
والكلام مثل صريح ، ومعنى القدرة منتزَع من « اليد » مع غيرها ، أو هناك
تلويح بالممثل .

عودة إلى عجاز اليد

فمن الصريح قولهم : « فلان طويل اليد » ، يراد : فضل القدرة ، فأنت
لو وضعت القدرة ههنا في موضع اليد أحلت ، كما أنك لو حاولت = في قول
النبي ﷺ وقد قالت له نساؤه ﷺ : « أينما أسرع لحاقاً بك يا رسول الله ؟

(١) « المنسأة » ، « مفعلة » من « النسيان » ، إن لم يكن محرفاً عن « النسوة » وهو مصدر

كالنسيان ، ويدل على صواب ذلك ما في الفقرة التالية في قوله : « وأن ذلك قد نسي ونسخ » .

(٢) « أصب » ، أشد صبابة وميلاً وشوقاً .

فقال : « أَطَوْلُكُمْ يَدًا » ، ^(١) يريد السخاء والجود وَيَسْطُ الْيَدِ بِالْبَدَلِ = ^(٢) أن تضع موضع « اليد » شيئاً مما أريد بهذا الكلام ، خرجت عن المعقول . وذلك أن الشبه مأخوذاً من مجموع الطول واليد مضافاً ذاك إلى هذه ، فطلبه من « اليد » وحدها طلب الشيء على غير وجهه .

٣٠٨ - ومن الظاهر في كون الشبه مأخوذاً ما بين « اليد » وغيرها قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدُّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [سورة الحجرات : ١] ، المعنى : على أنهم أمروا باتباع الأمر ، فلما كان المتقدم بين يدي الرجل خارجاً / عن صفة المتابع له ، ضرب جملة هذا الكلام مثلاً للاتباع في الأمر ، فصار النهي عن التقدم متعلقاً باليد نهياً عن ترك الاتباع . فهذا مما لا يخفى على ذي عقل أنه لا تكون فيه « اليد » بانفرادها عبارة عن شيء ، كما قد يتوهم أنها عبارة عن النعمة ومتاولة لها ، كالوضع المستأنف ، حتى كأن لم تكن قط اسم جارحة .

٣٠٩ - وهكذا قول النبي ﷺ : « الْمُؤْمِنُونَ تَنَكَّافُوا دِمَائِهِمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ » ، ^(٣) المعنى : وإن كان على قولك : « وَهُمْ عَوْنٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ » ، فلا تقول : إن « اليد » بمعنى : العون حقيقة ،

(١) رواه البخارى في كتاب الزكاة ، « باب » (الفتح ٣ : ٢٢٦) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، « باب فضل زينب أم المؤمنين » ، والنسائي في كتاب الزكاة « باب فضل الصدقة » ، جميعاً من طريق عائشة أم المؤمنين .

(٢) السياق : « كما أنك لو حاولت ... أن تضع » .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الجهاد ، « باب في السرية ترد على أهل العسكر » ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص . ورواه في كتاب الديات « باب أيقاد المسلم بالكافر » ، من حديث علي رضي الله عنه ، ورواه النسائي في كتاب القسامة ، « باب سقوط القود من المسلم والكافر » ، من حديث علي أيضاً .

بل المعنى : أن مَثَلَهُمْ مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم ، مَثَلُ اليد الواحدة ، فكما لا يُتصوَّر أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً ، وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين ، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم ، فلذلك كانوا كنفس واحدة . فهذا كله مما يعترف لك كل أحد فيه ، بأن « اليد » على انفرادها لا تقع على شيء ، فَيُتَوَهَّمُ لها نقلٌ من معنى إلى معنى على حدِّ وضع الاسم واستثناؤه .

٣١٠ - فأما ما تكون « اليد » فيه للقدرة على سبيل التلويح بالمثَل دون التصريح ، ^(١) حتى ترى كثيراً من الناس يُطلق القول : إنها بمعنى القدرة ، ويُجرىها مجرى اللفظ يقع لمعنيين ، فكقوله تعالى : (وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) [سورة الزمر : ٦٧] ، تراهم يُطلقون « اليمين » بمعنى : القدرة ، ويصلون إليه قول الشماخ :

مجاز « اليمين »
و « اليد »

إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ ^(٢)

كما فعل أبو العباس في الكامل ، ^(٣) فإنه أنشد البيت ثم قال : « قال أصحاب المعاني : معناه : بالقوة » ، وقالوا مثل ذلك في قوله تعالى : / (وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) .

٢٣١

وهذا منهم تفسيرٌ على الجملة ، وقصدٌ إلى نفي الجارحة بسرعة ، خوفاً

(١) انظر أول الفقرة : ٣٠٧ .

(٢) هو له في ديوانه .

(٣) في الكامل ١ : ١٦٧ . (طبعة محمد أحمد الدالي ، دمشق) .

على السامع من حَطَرَاتٍ تقع للجُهَّال وأهل التشبيه جلّ الله وتعالى عن شبه المخلوقين = ولم يقصدوا إلى بيان الطَّرِيقَة والجهة التي منها يُحصَل على القُدرة والقوة . وإذا تأملت علمت أنه على طريقة المثل .

= وكأنا نعلم في صَدْر هذه الآية وهو قوله عز وجل : (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [الزمر: ٦٧] ، أن محمول المعنى على القدرة ، ثم لا نستجيز أن نجعل القبضة أسماً للقدرة ، بل نصير إلى القدرة من طريق التاويل والمثل ، فنقول : إنَّ المعنى = والله أعلم = أن مَثَل الأرض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته ، وأنه لا يشدّ شيءٌ مما فيها عن سلطانه عزّ وجلّ ، مَثَل الشيء يكون في قبضة الآخذ له مِنَّا والجامع يده عليه .

= كذلك حقنا أن نسلك بقوله تعالى : (مَطُورَاتٍ بِيَمِينِهِ) هذا المسلك ، فكأنَّ المعنى = والله أعلم = أنه عزّ وجلّ يخلق فيها صفة الطي حتى تُرى كالكتاب المطويّ بيمين الواحد منكم ، وخصَّ « اليمين » لتكون أعلى وأفخم للمثل .

وإذا كنت تقول : « الأمرُ كُلُّه لله » ، فتعلم أنه على سبيل أن لا سلطان لأحد دونه ولا استبداد = وكذلك إذا قلت للمخلوق : « الأمر بيدك » ، أردت المثل ، وأنَّ الأمر كالشيء يحصل في يده من حيث لا يمتنع عليه .

= فما معنى التوقّف في أن « اليمين » مَثَل ، وليست باسم للقدرة ، وكاللغة المستأنفة ؟ ومن أين يُتصوّر ذلك وأنت لا تراها تصلح حيث لا وجه للمثل والتشبيه ؟ فلا يقال : « هو عظيم اليمين » ، بمعنى عظيم القدرة ، و « قد عرفتُ يمينك على هذا » ، كما تقول : « عرفتُ قدرتك » .

وهكذا شأن البيت ، (١) إذا أحسنت النظر وجدته = إذا لم تأخذه من طريق المثل ، ولم تأخذ المعنى من مجموع التلقى / واليمين على حد قولهم : « تقبلته بكلتا اليدين » ، وكقوله :

ولكن تَلَّقْتُ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانَتِي وَمَلَّ بِفَلْجٍ فَالْقِنَافِدِ عُوْدِي (٢)
وقبل هذا البيت :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءَ ثَوِيَّهَا حَلِيمَةً ، إِذْ أَلْقَى مَرَاسِيَّ مُقْعِدِ = (٣) وهو يشكوك إلى طبع الشعر ، ورأيت المعنى يتألم ويتظلم .
وإن أردت أن تختبر ذلك فقل :

إذا ما راية رُفِعَتْ لمجد تلقاها عرابةً باقتدارٍ

ثم انظر ، هل تجد ما كنت تجد ، إن كنت ممن يعرف طعم الشعر ، ويفرق بين التفه الذي لا يكون له طعم وبين الحلو اللذيذ ؟

ومما يبين ذلك من جهة العبارة : أن الشعر كما تعلم لمدح الرجل بالجوهر والسخاء ، لأنه سأل الشماخ عما أقدمه ؟ فقال : « جئت لأمتار » ، (٤) فأوقر

(١) يعنى بيت الشماخ السالف .

(٢) هو لأوس بن حجر في ديوانه ، يذكر فضل حليلة بنت فضالة بن كلفة ، ويدها عليه حين صرعه ناقته . وشرح البيهقي على ترتيبهما . « القواء » الإقامة . و « الثوى » الضيف المقيم . و « ألقى مراسي مقعد » ، يريد حين استقر عندها لا يقدر على الحركة . و « الضمانة » العاهة والناء . و « فلج » و « القنافة » موضعان . و « العود » جمع « عائد » ، وهو الذي يعود المريض .

(٣) السياق : « وهكذا شأن البيت إذا أحسنت النظر ، وجدته = إذا لم تأخذه من طريق المثل ... = وهو يشكوك ... » .

(٤) « امتار » خرج مجلب المرة لأهله ، و « الجيرة » ، الطعام .

رواحله تمرًا ووبرًا وأثحفه بغير ذلك . (١) وإذا كان كذلك ، كان المجدُّ الذي تطاول له ومدَّ إليه يده ، من المجد الذي أرادَه أبو تمام بقوله : [من الوافر]

تَوَجَّعُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَحِيفًا كَأَنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُ بِالصَّرْعِ (٢)

ولو كان في ذكر البأس والبطش وحيث تراد القوة والشدَّة ، لكان حَمْلُ اليمين على صريح القوَّة أشبه ، وبأن يقع منه في القلب معنَى يَتَمَسَّكَ أَجْدَر . فإن قال : أراد تلقاها بجدِّ وقوَّة رغبة = قيل فينبغي أن يضع اليمين في مثل هذه المواضع . ومن التزم ذلك فالسكوت عنه أحسن . وما زال الناس يقولون للرجل إذا أرادوا حثَّه على الأمر ، وأن يأخذ فيه بالجدِّ : « أخرج يدك اليمنى ! » ، وذلك أنها أشرف اليدين وأقواهما ، والتي لا غناء للأخرى دونها ، فلا عُنى / إنسان بشيء إلا بدأ يمينه فهيأها لتيِّله . ومتى ما قصلوا جعل الشيء في جهة العناية ، جعلوه في اليد اليمنى ، وعلى ذلك قول البحترى :

وإنَّ يدي ، وَقَدْ أَسْتَدَّتْ أَمْرِي إِلَيْهِ الْيَوْمَ ، فِي يَدِكَ الْيَمِينِ (٣)

= « إليه » ، يعنى إلى يونس بن بُغا ، وكان حَظِيًّا عند المملوح ، وهو المعتر بالله . ولو أن قائلًا قال :

إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ مَدَدَتْ لَهَا الْيَمِينَا

= لم تره عادلاً باليمين عن الموضع الذي وَضَعَهَا الشَّمَاخُ فِيهِ .

ولو أن هذا التأويل منهم كان في قول سُلَيْمَانَ بْنِ قَتَّةِ الْعَدَوِيِّ : [من الوافر]

(١) « أوقر الراحلة » أى حملها وقرأ ، أى حملًا ثقيلًا .

(٢) هو في ديوانه .

(٣) هو في ديوانه .

- بني تميم بن مرة إن ربي كَفَانِي أَمْرَكُمْ وَكَفَاكُمُونِي (١)
 فَحْيُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ ، فَإِنِّي شَدِيدُ الْفَرْسِ لِلضَّغِينِ الْحَرُونِ (٢)
 يُعَانِي فَقَدَكُمْ أَسَدٌ مُدِلٌّ شَدِيدُ الْأَسْرِ يَضْبُثُ بِالْيَمِينِ (٣)

= لكان أعنر فيه ، لأن المدح مدح بالقوة والشدة . وعلى ذلك فإن
 اعتبار الأصل الذي قدمت ، وهو أنك لا ترى « اليمين » حيث لا معنى لليد ،
 يقف بنا على الظاهر ، كأنه قال : إذا ضبث ضبث باليمين .
 ومما يبين موضوع بيت السماخ ، إذا اعتبرت به ، قول الخنساء :

[من المقارب]

- إِذَا الْقَوْمُ مَلُّوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا (٤)
 فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَجْدِ ، ثُمَّ مَضَى مُصْعِدًا

إذا رجعت إلى نفسك ، لم تجد فرقًا بين أن يمدد إلى المجد يدًا ، وبين أن
 يتلقى رايته باليمين . وهذا = إن أردت الحق = أبين من أن تحتاج فيه إلى فضل
 قول . إلا أن هذا الضرب من الغلط ، كالداء اللوي ، حقه أن يستقصى في
 الكى عليه والعلاج منه ، فجنايته على معاني / ما شرف من الكلام عظيمة ،
 وهو مادة للمتكلمين في التأويلات البعيدة والأقوال الشنيعة .

•••

- (١) غابت عنى هذه الآيات ، وسليمان بن قتيبة العلوي ، مول « تيم قريش » تيم بن مرة بن
 كعب بن لؤي .
 (٢) « الفرس » مصدر « فرس الأسد الفريسة » ، دق عنقها . و « الضغن » ، المنطوى على
 الضغن ، وهو الحقد . و « الحرون » ، الصعب لا ينقاد .
 (٣) « أسد مدل » ، جرى يدل بجرأته . و « الأسر » ، شدة الخلق . و « يضبث » من « ضبث
 بالشئ » ، إذا أخذه وقبض عليه بقوة .
 (٤) هو في ديوانها .

مجاز القلب ،

٣١١ - ومثَّل من تَوَقَّف في التفات هذه الأسمى إلى معانيها الأول ،
وظنَّ أنها مقطوعةٌ عنها قطعاً يرفع الصلةَ بينها وبين ما جازت إليه ، مثلُ مَنْ إذا
نظر في قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) [سورة ق : ٣٧] ،
فرأى المعنى على الفهم والعقل = ^(١)أخذه ساذجاً وقَبِله غَفلاً ، وقال : « القلب ،
ههنا بمعنى : العقل » = وترك أن يأخذه من جهته ، ويدخُل إلى المعنى من طريق
المَثَل فيقول : « إته حين لم ينتفع بقلبه ، ولم يفهم بعد أن كان القلب للفهم ،
جُعِل كأنه قد عديم القلب جملةً وتُخلع من صدره خَلعاً ، كما جُعِل الذى لا يعى
الحكمة ولا يُعمل الفكر فيما تُدرکه عَيْنه وتسمعه أُذنه ، كأنه عادمٌ للسمع
والبصر ، وداخلٌ في العمى والصمم » = ^(٢)ويذهبُ عن أن الرجل إذا قال :
« قد غاب عنى قلبى » ، و « ليس يحضرنى قلبى » فإنه يريد أن يُخَيَّل إلى
السامع أنه قد فقد قلبه ، دون أن يقول : « غابَ عنى علمى وعزبَ عقلى » ،
وإن كان المرجع عند التحصيل إلى ذلك ، كما أنه إذا قال : « لم أكن ههنا » ،
يريد شدةً غفلته عن الشيء ، فهو يضع كلامه على تخييل أنه كان غاب هكذا
بجملته وبذاته ، دون أن يريد الإخبار بأنَّ علمه لم يكن هناك .

بيان عن دخول
الشبهة على الإنسان

٣١٢ - وغرضى بهذا أن أُعَلِّمك أن مَنْ عَدَلَ عن الطريقة في الخَفِيِّ ،
أفضى به الأمر إلى أن يُنكر الجليَّ ، وصار من دَقِيق الخطأ إلى الجليل ، ومن
بعض الانحرافات إلى ترك السبيل . والذى جلب التَّخْلِيط والخَبْط الذى تراه في
هذا الفن ، أنَّ الفرقَ بين أن يكون الشُّبُه مأخوذاً من الشيء وحده ، وبين أن /

٢٣٥

(١) السياق : « مَثَل مَنْ إذا نظر في قوله تعالى ... أخذه ساذجاً ... » .

(٢) السياق : « وقال القلب ههنا بمعنى العقل ، ... ، ويذهب عن أن الرجل ... » ، عطف جملة

يُؤخذ ما بين شيئين ، ويُنتزع من مجموع كلام ، هو كما عرفتُك = في الفرق بين الاستعارة والتشليل = ^(١) باب من القول تدخل فيه الشبهة على الإنسان من حيث لا يعلم ، وهو من السهل الممتنع ، يُريك أن قد أنقاد وبه إباءً ، ويؤهلك أن قد أثرت فيه رياضتك وبه بقية شماس . ^(٢)

التخليط في التأويل

٣١٣ - ومن خاصيته أنك لا تفرق فيه بين الموافق والمخالف ، والمعترف به والمُنكر له ، فإنك ترى الرجل يُوافقك في الشيء منه ، ويُقرُّ بأنه مثل ، حتى إذا صار إلى نظير له خلط : إما في أصل المعنى ، وإما في العبارة .
= فالتخليط في المعنى كما مضى ، من تأول اليمين على القوة ، وكذكرهم أن القلب في الآية بمعنى العقل ، ثم عدَّهم ذلك وجهًا ثانيًا .

= والتخليط في العبارة ، كنعو ما ذكره بعضهم في قوله : [من المقارب]
هو عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها ^(٣)

فإنه استشهد به في تأويل خبر جاء في عظم الثواب على الزكاة إذا كانت

(١) مضى ذلك في رقم : ١٩٨ وما بعدها .

(٢) « الشماس » ، مصدر : « شمسَت الدابة » ، شردت وجمحت ومنعت ظهرها .

(٣) هذا أحد بيتين ، ثانيهما :

فليس بأتيك منهيها ولا قاصير عنك مأمورها

وهما للأعور الشنّي (تايبي مسن ، أو مخضرم) ، ذكرهما سيبويه له ١ : ٣١ ، والحامسة البصرية رقم : ٦٢٥ ، وهما في شرح شواهد المعنى للبغدادي ٣ : ٢٦٩ - ٢٧٥ ، والسيوطي أيضًا : ١٤٦ ، ٢٩٥ ، واستشهد بالأول في الخزانة ١٠ : ١٤٨ ، والثاني فيها ٤ : ١٣٦ ، وكتاب العمدة ، نسبها لعمر بن الخطاب ، ثم قال : « يقال هما للأعور الشنّي » ، ونقل البغدادي عن البيهقي في الأسماء والصفات بإسناده أن عمر كان يكثر إنشادهما على المنبر ، دون نسبة ، وفي أنساب الأشراف (٥ : ٣٦٢) أن عبد الله بن الزبير حين كان المنجنيق يجيئه ، فيقال له : تنع ، فينشد البيتين . ونسبهما صاحب العقد (٣ : ٢٠٧) لابن أبي حازم ، ولا أعلم من هو الآن . وذكر البيت الأول الجاحظ في رسالة النصاري (رسائل الجاحظ ٣ : ٣٣٧) ، فظن الأستاذ عبد السلام هرون أن ما في العقد خطأ ، وأن الشعر لمحمد ابن حازم بن عمرو الباهلي ، وهو متأخر في الدولة العباسية . فمحال أن ينشدهما عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير ، وأن يستشهد بهما سيبويه في كتابه . وقال البغدادي في شرح شواهد المعنى : « رأيتهما في ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » . والصواب هو الأول ، للأعور الشنّي .

من الطيب ثم قال : (١) « الكفُّ ههنا بمعنى : السلطان والمُلك والقدرة ، قال : وقيل الكف ههنا بمعنى : النعمة » اهـ . والخبر هو ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ : « إنَّ أحدكم إذا تصدَّق بالتمرَّة من الطيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - جعل الله ذلك في كفه ، فيريها كما يريي أحدكم فلوَّه حتى يبلغ بالتمرَّة مثل أحد » ، (٢) . ما يُظنُّ بمن نَظَر في العربية يوماً أن يتوهَّم أن « الكفِّ » يكون على هذا الإطلاق ، وعلى الانفراد ، بمعنى السلطان والقدرة والنعمة ، ولكنه أراد المثل فأساء العبارة ، إلا أن من سوء العبارة ما أثار التقصير فيه أظهر ، وضرره / على الكلام أبين .

٢٣٦

وأستقصاء هذا الباب لا يتم حتى يُفرد بكلام ، والوجه الرجوع إلى الغرض . ويجب أن تعلم قبل ذلك أن خلاف من خالف في « اليد » و « اليمين » ، وسائر ما هو مجاز لا من طريق التشبيه الصريح أو التمثيل ، لا يقدر فيما قدِّمت من حدِّ الحقيقة والمجاز ، لأنه لا يخرج في خلافه عن واحد من الاعتبارين ، فمتى جعل « اليمين » على انفرادها تُفيد القوة ، فقد جعلها حقيقةً ، وأغناها عن أن تستند في دلالتها إلى شيء = وإن اعترف بضرب من الحاجة إلى الجارحة والنظر إليها ، فقد وافق في أنها مجاز . وكذا القياس في الباب كله ، فأعرفه .

(١) لم أعرف قائله .

(٢) حديث أبي هريرة بنحو ما هو هنا في البخارى ، كتاب الزكاة ، « باب الصدقة من الكسب الطيب » ، (الفتح ٣ : ٢٢٠ - ٢٢٢) وفي كتاب التوحيد ، « قوله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه » ، (الفتح ١٣ : ٣٥٢ ، ورواه مسلم في كتاب الزكاة ، « باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ») ، ثم كثير من دواوين السنة . و « الفلُّو » و « الفلُّو » ، المهر إذا فطم .

فصل

« في المجاز العقلي والمجاز اللغوي والفرق بينهما » (١)

٣١٤ - والذي ينبغي أن يُذكر الآن : حدُّ الجملة في الحقيقة والمجاز ،
 إلا أنك تحتاج أن تعرف في صدر القول عليها ومقدمته أصلاً ، وهو المعنى الذي
 من أجله اختُصَّت الفائدة بالجملة ، ولم يجز حصولها بالكلمة الواحدة ، كالاسم
 الواحد ، والفعل من غير اسم يُضَمُّ إليه . والعلة في ذلك أن مدار الفائدة في
 الحقيقة على الإثبات والنفي ، ألا ترى أن « الخبر » أول معاني الكلام وأقدمها ،
 والذي تستند سائر المعاني إليه وتترتب عليه ؟ وهو ينقسم إلى هذين الحكمين .
 وإذا ثبت ذلك ، فإن الإثبات يقتضى مُثَبِّتًا ومُثَبَّتًا له ، نحو أنك إذا قلت :
 « ضَرَبَ زيدٌ » أو « زيدٌ ضارِبٌ » ، فقد أثبتَّ الضربَ فعلاً أو وصفاً لزيد =
 وكذلك النفي يقتضى مَنفِيًّا ومَنفِيًّا عنه ، فإذا قلت : « ما ضَرَبَ زيدٌ » و « ما زيدٌ
 ضارِبٌ » ، ففقه نفيت الضرب عن زيد وأخرجته عن أن يكون فعلاً له . فلما
 كان الأمر كذلك احتيج إلى شيئين / يتعلَّق الإثبات والنفي بهما ، فيكون أحدهما
 مُثَبِّتًا والآخر مُثَبَّتًا له = وكذلك يكون أحدهما مَنفِيًّا والآخر مَنفِيًّا عنه . فكان
 ذاك الشيطان : المتبداً والخبر ، والفعل والفاعل . وقيل للمثبت والمنفي « مُسَنَّدٌ »
 و « حديثٌ » ، وللمثبت له والمنفي عنه « مُسَنَّدٌ إليه » و « محدثٌ عنه » . وإذا
 رُمَّت الفائدة أن تحصل لك من الاسم الواحد أو الفعل وحده ، صرت كأنك
 تطلب أن يكون الشيء الواحد مُثَبِّتًا ومُثَبَّتًا له ، ومَنفِيًّا ومَنفِيًّا عنه ، وذلك محال .

حد الجملة في
 الحقيقة والمجاز

٢٣٧

(١) هذه الزيادة من مطبوعة رشيد رضا وحدها .

٣١٥ - فقد حصل من هذا أن لكل واحد من حكمى الإثبات حاجة حكم الإثبات والنفي حاجة إلى أن تُقيده مرتين ، وتُعلقه بشيئين .

تفسير ذلك : أنك إذا قلت : « ضرب زيد » ، فقد قصدت إثبات الضرب لزيد . فقولك : « إثبات الضرب » ، تقييدٌ للإثبات بإضافته إلى الضرب = ثم لا يكفيك هذا التقييد حتى تُقيده مرةً أخرى فتقول : « إثبات الضرب لزيد » ، فقولك : « لزيد » ، تقييدٌ ثانٍ وفي حكم إضافة ثانية . وكذا لا يتصور أن يكون ههنا إثباتٌ مطلقٌ غيرٌ مقيدٌ بوجه = أعنى أن يكون إثباتٌ ولا مُثبتٌ له ولا شيءٌ يُقصدُ بذلك الإثبات إليه ، لا صفةٌ ولا حكمٌ ولا موهومٌ بوجه من الوجوه = كذلك لا يتصور أن يكون ههنا إثباتٌ مقيدٌ تقييدًا واحدًا ، نحو إثبات شيءٍ فقط ، دون أن تقول : « إثبات شيءٍ لشيءٍ » ، كما مضى من إثبات الضرب لزيد . والنفي بهذه المنزلة ، فلا يتصور نفيٌ مطلقٌ ، ولا نفيٌ شيءٍ فقط ، بل تحتاج إلى قيدين كقولك : « نفيٌ شيءٍ عن شيءٍ » .

فهذه هي القضية المُبرمة الثابتة التي تزول الراسيات ولا تزول . ولا تنظر إلى قولهم : « فلان يُثبت كذا » ، أى : يدعى أنه موجود ، و « ينفي كذا » ، أى : يقضى بَعْدَمه / كقولنا : « أبو الحسن يثبت مثال جُحْدَب بفتح الدال ، وصاحب الكتاب ينفيه » ، لأن الذى قصدته هو الإثبات والنفي فى الكلام .

٢٣٨

٣١٦ - ثم أعلم أن فى الإثبات والنفي بعد هذين التقييدين حكمًا آخر : هو كتقييد ثالث ، وذلك أن للإثبات جهةً ، وكذلك النفي . ومعنى ذلك : أنك تُثبت الشيء للشيء مرةً من جهة ، وأخرى من جهة غير تلك الأولى .

إثبات الشيء للشيء
فعلًا أو وصفًا

وتفسيره : أنك تقول : « ضرب زيد » ، فثبت الضرب فعلاً لزيد .
وتقول : « مَرِضَ زيد » ، فثبت المَرَضَ وصفاً له ، وهكذا سائر ما كان من
أفعال الغرائز والطباع ، وذلك في الجملة على ما لا يوصف الإنسان بالقدرة
عليه ، نحو : كَرُمَ وظَرْفٌ وحَسُنَ وقَبِحَ وطَالَ وقَصُرَ . وقد يُتصوَّرُ في الشيء
الواحد أن تُثبته من الجهتين جميعاً ، وذلك في كل فعلٍ دَلَّ على معنى يفعله
الإنسان في نفسه نحو : « قام » و « قعد » . إذا قلت : « قام زيد » ، فقد أثبت
القيام فعلاً له من حيث تقول : « فَعَلَ القيام » و « أمرته بأن يفعل القيام » ،
وأثبتته أيضاً وصفاً له من حيث أن تلك الهيئة موجودة فيه ، وهو في اكتسابه لها
كالشخص المنتصب ، والشجرة القائمة على ساقها التي توصف بالقيام ، لا من
حيث كانت فاعلةً له ، بل من حيث كان وصفاً موجوداً فيها .

...

٣١٧ - وإذا قد عرفت هذا الأصل ، فهنا أصل آخر يدخل في
غرضنا : وهو أن الأفعال على ضربين : « متعدّ » و « غير متعدّ » ، فالمتعدى على
ضربين :

المتعدى وغير المتعدى
من الأفعال

ضربٌ يتعدى إلى شيءٍ هو مفعول به ، كقولك : « ضربتُ زيداً » ، « زيداً »
مفعولٌ به ، لأنك فعلت به الضرب ولم يفعله بنفسه .

وضربٌ يتعدى إلى شيءٍ هو مفعول على الإطلاق ، وهو في الحقيقة
« كَفَعَلَ » وكلُّ ما كان مثله في كونه عاماً غير مشتق من معنى خاصّ
« كَصَنَعَ ، وَعَمِلَ / ، وَأَوْجَدَ ، وَأُنْشَأَ » . ومعنى قولي : « من معنى خاصّ » ، أنه
ليس « كضرب » الذي هو مشتق من « الضرب » أو « أَعْلَمَ » الذي هو مأخوذ
من العلم . وهكذا كل ما له مصدرٌ ، ذلك المصدرُ في حُكْم جنس من المعاني .

فهذا الضَرْبُ إذا أُسند إلى شيءٍ كان المنصوبُ له مفعولاً لذلك الشيء على الإطلاق ، كقولك : « فعل زيدُ القيامَ » ، فالقيام مفعولٌ في نفسه وليس بمفعول به .
وأحقُّ من ذلك أن تقول : « خلَقَ اللهُ الأناسيَّ ، وأنشأَ العالمَ ، وخلق الموتَ والحياةَ » ، والمنصوب في هذا كله مفعول مطلق لا تقييد فيه ، إذ من المحال أن يكون معنى : « خلقَ العالمَ » « فَعَلَّ الخلقَ به » ، كما تقول في « ضربتُ زيدًا » « فعلتُ الضربَ بزید » ، لأن « الخَلْقَ » من « خَلَقَ » « كالفعل » من « فَعَلَ » ، فلو جاز أن يكون المخلوق كالمضروب ، لجاز أن يكون المفعول في نفسه كذلك ، حتى يكون معنى : « فَعَلَ القيامَ » « فعل شيئاً بالقيام » ، وذلك من شنيع المُحال .

٣٢٠ - وإذ قد عرفت هذا ، فأعلم أن الإثبات في جميع هذا الضرب الإثبات فيما منصوبه مفعول وليس مفعولاً به = أعنى فيما منصوبه مفعولٌ ، وليس مفعولاً به يتعلق بنفس المفعول . فإذا قلت : « فعل زيدُ الضربَ » ، كنت أثبتُّ الضربَ فعلاً لزيد ، وكذلك تُثبت « العالمَ » في قولك : « خلقَ اللهُ العالمَ » ، خَلَقًا اللهُ تعالى . ولا يصحُّ في شيء من هذا الباب أن تُثبت المفعول وصفاً ألبتة ، وتوهم ذلك خطأً عظيمٌ وجهلٌ نعوذُ بالله منه .
وأما الضرب الآخر : وهو الذي منصوبه مفعولٌ به ، فإنك تُثبت فيه المعنى الذي اشتقُّ منه فَعَلَ فعلاً للشيء ، كإثباتك الضربَ لنفسك في قولك : « ضربتُ زيدًا » ، فلا يُتصوَّر أن يلحق الإثبات مفعوله ، لأنه إذا كان مفعولاً به ، ولم يكن فعلاً لك ، / استحال أن تُثبته فعلاً ، وإثباته وصفاً أبعدُ في الإحالة .
فأما قولنا في نحو : « ضربتُ زيدًا » ، إنك أثبتتُ زيدًا مضروباً ، فإن ذلك يرجع إلى أنك تُثبت الضربَ واقعاً به منك ، فأما أن تُثبت ذاتَ زيد لك ،

٢٤٠

فلا يُتصوّر ، لأن الإثبات كما مضى لا بدّ له من جهة ، ولا جهة ههنا . وهكذا إذا قلت : « أحيًا الله زيدًا » ، كنت في هذا الكلام مُثَبِّتًا للحياة فعلاً لله تعالى في زيد ، فأما ذات زيد ، فلم تُثبتها فعلاً لله بهذا الكلام ، وإنما يتأتى لك ذلك بكلام آخر ، نحو أن تقول : « خلق الله زيدًا » و « وأوجدته » وما شاكله ، مما لا يُشتق من معنى خاصّ كالحياة والموت ونحوهما من المعاني .

٣١٨ - وإذا قد تقرّرت هذه المسائل ، فينبغي أن تعلم أن من حَقَّك إذا أردت أن تقضى في الجملة بمجاز أو حقيقة ، أن تنظر إليها من جهتين : إحداهما : أن تنظر إلى ما وقع بها من الإثبات ، أهو في حقه وموضعه ، أم قد زال عن الموضوع الذى ينبغى أن يكون فيه ؟

المجاز بدخوله من طريق الإثبات أو المثبت

والثانية : أن تنظر إلى المعنى المُثَبَّت = أعنى : ما وقع عليه الإثبات ، كالحياة في قولك : « أحيًا لله زيدًا » ، والشيب في قولك : « أشاب الله رأسى » ، = أثابت هو على الحقيقة ، أم قد عُدل به عنها ؟

وإذا مُثِّل لك دخول المجاز على الجملة من الطريقتين ، عرفت ثباتها على الحقيقة منهما .

٣١٩ - فمثال ما دخله المجاز من جهة الإثبات دون المُثَبَّت قوله :

مثال ما دخله المجاز من جهة الإثبات دون المثبت

[من الطويل]

وَشَيْبَ أَيَّامِ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي وَأُنْشَرْنَ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ (١)

(١) هو لجميل في ديوانه المجموع ، ومراجعته هناك . و « أنشرن نفسي » ، أى بلغت روحه الحلقوم . وروايته في الديوان : « وشيب روعات الفراق » .

وقوله :

[من المتقارب]

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْتَى الْكَبِيرَ رَرَ كَرُّ الْعَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ ^(١)

٢٤١ / المجاز واقع في إثبات الشيب فعلاً للأيام ولكرّ الليالي ، وهو الذى أزيل
عن موضعه الذى ينبغى أن يكون فيه ، لأن من حقّ هذا الإثبات = أعنى إثبات
الشيب فعلاً = أن لا يكون إلا مع أسماء الله تعالى ، فليس يصحّ وجود الشيب
فعلاً لغير القديم سبحانه . وقد وُجّه في البيتين كما ترى إلى الأيام وكرّ الليالي ،
وذلك ما لا يُثبت له فعلٌ بوجه ، لا الشيب ولا غير الشيب . وأما المُثَبِّت فلم
يقع فيه مجاز ، لأنه الشيب وهو موجود كما ترى .

وهكذا إذا قلت : « سرّنى الخبر » و « سرّنى لقاءك » ، فالجواز في الإثبات
دون المثبت ، لأن المثبت هو « السرور » ، وهو حاصل على حقيقته .

٣٢١ - ومثال ما دخل المجاز في مثبتة دون إثباته ، قوله عز وجل :
(أَوْ مَنْ كَانَ مِثْمًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) [سورة الأنعام :
١٢٢] ، وذلك أن المعنى - والله أعلم - على أن يجعل العلم والهدى والحكمة
حياةً للقلوب ، على حدّ قوله عز وجل : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا)
[سورة الشورى : ٥٢] ، فالجواز في المثبت وهو « الحياة » ، فأما الإثبات فواقع على
حقيقته ، لأنه ينصرف إلى أن الهدى والعلم والحكمة فضلٌ من الله وكائنٌ من
عنده .

(١) هو للصلتان العبدى ، وشعره في شرح الحماسة ٣ : ١١١ ، والكامل ٣ : ١١٠١ ، (طبعة

محمد أحمد الدالى ، دمشق) ، وغيرهما .

ومن الواضح في ذلك قوله عز وجل : (فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) [سورة فاطر : ٩] ، وقوله : (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ) [سورة فصلت : ٣٩] ، جعل خُضرة الأرض وَنَضْرَتِهَا وَبَهْجَتِهَا بما يُظهره الله تعالى فيها من الثَّبات والأَنْوار والأزهار وعجائب الصنع ، حياة لها ، فكان ذلك مجازًا في المَثْبُت ، من حيث جعل ما ليس بحياة حياة على التشبيه ، فأما نفس الإثبات فمحض الحقيقة ، لأنه إثبات لما ضرب الحياة مثلاً له فعلاً لله تعالى ، لا حقيقة أحق من ذلك .

٣٢٢ - / وقد يُتصوَّر أن يدخل المجاز الجملة من الطريقتين جميعًا . وذلك أن يُشَبَّه معنى بمعنى وصفة بصفة ، فيستعار هذه اسم تلك ، ثم تُثَبَّت فعلاً لما لا يصح الفعل منه ، أو فعل تلك الصفة ، فيكون أيضاً في كل واحد من الإثبات والمثبت مجازاً ، كقول الرجل لصاحبه : « أَحْيَيْتَنِي رُؤْيُكَ » ، يريد : آنَسْتَنِي وَسَرَّيْتَنِي ونحوه ، فقد جعل الأنس والمسرة الحاصلة بالرؤية حياةً أولاً ، ثم جعل الرؤية فاعلةً لتلك الحياة .

٢٤٢

دخول المجاز الجملة
من الطريقتين

وشبيهة به قول المتنبي :

وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا تُحْيِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا
جعل الزيادة والوفور حياةً في المال ، وتفريقه في العطاء قتلاً ، ثم أثبت الحياة فعلاً للصوارم ، والقتل فعلاً للتبسم ، مع العلم بأن الفعل لا يصحُّ منهما .
ونوع منه : « أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارُ وَالدَّرْهَمُ » ، جعل الفتنة هلاكاً على المجاز ، ثم أثبت الهلاك فعلاً للدینار والدرهم ، وليساً مما يفعلان ، فأعرفه .

٣٢٣ - وإذ قد تبين لك المنهاج في الفرق بين دخول المجاز في
 الإثبات ، وبين دخوله في المثبت ، وبين أن ينتظمهما = وعرفت الصورة في
 الجميع ، فأعلم أنه إذا وقع في الإثبات فهو متلقى من العقل ، وإذا عرض في
 المثبت فهو متلقى من اللغة ، فإن طلبت الحجّة على صحة هذه الدّعوى ، فإن
 فيما قدّمت من القول ما يبيّن لك ، ويختصر لك الطريق إلى معرفتها .

المجاز في الإثبات عقل
 وفي المثبت لغوي

وذلك أن الإثبات إذا كان من شرطه أن يُقيد مرتين كقولك : « إثبات
 شيء لشيء » ، ولزم من ذلك أن لا يحصل إلا بالجملة التي هي تأليف بين
 حديث ومحدّث عنه ، ومسنّد ومُسنّد إليه ، علمت / أن مأخذ العقل ، وأنه
 ٢٤٣ القاضي فيه دون اللغة ، لأن اللغة لم تأت لتحكّم بحكّم أو لتثبت وتنفي ،
 وتنفّض وتبرم . فالحكم بأن الضرب فعل لزيد ، أو ليس بفعل له ، وأن المرض
 صفة له ، أو ليس بصفة له ، شيء يضعه المتكلم ودّعوى يدّعيا . وما يعترض
 على هذه الدعوى من تصديق أو تكذيب ، واعتراف أو إنكار ، وتصحيح أو
 إفساد ، فهو اعتراض على المتكلم ، وليس اللغة من ذلك بسبيل ، ولا منه في
 قليل ولا كثير .

وإذا كان كذلك ، كان كل وصف يستحقّه هذا الحكم من صحة
 وفساد ، وحقيقة ومجاز ، واحتمال واستحالة ، فالمرجع فيه والوجه إلى العقل المحض
 وليس للغة فيه حظ ، فلا تُحلى ولا تُمر ، والعربيّ فيه كالعجميّ ، والعجميّ
 كالتركيّ ، لأن قضايا العقول هي القواعد والأسس التي يُبنى غيرها عليها ،
 والأصول التي يُردّ ما سواها إليها .

فأما إذا كان المجاز في المثبت كمنحو قوله تعالى : (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ)
 [سورة فاطر : ٩] ، فإنما كان مأخذ اللغة ، لأجل أنّ طريقة المجاز بأن أجرى أسم الحياة

على ما ليس بحياة ، تشبيهاً وتمثيلاً ، ثم اشتق منها = وهى فى هذا التقدير = الفِعْلُ
الذى هو « أحيأ » ، واللغة هى التى اقتضت أن تكون الحياة اسماً للصفة التى
هى ضد الموت ، فإذا تُجَوِّز فى الاسم فأجرى على غيرها ، فالحديثُ مع اللغة ،
فأعرفه .

...

٣٢٤ - إن قال قائلٌ = فى أصل الكلام الذى وضعته على أن المجاز
يقع تارة فى الإثبات ، وتارة فى المُثَبِّت ، وأنه إذا وقع فى الإثبات فهو طالع عليك
من جهة العقل ، وبإدراك من أفقه = وإذا عرض فى المُثَبِّت فهو آتيك من
ناحية اللغة = :

رد اعتراض فى
هذه المسألة

٢٤٤ ما / قولكم إن سويتُ بين المسألتين ، وأدعيت أن المجاز بينهما جميعاً فى
المُثَبِّت وأُنزِل هكذا فأقول : « الفِعْلُ » الذى هو مصدر « فَعَلَ » قد وُضِع فى
اللغة للتأثير فى وجود الحادث ، كما أن الحياة موضوعة للصفة المعلومة ، فإذا قيل :
« فَعَلَ الرَّبِيعُ التَّوْرَ » ، جُعِلَ تَعَلَّقُ التَّوْرَ فى الوجود بالرَّبيع من طريق السَّبَبِ
والعادة « فعلاً » ، كما تُجَعَلُ نُحْضِرَةُ الأَرْضِ وبهجتها حياة ، والعلم فى قلب المؤمن
نوراً وحياة . وإذا كان كذلك ، كان المجاز فى أن جعل ما ليس بفعل فعلاً ،
وأطلق اسم الفعل على غير ما وُضِع له فى اللغة ، كما جعل ما ليس بحياة حياةً
وأجرى اسمها عليه ، فإذا كان ذلك مجازاً لغوياً ، فينبغى أن يكون هذا كذلك .

= فالجواب إن الذى يدفع هذه الشبهة ، أن تنظر إلى مدخل المجاز فى
المسألتين . فإن كان مدخلهما من جانب واحد ، فالأمر كما ظننت ، وإن لم يكن
كذلك ، استبان لك الخطأ فى ظنك .

والذى يبين اختلاف دخوله فيهما ، أنك تحصل على المجاز في مسألة
 « الفعل » بالإضافة لا بنفس الاسم ، فلو قلت : « أثبتَّ الثورَ فعلاً » لم تقع في
 مجاز ، لأنه فعلٌ لله تعالى ، وإنما تصير إلى المجاز إذا قلت : « أثبتَّ الثورَ فعلاً
 للريح » .

وأما في مسألة « الحياة » ، فإنك تحصل على المجاز بإطلاق الاسم
 فحسب من غير إضافة ، وذلك قولك : « أثبتَّ بهجة الأرض حياةً » أو « جعلها
 حياةً » ، أفلا ترى المجاز قد ظهر لك في « الحياة » من غير أن أضفتها إلى شيء ،
 أى : من غير أن قلت : « لكذا » ؟

وهكذا إذا عبرت بالنفى ، تقول في مسألة الفعل : « جعل ما ليس بفعل
 للريح فعلاً له » ، وتقول في هذه : « جعل ما ليس بحياة حياةً » / وتسكت ،
 ولا تحتاج أن تقول : « جعل ما ليس بحياة للأرض حياةً » ، بل لا معنى
 لهذا الكلام ، لأنه يقتضى أنك أضفت حياةً حقيقةً إلى الأرض ، وجعلتها مثلاً
 تحيا بحياة غيرها ، وذلك بين الإحالة .

ومن حق المسائل الدقيقة أن تُتأمل فيها العبارات التى تجرى بين السائل
 والمجيب ، وتُحَقَّق ، فإن ذلك يكشف عن الغرض ، ويبين جهة الغلط . وقولك :
 « جعل ما ليس بفعل فعلاً » احتذاءً لقولنا : « جعل ما ليس بحياة حياةً »
 لا يصح = لأن معنى هذه العبارة أن يراد بالاسم غير معناه لشبهه يُدعى أو شيء
 كالشبه ، لا أن يعطّل الاسم من الفائدة ، فيراد بها ما ليس بمعقول .

فنحن إذا تجوزنا في « الحياة » ، فأردنا بها العلم ، فقد أودعنا الاسم معنى ،
 وأردنا به صفةً معقولةً كالحياة نفسها = ولا يمكنك أن تشير في قولك : « فعل
 الريح الثور » ، إلى معنى تزعم أن لفظ « الفعل » يُنقل عن معناه إليه ، فيراد به ،

حتى يكون ذلك المعنى معقولاً منه ، كما عَقِلَ التأثير في الوجود ، وحتى تقول : « لم أَرِدْ به التأثير في الوجود ، ولكن أردت المعنى الفلانتى الذى هو شبيهة به أو كالشبيهه ، أو ليس بشييه مثلاً ، إلا أنه معنًى تَخَلَّفَ معنى آخر على الاسم » ، إذ ليس وجود الثور بعقب المطر ، أو في زمان دون زمان ، مما يعطيك معنًى في المطر أو في الزمان ، فتريدُه بلفظ « الفعل » ، فليس إلا أن تقول : « لما كان الثور لا يوجد إلا بوجود الربيع ، تُوهَمُ للربيع تأثيرٌ في وجوده ، فأثبتُ له ذلك » ، وإثبات الحكم أو الوصف لما ليس له قضية عقلية ، لا تعلق لها في صحة وفساد باللغة ، فأعرفه .

...

إضافة الحكم العقل
إلى دلالة اللغة محال

٣٢٥ - وما يجب ضبطه في هذا الباب : أن كل حكم يجب في العقل / وجوباً حتى لا يجوز خلافه ، فإضافته إلى دلالة اللغة وجعله مشروطاً فيها ، محالٌ = لأن اللغة تجرى مجرى العلامات والسّمات ، ولا معنى للعلامة والسّمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلاً عليه وخلافه ، فإنما كانت « ما » مثلاً علماً للنفى ، لأن ههنا نقيضاً له وهو الإثبات . وهكذا إنما كانت « من » لما يعقل ، لأن ههنا ما لا يعقل ، فمن ذهب يدعى أن في قولنا : « فَعَلَ » و « صَنَعَ » ونحوه دلالة من جهة اللغة على القادر ، فقد أساء من حيث قصد الإحسان ، لأنه = والعياذُ بالله = يقتضى جواز أن يكون ههنا تأثيرٌ في وجود الحادث لغير القادر ، حتى يُحتاج إلى تضمين اللفظِ الدلالة على اختصاصه بالقادر ، وذلك خطأً عظيم .

٢٤٦

= فالواجب أن يقال : « الفعل » موضوع للتأثير في وجود الحادث في اللغة ، والعقل قد قضى وبَّت الحكم بأن لا حظُّ في هذا التأثير لغير القادر .

وما يقوله أهل النظر من أن من لم يعلم الحادث موجودًا من جهة القادر عليه ، فهو لم يعلمه فعلاً لا يخالف هذه الجملة ، بل لا يصحَّ حَقَّ صحَّته إلا مع اعتبارها . وذلك أن « الفعل » إذا كان موضوعًا للتأثير في وجود الحادث ، وكان العقل قد بيّن بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة استحالة أن يكون لغير القادر تأثير في وجود الحادث ، وأن يقع شيء مما ليس له صفة القادر ، فمن ظنَّ الشيء واقعًا من غير القادر ، فهو لم يعلمه فعلاً ، لأنه لا يكون مستحقًا لهذا الاسم حتى يكون واقعًا من غيره . ومن نَسَبَ وقوعه إلى ما لا يصح وقوعه منه ، ولا يتصوّر أن يكون له تأثير في وجوده وخروجه من العلم ، / فلم يعلمه واقعًا من شيء ألبتة . وإذا لم يعلمه واقعًا من شيء ، لم يعلمه فعلاً ، كما أنه إذا لم يعلمه كائنًا بعد أن لم يكن ، لم يعلمه واقعًا ولا حادثًا ، فأعرفه .

المجاز الواقع في
نفس الفعل والخلق

٣٢٦ - وأعلم أنك إن أردت أن ترى المجاز وقد وقع في نفس الفعل والخلق ، ولحقهما من حيث هما لا إثباتهما ، وإضافتهما ، فالمثال في ذلك قولهم في الرجل يُشْفِي على هلكة ثم يتخلّص منها : « هو إنما خُلِقَ الآن » و « إنما أنشئ اليوم » و « قد عَلِمَ ثم أنشئ نشأة ثانية » ، وذلك أنك تُثبت ههنا خلقًا وإنشاءً ، من غير أن يُعقل ثابتًا على الحقيقة ، بل على تأويل وتنزيل ، وهو أن جعلت حالة إشفائه على الهلكة عدمًا وفناءً وخروجًا من الوجود ، حتى أنتج هذا التقدير أن يكون خلاصه منها ابتداءً وجودٍ وخلقًا وإنشاءً .

أفيمكنك أن تقول في نحو : « فعل الربيع الثور » بمثل هذا التأويل ، فترغم أنك أثبتت فعلاً وقع على الثور من غير أن كان ثم فعل ، ومن غير أن يكون الثور مفعولاً ؟ أو هو مما يُتَعَوَّذُ بالله منه ، وتقول : الفعل واقع على الثور حقيقةً ،

وهو مفعولٌ مجهولٌ على الصُّحَّة ، إلا أن حقَّ الفعل فيه أن يُثبَّتَ لله تعالى ، وقد تُجَوِّزُ بإثباته للربيع ؟ أفليس قد بان أن التجوُّز ههنا في إثبات الفعل للربيع لا في الفعل نفسه ، فإن التجوُّز في مسألة المتخلِّص من الهلكة حيث قلت : « إنه مُخلَقٌ مرَّةً ثانية » في الفعل نفسه ، لا في إثباته ؟ فلك كيف نظرتَ فرقَ بين المجاز في الإثبات ، وبينه في المثبَّت .

وينبغي أن تعلم أن قولي : « في المثبَّت مجازٌ » ، ليس مرادى أن فيه مجازًا من حيث هو مُثبَّت ، ولكن المعنى أن المجاز في نفس الشيء الذى / تتأوله الإثبات نحو أنك أثبتت الحياة صفةً للأرض في قوله تعالى : (يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) [سورة الحديد : ١٧] ، والمراد غيرها ، فكان المجاز في نفس الحياة لا في إثباتها = هذا ، وإذا كان لا يُتصوَّرُ إثبات شيء لا لشيء ، استحال أن يوصف المُثبَّت من حيث هو مُثبَّت بأنه مجاز أو حقيقة .

٢٤٨

...

٣٢٧ - وما ينتهى في البيان إلى الغاية أن يقال للسائل : هَبْكَ تُغالطنا بأن مصدر « فَعَلَ » نُقِلَ أَوْلًا عن موضعه في اللغة ، ثم اشتقَّ منه ، فقل لنا ما نصنع بالأفعال المشتقة من معانٍ خاصَّة ، كَنَسَجَ ، وصَاغَ ، ووَشَى ، ونَقَشَ ؟ أتقول إذا قيل « نَسَجَ الربيعُ » و « صَاغَ الربيعُ » و « وَشَى » : إن المجاز في مصادر هذه الأفعال التى هى النَّسَجُ وَالْوَشَى وَالصَّوْغُ ، أم تعترف أنه في إثباتها فعلًا للربيع ؟ وكيف تقول : « إن في أنفسها مجازًا » ، وهى موجودةٌ بحقيقتها ؟ بل ماذا يُغنى عنك دَعْوَى المجاز فيها ، لو أمكنك ، ولا يمكنك أن تقتصر عليها في كونِ الكلام مجازًا = أعنى لا يمكنك أن تقول : « إن الكلام مجازٌ من حيث لم يكن اختلاف تلك الأنوار نسجًا ووشيًا » ، وتدعَّ حديثَ نسبتها إلى الربيع جانبًا ؟

المجاز في قولهم « نسج الربيع » وما أشبهه

هذا ، وههنا ما لا وجه لك لدعوى المجاز في مصدر الفعل منه كقولك :
« سَرَّني الخبير » ، فإن السرور بحقيقته موجود ، والكلام مع ذلك مجازٌ . وإذا كان
كذلك ، علمت ضرورةً ليس المجاز إلا في إثبات السرور فعلاً للخبر ، وإيهام أنه
أثر في حدوثه وحصوله . ويعلم كل عاقل أن المجاز لو كان من طريق اللغة ،
لجُعل ما ليس بالسرور سروراً ، فأما الحكم بأنه فعل للخبر ، فلا يجرى في وهم
أنه يكون من اللغة بسبيل ، فأعرفه .

•••

٢٤٩
رد اعتراض

٣٢٨ - فإن قال : « النسجُ فعلٌ / معنى ، وهو المضامة بين أشياء ،
وكذلك الصَّوْغُ فعلُ الصورة في الفضة ونحوها ، وإذا كان كذلك ، قدرْتُ أن
لفظ الصَّوْغُ مجازٌ من حيث دلَّ على الفعل والتأثير في الوجود ، حقيقةً من حيث
دلَّ على الصورة ، كما قدرْتُ أنت في « أحياء الله الأرض » ، أن « أحياء » من حيث
دلَّ على معنى فَعَلَّ حقيقةً ، ومن حيث دلَّ على الحياة مجازٌ » .

قيل : ليس لك أن تجيء إلى لفظ أمرين ، فتفرِّق دلالاته وتجعله منقولاً
عن أصله في أحدهما دون الآخر . لو جاز هذا لجاز أن تقول في اللطم الذي هو
ضرب باليد ، أنه يُجعل مجازاً من حيث هو ضربٌ ، وحقيقةً من حيث هو باليد ،
وذلك محالٌ = لأن كونَ الضرب باليد لا ينفصل عن الضرب ، فكذلك كون
الفعل فعلاً للصورة لا ينفصل عن الصورة . وليس الأمر كذلك في قولنا : « أحياء
الله الأرض » ، لأن معنا هنا لفظين : أحدهما مشتقٌ وهو « أحياء » = والآخر :
مشتقٌ منه وهو « الحياة » ، فنحن نقدر في المشتق منه أنه نُقل عن معناه الأصلي
في اللغة إلى معنى آخر ، ثم اشتقَّ منه « أحياء » بعد هذا التقدير ومعه ، وهو مثل

أن لفظ اليد يُنقل إلى النعمة ، ثم يُشتق منه « يَدَيْتُ » ، ^(١) فأعرفه .

٣٢٩ - وما يجب أن تعلم في هذا الباب : أن الإضافة في الاسم كالإسناد في الفعل . فكُلُّ حكمٍ يجبُ في إضافة المصدر من حقيقة أو مجاز ، فهو واجب في إسناد الفعل . فانظر الآن إلى قولك : « أعجبنى وشئى الربيع الرياض ، وصوغه تبرها ، وحوكه ديباجها » ، هل تعلم لك سبيلاً في هذه الإضافات إلى التعلق باللغة ، وأخذ / الحكم عليها منها ، أم تعلم امتناع ذلك عليك ؟

٢٥٠

وكيف ، والإضافة لا تكون حتى تستقر اللغة ، ويستحيل أن يكون للغة حكمٌ في الإضافة ورسمٌ ، حتى يُعلم أن حق الاسم أن يضاف إلى هذا دون ذلك ؟ وإذا عرفت ذلك في هذه المصادر التي هي « الصوغ » و « الوشى » و « الحوك » فضع مصدر فعل = الذى هو عمدةك في سؤالك ، وأصل شبهتك = ^(٢) موضعها وقل : « أما ترى إلى فعل الربيع لهذه المحاسن » ، ثم تأمل هل تجد فصلاً بين إضافته وإضافة تلك ؟ فإذا لم تجد الفصل ألبتة ، فأعلم صحة قضيتنا ، وانفض يدك بمسئلتك ، ودع النزاع عنك ، وإلى الله تعالى الرغبة في التوفيق .

(١) « يَدَيْتُ » ، لغة في « أَيْدَيْتُ » ، ومنه قول بعض بني أسد :

يَدَيْتُ عَلَى آبنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهَبٍ بِأَسْفَلِ ذِي الْجَدَاةِ يَدُ الْكَرِيمِ

أى : اتخذتُ عنده يداً .

(٢) السياق : « فضع مصدر فعل ... موضعها » .

فصل

٣٣٠ - قال أبو القاسم الأمدى فى قول البحرى : [من البسيط]

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تَبَرٍ وَمِنْ وَرِقٍ وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشِيٍّ وَدِيْبَاجٍ (١)

بيان على فصل لأبي
القاسم الأمدى

صَوْغُ الْغَيْثِ [النَّبْتِ] وَحَوْكُهُ النَّبَاتُ ، لَيْسَ بِاسْتِعَارَةٍ بَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ ،
وَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ : « هُوَ صَائِغٌ » وَلَا « كَأَنَّهُ صَائِغٌ » وَكَذَلِكَ لَا يُقَالُ : « حَائِكٌ »
وَ « كَأَنَّهُ حَائِكٌ » ، عَلَى أَنَّ لَفْظَةَ « حَائِكٌ » خَاصَّةٌ فِي غَايَةِ الرِّكَائِكَةِ ، إِذَا أُخْرِجَ
عَلَى مَا أُخْرِجَهُ عَلَيْهِ أَبُو تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ : [من الطويل]

إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسَجَهُ خَلَّتْ أَنَّهُ خَلَّتْ حَقَبٌ حَرَسٌ لَهُ وَهُوَ حَائِكٌ (٢)

= وَهَذَا قَبِيحٌ جَدًّا ، وَالَّذِي قَالَهُ الْبَحْرِيُّ : « وَحَاكَ مَا حَاكَ » ، حَسَنٌ
مُسْتَعْمَلٌ ، فَانظُرْ مَا بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ لِتَعْلَمَ مَا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ .

قَدْ كَتَبْتُ هَذَا الْفَصْلَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ مَنْعُهُ أَنْ تُطْلَقَ
الاسْتِعَارَةُ عَلَى « الصَّوْغِ » وَ « الْحَوْكِ » ، وَقَدْ جُعِلَ فِعْلًا لِلرَّبِيعِ ، وَاسْتِدْلَالُهُ عَلَى /
ذَلِكَ بِامْتِنَاعِ أَنْ يُقَالَ : « كَأَنَّهُ صَائِغٌ » وَ « كَأَنَّهُ حَائِكٌ » .

أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الِاسْتِدْلَالَ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ ، إِلَّا أَنَّ الْفَائِدَةَ تَتِمُّ بِأَنْ تُبَيَّنَّ
جِهَتُهُ ، وَمِنْ أَيْنَ كَانَ كَذَلِكَ ؟ وَالْقَوْلُ فِيهِ : إِنْ التَّشْبِيهِ كَمَا لَا يَخْفَى يَقْتَضِي
شَيْئَيْنِ مُشَبَّهًا وَمُشَبَّهًا بِهِ . ثُمَّ يَنْقَسِمُ إِلَى الصَّرِيحِ وَغَيْرِ الصَّرِيحِ ، فَالصَّرِيحُ أَنْ

(١) هُوَ فِي دِيْوَانِهِ .

(٢) هُوَ فِي دِيْوَانِهِ ، وَكَلَامُ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَمْدِيِّ يَنْتَهِي هُنَا ، وَهُوَ فِي كِتَابِهِ الْمَوَازِنَةَ ١ : ٤٩٧ ،

٤٩٨ (المَعَارِفِ) ، وَنَقَلَهُ الشَّيْخُ أَيْضًا فِي دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ ، رَقْمٌ ٦٤٧ ، ص : ٥٥٣ .

تقول : « كَأَنَّ زَيْدًا الْأَسَدَ » ، فتذكر كل واحد من المشبّه والمشبّه به باسمه = وغيرُ الصريح أن تُسقط المشبّه به من الذكر ، وتُجرى اسمه على المشبّه كقولك : « رأيتُ أسدًا » ، تريد رجلًا شبيهاً بالأسد ، إلا أنك تُعيو اسمه مبالغةً وإيهامًا أن لا فصلَ بينه وبين الأسد ، وأنه قد استحال إلى الأسدية .

فإذا كان الأمر كذلك وأنت تشبّه شخصًا بشخص ، فإنك إذا شبّهت فعلًا بفعل كان هذا حكمه ، فأنت تقول مرة : « كأن تزيينه لكلامه نظمٌ در » ، فتصرّح بالمشبّه والمشبّه به ، وتقول أخرى : « إنما ينظمُ دُرًّا » ، تجعله كأنه ناظمٌ دُرًّا على الحقيقة .

وتقول في وصف الفرس : « كأن سيره سباحة » ، و « كأن جريه طيرانٌ طائر » ، هذا إذا صرّحت ، وإذا أخفيت واستعرت قلت : « يسبح براكبه » ، و « يطير بفارسه » ، فتجعل حركته سباحةً وطيرانًا .

ومن لطيف ذلك ما كان كقول أبى دلامة يصف بغلته : [من الوافر]

بغلة أبى دلامة

أرى الشهباءَ تَعَجُّنُ إِذْ عَلَوْنَا بِرِجْلَيْهَا ، وَتَحْبِزُ بِالْيَمِينِ (١)

شبه حركة رجلها حين لم تثبتها على موضع تعتمد بهما عليه وهوتًا ذاهبتين نحو يديها ، بحركة يدي العاجن ، فإنه لا يُثبت اليد في موضع ، بل يُزَلِّها إلى قُدَامِ ، وتَزَلُّ من عند نفسها لِرَخَاوَةِ الْعَجِينِ = وشبه حركة يديها بحركة يد الخابز ، من حيث كان الخابزُ يثنى يده نحو بطنه / ، ويُحدث فيها ضربًا من التقويس ، كما تجد في يد الدابة إذا اضطربت في سيرها ، ولم يَقْفَ على ضبط

٢٥٢

(١) لم أقف عليه في شعر أبى دلامة في بغلته ، وهى التى سماها « الشهباء » . والذى فى المخطوطة المطبوعتين : « وتخبز باليمين » ، وكلام الشيخ يدل على أنه : « وتخبز باليدين » .

يديها ، ولن ترمى بها إلى قدام ، ولن تشدُّ اعتمادها ، حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه فلا تزول عنه ولا تنثني - وأعود إلى المقصود .

فإذا كان لا تشبيه حتى يكون معك شيان ، وكان معنى الاستعارة أن تُعير المشبَّه لفظ المشبَّه به ، ولم يكن معنا في « صاغ الربيع » أو « حاك الربيع » إلا شيء واحد ، وهو الصَّوْغُ أو الحَوْكُ ، كان تقدير الاستعارة فيه محالاً جاريًا مجرى أن تشبَّه الشيء بنفسه ، وتجعل اسمه عاريَّة فيه ، وذلك بين الفساد .

بيان آخر
وردة اعتراض

٣٣١ - فإن قلت : أليس الكلام على الجملة معقودًا على تشبيه الربيع بالقادر ، في تعلُّق وجود الصوغ والنسج به ؟ فكيف لم يَجُزْ دخول « كَأَنَّ » في الكلام من هذه الجهة ؟

= (١) فإن هذا التشبيه ليس هو التشبيه الذي يُعقد في الكلام ويُفادُ بكأن والكاف ونحوهما ، وإنما هو عبارة عن الجهة التي راعاها المتكلم حين أعطى الربيع حكم القادر في إسناد الفعل إليه . وزأته وزَان قولنا : إنهم يشبهون « ما » بليس ، فيرفعون بها المبتدأ وينصبون بها الخبر فيقولون : « ما زيدٌ منطلقًا » ، كما يقولون : « ليس زيد منطلقًا » ، فنخبر عن تقدير قدره في نفوسهم ، وجهة راعوها في إعطاء « ما » حكم « ليس » في العمل . فكما لا يُتصوَّر أن يكون قولنا : « ما زيد منطلقًا » ، تشبيهًا على حدِّ « كَأَنَّ زيدًا الأسد » ، كذلك لا يكون « صاغ الربيع » من التشبيه . فكلامنا إذن في تشبيه مَقُولٍ منطوقٍ به ، وأنت في تشبيه معقولٍ غيرٍ داخلٍ في النطق . هذا ، وإن يكن ههنا تشبيهًا ، فهو في الربيع

(١) قوله : « فإن التشبيه ... » ، جواب « فإن قلت : » .

لا في الفعل المُسْتَدِلِّيه / ، واختلافنا في « صاغ » و « حاك » هل يكون تشبيهاً واستعارة أم لا ؟ فلا يلتقى التشبيهان ، أو يلتقى المُشْتَم والمُعْرِق . (١)

•••

٣٣٢ - وهذا هو القول على الجملة إذا كانت حقيقةً أو مجازاً ، وكيف وَجَّهَ الحدُّ فيها ؟ فكلُّ جملة وضعتها على أن الحكم المُفَادَ بها على ما هو عليه في العقل ، وواقع موقعه منه ، فهي حقيقة . ولن تكون كذلك حتى تُعْرَى من التأول ، ولا فصل بين أن تكون مصيباً فيما أفدت بها من الحكم أو مخطئاً ، وصادقاً أو غير صادق .

٣٣٣ - فمثال وقوع الحكم المفاد موقعه من العقل على الصحة واليقين والقطع قولنا : « خلق الله تعالى الخلق ، وأنشأ العالم ، وأوجد كل موجودٍ سواه » . فهذه من أحقِّ الحقائق وأرسخها في العقول ، وأقعدُها نسباً في المعقول ، والتي إن رُمَّتْ أن تغيب عنها غِيبَتَ عن عقلك ، ومتى هَمَمْتَ بالتوقُّفِ في ثبوتها استولى التَّفَنُّي على معقولك ، ووَجَدْتَك كالمرميِّ به من حالق إلى حيث لا مقرِّ لقدم ، ولا مساغ لتأخر وتقدم ، كما قال أصدق القائلين جَلَّتْ أَسْمَاؤُهُ ، وعظمت كبريأؤه : (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [سورة الحج : ٣١] .

وقوع الحكم موقعه
من العقل على الصحة

وأما مثال أن توضع الجملة على أن الحكم المُفَادَ بها واقع موقعه من العقل ، وليس كذلك ، إلا أنه صادرٌ عن اعتقادٍ فاسدٍ وظنٍّ كاذب ، فمثل

(١) « المشتم » ، المتجه إلى الشأم ، و « المُعْرِق » ، المتجه إلى العراق ، وهما لا يلتقيان لاختلاف

ما يجيء في التنزيل من الحكاية عن الكفار نحو: (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) [سورة
الجمانة: ٢٤] ، فهذا ونحوه من حيث لم يتكلم به قائله على أنه متأول ، بل أطلقه
بجهله وعماه إطلاقاً مَنْ يضع الصِّفة في موضعها ، لا يُوصف بالمجاز ، ولكن
يقال : « عند قائله أنه حقيقة » ، / وهو كذبٌ وباطلٌ ، وإثباتٌ لما ليس بثابت ،
أو نفيٌ لما ليس بمنتهى ، وحكمٌ لا يصححه العقل في الجملة ، بل يرده ويدفعه ،
٢٥٤ إِلَّا أن قائله جهلٌ مكان الكذبِ والبطالينِ فيه ، أو جحدٌ وباهتٌ .

حد المجاز العقل
ومثاله

٣٣٤ - ولا يتخلَّص لك الفصلُ بين الباطل وبين المجاز ، حتى تعرف
حدَّ المجاز ، وحثه : أن كلَّ جملةٍ أخرجتَ الحكمَ المُفادَ بها عن موضعه من
العقل لضربٍ من التأوُّل ، فهي مجاز .

٣٣٥ - ومثاله ما مضى من قولهم : « فَعَلَ الربيعُ » ، وكما جاء في الخبر
« إنَّ ممَّا يُنبئُ الربيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطًا أو يُلِّمُّ » ، ^(١) قد أثبت الإنبات للربيع ،
وذلك خارج عن موضعه من العقل ، لأن إثبات الفعل لغير القادر لا يصحُّ في
قضايا العقول ، إِلَّا أن ذلك على سبيل التأوُّل ، وعلى العُرفِ الجارى بين الناس ،
أن يجعلوا الشيء ، إذا كان سبباً أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله ،
كأنه فاعل . فلما أجرى الله سبحانه العادةَ وأنفَذَ القضيةَ أن تُورق الأشجارُ ،

(١) هو حديث أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث طويل ،
رواه البخارى في كتاب الجهاد ، « باب فضل النفقة في سبيل الله » (الفتح ٦ : ٣٦) ، وفي كتاب
الرقاق ، « باب ما يحذر من زهرة الدنيا التنافس فيها » (الفتح ١١ : ٢٠٨ ، ٢١٠) ، ورواه مسلم أيضاً
في كتاب الزكاة ، « باب تحوُّف ما يخرج من زهرة الدنيا » . و « الحَبَطُ » ، أن تأكل الماشية فتكثُر حتى
تنفخ لذلك بطونها ، ولا يخرج عنها ما فيها . وقرأ تفسير الخبر كله في اللسان (حبط) .

وتظهر الأنوار ، وتلبس الأرض ثوب شبايبها في زمان الربيع ، صار يُتوهم في ظاهر الأمر ومجرى العادة ، كأن لوجود هذه الأشياء حاجة إلى الربيع ، فأسند الفعل إليه على هذا التأول والتنزيل .

٣٣٦ - وهذا الضرب من المجاز كثير في القرآن ، فمنه قوله تعالى :
 (تُوْنِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) [سورة إبراهيم : ٢٥] ، وقوله عز اسمه : (وَإِذَا
 تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) [سورة الأنفال : ٢] ، وفي الأخرى : (فَمِنْهُمْ مَنْ
 يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هُدَاهُ إِيمَانًا) [سورة التوبة : ١٢٤] ، وقوله : (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ
 أَثْقَالَهَا) [سورة الزلزلة : ٢] ، وقوله عز وجل : (حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ
 لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ) [سورة الأعراف : ٥٧] = أثبت الفعل في جميع ذلك لما لا يثبت له فعل إذا
 رجعنا إلى المعقول ، على معنى / السبب . وإلا فمعلوم أن النخلة ليست تُحدث
 الأكل ، ولا الآيات تُوجد العلم في قلب السامع لها ، ولا الأرض تُخرج الكامن
 في بطنها من الأثقال ، ولكن إذا حدثت فيها الحركة بقدرة الله ، ظهر ما كُنزَ فيها
 وأودع جوفها .

٢٥٥

وإذا ثبت ذلك ، فالمبطل والكاذب لا يتأول في إخراج الحكم عن موضعه وإعطائه غير المستحق ، ولا يشبه كون المقصود سبباً بكون الفاعل فاعلاً ، بل يثبت القضية من غير أن ينظر فيها من شيء إلى شيء ، ويرد فرعاً إلى أصل ، وتراه أعمى أكمة يظن ما لا يصح صحيحاً ، وما لا يثبت ثابتاً ، وما ليس في موضعه من الحكم موضوعاً موضعه . وهكذا المتعمد للكذب يدعى أن الأمر على ما وضعه تلبيساً وتمويهاً ، وليس هو من التأول في شيء .

٣٣٧ - والنكتة أن المجاز لم يكن مجازاً لأنه إثبات الحكم لغير

بيان آخر في حد
 المجاز العقلي

مستحقه ، بل لأنه أثبت لما لا يستحق ، تشبيهاً ورداً له إلى ما يستحق ، وأنه ينظر من هذا إلى ذاك ، وإثباته ما أثبت للفرع الذي ليس بمستحق ، يتضمن الإثبات للأصل الذي هو المستحق ، فلا يتصور الجمع بين شيئين في وصف أو حكم من طريق التشبيه والتأويل ، حتى يبدأ بالأصل في إثبات ذلك الوصف والحكم له . ألا تراك لا تقدر على أن تشبه الرجل بالأسد في الشجاعة ، ما لم تجعل كونها من أخص أوصاف الأسد وأغلبها عليه نُصِبَ عينيك ؟ وكذلك لا يتصور أن يثبت المثبت الفعل للشيء على أنه سبب ، ما لم ينظر إلى ما هو راسخ في العقل من أن لا فعل على الحقيقة إلا للقادر ، لأنه لو كان نَسَبَ الفعل إلى هذا السبب نسبةً مطلقةً = لا يرجع فيها إلى الحكم القادر ، والجمع بينهما من / حيث تعلق وجوده بهذا السبب من طريق العادة ، كما يتعلق بالقادر من طريق الوجوب = ^(١) لما اعترف بأنه سبب ، ولا دعى أنه أصل بنفسه ، مؤثر في وجود الحادث كالقادر . وإن تَجَاهَلَ متجاهلاً فقال بذلك = على ظهور الفضيحة وإسراعها إلى مدعيه = كان الكلام عنده حقيقةً ، ولم يكن من مسألتنا في شيء ، ولحق بنحو قول الكفار : (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) [سورة الجاثية : ٢٤] . ^(٢) وليس ذلك المقصود في مسألتنا ، لأن الغرض ههنا ما وَضَعَ فيه الحكم واضعه على طريق التأويل ، فأعرفه .

...

٣٣٨ - ومن أوضح ما يدل على أن إثبات الفعل للشيء على أنه سبب يتضمن إثباته للمسبب ، من حيث لا يتصور دون تصوُّره ، أن تنظر إلى

إسناد الأفعال إلى
الآلات كالسكين
وغيره

(١) السياق : ولأنه لو كان نَحَبَ الفعل إلى هذا السبب ... لما اعترف

(٢) انظر ما سلف رقم : ٣٣٣ .

الأفعال المسندة إلى الأدوات والآلات ، كقولك : « قطع السكين » و « قتل السيف » ، فإنك تعلم أنه لا يقع في النفس من هذا الإثبات صورة ، ما لم تنظر إلى إثبات الفعل للمُعْمِل الأداة والفاعل بها . فلو فرضت أن لا يكون ههنا قاطع بالسكين ومصرف لها ، أعياك أن تعقل من قولك : « قطع السكين » معنى بوجه من الوجوه . وهذا من الواضح ، بحيث لا يشك عاقل فيه .

وهذه الأفعال المسندة إلى من تقع تلك الأفعال بأمره ، كقولك : « ضَرَبَ الأمير الدرهم » و « بنى السور » ، لا تقوم في نفسك صورة لإثبات الضرب والبناء فعلاً للأمير ، بمعنى الأمر به ، حتى تنظر إلى ثبوتها للمباشر لهما على الحقيقة . والأمثلة في هذا المعنى كثيرة تتلّاق من كل جهة ، وتجدها أتى شئت .

٣٣٩ - وأعلم أنه لا يجوز الحكم على الجملة بأنها مجازٌ إلا بأحد

المجاز واعتقاد المتكلم

أمرين :

= فإما أن يكون الشيء الذي أثبت له الفعل مما لا يدعى أحد من المحققين والمبطلين أنه مما يصح أن يكون له تأثير في وجود المعنى الذي أثبت له ، وذلك نحو قول الرجل : « محبتك جاءت بي إليك » ، وكقول عمرو بن العاص في ذكر الكلمات التي استحسناها : « هُنَّ مُخْرِجَاتِي مِنَ الشَّامِ » ، ^(١) فهذا ما لا يشبهه على أحد أنه مجاز .

٢٥٧

(١) قال أبو العباس المبرد : « وحُدثت أن أبا بكر رحمه الله ولّى يزيد بن أبي سفيان رُبْعاً من أرباع الشام ، فرّق المنبر فتكلم فأرتج عليه ، فاستأنف فأرتج عليه ، فقطع الخطبة فقال :

= وإما أنه يكون قد عُلم من اعتقاد المتكلم أنه لا يُثبت الفعل إلا للقادر ، وأنه ممن لا يعتقد الاعتقادات الفاسدة ، كنعو ما قاله المشركون وظنوه من ثبوت الهلاك فعلاً للدهر ، فإذا سمعنا نحو قوله : [من المتقارب]

أشاب الصغيرَ وأفتى الكبيي سرَّ كرُّ العُداة ومرُّ العشي (١)

وقول ذى الإصبع : [من المنسرح]

أهلَكنا الليلَ والنهارَ معاً والدَّهرُ يغتو مُصمِّمًا جدعاً (٢)

كان طريق الحكم عليه بالمجاز ، أن تعلم اعتقادهم التوحيد ، إما بمعرفة أحوالهم السابقة ، أو بأن تجد في كلامهم من بُعد إطلاق هذا النحو ، ما يكشف عن قصد المجاز فيه ، كنعو ما صنَّع أبو النجم ، فإنه قال أولاً :

[من الرجز]

قد أصبحت أمَّ الخيَّارِ تُدعى على ذنباً كله لم أصنع (٣)
من أن رأته رأسي كراسِ الأصلح ميَّزَ عنه فنزَعاً عن فنزِع

جذبُ الليالي : أبطئُ أو أسرعى

= « سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً ، وبعد عيٍ يائناً ، وأنتم إلى أميرٍ فَعَال ، أحوج منكم إلى أميرٍ قَوَال » .

فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال : « هُنْ مُخْرَجَاتِي مِنَ الشَّامِ » ، استحساناً لكلامه الكامل ١ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، (طبعة محمد أحمد الدالي ، دمشق) .

(١) مضى في رقم : ٣١٩ .

(٢) البيت من قصيدة له في ديوانه ، وفي الأغاني ٣ : ٩٦ ، ٩٧ ، وفي منتهى الطلب . و « الجدع » ، الشاب الحدت ، يعنى قوته .

(٣) الرجز في ديوانه ، وانظر خزنة الأدب ١ : ٣٥٩ - ٣٦٦ ، والرجز من شواهد النحاة . و « أم الخيَّار » هي زوجته ، و « الفنزِع » ، هي الخصلة من الشعر على رأس الصبي ، أو هي ما ارتفع من الشعر وطال . « في هامش المخطوطة » في الأساس : جذب الشهر ، مضت عامته .

فهذا على المجاز وجعل الفعل لليال ومروها ، إلا أنه خفي غير بادي
الصفحة ، ثم فسّر وكشف عن وجه التأويل وأفاد أنه بنى أول كلامه على التخييل
فقال :

أَفْتَاهُ قِيلَ اللَّهُ لِلشَّمْسِ أَطْلَعِي حَتَّى إِذَا وَاوَاكِ أَفْقَ فَارْجِعِي

فبين أن الفعل لله تعالى ، وأنه المعيد والمبدي ، والمنشئ والمنفي ، لأن /
المعنى في « قِيلَ اللَّهُ » ، أمر الله ، وإذا جعل الفناء بأمره فقد صرح بالحقيقة ،
وبين ما كان عليه من الطريقة .

٢٥٨

٣٤٠ - وأعلم أنه لا يصح أن يكون قول الكفار : (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا
الدَّهْرُ) ، (١) من باب التأويل والمجاز ، وأن يكون الإنكار عليهم من جهة ظاهر
اللفظ ، وأن فيه إيهامًا للخطأ . كيف ؟ وقد قال تعالى بعقب الحكاية عنهم :
(وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) [سورة الجاثية : ٢٤] ، والمتجوز أو
المخطيء في العبارة لا يوصف بالظن ، إنما الظان من يعتقد أن الأمر على ما قاله
وكما يوجهه ظاهر كلامه . وكيف يجوز أن يكون الإنكار من طريق إطلاق اللفظ
دون إثبات الدهر فاعلاً للهلاك ، وأنت ترى في نص القرآن ما جرى فيه اللفظ
على إضافة فعل الهلاك إلى الريح مع استحالة أن تكون فاعلة ، وذلك قوله عز
وجل : « مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ
حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ » [سورة آل عمران : ١١٧] ، وأمثال ذلك كثير ؟

ما لا يجوز أن يكون
من باب التأويل والمجاز

وَمَنْ قَدَحَ فِي الْمَجَازِ ، وَهَمٌّ أَنْ يَصِفَهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ ، فَقَدْ حَبَطَ حَبْطًا عَظِيمًا ،
وَيَهْرَفُ بِمَا لَا يَخْفَى .^(١)

٣٤١ - ولو لم يجب البحث عن حقيقة المجاز والعناية به ، حتى
تُحَصِّلَ ضَرْوِيهِ ، وَتُضَبِّطَ أَقْسَامَهُ ، إِلَّا لِلسَّلَامَةِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَالخِلَاصِ
مِمَّا نَحَا نَحْوَ هَذِهِ الشَّبِيهِةِ ، لَكَانَ مِنْ حَقِّ الْعَاقِلِ أَنْ يَتَوَقَّرَ عَلَيْهِ ، وَيَصْرِفَ الْعِنَايَةَ
إِلَيْهِ ، فَكَيْفَ وَبَطَالِيبِ الدِّينِ حَاجَةٌ مَاسَّةٌ إِلَيْهِ مِنْ جِهَاتٍ يَطْوِلُ عُدُّهَا ،
وَلِلشَّيْطَانِ مِنْ جَانِبِ الْجَهْلِ بِهِ مَدَاخِلُ خَفِيَّةٌ يَأْتِيهِمْ مِنْهَا ، فَيَسْرِقُ دِينَهُمْ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ، وَيُلْقِيهِمْ فِي الضَّلَالَةِ مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَهْتَدُونَ ؟
وقد اقتسمهم البلاءُ فيه / من جانبي الإفراط والتفريط ، فمن مغرورٍ مُغْرَى
بِنَفْسِهِ دَفْعَةً ، وَالبَرَاءَةَ مِنْهُ جَمَلَةً ، يَشْمُزُّ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَيُنْبُو عَنْ أَسْمِهِ ، يَرَى أَنْ لَزُومَ
الظواهر فرضٌ لازمٌ ، وَضَرْبُ الخِيَامِ حَوْلَهَا حَتْمٌ وَاجِبٌ = وَآخِرُ يَغْلُو فِيهِ
وَيُفْرِطُ ، وَيَتَجَاوَزُ حُدُّهُ وَيَخْبِطُ ، فَيَعْدِلُ عَنِ الظَّاهِرِ وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ ، وَيَسُوِّمُ نَفْسَهُ
التعمُّقُ فِي التَّوِيلِ وَلَا سَبَبَ يَدْعُو إِلَيْهِ .

٣٤٢ - أَمَّا التَّفْرِيطُ ، فَمَا تَجِدُ عَلَيْهِ قَوْمًا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (هَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) [سورة البقرة : ٢١٠] ، وَقَوْلِهِ : (وَجَاءَ رَيْكٌ) [سورة الفجر :
٢٢] ، وَ : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [سورة طه : ٥٠] ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ

(١) فِي الْمَخْطُوطَةِ وَالْمَطْبُوعَتَيْنِ : وَيَهْدَفُ لِمَا لَا يَخْفَى ، وَلَا مَعْنَى لَهُ ، وَ « الْهَرْفُ » ، شَبهُ
الْمُهْدِيَانِ ، يُقَالُ : هَرَفَتْ أَمْرٌ هَرْفًا ، إِذَا هَدَى .

عن أقوال أهل التحقيق . فإذا قيل لهم : « الإتيان » و « المجيء » انتقال من مكان إلى مكان ، وصفة من صفات الأجسام ، وأن « الاستواء » إن حُمل على ظاهره لم يصح إلا في جسم يشغل حيزًا ويأخذ مكانًا ، والله عز وجل خالق الأماكن والأزمنة ، ومنشئ كل ما تصح عليه الحركة والثقل ، والتمكن والسكون ، والانفصال والاتصال ، والمماسّة والمحاذاة = وأن المعنى على : « إلا أن يأتيهم أمر الله » و « جاء أمر ربك » ، وأن حقه أن يعبر بقوله تعالى : (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) [سورة المشر : ٢٢] ، وقول الرجل : « آتيتك من حيث لا تشعر » ، يريد أنزل بك المكره ، وأفعل ما يكون جزاء لسوء صنيعك ، في حال غفلة منك ، ومن حيث تأمن حلوله بك . وعلى ذلك قوله :

أَتَيْتَاهُمْ مِنْ أَيْمَنِ الشَّقِّ عِنْدَهُمْ وَيَأْتِي الشَّقَى الْحَيْنُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي ^(١)

نعم ، إذا قلت ذلك للواحد منهم ، رأيت إن أعطاك الوفاق بلسانه / ، فبين جنبه قلب يتردد في الحيرة ويتقلب ، ونفس تفر من الصواب وتهرب ، وفكر واقف لا يجيء ولا يذهب ، يُحضره الطيب بما يُبرئه من دائه ، ويُبريه المرشد وجه الخلاص من عميائه ، ويأبى إلا نفاًراً عن العقل ، ورجوعاً إلى الجهل ، لا يحضره التوفيق بقدر ما يعلم به أنه إذا كان لا يجرى في قوله تعالى : (وَأَسْئَلِ الْقَرْيَةَ) [سورة يوسف : ٨٢] على الظاهر ، لأجل علمه أن الجماد لا يُسأل = مع أنه لو تجاهل متجاهل فادّعى أن الله تعالى خلق الحياة في تلك القرية حتى عقلت السؤال ، وأجابت عنه ونطقت ، لم يكن قال قولاً يكفر به ، ولم يزد على شيء يُعلم كذبه فيه = ^(٢) فمن حقه أن لا يجثم ههنا على الظاهر ، ولا يضرب

(١) غاب عنى موضعه وقائله .

(٢) السياق : « ... إذا كان لا يجرى في قوله تعالى ... فمن حقه ... » .

الحجاب دون سماعه وبصره حتى لا يعى ولا يُراعى ، مع ما فيه ، إذا أخذ على ظاهره ، من التعرض للهلاك والوقوع في الشرك .

القول في الإفراط

٣٤٣ - فأما الإفراط ، فما يتعاطاه قوم يُحبُّون الإغراب في التأويل ، ويَحْرِصُونَ على تكثير الوجوه ، وينسَوْنَ أن احتمال اللفظ شرط في كل ما يُعدَّل به عن الظاهر ، فهم يستكثرون الألفاظ على ما لا تُقَلِّه من المعاني ، ^(١) يَدْعُونَ السليم من المعنى إلى السقيم ، ويرون الفائدة حاضرةً قد أبدت صفتها وكشفت قناعها ، فيعرضون عنها حُبًّا للتشؤف ، ^(٢) أو قصدًا إلى التمويه وذهابًا في الضلالة .

وليس القصد ههنا بيان ذلك فأذكر أمثلته ، على أن كثيرًا من هذا الفن مما يُرغَب عن ذكره لسخفه ، وإنما غرضي بما ذكرتُ أن أريك عِظْم الآفة في الجهل بحقيقة المجاز وتحصيله ، وأن الخطأ فيه مُورِطٌ صاحبه ، وفاضح له ، ومُسَقِطٌ قدره ، وجاعله ضحكةً يُتَفَكَّهُ / به ، وكاسبه عارًا يبقى على وجه الدهر ، وفي مثل هذا قال رسول الله ﷺ : « يَحْمِلُ هذا العلم من كل خَلْفٍ عُدُولُهُ ، يَنفُونَ عنه تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المبطلين ، وتأويلَ الجاهلين » ، ^(٣) وليس حَمْلُهُ روايته وسرْدَ ألفاظه ، بل العلمُ بمعانيه ومخارجه ، وطرقه ومناهجه ، والفرق بين الجائز منه والممتنع ، والمنقاد المُصْحَب ، ^(٤) والثَّابِي النافر . ^(٥)

(١) في مطبوعة رشيد رضا : « على الأمثلة من المعاني » ، وهو لا شيء .

(٢) « التشؤف » ، من قولهم : « تشؤفت الجارية للخطاب » ، طمحت وتشؤفت لبتنهنوا إليها .

(٣) مضى الكلام في هذا الخبر في رقم : ٩٧ .

(٤) فيقال : « أصبحت النابة » ، أى انقادت سهلة غير جامحة .

(٥) في المطبوعتين : و « الثاق » ، ولا وجه لها . و « الثابي » ، الجافي المتباعد الذي لا ينقاد .

٣٤٤ - وأقل ما كان ينبغي أن تعرفه الطائفة الأولى ، وهم المنكرون للمجاز ، أن التنزيل كما لم يقلب اللغة في أوضاعها المفردة عن أصولها ، ولم يُخرج الألفاظ عن دلالتها ، وأن شيئاً من ذلك إن زيد إليه = ما لم يكن قبل الشرع يدل عليه ، أو ضمّن ما لم يتضمّنه = أتبع بيان من عند النبي ﷺ ، وذلك كبيانه للصلاة والحج والزكاة والصوم . كذلك لم يقض بتبديل عادات أهلها ، ولم ينقلهم عن أساليبهم وطرقهم ، ولم يمنعهم ما يتعارفونه من التشبيه والتشليل والحذف والاتساع .

ما ينبغي أن يعرفه
المفرط المنكر للمجاز

٣٤٥ - وكذلك كان من حق الطائفة الأخرى أن تعلم ، أنه عز وجل لم يرضَ لنظم كتابه = الذي سمّاه هُدًى وشفاء ، ونوراً وضياءً ، وحياةً تحيا بها القلوب ، وروحاً تنشرح عنه الصدور = ما هو عند القوم الذين خوطبوا به خلاف البيان ، وفي حدّ الإغلاق والبعد من التبيان ، وأنه تعالى لم يكن ليُعجزَ بكتابه من طريق الإلباس والتعمية ، كما يتعاطاه المُلغز من الشعراء والمُحاجي من الناس ، كيف وقد وصفه بأنه عربيٌّ مبيّنٌ ؟

ما ينبغي أن يعرفه
أصحاب الإفراط

هذا ، وليس التعسف الذي يرتكبه بعض من يجهل التأويل من جنس ما يقصده أولو الألفاظ وأصحاب / الأحاجي ، بل هو شيء يخرج عن كلّ طريق ، ويُبين كلّ مذهب ، وإنما هو سوء نظر منهم ، ووضعٌ للشيء في غير موضعه ،^(١) وإخلالٌ بالشريعة ، وخروجٌ عن القانون ، وتوهّمٌ أن المعنى إذا دار في نفوسهم ، وعُقل من تفسيرهم ، فقد فهم من لفظ المفسّر ، وحتى كأنّ الألفاظ تنقلب عن سجيّتها ، وتزول عن موضوعها ، فتحتمل ما ليس من شأنها أن تحتمله ، وتؤدّي ما لا يوجب حكمها أن تؤدّيّه .

٢٦٢

•••

(١) في المطبوعتين : « ووضع الشيء » ، والجيد ما في المخطوطة .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كلام في ذكر المجاز وفي بيان معناه وحقيقته

٣٤٦ - « المجاز » « مَفْعَلٌ » من « جازَ الشيءَ يَجُوزُه » ، إذا تعدَّاه . بيان معنى « المجاز »

وحقيقته

وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة ، وُصف بأنه « مجاز » ، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أولاً .

ثم أعلم بعد أن في إطلاق « المجاز » على اللفظ المنقول عن أصله شرطاً ، وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرَى معه من ملاحظة الأصل . ومعنى « الملاحظة » ، أن الاسم يقع لما تقول إنه مجاز فيه ، بسبب بينه وبين الذي تجعله حقيقةً فيه ، نحو أن « اليد » تقع للنعمة ، وأصلها الجارحة ، لأجل أن الاعتبار اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم ، وما يقتضيه ظاهر البنية وموضوع الجبلة ، ومن شأن النعمة أن تصغر عن « اليد » ، ومنها تصل إلى المقصود بها . [وفي ذكر « اليد » إشارة إلى مَصْنَعِ تلك النعمة الواصلة إلى المقصود بها] ، والموهوبة هي منه . (١)

٢٦٣

وكذلك الحكم إذا أُريد باليد القوة والقدرة / ، لأن القدرة أكثر ما يظهر سلطانها في اليد ، وبها يكون البطش والأخذ والدفع والمنع والجذب والضرب والقطع ، وغير ذلك من الأفاعيل التي تُخبر فضل إخبار عن وجوه القدرة ، وتنبىء عن مكانها ، ولذلك تجدهم لا يريدون باليد شيئاً لا ملابسة بينه وبين هذه الجارحة بوجه .

(١) ما بين القوسين زيادة منى يستقيم بها الكلام ، وانظر ما سلف في أول ص : ٣٠٢ ، ص :

٣٤٧ - ولوجوب اعتبار هذه النكته في وصف اللفظ بأنه « مجاز » ، لا يصح وصف المشترك بأنه مجاز
لم يَجُزْ استعماله في الألفاظ التي يقع فيها اشتراك من غير سبب يكون بين المشتركين ، كبعض الأسماء المجموعة في الملاحن ، ^(١) مثل أن « الثور » يكون اسماً للقطعة الكبيرة من الأقط ، ^(٢) و « النهار » اسمٌ لفرخ الحبارى ، و « الليل » ، لولد الكروان ، كما قال :
[من المقارب]

أَكَلْتُ النَّهَارَ يَنْصِفُ النَّهَارِ وَلَيْلًا أَكَلْتُ بَلِيلَ بَيْهَمٍ ^(٣)

وذلك أن اسم « الثور » لم يقع على الأقط لأمرٍ بينه وبين الحيوان المعلوم ، ولا « النهار » على الفرخ لأمرٍ بينه وبين ضوء الشمس ، أداه إليه وساقه نحوه .

٣٤٨ - والغرض المقصود بهذه العبارة = أعنى قولنا : « المجاز » = أن المنقول لا يوصف بأنه مجاز
نبيّن أن اللفظ أصلاً مبدوءاً به في الوضع ومقصوداً ، وأن جريه على الثاني إنما هو على سبيل الحكم يتأدى إلى الشيء من غيره ، وكما يعقب الشيء برائحة ما يجاوره ، وينصّبغ بلون ما يدانيه . ولذلك لم ترهم يُطلقون « المجاز » في الأعلام ، إطلاقهم لفظ الثقل فيها حيث قالوا : « العَلَمُ على ضريين : منقولٌ ومرتبّلٌ ، وأن المنقول منها يكون منقولاً عن اسم جنس ، كأسد وثور وزيد وعمرو = أو صفةٍ ، كعاصم وحاتر ، أو فعل ، كيزيد ويشكر = / أو صوتٍ كببّة ، فأثبتوا لهذا كله الثقل من غير العَلَمية إلى العلمية ، ولم يروا أن يصفوه بالمجاز فيقولوا مثلاً :

(١) « الملاحن » ، قال أبو بكر بن دريد في أول كتابه « الملاحن » : « وقد اشتققنا له هذا الاسم من اللغة العربية الفصيحة التي لا يشوبها كدر » ثم قال : « ومعنى قولنا الملاحن ، لأن اللحن عند العرب الفطنة » ، يعنى ما فيه من الإيماء والتعريض والاشترك أيضاً .
(٢) « الأقط » ، الجين المتخذ من اللبن الحامض .
(٣) البيت في اللسان (ليل) ، غير منسوب .

إن « يشكر » حقيقة في مضارع « شَكَرَ » ، ومجاز في كونه آسم رجل = وأن « حَجْرًا » حقيقة في الجماد ، ومجاز في آسم الرجل . وذلك أن « الحجر » لم يقع اسمًا للرجل لالتباس كان بينه وبين الصخر ، على حسب ما كان بين اليد والنعمة ، وبينها وبين القدرة = ولا كما كان بين الظهر الحامل وبين المحمول في نحو تسميتهم المزايدة « راوية » ، وهى اسم للبعير الذى يحملها فى الأصل = وتسميتهم البعير « حَفْضًا » ، وهو آسم لمتاع البيت الذى يُحْمَل عليه = ولا كنعو ما بين الجزء من الشخص وبين جملة الشخص ، كتسميتهم الرجل « عَيْتًا » ، إذا كان ربيعةً ، والناقاة « نَابًا » = ولا كما بين النَّبْت والغيث ، وبين السماء والمطر ، حيث قالوا : « رعينا الغيث » ، يريدون النَّبْت الذى الغيث سبب فى كونه = وقالوا : « أصابنا السماء » ، يريدون المطر . وقال : [من الرجز]

تَلَفُّهُ الأُرُوأَحُ والسُّمِيُّ .^(١)

= وذلك أن فى هذا كله تأوُّلاً ، وهو الذى أفضى بالاسم إلى ما ليس بأصل فيه = « فالعين » لما كانت المقصودة فى كون الرجل ربيعةً ، صارت كأنها الشخص كله ، إذ كان ما عداها لا يُغنى شيئاً مع فقدها = و « الغيث » ، لَمَّا كان النَّبْت يكون عنه ، صار كأنه هو = و « المطر » لما كان ينزل من السماء ، عبروا عنه بأسمها .

•••

الأسباب بين المنقول

والمنقول عنه تختلف

قوة وضعفاً

٣٤٩ - وأعلم أن هذه الأسباب الكائنة بين المنقول والمنقول عنه ،

٢٦٥

تختلف فى القوة والضعف والظهور وخلافه . فهذه / الأسماء التى ذكرتها ،

(١) للعجاج فى ديوانه ، من يائته المشهورة ، والبيت فى صفة ثور الوحش وقد غمره المطر .

و « السُّمِيُّ » ، الأمطار ، جمع « سماء » .

إذا نظرت إلى المعاني التي وصلت بين ما هي له ، وبين ما رُدَّت إليه ، وجدتها أقوى من نحو ما تراه في تسميتهم الشاة التي تُذبح عن الصبي إذا حُلِقَتْ عقيقته ، عقيقة = ^(١) وتجد حالها بعد أقوى من حال « العقيرة » ، ^(٢) في وقوعها للصوت في قولهم : « رَفَع عَقِيرَتَهُ » ، وذلك أنه شيء جرى اتفاقاً ، ولا معنى يصل بين الصوت وبين الرجل المعقورة .

= على أن القياس يقتضى أن لا يسمى « مجازاً » ، ولكن يُجرى مُجرى الشيء يُحكى بعد وقوعه ، كالمثل إذا حُكِيَ فيه كلامٌ صَدَرَ عن قائله من غير قصدٍ إلى قياس وتشبيه ، بل للإخبار عن أمر من قصده بالخطاب كقولهم : « الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّيْنُ » ، ^(٣) ولهذا الموضع تحقيق لا يتم إلا بأن يوضع له فصل مُفردٌ .

والمقصود الآن غير ذلك ، لأن قصدي في هذا الفصل أن أبين أن « المجاز » أعمُّ من « الاستعارة » ، وأن الصحيح من القضية في ذلك : أن كلَّ استعارة مجازٌ ، وليس كلُّ مجازٍ استعارة . وذلك أنا نرى كلامَ العارفين بهذا الشأن = أعنى علم الخطابة وتقيد الشعر = والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع ، يجرى على أن « الاستعارة » نقل الاسم عن أصله إلى غيره للتشبيه على حدِّ المبالغة .

المجاز أعم من
الاستعارة

•••

(١) « عقيقة المولود » ، هي الشعر الذي يكون على رأسه حين يولد .

(٢) « العقيرة » ، الرجل المعقورة ، وأصل ذلك أن رجلاً عُقِرَتْ رجله ، فوضع العقيرة على

الصحيحة ، وبكى عليها بأعلى صوته ، فقيل : « رفع عقيرته » .

(٣) هو مثل في جميع كتب الأمثال . ويضربُ مثلاً للرجل يضيِّع الأمر ، ثم يريد استلزامه ،

وهو لا يقال إلا بكسر التاء هي « ضيَّعت » وإن خاطبت مذكراً ، لا يغيَّر عن صيغته ، وأصله خطابٌ

لامرأة في خير هذا المثل .

٣٥٠ - قال القاضي أبو الحسن في أثناء فصلٍ يذكرها فيه : « وملاك الاستعارة بُعد في أقسام البديع » (١) وهكذا تراهم يعثونها في أقسام البديع ، حيث يُذكر « التجنيس » و « التطبيق » و « التوشيح » و « ردُّ العجز على الصدر » وغير ذلك ، من غير أن يشترطوا شرطاً ، ويُعقبوا ذكرها بتقييد فيقولوا : « ومن البديع الاستعارة التي من شأنها كذا » . فلولا أنها عندهم لنقل الاسم بشرط التشبيه على المبالغة ، إمّا قطعاً وإمّا قريباً من المقطوع عليه ، لما استجازوا ذكرها مطلقاً غير مقيدة .

بيِّن ذلك أنها إن كانت تُساوِقُ المجازَ وتجرى مجراه حتى تصلح لكل ما يصلح له ، فذكرها في أقسام البديع يقتضى أن كل موصوف بأنه مجازٌ ، فهو بديع عندهم ، حتى يكون إجراء « اليد » على النعمة بديعاً ، وتسمية البعير « حَفْصاً » ، والناقة « نَاباً » ، والربيعة « عَيْنًا » ، والشاة « عَقِيْقَةً » ، بديعاً كله ، (٢) وذلك بين الفساد .

٣٥١ - وأما ما تجده في كتب اللغة من إدخال ما ليس طريق نقله التشبيه في الاستعارة ، كما صنع أبو بكر بن دريد في الجمهرة ، (٣) فإنه ابتداءً باباً فقال : « باب الاستعارات » ثم ذكر فيه : أن « الوغى » اختلاط الأصوات في الحرب ، ثم كثرت وصارت الحرب « وُغَى » ، وأنشد : [من السريع]

(١) انظر دلائل الإعجاز رقم : ٥١١ ، والتعليق عليه ص ٤٣٤ ، رقم : ٤ ، وهذا النص هنا هو في الوساطة ص : ٤٠ (طبعة صيدا) .

(٢) انظر رقم : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٣) انظر الجمهرة لابن دريد : ٣ : ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

إِضْمَامَةٌ مِنْ ذَوْدِهَا الثَّلَاثِينَ لَهَا وَغَى مِثْلَ وَغَى الثَّمَانِينَ^(١)

يعنى اختلاط أصواتها = وذكر قولهم : « رَعَيْنَا الْغَيْثَ وَالسَّمَاءَ » ، يعنى المطر = وذكر ما هو أبعد من ذلك فقال : « الْخُرْسُ » ، ما تُطْعَمُهُ التَّفْسَاءُ ، ثم صارت الدَّعْوَةُ لِلوَلَادَةِ « خُرْسًا » = و « الإِعْدَارُ » الختان ، وَسُمِّيَ الطَّعَامُ لِلختَانِ إِعْدَارًا = وأن « الظَّعِينَةَ » أصلها المرأة في / الْهَوْدَجِ ، ثم صار البعير والهودج ظَعِينَةً = و « الْخَطْرُ » ضرب البعير بذنبه جانبي وَرِكَيْهِ ، ثم صار ما لصيق من البول بالوركين خَطْرًا = وذكر أيضا « الرَّأْيَةُ » بمعنى المَزَادَةُ ، و « الْعَقِيقَةُ » .

٢٦٧

وذكر فيما بين ذِكْرِهِ هذه الكلم أشياء هي استعارة على الحقيقة ، على طريقة أهل الخطابة ونقد الشعر ، لأنه قال : « الظَّمَا » ، العطشُ وشهوةُ الماءِ ، ثم كثر ذلك حتى قالوا : « ظَمِئْتُ إِلَى لِقَائِكَ » = وقال : « الْوَجُورُ » ما أوجرته الإنسان من دَوَاءٍ أو غَيْرِهِ ، ثم قالوا : « أُوجِرَهُ الرِّمْحُ » ، إذا طعنه في فيه .

فالوجه في هذا الذى رأوه من إطلاق « الاستعارة » على ما هو تشبيه ، كما هو شرط أهل العلم بالشعر ، وعلى ما ليس من التشبيه في شيء ، ولكنه نقل اللفظ عن الشيء إلى الشيء بسبب اختصاص وضرب من الملابس بينهما ، وَخَلِطَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرَ =^(٢) أنهم كانوا نظروا إلى ما يتعارفه الناس في معنى العارية ، وأنها شيءٌ حُوِّلَ عَنْ مَالِكِهِ وَنُقِلَ عَنْ مَقَرِّهِ الَّذِي هُوَ أَصْلٌ فِي اسْتِحْقَاقِهِ ، إلى ما ليس بأصل ، ولم يُرَاعَوْا عُرْفَ الْقَوْمِ . ووزانهم في ذلك وَزَانٌ مِنْ يَتْرَكَ عُرْفَ النَحْوِيِّينَ فِي « التَّمْيِيزِ » ، واختصاصهم له بما احتمل أجناسًا مختلفةً كالمقادير

الاستعارة مقصورة
على ما كان نقله نقل
التشبيه للمبالغة

(١) « الإِضْمَامَةُ » ، الجماعة ينضم بعضهم إلى بعض .

(٢) السياق : « فالوجهُ في هذا ... أنهم كانوا نظروا » .

والأعداد وما شاركهما ، فى أن الإبهام الذى يراد كشفه منه هو احتمال الأجناس ،
فيسمى الحال مثلاً تمييزاً ، من حيث أنك إذا قلت : « راكباً » ، فقد ميزت
المقصود وبينته ، كما فعلت ذلك فى قولك : « عشرون درهماً » و « متوان سمنًا »
و « قفيزان بُراً » و « لى مثله رجلاً » و « لله ذره رجلاً » .

٢٦٨

/ وليس هذا المذهب بالمذهب المرضى ، بل الصواب أن تُقصر
« الاستعارة » على ما نقله نقل التشبيه للمبالغة ، لأن هذا نقل يطرّد على حدّ
واحد ، وله فوائد عظيمة ونتائج شريفة ، فالتطفّل به على غيره فى الذكر ، وتركه
مغموراً فيما بين أشياء ليس لها فى نقلها مثل نظامه ولا أمثال فوائده ، ضعف
من الرأى وتقصير فى النظر .

•••

٣٥٢ - وربما وقع فى كلام العلماء بهذا الشأن « الاستعارة » على
تلك الطريقة العامية ، إلا أنه لا يكون عند ذكر القوانين وحيث تُقرّر الأصول .
ومثاله أن أبا القاسم الآمدى قال فى أثناء فصل يُجيب فيه عن شيء اعترض به
على البحترى فى قوله :

فكأن مجلسه المحجّب محفّل وكان خلوته الحفّية مشهّد^(١)
= أن المكان لا يسمى مجلساً إلا وفيه قوم . ثم قال : « ألا ترى إلى قول
مُهلهل :

وَأَسْتَبُّ بَعْدَكَ يَا كَلَيْبُ الْمَجْلِسِ .^(٢)

(١) هو فى ديوانه .

(٢) هو من شعره فى رثاء أخيه كليب ، وكان قتله سبب حرب البسوس ، وصلد البيت :

تُبَّتْ أَنْ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْ قَدْتُ .

وأبياته فى شرح الحماسة ٢ : ١٩٧ وغيره .

على الاستعارة» ، (١) فأطلق لفظ « الاستعارة » على وقوع « المجلس » هنا ، بمعنى القوم الذين يجتمعون في الأمور ، وليس « المجلس » إذا وقع على القوم من طريق التشبيه ، بل على حدّ وقوع الشيء على ما يتّصل به ، وتكثر ملاحظته إياه . وأتى شبه يكون بين القوم ومكانهم الذي يجتمعون فيه ؟ إلا أنه لا يُعتدّ بمثل هذا ، فإنّ ذلك قد يتفق حيث تُرسل العبارة .

وقال الأمدى نفسه : « ثم قد يأتي في الشعر ثلاثة أنواع أُخر ، يكتبى المعنى العامّ بها بهاء / وحسناً ، حتى يخرج بعد عمومه إلى أن يصير مخصوصاً = ثم قال : وهذه الأنواع هي التي وقع عليها اسم البديع ، وهي الاستعارة والطباق والتجنيس » . (٢)

تفسير قولهم :
الاستعارة من البديع
٢٦٩

فهذا نصٌّ في موضع القوانين على أن « الاستعارة » من أقسام البديع ، ولن يكون الثقل بديعاً حتى يكون من أجل التشبيه على المبالغة كما بينتُ لك . وإذا كان كذلك ، ثم جعل « الاستعارة » على الإطلاق بديعاً ، فقد أعلمك أنها اسم للضرب المخصوص من الثقل دون كلّ نقل ، فأعرفه .

٣٥٣ - وأعلم أنّا إذا أنعمنا النظر ، وجدنا المنقول من أجل التشبيه على المبالغة ، أحقّ بأن يوصف بالاستعارة من طريق المعنى .

المنقول من أجل
التشبيه على المبالغة
هو الاستعارة

(١) نصّ كلام أبي القاسم الأمدى في الموازنة ١ : ٣٧٢ .

(٢) هذا الأخير لم أرفق الآن إلى الوقوف عليه بتامه في الأجزاء الثلاثة من الموازنة ، ولكني رأيت في الجزء الأول : ١٤ ، وهو يذكر مسلم بن الوليد ومذهبه فقال : « ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع ، وهي الاستعارة والطباق والتجنيس ، منثورة متفرقة في أشعار المتقدمين ، فقصدتها ، وأكثر في شعره منها » .

بيان ذلك : أن ملك المُعِير لا يزول عن المستعار ، واستحقاقه إيّاه لا يرتفع . فالعاريّة إنما كانت عاريّةً ، لأن يَدَ المستعير يَدُ عليها ، ما دامت يَدُ المعير باقية ، ومِلْكُهُ غيرُ زائل ، فلا يُتَصَوَّرُ أن يكون للمستعير تصرّف لم يستفده من المالك الذي أعاره ، ولا أن تستقرّ يده مع زوال اليد المنقول عنها ، وهذه جملة لا تراها إلّا في المنقول نقل التشبيه ، لأنك لا تستطيع أن تتصوّر جَرَى الاسم على الفرع من غير أن تُحوِّجَه إلى الأصل . كيف ؟ ولا يُعقل تشبيه حتى يكون ههنا مشبّه ومشبّه به . هذا ، والتشبيه ساذج مُرسل ، فكيف إذا كان على معنى المبالغة ، وعلى أن يُجعل الثاني كأنه أنقلب مثلاً إلى جنس الأوّل ، فصار الرجلُ أسدًا وبحرًا وبدراً ، / والعلم نُورًا ، والجهلُ ظلمةً ، لأنّه إذا كان على هذا الوجه ، كانت حاجتُك إلى أن تنظر به إلى الأصل أمسّ ، لأنّه إذا لم يُتَصَوَّرُ أن يكون ههنا سبعٌ من شأنه الجرأة العظيمة والبطش الشديد ، كان تقديرُك شيئاً آخر تحوّل إلى صفة وصار في حكمه ، من أبعد المُحال .

٣٥٤ - وأما ما كان منقولاً لا لأجل التشبيه ، كاليد في نقلها إلى النعمة ، فلا يوجد ذلك فيه ، لأنك لا تُثبت للنعمة بإجراء اسم « اليد » عليها شيئاً من صفات الجارحة المعلومة ، ولا تروم تشبيهها بها ألبتة ، لا مبالغة ولا غير مبالغ . فلو فرضنا أن تكون « اليد » أسماً وضع للنعمة ابتداءً ، ثم نُقلت إلى الجارحة ، لم يكن ذلك مستحيلاً . وكذلك لو ادّعى مدّع أن جَرَى اليد على النعمة أصلٌ ولغةٌ على حدّتها ، وليست مجازاً ، لم يكن مدّعياً شيئاً يحيله العقل . ولو حاول مُحاول أن يقول في مسألتنا قولاً شبيهاً بهذا ، فرام تقدير شيءٍ يجري عليه اسم الأسد على المعنى الذي يريد بالاستعارة ، مع فقد السبب المعلوم ،

ما هو منقول لا لأجل التشبيه ، كاليد للنعمة ، فليس استعارة

ومن غير أن يسبق استحقاقه لهذا الاسم في وضع اللغة ، رام شيئاً في غاية البعد .

٣٥٥ - وعبارة أخرى : العارية من شأنها أن تكون عند المستعير على عبارة أخرى في بيان الاستعارة
صفة شبيهة بصفقتها وهي عند المالك ، ولسنا نجد هذه الصورة إلا فيما نُقل نُقل التشبيه للمبالغة دون ما سواه . ألا ترى أن الاسم المستعار يتناول المستعار له ، ليدل على مشاركته المستعار / منه في صفة هي أخص الصفات التي من أجلها ٢٧١
وُضع الاسم الأول ؟ = أعني أن الشجاعة أقوى المعاني التي من أجلها سُمي الأسد أسداً ، وأنت تستعير الاسم للشيء على معنى إثباتها له على حدّها في الأسد .

فأما « اليد » ونقلها إلى النعمة ، فليست من هذا في شيء ، لأنها لم تتناول النعمة لتدل على صفة من صفات اليد بحال . ويجرّر ذلك نكتة : وهي أنك تريد بقولك : « رأيت أسداً » ، أن تُثبت للرجل الأُسدية ، ولست تريد بقولك : « له عندي يدٌ » ، أن تُثبت للنعمة اليديّة ، وهذا واضح جداً .

٣٥٦ - وأعلم أن الواجب كان أن لا أُعدّ وضع « الشفة » موضع الاستعارة غير المفيدة
« الجحفة » ، و « الجحفة » في مكان « المِشْفَر » ، ونظائره التي قدّمت ذكرها في الاستعارة ، ^(١) وأضنّ باسمها أن يقع عليه ، ولكنني رأيتهم قد خلطوه بالاستعارات وعلّوه مَعْدّها ، فكرهت التشدد في الخلاف ، واعتددت به في الجملة ، ونبّهت على ضعف أمره بأن سمّيته « استعارة غير مفيدة » . وكان وزان

(١) انظر ما سلف رقم : ٢٩ ، ٣٠ .

ذلك وزان أن يقال: « المفعول على ضريين مفعول صحيح، ومشبّه بالمفعول ». فيتجوّز باعتبار المشبّه بالمفعول في الجملة، ثم يفصل بالوصف. ووجه شبه هذا النحو الذي هو نقل « الشفة » إلى موضع « الجحفلة » بالاستعارة الحقيقية، لأنك تنقل الاسم إلى مجانس له. ألا ترى أن المراد بالشفة والجحفلة عضو واحد، وإنما الفرق أن هذا من الفرس، وذلك من الإنسان، والمجانسة / والمشابهة من واحد واحد؟ فأنت تقول: أعير الشيء اسمه الموضوع له هنالك = أى فى الإنسان = ههنا = أى فى الفرس =، لأن أحدهما مثل صاحبه وشريكه فى جنسه، كما أعرت الرجل اسم الأسد، لأنه شاركه فى صفته الخاصّة به، وهى الشجاعة البليغة. وليس ليد مع النعمة هذا الشبه، إذ لا مجانسة بين الجارحة وبين النعمة، وكذا لا شبه ولا جنسية بين البعير ومَتاع البيت، وبين المزايدة وبين البعير، ولا بين العين وبين جملة الشخص = (١) فإطلاق أسم « الاستعارة » عليه بعيد.

اللفظ لا يستحق
الوصف بالاستعارة
بمجرد النقل

٣٥٧ - ولو كان اللفظ يستحق الوصف بالاستعارة بمجرد النقل، لجاز أن توصف الأسماء المنقولة من الأجناس إلى الأعلام بأنها مستعارة، فيقال: « حَجْرٌ »، مستعار فى اسم الرجل، ولزم كذلك فى الفعل المنقول نحو: « يزيد ويشكر » وفى الصوت نحو: « بَيْة » (٢) فى قوله: [من الرجز]

لَأُنْكِحَنَّ بَيْتَهُ جَارِيَةً خِدْبَةَ (٣)
مُكْرَمَةً مُحِبَّةً تَجُبُّ أَهْلَ الْكَعْبَةِ

(١) انظر ما سلف رقم: ٣٤٨.

(٢) انظر ما سلف رقم: ٣٤٨ أيضاً.

(٣) الرجز فى التفاضل: ١١٣، واللسان (بيب) (خذب): « بية » لقب عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وكانت أمه هند بنت أبى سفيان ترقصه بهذه الأبيات، فلزمه اسم « بية » و « جارية خدبة »، متلفة تسمية. « تجب أهل الكعبة »، تغلب نساء قريش فى حسناتها وتفضلهم.

وذلك ارتكابٌ قبيح ، وفرطٌ تعصبٍ على الصواب .

٣٥٨ - ويلوح ههنا شيء . وهو أننا وإن جعلنا « الاستعارة » من صفة اللفظ فقلنا : « اسم مستعار » ، و « هذا اللفظ استعارة ههنا وحقيقة هناك » ، فإننا على ذلك نُشير بها إلى المعنى ، من حيث قصدنا باستعارة الاسم ، أن نُثبتَ أخصَّ معانيه للمستعار / له .

٢٧٣

يدلُّك على ذلك قولنا : « جعله أسداً » و « جعله بدرًا » و « جعل للشمال يدًا » ، فلولا أن استعارة الاسم للشيء تتضمن استعارة معناه له ، لما كان لهذا الكلام معنى . لأن « جَعَلَ » ، لا يصلح إلا حيث يُراد إثبات صفة للشيء ، كقولنا : « جعله أميرًا ، وجعله إصًا » ، نريد أنه أثبت له الإمامة واللصوصية . وحكم « جَعَلَ » إذا تعدى إلى مفعولين ، حكم « صَيَّرَ » ، فكما لا تقول : « صَيَّرْتُهُ أميرًا » إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمامة ، كذلك لم تقل : « جعله أسداً » إلا على أنه أثبت له معنى من معاني الأسود = ولا يقال : « جعلته زيدًا » ، بمعنى سمَّيته زيدًا ، ولا يقال للرجل : « اجعل ابنك زيدًا » بمعنى سمَّه ، ولا يقال : « وُلِدَ لفلانِ ابنٌ فجعله زيدًا » أى : سمَّاه زيدًا .^(١) وإنما يدخل الغلط في ذلك على من لا يُحصِّل هذا الشأن .

تفسير قولهم في
الاستعارة « جعله
أسداً » مثلاً

٣٥٩ - فأما قوله تعالى : (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَانًا) [سورة الزخرف : ١٩] ، فإنما جاء على الحقيقة التي وصفتها ، وذلك أنهم أثبتوا

تمام تفسير « الجعل »

(١) انظر دلائل الإعجاز من رقم : ٤٣٨ - ٤٤٠ ، ص : ٣٦٧ ، ٣٦٨ / ثم رقم : ٥١٥ ،

٥١٦ / ص : ٤٣٧ - ٤٣٩ .

للملائكة صفة الإناث ، واعتقدوا وجودها فيهم . وعن هذا الاعتقاد صَدَرَ عنهم ما صَدَرَ من الاسم = أعنى إطلاق اسم البنات ، وليس المعنى أنهم وضعوا لها لفظَ الإناث ، أو لفظَ البناتِ ، أسما من غير اعتقادٍ معنَى ، وإثباتِ صفةٍ ، هذا محالٌ لا يقوله عاقل = أو ما يسمعون قول الله عز وجل : (أَشْهَلُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) [سورة الزخرف : ١٩] ، فإن كانوا لم يزيدوا على إجراء الاسم على الملائكة ولم يعتقدوا إثبات صفة ومعنى ، فأى معنى لأن يقال : « أشهلوا خلقهم » ؟ هذا ، ولو كانوا لَمْ يقصدوا / إثبات صفةٍ ، ولم يفعلوا أكثر من أن وَضَعُوا اسماً ، لَمَا آسْتَحَقُّوا إِلَّا اليسيرَ من الذمِّ ، ولما كان هذا القولُ كُفْراً منهم . ^(١) والأمرُ في ذلك أظهر من أن يخفى = ولكن قد يكون للشيء المستحيل وجوهٌ في الاستحالة فتذكر كلها ، وإن كان في الواحد منها ما يُزيل الشبهة ويُتمُّ الحُجَّةَ .

٢٧٤

(١) انظر لهذه الفقرة ما سلف في دلائل الإعجاز رقم : ٥١٦ ، ٥١٧ ، ص : ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

فصل

« في تقسيم المجاز إلى اللغوي والعقلي ، واللغوي إلى الاستعارة وغيرها »^(١)

٣٦٠ - وأعلم أن « المجاز » على ضربين : مجاز من طريق اللغة ، ومجاز من طريق المعنى والمعقول . فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا : « اليد مجاز في النعمة » و « الأسد مجاز في الإنسان وكل ما ليس بالسبع المعروف » ، كان حكمًا أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة ، لأننا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداءً في اللغة ، وأوقعها على غير ذلك ، إما تشبيهاً ، وإما لصلّة وملاسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه .

المجاز اللغوي والمجاز
العقل

٣٦١ - ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام ، كان مجازًا من طريق المعقول دون اللغة ، وذلك أن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل ، لا يصح ردها إلى اللغة ، ولا وجه لنسبتها إلى واضعها ، لأن التأليف هو إسناد فعل إلى اسم ، أو اسم إلى اسم ، وذلك شيء يحصل بقصد المتكلم ، فلا يصير « ضرب » خبرًا عن « زيد » بوضع اللغة ، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلاً له ، وهكذا : « ليضرب زيد » ، لا يكون أمرًا لزيد باللغة ، ولا « أضرب » أمرًا للرجل الذي / تخاطبه وتقبل عليه من بين كل من يصح خطابُه باللغة ، بل بك أيها المتكلم . فالذي يعود إلى واضع اللغة ، أن « ضرب » لإثبات الضرب ، وليس لإثبات الخروج ، وأنه لإثباته في زمانٍ ماضٍ ، وليس لإثباته في زمانٍ مستقبل . فأما تعيين من يُثبت له ، فيتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين بالأمر ، والمعبرين عن ودائع الصدور ، والكاشفين عن المقاصد والدعاوى ، صادقة كانت تلك

الجملة إذا وصفت
بالمجاز كانت مجازًا
عقلًا

٢٧٥

(١) أسقطها ريتز ، وهي في إحدى مخطوطاته ، وهي أيضًا في مطبوعة رشيد رضا .

الدعاوى أو كاذبة = ومُجرأة على صحتها ، أو مُزالةً عن مكانها من الحقيقة وجهتها = ومطلقةً بحسب ما تأذن فيه العقول وترسّمه = أو معدولاً بها عن مراسيمها نظماً لها في سلك التخيل ، وسلوكاً بها في مذهب التأويل .

٣٦٢ - فإذا قلنا مثلاً : « حَطَّ أحسنُ مما وشاه الربيع » أو « صنعه قويم : » خط أحسن مما وشاه الربيع ، مجاز عقل لا لغوى

الربيع » ، كنا قد آدعينا في ظاهر اللفظ أن للربيع فعلاً أو صنعا ، وأنه شارك الحى القادر في صحّة الفعل منه . وذلك تجوّز من حيث المعقول لا من حيث اللغة ، لأنه إن قلنا : « إنه مجاز من حيث اللغة » ، صرنا كأننا نقول : إن اللغة هي التي أوجبت أن يختصّ الفعل بالحى القادر دون الجماد ، وإنها لو حكمت بأن الجماد يصحّ منه الفعل والصنع والوشى والتزيين ، والصبغ والتحسين ، لكان ما هو مجاز الآن حقيقة ، ولعاد ما هو الآن متأولّ ، معدوداً فيما هو حقّ محصل ، وذلك محال .

٢٧٦ وإنما يتصور مثل هذا / القول في الكلم المفردة ، نحو : « اليد » للنعمة ، وذلك أنه يصحّ أن يقال : لو كان واضح اللغة وضع « اليد » أوّلاً للنعمة ، ثم عدّها إلى الجارحة ، لكان حقيقة فيما هو الآن مجاز ، ومجازاً فيما هو حقيقة ، فلم يكن بواجب من حيث المعقول أن يكون لفظ « اليد » آسماً للجارحة دون النعمة ، ولا في العقل أن شيئاً بلفظ ، أن يكون دليلاً عليه أولى منه بلفظ ، لاسيما في الأسماء الأولى التي ليست بمشتقة . وإنما وزان ذلك وزان أشكال الخطّ التي جعلت أمارات لأجراس الحروف المسموعة ، في أنه لا يتصور أن يكون العقل اقتضى اختصاص كل شكل منها بما اختصّ به ، دون أن يكون ذلك لاصطلاح وقّع وتواضع اتفق . ولو كان كذلك ، لم تختلف المواضع في الألفاظ والخطوط ، ولكانت اللغات واحدة ، كما وجب في عقل كل عاقل يحصل ما يقول ، أن لا يثبت الفعل على الحقيقة إلا للحى القادر .

٣٦٣ - فإن قلت : فإن اللغة رسمت أن يكون « فَعَلَ » لإثبات الفعل للشيء كما زعمت ، ولكننا إذا قلنا : « فعل الربيع الوشى » أو « وشى الربيع » ، فإننا نريد بذلك معنى معقولاً ، وهو أن الربيع سبب في كون الأنوار التي تُشبه الوشى . فقد نقلنا الفعل عن حُكم معقولٍ وُضع له ، إلى حكم آخر معقولٍ شبيه بذلك الحكم ، فصار ذلك كنقل الأسد عن السبع إلى الرجل الشبيه به في الشجاعة . أفتقول : « الأسد » على الرجل مجازاً من حيث المعقول ، لا من حيث اللغة ، كما قلت في صيغة : « فَعَلَ » = إذا أُسِنِدت إلى / ما لا يصح أن يكون له فِعْلٌ = إنها مجازٌ من جهة العقل ، لا من جهة اللغة ؟

فالجواب أن بينهما فرقاً ، وإن ظننتهما متساويين . وذلك أن « فَعَلَ » موضوع لإثبات الفعل للشيء على الإطلاق ، والحكم في بيان من يستحق هذا الإثبات وتعيينه إلى العقل . ^(١) وأما « الأسد » فموضوع للسبع قطعاً ، واللغة هي التي عيّنت المستحق له ، وبرسمها وحكمها ثبت هذا الاستحقاق والاختصاص ، ولولا نصُّها لم يُتصوّر أن يكون هذا السبع بهذا الاسم أولى من غيره . فأما استحقاق الحيِّ القادر أن يُثبَّت الفعل له واختصاصه بهذا الإثبات دون كل شيء سواه ، فبفرض العقل ونصِّه لا باللغة ، فقد نقلت « الأسد » عن شيء هو أصل فيه باللغة لا بالعقل . وأما « فَعَلَ » فلم تنقله عن الموضوع الذى وضعته اللغة فيه ، لأنه كما مضى ، موضوع لإثبات الفعل للشيء في زمان ماضٍ ، وهو في قولك : « فَعَلَ الربيع » باقٍ على هذه الحقيقة غير زائل عنها . ولن يستحقَّ اللفظ الوصف بأنه مجازٌ ، حتى يجزى على شيء لم يوضع له في الأصل . وإثبات الفعل لغير مستحقِّه ، ولما ليس بفاعل على الحقيقة ، لا يُخرج

(١) السياق : « والحكم إلى العقل » ، أى الحكم في ذلك مردودٌ إلى العقل .

« فَعَلَ » عن أصله ، ولا يجعله جاريًا على شيء لم يوضع له ، لأن الذى وُضِعَ له « فَعَلَ » هو إثبات الفعل للشئ فقط ، فأما وَصَفَ ذلك الشئ الذى يقع هذا الإثبات له ، فخارجٌ عن دلالة ، وغير داخلٍ فى الموضع اللغوى ، بل لا يجوز دخوله فيه ، لما قَدِّمْتُ من استحالة / أن يقال : « إنَّ اللغة هى التى أوجبت أن يُختصَّ الفعل بالحىِّ القادر دون الجماد » ، وما فى ذلك من الفساد العظيم ، فأعرفه فرقًا واضحًا ، وبرهانًا قاطعًا .

٣٦٤ - وههنا نكتة جامعة ، وهى أن « المجاز » فى مقابلة « الحقيقة » ، نكتة جامعة فى المجاز والحقيقة
فما كان طريقًا فى أحدهما من لغة أو عقل ، فهو طريقٌ فى الآخر . ولست تشكُّ فى أن طريقَ كونِ « الأسد » حقيقةً فى السبع ، اللُّغَةُ دون العقل ، وإذا كانت اللغة طريقًا للحقيقة فيه ، وجب أن تكون هى أيضًا الطريقَ فى كونه مجازًا فى المُشَبَّه بالسَّبْعِ ، إذا أنت أجريت اسم الأسد عليه فقلت : « رأيت أسدًا » ، تريد رجلًا لا تميّزه عن الأسد فى بسالته وإقدامه وبطشه .

وكذلك إذا علمت أن طريق الحقيقة فى إثبات الفعل للشئ هو العقل ، فينبغى أن تعلم أنه أيضًا الطريقُ إلى المجاز فيه . فكما أن العقل هو الذى دَلَّكَ حين قلت : « فَعَلَ الحىُّ القادرُ » ، أنك لم تتجوز ، وأنك واضعٌ قَدِّمَكَ على مَحْضِ الحقيقة ، كذلك ينبغى أن يكون هو الدالُّ والمقتضى ، إذا قلت : « فَعَلَ الربيع » ، أنك قد تجوّزت ورُزِلت عن الحقيقة ، فأعرفه .

٣٦٥ - فإن قال قائل : كان سياق هذا الكلام وتقريره يقتضى اعراض ورده
أن طريقَ المجاز كلُّه العقل ، وأن لاحظَّ للغة فيه ، وذاك أنا لا نُجْرَى اسم الأسد

على المشبه بالأسد ، حتى ندعى له الأسدية ، وحتى نُوهِم أنه حين أعطاك من البسالة والبأس والبطش ، ما تجده عند الأسد ، صار كأنه واحدٌ من الأسود قد استبدل بصورته صورة الإنسان ، وقد قُدمت أنت فيما مضى ما يبين أنك / لا تتجوز في إجراء اسم المشبه به على المشبه ، حتى تُخيل إلى نفسك أنه هو بعينه = فإذا كان الأمر كذلك فأنت في قولك : « رأيتُ أسداً » ، متجوزٌ من طريق المعقول ، كما أنك كذلك في « فعل الربيع » . وإذا كان كذلك ، عاد الحديث إلى أن المجاز فيهما جميعاً عقلى ، فكيف قسّمته قسّمين لغويّ وعقليّ ؟

٢٧٩

فالجواب : أن هذا الذى زعمت = من أنك لا تُجرى اسم المشبه به على المشبه حتى تدعى أنه قد صار من ذلك الجنس ، نحو أن تجعل الرجل كأنه في حقيقة الأسد = ^(١) صحيح كما زعمت ، لا يدفعه أحدٌ . وكيف السبيل إلى دفعه ، وعليه المعول في كون التشبيه على حدّ المبالغة ، وهو الفرق بين الاستعارة وبين التشبيه المرسل ؟ إلا أن ههنا نكتة أخرى قد أغفلتها ، وهى أن تجوزك هذا الذى طريقه العقل ، يُفضى بك إلى أن تُجرى الاسم على شيء لم يوضع له فى اللغة على كل حال ، فتجوز بالاسم على الجملة الشئ الذى وُضع له ، فمن ههنا جعلنا اللغة طريقاً فيه .

...

٣٦٦ - فإن قلت : لا أسلم أنه جرى على شيء لم يوضع له فى اللغة ،

اعتراض آخر وردة

لأنك إذا قلت : « لا تُجرى على الرجل حتى تدعى له أنه فى معنى الأسد » ، لم تكن قد أجرته على ما لم يوضع له ، وإنما كان يكون جارياً على غير ما وُضع

(١) السياق : « فالجواب أن هذا الذى زعمت ... صحيح ... » .

له ، أن لو كنت أجريته على شيءٍ لتفيد به معنى غير الأسدية . وذلك ما لا يُعقل ، لأنك لا تفيد بالأسد في التشبيه أنه رجلٌ مثلاً ، أو عاقل ، أو على وصفٍ لم يوضع هذا الاسم للدلالة عليه ألبتة .

= قيل لك : قُصارى حديثك هذا أننا أجرينا اسم الأسد على الرجل المشبه بالأسد على طريق / التأويل والتخييل ، أفليس على كل حال قد أجريناه على ما ليس بأسد على الحقيقة ؟ وألسنا قد جعلنا له مذهباً لم يكن له في أصل الوضع ؟

وهبنا قد ادعينا للرجل الأسدية حتى استحق بذلك أن تُجرى عليه اسم الأسد ، أترانا نتجاوز في هذه الدعوى حديث الشجاعة ، حتى ندعى للرجل صورة الأسد وهيئته وعبالة عنقه ومخالبه ، ^(١) وسائر أوصافه الظاهرة البادية للعيون ؟ ولئن كانت الشجاعة من أخص أوصاف الأسد وأمكنها ، فإن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها ، بل لها في مثل تلك الجئة وهاتيك الصورة والهئية وتلك الأنياب والمخالب ، إلى سائر ما يُعلم من الصورة الخاصة في جوارحه كلها . ولو كانت وضعت لتلك الشجاعة التي تعرفها وحدها ، لكان صفة لا أسماً ، ولكان كل شيءٍ يُفضى في شجاعته إلى ذلك الحد مستحقاً للاسم استحقاقاً حقيقياً ، لا على طريق التشبيه والتأويل .

وإذا كان كذلك ، فإننا وإن كنا لم ندلّ به على معنى لم يتضمّنه اسم الأسد في أصل وضعه ، فقد سلبناه بعض ما وُضع له ، وجعلناه للمعاني التي هي باطنة في الأسد وغريرة وطبع به وخلق ، مجردة عن المعاني الظاهرة التي هي

(١) « العبالة » ، مصدر « عبّل عبالة » ، إذا غلظ . و « العبل » ، الضخم من كل شيء .

جُئته وهَيْئَةً وَخَلَقَ ، وفي ذلك كفاية في إزالته عن أصل وقع له في اللغة ، ونقله عن حدِّ جَرِيهِ فيه إلى حدِّ آخر مخالف له .

وليس في « فَعَلَ » ، إذا تُجَوِّز فيه شيء من ذلك ، لأننا لم نسلِّبه لا بالتأويل ولا غير التأويل شيئاً وضعته اللغة له ، لأنه كما ذكرتُ غير مرّة : لإثبات الفعل / للشئ من غير أن يُتعرَّض لذلك الشئ ما هو ، أو هو مستحقُّ لأن يُثبَّت له الفعل أو غير مستحق . وإذا كان كذلك ، كان الذي أرادت اللغة به موجوداً فيه ثابتاً له في قولك : « فَعَلَ الربيع » ، ثبوته إذا قلت : « فعل الحىُّ القادر » ، لم يتغيَّر له صورة ، ولم ينقص منه شيء ، ولم يُزل عن حدِّ إلى حدِّ ، فأعرفه .

٢٨١

...

٣٦٧ - فإن قلت : قد عَلِمنا أن طريق المجاز ينقسم إلى ما ذكرت من اللغة والمعقول ، وأن « فَعَلَ » في نحو : « فعل الربيع » ، مما طريقه المعقول ، وأن نحو : « الأسد » إذا قُصد به التشبيه ، واستعير لغير السبع ، طريقٌ مجازه اللغة ، وبقي أن نعلم لم خصَّصَت المجاز = إذا كان طريقه العقل = بأن توصف به الجملة من الكلام دون الكلمة الواحدة . وهَلَّا جَوِّزَت أن يكون « فَعَلَ » على الانفراد موصوفاً به ؟

اعتراض آخر وردّه

= (١) فإن سبب ذلك أن المعنى الذى له وضع « فَعَلَ » لا يُتصوَّر الحكم عليه بمجاز أو حقيقة حتى يُسند إلى الاسم ، وهكذا كل مثال من أمثلة الفعل ، لأنه موضوع لإثبات الفعل للشئ ، فما لم نبيِّن ذلك الشئ الذى نُثبته

(١) هنا جواب الاعتراض .

له ونذكره ، لم يُعقل أن الإثبات واقع موقعه الذى نجده مرسومًا به فى صحف العقول ، أم قد زال عنه وجازه إلى غيره .

هذا ، وقولك : هلاً جَوِّزَت أن يكون « فَعَلَ » على الانفراد موصوفًا به ، محالٌ ، بعد أن ثبت أن لا مجازَ فى دلالة اللفظ ، وإنما المجاز فى أمر خارج عنه .

٣٦٨ - فإن قلت : أردتُ : هلاً جَوِّزَت أن يُنسبَ المجاز إلى معناه اعتراض آخر ورده

وحده ، وهو إثبات الفعل فيقال : « هو إثبات فعل على سبيل المجاز » ؟

= (١) فإن ذلك لا يتأتى أيضًا إلا بعد ذكر الفاعل ، لأن المجاز / أو الحقيقة ، إنما يظهر ويتصور من المثبت والمثبت له والإثبات ، وإثبات الفعل من غير أن يقيد بما وقع الإثبات له ، لا يصح الحكم عليه بمجاز أو حقيقة ، فلا يمكنك أن تقول : « إثبات الفعل مجاز أو حقيقة » هكذا مُرسلاً ، وإنما تقول : « إثبات الفعل للربيع مجازٌ ، وإثباته للحى القادر حقيقة » .

وإذا كان الأمر كذلك علمت أن لا سبيل إلى الحكم بأن ههنا مجازًا أو حقيقة من طريق العقل ، إلا فى جملة من الكلام . وكيف يتصور خلاف ذلك ؟ ووزان الحقيقة والمجاز العقلين ، وزان الصدق والكذب ، فكما يستحيل وصف الكليم المفردة بالصدق والكذب ، وأن يُجرى ذلك فى معانيها مفرقة غير مؤلفة ، فيقال : « رجل = على الانفراد = كذبٌ أو صدقٌ » ، كذلك يستحيل أن يكون ههنا حكم بالمجاز أو الحقيقة ، وأنت تنحو نحو العقل إلا فى الجملة المفيدة . فأعرفه أصلاً كبيراً والله الموفق للصواب ، والمسئول أن يعصم من الزلل بمنه وفضله .

(١) هذا جواب الاعتراض أيضاً .

فصل

« في الحذف والزيادة ، وهل هما من المجاز أم لا »^(١)

٣٦٩ - وأعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز ، لنقلك لها عن معناها ، كما مضى ، فقد توصف به لنقلها عن حُكْمٍ كان لها ، إلى حُكْمٍ ليس هو بحقيقة فيها .

الحذف والزيادة هل
هما مجاز أم لا

ومثال ذلك : أن المضاف إليه يكتسى إعرابَ المضافِ في نحو : (وَسئَلِ
الْقَرْيَةَ) [سورة يوسف : ٨٢] ، والأصل : « وسئل أهل القرية » ، فالحكم الذي يجب
للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجرُّ ، والنصبُ فيها مجازٌ . وهكذا قولهم :
« بنو فلانٍ تطوَّهوا الطريقُ » ، يريدون أهل الطريق ، الرُّفْعُ في « الطريق » مجاز ،
/ لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو « الأهل » ، والذي يستحقّه
في أصله هو الجرُّ .

٢٨٣

...

٣٧٠ - ولا ينبغي أن يقال : « إن وجه المجاز في هذا ، الحذف » ، فإن
الحذف إذا تجرَّد عن تغيير حُكْمٍ من أحكام ما بقى بعد الحذف لم يُسمَّ مجازًا .
ألا ترى أنك تقول : « زيدٌ منطلق وعمرو » ، فتحذف الخبر ، ثم لا توصف جملة
الكلام من أجل ذلك بأنه مجاز ؟ وذلك لأنه لم يُؤدِّ إلى تغيير حكم فيما بقى من
الكلام .

ضابط في الحذف

ويزيده تقريراً : أن المجاز إذا كان معناه : « أن تجوزَ بالشئء موضعه

(١) هذه الزيادة من مطبوعة رشيد رضا وحدها .

وأصله « ، فالحذف بمجرد لا يستحق الوصف به ، لأنَّ ترك الذكر وإسقاط الكلمة من الكلام ، لا يكون نقلًا لها عن أصلها ، إنما يُتصوَّر النقل فيما دخل تحت النطق .

وإذا امتنع أن يوصف المحذوف بالمجاز ، بقي القول فيما لم يحذف . وما لم يُحذف ودخل تحت الذكر ، لا يزول عن أصله ومكانه حتى يُغيَّر حكم من أحكامه أو يُغيَّر عن معانيه ، فأما وهو على حاله ، والمحذوف مذكور ، فتوهم ذلك فيه من أبعد المحال ، فأعرفه .

•••

٣٧١ - وإذا صحَّ امتناع أن يكون مجرد الحذف مجازًا ، أو تحقَّق الزيادة في هذه القضية كالحذف ، فلا يجوز أن يقال إن زيادة « ما » في نحو : (فَبِمَا رَحْمَةٍ) [سورة آل عمران : ١٥٩] مجاز ، أو أن جملة الكلام تصير مجازًا من أجل زيادته فيه . وذلك أن حقيقة الزيادة في الكلمة أن تُعْرَى من معناها ، وتذكر ولا فائدة لها سوى الصلَّة ، ويكون سقوطها وثبوتها سواء . ومحال / أن يكون ذلك مجازًا ، لأن المجاز أن يُراد بالكلمة غير ما وُضعت له في الأصل أو يُزاد فيها أو يُوهَم شيء ليس من شأنها ، كما يهاملك بظاهر التَّصَب في « القرية » أن السؤال واقع عليها . والزائد الذي سقوطه كثبوتها لا يُتصوَّر فيه ذلك .

٢٨٤

٣٧٢ - فأما غير الزائد من أجزاء الكلام الذي زيد فيه ، فيجب أن يُنظر فيه ، فإن حدث هناك بسبب ذلك الزائد حكمٌ تزول به الكلمة عن أصلها ، جاز حينئذ أن يُوصف ذلك الحكم ، أو ما وقع فيه ، بأنه مجاز ،

كقولك في نحو قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [سورة الشورى : ١١] : إن الجرّ في « المثل » مجازٌ ، لأن أصله النصب ، والجرُّ حكمٌ عَرَضٌ من أجل زيادة « الكاف » ، ولو كانوا إذ جعلوا « الكاف » مزيدة لم يُعملوها ، لما كان لحديث المجاز سبيلٌ على هذا الكلام .

ويزيده وضوحاً أن الزيادة على الإطلاق لو كانت تستحق الوصف بأنها مجاز ، لكان ينبغي أن يكون كل ما ليس بمزيد من الكلم مستحقاً الوصف بأنه حقيقة ، حتى يكون « الأسد » في قولك : « رأيت أسداً » وأنت تريد رجلاً ، حقيقةً .

...

٣٧٣ - فإن قلت : المجاز على أقسام ، والزيادة من أحدها .

اعتراض وردّه

قيل : هذا لك إذا حدّدت المجاز بحدّ تدخل الزيادة فيه ، ولا سبيل لك إلى ذلك ، لأن قولنا : « المجاز » ، يفيد أن تجوز بالكلمة موضعها في أصل الوضع ، وتنقلها عن دلالة إلى دلالة ، أو ما قارب ذلك .

...

٣٧٤ - وعلى الجملة ، فإنه لا يُعقل من « المجاز » أن تُسلب الكلمة دلالتها ، ثم لا تُعطىها دلالةً ، وأن تُخْلِيتها من أن يُرَاد بها شيء على وجه من الوجوه . ووصف اللفظة بالزيادة ، يفيد أن لا يُرَاد / بها معنى ، وأن تُجعل كأن لم يكن لها دلالة قط .

٢٨٥

...

٣٧٥ - فإن قلت : أو ليس يُقال إن الكلمة لا تُعْرَى من فائدة ما ، اعتراض آخر وردّه ولا تصير لُغَوًا على الإطلاق ، حتى قالوا : إن « ما » في نحو : « فبما رحمة من الله » ، تفيد التوكيد ؟

فأنا أقول : إن كَوْنَ « ما » تأكيدًا ، نقل لها عن أصلها ومجازٍ فيها . وكذلك أقول : إن كون الباء المزيدة في « ليس زيد بخارج » ، لتأكيد النفي ، مجازٌ في الكلمة ، لأن أصلها أن تكون للإلصاق = فإن ذلك على بُعد لا يقدر فيما أردتُ تصحيحه ، لأنه لا يُتصوّر أن تصف الكلمة من حيث جعلت زائدةً بأنها مجازٌ ، ومتى ادّعينا لها شيئًا من المعنى ، فإننا نجعلها من تلك الجهة غير مزيدة .

ولذلك يقول الشيخ أبو علي = ^(١) في الكلمة إذا كانت تزول عن أصلها من وجه ولا تزول من آخر = : « مُعتدُّ بها من وجه ، غير مُعتدُّ بها من وجه » ، كما قال في اللام من قولهم : « لا أبا لزيد » ، جعلها من حيث منعت أن يتعرّف « الأب » بزيد ، معتدًا بها = ومن حيث عارضها لام الفعل من « الأب » التي لا تعود إلا في الإضافة نحو : « أبو زيد » و « أبا زيد » ، غير معتدّ بها ، وفي حكم المُقحمة الزائدة .

وكذلك توصف « لا » في قولنا : « مررت برجل لا طويل ولا قصير » ، الزيادة من حيث هي زيادة لا توجب الوصف بالمجاز لأنها مزيدة ولكن على هذا الحدّ ، فيقال : « هي مزيدة غير مُعتدُّ بها من حيث الإعراب ، ومعتدُّ بها من حيث أوجبت نفي الطول والقصّر عن الرجل ، ولولاها لكانا ثابتين له » .

(١) هو أبو علي الفارسي .

وتطلق الزيادة على « لا » في نحو قوله تعالى : (لِقَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ) [سورة الحديد: ٢٩] ، لأنها لا تفيد النفي فيما دخلت عليه ، ولا يستقيم المعنى إلّا على إسقاطها . ثم إن قلنا إن « لا » هذه / الزيادة تُفيد تأكيد النفي الذى يجيء من بعدُ في قوله : (أن لَا يَقْدِرُونَ) ، وتؤذن به ، فإننا نجعلها من حيث أفادت هذا التأكيد غير مزيدة ، وإنما نجعلها مزيدة من حيث لم تُفد النفي الصريح فيما دخلت عليه ، كما أفادته في المسئلة .

٢٨٦

وإذا ثبت أن وصف الكلمة بالزيادة ، نقيضُ وصفها بالإفادة ، علمت أن الزيادة ، من حيث هي زيادة ، لا توجب الوصف بالمجاز .

٣٧٦ - فإن قلت : تكون سبباً لنقل الكلمة عن معنى هو أصلُ فيها إلى معنى ليس بأصلٍ = كدت تقول قولاً يجوز الإصغاء إليه ، وذلك ، إن صحَّ ، نظير ما قدّمْتُ من أن الحذف أو الزيادة قد تكون سبباً لحذوث حكم في الكلمة تدخل من أجله في المجاز ، كنصب القرية في الآية وجرّ المثل في الأخرى ، فأعرفه .

رد اعتراض

٣٧٧ - وأعلم أن من أصول هذا الباب : أن من حقّ المحذوف أو المزيد أن يُنسب إلى جُملة الكلام ، لا إلى الكلمة المجاورة له ، فأنت تقول إذا سئلت عن : « سَلِ القرية » : في الكلام حذف ، والأصل : « أهل القرية » ، ثم حُذف « الأهل » ، تعنى حُذف من بين الكلام .

من حق المحذوف أو
المزيد أن ينسب إلى
جملة الكلام

وكذلك تقول : « الكاف » زائدة في الكلام والأصل : « ليس مثله شيء » .

ولا تقول هي زائدة في « مثل » ، إذ لو جاز ذلك ، لجاز أن يقال إن « ما » في « فبها رحمة » ، مزيدة في الرحمة ، أو في « الباء » = وأن « لا » مزيدة في « يعلم » ، وذلك بين الفساد ، لأن هذه العبارة إنما تصلح حيث يُراد أن حرفاً زيد في صيغة آسم أو فعل ، على أن لا يكون لذلك الحرف على الانفراد معنى ، ولا تعدّه وحده كلمة ، كقولك : « زيدت الباء للتصغير في رُجيل ، والتاء للتأنيث في / ضارية » .
ولو جاز غير ذلك ، لجاز أن يكون خبر المبتدأ إذ حُذف في نحو : « زيد منطلق وعمرو » ، محذوفاً من المبتدأ نفسه ، على حدّ حذف اللام من يدٍ ودمٍ ، وذلك ما لا يقوله عاقل .

فنحن إذا قلنا : إن « الكاف » مزيدة في « مثل » ، فإنما نعني أنها لما زيدت في الجملة وُضعت في هذا الموضع منها . والأصحّ في العبارة أن يقال : « الكاف في « مثل » مزيدة » ، يعني الكاف الكائنة في « مثل » مزيدة ، كما تقول : « الكاف التي تراها في « مثل » مزيدة » = وكذلك تقول : « حُذِفَ المضاف من الكلام » ، ولا تقول : « حذف المضاف من المضاف إليه » . وهذا أوضح من أن يخفى ، ولكنّي استقصيته ، لأني رأيت في بعض العبارات المستعملة في المجاز والحقيقة ما يُوهم ذلك ، فأعرفه .

٣٧٨ - وما يجب ضبطه هنا أيضاً : أن الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره حتى يدعو إلى تقديرٍ حذيف ، أو إسقاطٍ مذكور ، كان على وجهين :

أحدهما : أن يكون امتناع تركه على ظاهره ، لأمرٍ يرجع إلى غرض المتكلم ، ومثاله الآيتان المتقدمتلاوتهما . ألا ترى أنك لو رأيت « سَل القرية » في غير التنزيل ، لم تقطع بأن ههنا محذوفاً ، لجواز أن يكون كلام رجل مرّ بقرية

قد خربت وباد أهلها ، فأراد أن يقول لصاحبه واعظاً ومدكراً ، أو لنفسه مُتَعَطِّلاً
 ومُعْتَبِراً : « سل القرية عن أهلها ، وقُلْ لها ما صنعوا » ، على حد قولهم : « سَلِ
 الأَرْضَ مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَعَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثَمَارَكَ ، فَإِنَّا إِن لَمْ تُجِبْكَ
 حِوَارًا ، أَجَابَتِكَ اعْتِبَارًا » = ^(١) وكذلك : إن سمعت الرجل يقول : « ليس
 كمثل زيد أحدٌ » / ، لم تقطع بزيادة الكاف ، وجوزت أن يريد : ليس كالرجل
 المعروف بمماثلة زيد أحدٌ .

٢٨٨

والوجه الثاني : أن يكون امتناعُ تَرْكِ الكلام على ظاهره ، ولزوم الحكم
 بحذف أو زيادةٍ ، من أجل الكلام نفسه ، لا من حيث غرض المتكلم به ، وذلك
 مثل أن يكون المحذوف أحدَ جزءي الجملة ، كالمبتدأ في نحو قوله تعالى : (فَصَبِّرْ
 جَمِيلٌ) [سورة يوسف : ١٨ ، ٨٢] ، وقوله : (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) [سورة النحل : ١١٧] ، لأبَد من
 تقدير محذوف ، ولا سبيل إلى أن يكون له معنى دونه ، سواءً كان في التنزيل أو في
 غيره ، فإذا نظرت إلى : « صَبِّرْ جَمِيلٌ » في قول الشاعر :

يشكو إلى جَمَلِي طَوَّلَ السُّرَى صَبِّرْ جَمِيلٌ ، فَكِلَانَا مُبْتَلَى ^(٢)

وجدته يَقْتَضِي تقديرَ محذوفٍ ، كما اقتضاه في التنزيل ، وذلك أن الداعي
 إلى تقدير المحذوف ههنا ، هو أن الاسم الواحد لا يفيدُ ، والصفة والموصوف
 حكمهما حكم الاسم الواحد ، و « جَمِيلٌ » صفة « للصَّبِرِ » .

وتقول للرجل : « مَنْ هَذَا ؟ » ، فيقول : « زيدٌ » ، يريد : هو زيد ، فتجد
 هذا الإضمار واجبًا ، لأن الاسم الواحد لا يُفِيدُ . وكيف يُتصَوَّرُ أن يفيد الاسم

(١) انظر ما سلف رقم : ١١ .

(٢) كتاب سيبويه ١ : ١٦٢ ، ولم يعرف قائله .

الواحد ، وَمَدَارُ الْفَائِدَةِ عَلَى إِثْبَاتِ أَوْ نَفْيِ ، وَكِلَاهُمَا يَقْتَضِي شَيْئَيْنِ : مُثَبِّتٌ وَمُثَبِّتٌ لَهُ ، وَمَنْفِيٌّ وَمَنْفِيٌّ عَنْهُ ؟

٣٧٩ - وأما وجوب الحكم بالزيادة لهذه الجهة ، فكنحو قولهم : « بِحَسْبِكَ أَنْ تَفْعَلَ » ، و : (كَفَى بِاللَّهِ) [سورة النساء : ٦ ، وآيات أخر] ، إن لم تقضِ بزيادة « الباء » ، لم تجد للكلام وجهًا تصرفه إليه ، وتأويلًا تتأوله عليه ألبتة ، فلا بدُّ لك من أن تقول : إن الأصل : « حَسْبُكَ أَنْ تَفْعَلَ » ، و « كَفَى اللَّهُ » ، وذلك أن « الباء » إذا كانت غير مزيدة ، كانت لتعدية الفعل إلى الاسم ، وليس في « بحسبك / أن تفعل » فعلٌ تعدّيه الباء إلى حسبك . ومن أين يتصوّر أن يتعدّى إلى المبتدأ فعلٌ ، والمبتدأ هو المعرّي من العوامل اللفظية ؟ وهكذا الأمر في « كفى » أو أقوى ، وذلك أن الاسم الداخِلَ عليه الباء في نحو : « كفى بزيد » ، فاعل كَفَى ، ومحالٌ أن تُعَدَّى الفعل إلى الفاعل بالباء أو غير الباء ، ففي الفعل من الاقتضاء للفاعل ما لا حاجة معه إلى مُتَوَسِّطٍ وَمُوصِلٍ وَمُعَدِّ ، فأعرفه ، والله أعلم بالصواب .

٢٨٥

في آخر المخطوطة : « تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيد المرسلين محمد النبي وآله الطاهرين . وافق الفراغ منه يوم الثلاثاء ، بعد العصر ، السابع عشر من شهر جمادى الآخرة ، من سنة ستين وستمئة ، بجبل الصالحية من دمشق المحروسة ، حرسها الله تعالى .

ويقول أبو فهر : فرغْتُ من قراءته وضبطه في يوم السبت الخامس
والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ١٤٠٩ هـ ، الموافق الخامس من شهر
نوفمبر سنة ١٩٨٨ م ، والحمد لله أولاً وآخراً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أبو فهر

محمود محمد شاكر

الفهارس



(١) فهرس آيات القرآن العظيم

الصفحة

رقم الآية

سورة الفاتحة

٦٥

« أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » ٥

•••

سورة البقرة

« مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ » ١١٤

« أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ » ٢٤٩

« حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ » ٣٢٠

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ » ٣١٢

« هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ » ٣٩١

•••

سورة آل عمران

« مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ » ١١٧

« أَصَابَتْ حَرَّتَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ » ٣٩٠

« فِيمَا رَحْمَةٍ » ١٥٩ ، ٤١٧ ، ٤٢١

•••

سورة النساء

« كَفَى بِاللَّهِ » ٦ ، ٤٢٣

« لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ » ١١٤ ، ٣٤٥

•••

سورة الأنعام

« أَوْمِنَ كَانَ مِثْنَا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي » ١٢٢ •

« النَّاسِ » ٣٧١

•••

رقم الآية	الصفحة
سورة الأعراف	
٥٧	٣٨٦ « حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سُقِّنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ »
١٥٧	٦٥ « وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ »
١٦٨	٦٠ « وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا »
•••••	
سورة الأنفال	
٢	٣٨٦ « وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا »
•••••	
سورة التوبة	
١٢٤	٣٨٦ « فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ يُكُفِّرْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا »
•••••	
سورة يونس	
٢٤	« إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَنْسِ »
١٠٩ ، ١١٤ ،	٢٤٨
•••••	
سورة هود	
٣٧	٥٠ « وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا »
•••••	
سورة يوسف	
٨٣، ١٨	٤٢٢ « فَصَبِّرْ جَمِيلًا »

رقم الآية	الصفحة
٨٢ « وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ »	٣٩٢ ، ٤١٦ ، ٤٢٠
.....	
سورة إبراهيم	
٢٥ « تُؤْتِي أكلهَا كُلَّ جِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا »	٣٨٦
.....	
سورة النحل	
١١٧ « مَتَاعٌ قَلِيلٌ »	٤٢٢
.....	
سورة مريم	
٤ « وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا »	٢٧٤
.....	
سورة طه	
٥ « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى »	٣٩١
٣٩ « وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي »	٥٠
.....	
سورة الحج	
٣١ « وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ »	٣٨٤
.....	
سورة العنكبوت	
٤١ « كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا »	١١٤
.....	

الصفحة	رقم الآية
سورة سبأ	
٦٢	« أَنْ أَعْمَلَ سَابِقَاتٍ وَقَلَّز فِي السَّرْدِ » ١١
٥٩	« وَمَرْفَاتُهُمْ كُلُّ مَمَرِّقِ » ١٩

سورة فاطر	
٣٧٣ ، ٣٧٢	« فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا » ٩

سورة الزمر	
٣٥٨	« وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ » ٦٧
٣٥٩	« وَالْأَرْضِ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ » ٦٧

سورة فصلت	
٣٧٢	« إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِىِ » ٣٩

سورة الشورى	
٤٢١ ، ٤١٨	« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » ١١
٣٧١	« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا » ٥٢
٦٥	« وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ٥٢

سورة الزخرف	
٤٠٦	« وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَا » ١٩
٤٠٧	« أَشْهَلُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ » ١٩

رقم الآية	الصفحة
	سورة الجاثية
٢٤	« وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ »
	٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠

	سورة الحجرات
١٣	« إِنْ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَفَتَاكُمْ »
	٢٦٤

	سورة ق
٣٧	« إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
	٣٦٣

	سورة الرحمن
٤-١	« الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » ٣

	سورة الحديد
١٧	« يُخْبِئِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا »
٢٩	« لِقَلَّ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ »
	٤٢٠

	سورة الحشر
٢	« فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا »
	٣٩٢

	سورة الجمعة
٥	« مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثُّرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا »
	١١٦ ، ١٠١

الصفحة

رقم الآية

سورة القيامة

٣٥٤

« بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ » ٤

°°°

سورة الفجر

٣٩١

« وَجَاءَ رَبُّكَ » ٢٢

°°°

سورة الزلزلة

٣٨٦

« وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » ٢

°°°

(٢) فهرس الأحاديث

- « آية الإيمان حُبُّ الأنصار ، وآية التفاق بُغْضُ الأنصار » : ٧١
- « أتدرون من المُفْلِسِ ؟ قالوا : المُفْلِسُ فينا يا رسول الله ، مَنْ لا يرزهم له ولا مَتاع . قال : المُفْلِسُ من أُمَّتى مَنْ يَأْتِي يومَ القيامةِ بِصَلاتِهِ وَزَكَاتِهِ وَصِيامِهِ ، فيَأْتِي وقد شَتَمَ هذا ، وأكَلَ مالَ هذا ، وَقَذَفَ هذا ، وَضَرَبَ هذا ، وَسَفَكَ دَمَ هذا ، فيُعْطَى هذا من حَسَناتِهِ ، وهذا من حَسَناتِهِ ، فإنَ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أن يَفْتَنَى ما عليه من الخَطايا ، أُخِذَ من خَطاياهم فَطُرِحَتْ عليه ، ثُمَّ طُرِحَ في النارِ » : ٨٥ ، ٨٦
- « أتيتكم بالحِيفِيَّةِ البِيضاءِ ، ليلها كنهارها » : ٢٢٧
- « قالت له نساؤه : أَيُّنا أَسْرَعُ لِحاقًا بِكَ يا رسولَ الله ؟ قال : أطولُكُنَّ يَدًا » : ٣٥٦
- « أنتم بنو آدم ، وآدمُ من ترابٍ » : ٢٦٤ = انظر : « الناس من آدم »
- « إنَّ أحدكم إذا تصدَّقَ بِالتَّمْرَةِ مِنَ الطَّيِّبِ = ولا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ = جَعَلَ اللهُ ذلكَ في كَفِّهِ ، فيَرِيها كما يَرِي أحدكم فَلَوَّهُ ، حتى يبلُغَ بِالتَّمْرَةِ مِثْلَ أُحُدٍ » : ٣٦٥
- « إنَّ أحدكم مَرأةٌ أخيه » : ٢٧٤ = انظر : « المؤمن مَرأةٌ المؤمن » .
- « إنَّ مِمَّا يُنْبِئُ الرَّبِيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطًا أو يُلِمْ » : ٣٨٥
- عن عدى بن حاتم : « أخذتُ عِقالًا أسودَ وعِقالًا أبيضَ فوضعتُهما تحتِ وسادتي ، فنظرتُ فلم أتبين ، فذكرتُ ذلكَ للنبيِّ ﷺ فقال : إنَّ وسادك لطويلٌ عريضٌ ، إنما هو الليل والنهار » : ٣٢١
- « إنَّ مِثْلَ المؤمنِ كَمِثْلِ النخلةِ ، أكلتُ طيبًا ، ووقعتُ فلم تُكسِرْ ولم تفسدُ : ٢٤٥ = انظر : « مِثْلَ المؤمنِ » .
- « إِنَّهُ لِيُغَانِ عَلى قَلْبِي ، ولِئِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ مِثَّةَ مَرَةٍ » : ٢٢٤
- « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ ، قيل : وما خَضِرَاءُ الدَّمَنِ ؟ قال : المَرأةُ الحَسَناءُ في المَنِيِّ السَّوءِ » : ٦٨ ، ٢٧٤
- قال ﷺ في الأنصار : « حُبُّهم إيمان ، وَبُغْضُهم نفاق » : ٧١
- « العَيْنُ تَرْنِي » : ٣٠٠
- « كُلُّكُمْ لآدَمَ ، وآدمُ من تُرابٍ » : ٢٦٤ = انظر : « أنتم بنو آدم » .

- ﴿ لِيَدْخُلُنَّ هَذَا الدِّينَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ : ٢٥٤
- ﴿ لَيْسَ الْخَيْرُ كَالْمُعَايَنَةِ ﴾ : ١٢١
- ﴿ الْمُؤْمِنُ سِرَاةُ الْمُؤْمِنِ ﴾ : ٢٧٤ = انظر : ﴿ إِنْ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِمَرَاةٍ أُخِيهِ ﴾
- ﴿ مَثَلُ أَصْحَابِي كَمَثَلِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ، لَا يَصْلُحُ الطَّعَامُ إِلَّا بِالْمِلْحِ ﴾ : ٧٠
- ﴿ مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتُحْرِقُ نَفْسَهَا ﴾ : ١١٩
- ﴿ مَثَلُ الَّذِي يَعْلَمُ النَّاسَ الْخَيْرَ ، مَثَلُ السَّرَاحِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتُحْرِقُ نَفْسَهُ ﴾ : ١١٩
- ﴿ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ نَخَامَةِ الزَّرْعِ ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا ، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَأُ بِالْبَلَاءِ ﴾ : ٢٤٥ ، ٢٤٧
- ﴿ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النَّخْلَةِ ، مَا أَخَذَتْ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ ﴾ : ٢٤٥ = انظر : ﴿ إِنْ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ ﴾
- ﴿ مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ﴾ : ٢٦٤
- ﴿ مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ ، رَجُلٌ مُمَسِكَ عِنَانَ فَرْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً = أَوْ فَرْعَةً = طَارَ عَلَيْهِ ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَطَّائُهُ ﴾ : ٥٦
- ﴿ مَنْ فِي الدُّنْيَا ضَيِّفٌ ، وَمَا فِي يَدَيْهِ عَارِيَّةٌ ، وَالضَّيْفُ مُرْتَجِلٌ ، وَالْعَارِيَّةُ مُسْتَرْدَّةٌ ﴾ : ١٢٠
- ﴿ النَّاسُ كَأَبْلِ مَيْمَةٍ ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ﴾ : ١١٣ ، ١١٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧
- ﴿ ... وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ ﴾ : ٢٦٤
- ﴿ النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ﴾ : ٢٦٤ = انظر : ﴿ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ ﴾
- ﴿ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَايْفَ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، يَا صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، لَا يَأْتِيَنِي النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ ، وَتَأْتُونِي بِالدُّنْيَا تَحْمِلُونَهَا ﴾ : ٢٦٤
- ﴿ يَا بَنِي هَاشِمٍ ، لَا يَجِيفُنِي النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ وَتَجِيفُونِي بِالْأَنْسَابِ ﴾ : ٢٦٤
- ﴿ يَحْمَلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلِيفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَاتْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ ﴾ : ١٠٥ ، ٣٩٣

(٣) فهرس الأقوال والأمثال

- « بلغنى أنك تُقدِّم رجلاً وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام » = رسالة أمير المؤمنين يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد : ١١٢
- « حُلِّفَت رِكاى ، وشُقِّقَت ثيابى ، وضُرِبَت صحابى » = مقالة أعرابى : ١٣
- « السَّفَرُ ميزانُ القوم » ، « السَّفَرُ ميزانُ السَّفَرِ » = مثل : ٢٨
- « سَلِ الأَرْضَ فُقل : مَنْ شَقَّ أنهارَكَ ، وغرسَ أشجارَكَ ، وجنَى ثمارَكَ ، فإن لم تُجَبِّك جوارًا ، أجابتكَ اعتبارًا » = الفضل بن عيسى الرقاشى : ١٢ ، ٤٢٢
- « شكراً شكراً ، إنا والله ما خرجنا لنحفرَ فيكم نَهراً ، ولا لِنَبْنى فيكم قَصراً ، أظنَّ عدو الله أن لن يُظفَرَ به ، أرخى له زمامه ، حتى عثرَ فى فَضْلِ حِطَامِهِ ، فالآن عادَ الأمرُ إلى نِصابِهِ ، وطلعت الشمسُ من مطلعها ، والآن قد أخذَ القومُ بارها ، وعادَ التُّبَلُ إلى التَّرعة ، وعادَ الأمرُ إلى مستقرِّهِ فى أهلِ بيتِ نبيِّكم ، أهلِ بيتِ الرَّأفةِ والرَّحمة » = خطبة داود بن على العباسى : ٢٥٨
- « الصَّيْفُ ضِيَعَتِ اللَّبنُ » = مثل : ٣٩٨
- « الفِكرةُ مُنَّجُ العَمَلِ » = مثل : ٢٧
- « كانوا إذا اصطَفَوْا سَفَرَتَ بينهمُ السَّهامُ ، وإذا تصافحوا بالسيفِ فَعَرَّ الحِمامُ » = أعرابى : ٢٨
- « كُلُّ رَجُلٍ وضِيعَتُهُ » = مثل به سيبويه : ١٩٥ ، ١٩٦
- « كيفَ الطَّلَا وأُمِّهِ » ، « ما أصنَعُ به ؟ آكلُهُ أم أُشْرِبُهُ » ، « غَرَّانُ فارِّكُوا له » = من قصة ابنِ لسانِ الحُمرة : ٤٠
- « اللّهُمَّ هَبْ لى حَمْدًا ، وهَبْ لى مَجْدًا ، فلا مَجْدَ إلا بفِعالٍ ، ولا فِعالَ إلا بمالي ، اللّهُمَّ لا يُصَلِّحَنِى القليلُ ولا أصلحَ عليه » = دعاء سعد بن عبادة رضى الله عنه : ١٢
- « ما الإنسانُ لولا اللسانُ ، إلا صورةٌ مُمثلةٌ ، أو بهيمةٌ مُهملةٌ » = من كلام خالد بن صفوان الخطيب : ١٢

- « مات خُزَانُ الأَمْوَالِ ، والعلماء باقونَ ما بقى الدهر ، أعيانُهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة » = من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : ٨١ = وانظر : « هلك خزان الأموال »
- « ما زال يفتلُ فى الذروة والغارب » = من كلام العرب : ١٠٦ ، ٢٠٠
- « هَلِكْ خُزَانُ الأَمْوَالِ » = من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : ٨١ = انظر : « مات خزان الأموال »
- « هُنَّ مُخْرِجَاتى من الشام » = من كلام عمرو بن العاص رضى الله عنه : ٣٨٨ ، ٣٨٩

(٤) فهرس الشعر

عدد الأبيات بالأرقام في أول الكلام

١٦ (كامل)	بعض المتأخرين	(٢) .. عة إتها أوق رداء
٣٣٨ (طويل)	محرز بن المكعبر الضبي	وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء
٢٦٥ (بسيط)	محمد بن الربيع الموصلي	(٤) أبوهُم آدمُ والأمُ حواءُ
٢٧٨ (كامل)	المتنبى	حُمَّتْ به فصبيها الرُحضاءُ
٣٤١))	إلا بوجهٍ ليس فيه حياءُ
٢٨٩ (خفيف)	البحترى	... جُه سكرًا لما شربن الدماءَ
٢٨٢ (وافر)	ابن بابك	سيوى فرط التوقدِ والذكاءِ
١١ (كامل)	البحترى	وتزوره في غارة شعواءِ
٢٠٧))	في كلِّ معركة متونُ زهاءِ
٢٠٨))	فعدت تبسمُ عن نجومِ سماءِ
١٤٩ (خفيف)	ابن الرومى	وأبى بعد ذلك بذلَّ العطاءِ
١١٧ ، ١٤٩))	.. من ويأبى الإنمارَ كلَّ الإباءِ
٣٠٢ (متقارب)	أبو تمام	بأن له حاجةٌ في السماءِ
٢٨٦ (كامل)	ابن نباتة	(٨) فاتقص منه فخاص في أحشائه
. . .		
٢٦٣ (طويل)	ابن الرومى	بمُخْتَسِبٍ إلا بأخرٍ مُخْتَسِبِ
٣٩ (كامل)	الأعلم الهدلى	... ءِ وحاجةُ الشُّعَثِ التوالبِ
١٧١ (رجز)	ابن المعتز	(٢) بطنَ شجاعٍ في كتيبٍ يضطربُ
٢٨٢ (رمل)	كشاجم	(٢) أنها من فرط برِّدٍ في العصبِ
١٣٧ (متقارب)	ابن بابك	فإن خاف نقصَ الحاقِ اتَّقِبْ

١٦٣ (متقارب)	عترة العبي	بأبيض كالقبيس المُتَهَيَّب
٢٩٢)	ابن المعتز	.. ج والليل من خَوْفِهِ قد هَرَبَ
٢٨٢ (طويل)	الشاشي	ألا إنها تلك العزوم التواقبُ
٥٤)	القتال الكلابي	منازلة تُعْتَسُ فيها الثعالبُ
١٧٤)	المتبي	أُسَيْتُهُ في جانبيها الكواكبُ
١٤٠)	النابعة	إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ
٩٠)	أبو الشَّعْبِ العبي	كما اهترت تحت البارح الضُّمْنُ الرُّطْبُ
٢٦٥)	المتبي	وكلُّ مكانٍ يَبْنِي العزَّ طَيْبُ
٢٤٢)	ابن الدمينه	(٢) غزالٌ كَجَيْلِ المُقْتَلِينَ رَيْبُ
١٩٥)	ضياء بن الحارث البُرْجَمِي	فإني وقِيَارًا بها لَعَرِبُ
٢٧٧ (بسيط)	أبو تمام	إن السماء تُرْجِي حين تَحْتَجِبُ
١٧٢)	ذو الرِّمَّة	كأنها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ
٤٨ (وافر)	النابعة	فإن مطية الجهيل الشبابُ (١)
٢٧٩)	إنشاد الشبلي	ولا تبكي وقد قطع الحبيبُ
٢٨٣)	المتبي	(٢) وهل ترقى إلى الفلك المخطوبُ
٧ (كامل)	أبو تمام	فيه الظنونُ أمْ مَذْهَبُ
٧٦))	ما بال لا شيءٍ عليه حجابُ
٢٩٦ (رمل)	المتبي	يَتَمَيَّحُ إِيخْلَافٌ ما تَرْجُو الذنابُ
٣٠٨ (خفيف)	بشار بن برد	(٢) حين يُوقَى والضوءُ فيه اقترابُ
٢٨١ (منسرح)	ابن المعتز أو ابن الرومي	(٢) من كفة القتل نالها الوَصْبُ
١٨١)	الوزير المهلب	(٢) مُشْرِقَةٌ ليس لها حاجبُ
٣١٨ (طويل)	البحثري	عَرَاكَ إذا الهَيَابَةُ أَلْيَسُ كَذْبَا
٢١٤)	السري الرفاء	جداولُ في غابٍ سَمًا فتَأَشِيَا
١٢٨)	سعد بن ناشب المازني	ونكَّبَ عن ذِكْرِ العواقبِ جَانِيَا

(١) في الأصل : • ونعم مطية •

٣٤٤ (بسيط)	الخطيئة	ومن يُسوى بأنفِ النَّاقَةِ الذَّبَابِ
٣٠٨ »	المتنبى	شُعَاعُهَا ، وِيرَاهُ الطَّرْفُ مَقْتَرِبًا
١٩١ »	عبد الرحمن بن حسان بن ثابت	في دار حَسَّانَ أَصْطَاذِ الْيَعَاسِيَا
٢٧٣ (وافر)	أبو فراس	مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا
٢٨٧ »	المتنبى	كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي الْأَرْضِ طِيًّا
١٣٨ (كامل)	»	يُهْدِي إِلَى عَيْنِكَ نُورًا نَاقِبًا (١)
١١ »	البحترى	نَسْتَقَا يَطَّانَ تَجَلُّدًا مَغْلُوبَا
٢٥٤ (خفيف)	أبو تمام	وَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتُ قَلْبِيَا
٢٠٢ (متقارب)	البحترى	لَفَّ الصَّبَا بِقَضِيبٍ قَضِيًّا
٢٢٩ (طويل)	»	(٢) خَلَاتِقُ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ حُجِيبِ
٢٦٣ »	عامر بن الطفيل	(٢) وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحُ الْمُهْدَبِ
١٢٤ »	مجنون ليلي	مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُعْرَبِ
١٧ (طويل)	أبو تمام	تَصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضِ قَوَاضِي
٢٥٢ »	المتنبى	وَرُدُّوَا رِقَادِي فَهَوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ
٢٠٨ (بسيط)	البحترى	وَشَيْئًا مِنَ الثُّورِ أَوْ رَوْضًا مِنَ الْعُشْبِ
٢٨٤ »	أبو تمام	فَإِنَّ ذَاكَ ابْتَسَمَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ
٣١٩ »	المتنبى	وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِ لَمْ تَقْبِ
١١ (وافر)	البحترى	عَلَى أَيْدِي الْعَشِيرَةِ وَالْقُلُوبِ
٢١٤ »	السرى الرفاء	(٢) تَوَارَى الشَّمْسُ فِيهِ بِالْحَجَابِ
١٢٨ »	بِیَوْمٍ مِثْلٍ سَالِفَةِ الذَّبَابِ
١٨٢ (كامل)	ابن المعتز	(٢) رَجِيَّةٌ مَحْمُودَةُ الْإِسْكَابِ
٢٩٤ »	»	(٢) وَقَضَيْتُ مِنْ لَذَاتِهِ آرَائِي
٥٦ »	البحترى	كَالْفَجْرِ فَاضَ عَلَى نَجْمِ الْعَيْهَبِ
١٣٣، ١١٦	»	(٢) عَنْ كُلِّ نَيْدٍ فِي التَّدْيِ وَضَرْبِ
١٤٤، ١٣٨		
٣١٣، ٢٣٥		

(١) في الأصل : « نورًا ساطعًا » ، وهو خطأ .

١١ (كامل)	البحترى	في سُوْدِدِ أَرْبَا لغير أَرِبِ
١٣٣	دريد بن الصّمة	(٢) كالِيومِ طَالِي أَيْتِي جُرْبِ
٧٣ (رجز)	أبو بكر الخوارزمي	والبغضُ عندى كَثْرَةُ الإِعْرَابِ
٢٦٨ (خفيف)	البحترى	(٣) إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ العُرَابِ
٢٧٦	أبو تمام	(٢) .. دِي الرزَايَا إِلَى ذَوِي الأَحْسَابِ
٣٠٣	ابن الرومى	(٣) .. بَحَثَ عِلْمًا لَمْ يَأْتِهِمُ بِالحِسَابِ
٢٢٢	ابن المعتز	.. رُجِلَتْهُ حَدَائِدُ الضَّرَابِ
٢٩٣ (منسرح)	الخالدي	والليلُ قد هَمُّ منه بِالهَرَبِ
١٣٣ (متقارب)	الوَأَوَاءُ الدِمَشْقِيّ	سَلَامٌ عَلَى الحَاضِرِ الغَائِبِ (١)
١٩٤ ، ١٧٤ (طويل)	بشار	وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ
١٩٨ ، ١٩٥		
٢٠٠		
٢٠	الفرزدق	أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُقَارِنُهُ
٢٧٠ (منسرح)	البحترى	فِي الشَّعْرِ ، يَكْفِي مِنْ صِدْقِهِ كِذْبُهُ
٣٠٠ (متقارب)	(٣) فَأَهْلًا بِهَا وَتَأْيِيبَهَا
٣١٢ (سريع)	المتنبي	فَنَشَلَّتِ الأَنْفُسُ فِي عَرَبِهِ
	
١١٠ (طويل)	كثير	(٣) تَخَلُّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ
١١٠	(٢) فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ
١٣٠ (بسيط)	الزاهي	(٢) بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حُجْرِ البِوَاقِيتِ
١٣٠	ابن المعتز	(٢) كَحَلَاءِ تَشْرَبُ دَمْعًا يَوْمَ تَشْتِيبِ
٣٤٧ ، ٣٤٦ (وافر)	أبو الحسن الأنباري	(١٦) لَحَقُّ أَنْتِ إِحْدَى المَعْجَزَاتِ

(١) انظر قافية الرءاء : « الغائب الحاضر » .

٢٩٣ ، ١٢٨ (كامل)	ابن المعتز	(٥) لَيْلًا كَظَلَّ الرُّمَحَ غَيْرَ مُوَاتٍ
٢٩٣	»	(٤) مَثَلُ الْبَغِيِّ تَبَرَّجَتْ لُزْنَانِةٌ
١٧ (سريع)	أبو الفتح البستي	وَيَاجَتِي تَكْرُمُ دِيَاجَتِي
٢٨٨ (متقارب)	ابن بابك	(٢) وَأَوْهَى الزَّمَانُ قُوَى مُنْتَى
٢٨٢ (كامل)	المتنبى	(٢) مَا عُدُّرَهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا
	•••	
٣٨١ (بسيط)	البحترى	وَحَاكْ مَا حَاكَّ مِنْ وَشِيٍّ وَدِيَاجِ
٩١	ذو الرمة	أَوْآخِرِ الْمَيْسِ إِنْقَاضُ الْفَرَارِيحِ
	•••	
٢١ (طويل)	كثير ، أو غيو	(٣) وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
٣٥٥ (وافر)	أبو ذؤيب	يُقَالُ لَهَا دَمُ الْوَدَجِ الذَّبِيحِ
٣٤٤ (كامل)	جحظة	(٣) سَعْدٌ ، وَلَكِنْ أَنْتَ سَعْدُ الذَّابِحِ
٢٢٧ ، ٢٢٣	محمد بن وهيب	وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ
٢١٥ (سريع)	ابن المعتز	(٢) سَكْرَانٌ مِنْ تَوَمِّيهِ طَافِحُ
٥٣ (مديد)	ابن المعتز	قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَى السَّمَاخَا
١٥٨ ، ١٥٣	»	فَانطَبَاقًا مَرَّةً وَانفَتَاحَا
١٨٢		
٥٦ (وافر)	مضر بن زبيد	(٢) دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا
٢٩٧ (خفيف)	أبو طالب المأموني	(٢) مَجِيدٌ ، يَهْتَرُ لِلسَّمَاخِ ارْتِيَاخَا
٢١٥ (منسرح)	الصنوبري	(٢) فَآضُ جُنْحُ الدَّجَى كَلَا جُنْحِ
	•••	
١٦٩ ، ١٥٩ (كامل)	الصنوبري	(٢) ... حَى إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ
١٧٣		
٢١٢	كشاجم	... فِي لَهَا سَوَاقِ كَالْمَبَارِذِ
٣٠٩ ، ٢٥٥ (رمل)	العباس بن الأحنف	بُتِّي الْإِشْرَاقِ فِي كُلِّ بَلَدٍ

٢٩٠ (رمل)	من نضار يتوقد
٢٨٨ (سريع)	ابن المعتز	(٣) تَقَطَّعُ السَيْفُ إِذَا مَا وَرَدَ
٢٨١ طويل	البيغاء	(٢) وَتَرَجَسَهَا مِمَّا دَهَى حَسَنَهُ وَرَدُّ
٣٠٥	المننى	وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تُعَانِقُهُ الْأَسَدُ
٣٠٧	محمد بن أبى عتيبة	قَرِيبٌ ، وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بَعْدُ
١٩٨ - ١٩٧ (وافر)	ابن المعتز	كَأَ أَحْمَرْتُ مِنَ الْحَجَلِ الْخُلُودُ
٤٠١ (كامل)	البحترى	وَكَأَنَّ خَلْوَتَهُ الْحَقِيَّةَ مَشْهُدُ
٣٢٩	المننى	مَوْتُ فَرِيصِ الْمَوْتِ مِنْهُ تَرَعْدُ
٢٩٤ ، ٢٨٤	ابن الرومى	(١١) حَجَلًا تَوَرَّدَهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
٢٦٦ (طويل)	المننى	(٢) وَإِنْ أَنْتِ أَكْرَمَتِ اللَّيْمِ تَمَرْدَا
٣٧٢		وَيَقْتُلُ مَا تُحْسِي التَّبَسُّمُ وَالْجِنَا
١٤٩ (بسيط)	عمر بن لجا/سليمان بن معاوية	أَلِ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادَا
٢٧٩ (كامل)	الصولى	(٢) .. لِكَ ، وَلَمْ أَغْلَهَا فِي الْعِنَا
٣٠٠ ، ٢٩٩ (خفيف)	ابن المعتز	(٤) أَجْمَدُ ذَا الْهَجْرُ أَمْ لَيْسَ جَدًّا
٣٦٢ (متقارب)	الخنساء	(٢) إِلَى الْمَجِيدِ مَدُّ إِلَيْهِ يَدَا
٣٦٠ (طويل)	أوس بن حجر	(٢) وَمَلَّ بِنَجِيدٍ فَالْقَنَايِدُ عَوْدَى
١٢٦	أبو تمام	(٢) لِدَيْبِاجَتِيهِ فَأَغْتَرِبْتُ تَجَدِّدِ
٢١٦	البحترى	دَمَوْعُ التَّصَالِي فِي خُلُودِ الْخَرَائِدِ
٢١١	النايفة	وَيَحْيَانُ رَمَانَ الثَّدْيِ النَوَاهِدِ
٨٥	البحترى	تُسَلِّطُهُ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْوُجْدِ
١٣	أبو تمام	فِيَا ذَمُّعُ أَنْجَذِنِي عَلَى سَاكِنِي نَجِيدِ
١٠٧	أبو ذؤيب	وَهَلْ يُجْمَعُ السِّفَايَ وَيَحْكُ فِي عَمِيدِ
٧٦ (بسيط)	أبو تمام	وَأَنْتِ أَثَرُ مِنْ لَا شَيْءَ فِي الْعَدِيدِ
٣٣٦	النايفة	وَلَا فَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسِيدِ
٢٣٣	بعض المتأخرين	يَبَاضُ خَدَّيْنِ مِنْ عَدَلٍ وَتَوَحِيدِ

٢٦٧ (بسيط)	مسلم بن الوليد/ابن المعتز	أعجِبْ بشيءٍ على البغضاءِ مودودِ
٦١ ، ٥٤	القطامي	(٢) ما كان خاطِءَ عليهم كَلُّ زُرَادِ
١٣٩	"	(٢) مواقعَ الماءِ من ذى الغُلَّةِ الصادى
٣٤١ (كامل)	البحترى	حركاتُ غُصْنِ البانَةِ المُتَأَوِّدِ
٢٩٢	ابن المعتز	وأقَى بياضُ الصُّبْحِ كالسيفِ الصَّدى
٤٦ ، ٤٥	البحترى	(٢) بهواكِ أرامِ الظلياءِ العِيدِ
١١٨	أبو تمام	(٢) طويّت أتاح لها لسانَ حَسودِ
٩٥	ابن المعتز	قَدَمٌ تَبَدَّتْ فى ثيابِ جِدادِ
٢٣٢	"	(٢) بصفاءِ ماءِ طيبِ البرِّدِ
٢١٦ ، ٩٦ (منسرح)	ابن الرومى	وهنُّ يُطْفِئْنَ لَوعةَ الوجِدِ
٩٦	ابن المعتز	(٢) بشرٌ سَقَمَ الهلالِ بالعيدِ
١٥٦	(٢) رِقٌّ فى بَرْدِها على كَيْدِ
٢٧٦ (خفيف)	أبو تمام	(٢) وَعَدَّتْنا عن مثلِ ذاكِ العوادِ
٢٠٥	القاضى التتوخى	(٢) كُفُوفٌ تَعْصُ وَرَدَ الخدودِ
٢٣٣	المتنبى	هنُّ فىه أخلَى من التوحيدِ
١٧٣	الصنوبرى	(٢) نَحْوَ تِلْوَفرِ ندى
١٨٦ (متقارب)	ابن المعتز	(٣) وَغُصْنٌ به كَلُّ وإِذِ صدى
١٤٤ (منسرح)	ابن الرومى	(٤) أحنَفَشَ ما قَلَّتْهُ فَمَا حَمِيدَ
١٥٣ (كامل)	عدى بن الرقاع	عرفَ الديارَ توهماً فاعتادها
١٥٤	"	قلمٌ أصابَ من الدواةِ مِدادها
. . .		
٢٩٣ (طويل)	ابن المعتز	كَمِينٌ ، وقلبُ الليلِ منه على حَذَرِ
٣١٢ (طويل)	عمر بن أبى ربيعة	ورُوحَ رُغبانٍ ونومَ سَمَرِ
١١٨	أمرٌ مذاقُ العودِ والعُودِ أحنَضَرِ
٣٣٥ (بسيط)	أعشى باهله	بأبى الظلامَةِ منه التوقُّلُ الرُفَرِ

٣٣٣	(وافر)	أبو تمام	دُخَانًا لِلصَّيْمَةِ وَهِيَ نَارٌ
١٦	»	أبو الفتح البستي	(٢) وَكُلُّ فَعَالِهِ بُرٌّ
١٧٥	(كامل)	العتابي	سَقَفًا كَوَاكِبُهُ البَيْضُ المَبَاتِيرُ
٢٥٧	»	أبو تمام	بِكَ وَالليالي كُلُّهَا أَسْحَارُ
١٩٩ ، ١٩٨	»	الفرزدق	لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِيهِ نَهَارٌ
١٢١	(رمل)	الأفوه الأودي	وَحَيَاةُ المَرءِ نَوْبٌ مُسْتَعَارُ
٣١٠	(خفيف)	الصائغ	(٤) إِذ تَوَارَى كَمَا تَوَارَى البُيُورُ
٢١٤	(سريع)	البحترى	نَجْمٌ دُجْبِي شَيْعُهُ البِيدُرُ
١١٧	(منسرح)	ابن لنكك	(٣) لَهُ رَوَاءٌ وَمَا لَهُ نَمْرٌ
٢٣٠	(طويل)	ابن بابك	وَقَدْ كَحَلَ اللَّيْلُ السَّمَاءَ فَأَبْصَرَ
١٦٤ ، ٩٥	»	أبو قيس بن الأسلت	كَعَقُودٍ مُلَاجِحَةٍ حِينَ تَوْرًا
٢٣٤			
١٦٢	»	امرؤ القيس	صَلِيلُ زُهُوفٍ يَنْتَقِدُنْ بِعَقْرَا
٢٠١	»	حِصَانَيْنِ مَخْتَالَيْنِ جَوْنًا وَأَشْقَرَا
١٦١	»	ذو الرمة	(٢) أَبَاهَا ، وَهَيَّانَا لِمَوْضِعِهَا وَكُرَا
٢٠٥	(وافر)	عنتره	سَلَاحِي لَا أَفْلٌ وَلَا فُطَارَا
٣٤١	»	بعض العرب	وَتُجَلُّ الأَعْيُنُ البَقْرَ الصَّوَارَا
١٣٦	(كامل)	البحترى	(٢) عَهْدُوهُ بِالبَيْضَاءِ أَوْ يَبْلَنْجَرَا
٤٠	»	المتنبي	لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَعَشَرَا
٨٤	»	وَالجُرْصُ يورثُ أَهْلَهُ الفَقْرَا
٣٢	(متقارب)	أبو دؤاد الإيادي	تَنْزَعُ مِنْ شَفْتَيْهِ الصَّغَارَا
٢١١	(طويل)	ابن شاه	(٢) بَقْدِي كَعَابٍ أَوْ بِحُقَّةٍ مَزْمِرُ
٣١٦	»	الفرزدق	(٢) مَتَى تُنْخَلِفُ الجُوزَاءُ وَالدَّلُوُّ يُنْمَطِرُ
٣٧	»	جُبَيْهَاءُ الأشجعي/مزرذ	(٤) عَلَى البَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرِ
١٢٧	»	شِيرْمَة بن الطفيل	دَمُ الرِّقِّ عَنَّا وَاصْطِفَاقُ المَازِهْرِ

	الفردق	ولكن زنجياً غليظ المشافر ^(١)
٣٦ (طويل)	مروان بن أبي حفصة	(٢) بجديها إلا كعلم الأباير
١٤٣ ، ١١٧	ابن المعتز	(٣) تلور علينا الكأس في فتية زهر
٢١١	»	لترضيع أولاد الرياحين والزهر
٢٨٧	ويأتى الشقي الحين من حيث لا يدري
٣٩٢	تميم بن أئى بن مقبل	لذم العلام وراء الغيب بالحجر
١٦٢ (بسيط)	ابن لنكك	(٢) رأيت صورته من أفيج الصور
١١٨	ما قال : لا خير في كثير
٣٤٥	(صنع المؤلف)	تلقاها عرابة باقدار
٣٦٠ (وافر)	أبو تمام	لائين ثان إذ هما في الغار
١٤٣ (كامل)	كعملق ذراً على جتير
٢٠٠	أبو العتاهية	(٥) عنى ، بخفته على ظهري
١٥٦	ابن المعتز	(٢) وصمت ضمائرنا على العذر
٢٨٣	الهميري	يجنين رمان الثور
٢١١	سعيد بن حميد	(٣) فإذا ما وقى قضيت نوري
٣١٥ ، ٣١٤ (خفيف)	الصاحب بن عباد	... ض فصار الثار من كافر
٢٨٩	ابن المعتز	(٣) واسترخنا من رعدة المور
٢٩٤ ، ٢٩٣	ابن المعتز	... ض وشكر الرياض للأمطار
٢٧٧	البحترى	... ب حرب من الغرام ومثري
٦٠	ابن طباطبا	قد زر أزراره على القمر
٣١٠ ، ٣٠٥ (منسرح)	ابن المعتز	(٢) إذ غار قلبى عليك من بصري
٢٩٩	(٢) حتى إذا جئت جئت بالدر
٣١٧	البحترى	من الغرام ومثري ^(٢)
٦٠ (مجث)	الناشيء	(٢) بكاء الحبيب لبعد الديار
٢١٦ (مقارب)	الوواء الدمشقي	سلام على الغائب الحاضر ^(٣)
١٣٣		

(١) انظر : (غليظ مشافره) .

(٢) صوابه في البيت السابق : « حرب من الغرام ومثري » .

(٣) انظر قافية : « الحاضر الغائب » .

٣٧ (طويل)	الخطيبة	وقلصَ عن بردِ الشرابِ مشافره
٣٦)	الفرزدق	ولكن زنجياً غليظاً مشافره (١)
١٣٥ (كامل)	ابن نباتة	(٢) نفس تعاف الضيم مرّة
٣١٤ (خفيف)	سعيد بن حميد	(٤) أنا آتيك سحره
١٣٣ (متقارب)	القاضي الجرجاني	تسيرُ ولم تَبرج الحَصْرَة
٢١٤ (كامل)	ابن المعتز	نَجْمًا ونَجْمًا في القنّاءِ يَجْرُه
٣٦٤ (متقارب)	الأعور الشنّي/عمر بن الخطاب	بكفّ الإله مقاديرها
	•••	
٥٣ (طويل)	الذهلول بن كعب العنبري/وغيوه	إذا كثرت للطارات الوسوسُ
٤٠١ (كامل)	مهلهل	وأستبّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
٢٩٠ (وافر)	ابن المعتز	على لَبّاتِ زرقاءِ اللباسِ
٢٠٩ (كامل))	كبهارة في روضة من نرجس
٣٠٣)	ابن العميد	(٢) نفس أعرُ علي من نفسى
٩٧ (سريع)	صالح بن عبد القدوس	(٢) كالعود يُسقى الماء في غرسه
	•••	
٣٤٦ (كامل)	ابن المعتز	(٣) يا مُثَكلي طيب الكرى ومُنْعَصى
٢١٩ (خفيف))	حُ حشاهُ كالجادفِ المقصُوصِ
	•••	
١٦٨، ١٦٤ (طويل))	تفتحُ نورٌ أو لجامٌ مفضضُ
٢٣٤، ٢٠٢		
٢١٨ (طويل)	ذو الرمة	(٢) سماوةٌ جُونُ كالخباءِ المقوَّصِ
	•••	

(١) انظر : « غليظ المشافر » .

١٨١ (رجز)	الصنوبرى	حواجبًا ظلت تُمَطَّ
٣٥ (متقلب)	أسامة بن الحارث الهذلى	وطعًا من اللهب الناشط

٣١١ (رمل)	أبو الشيص/أشجع السليبي س قفل للعين تذمغ
٢٨٩ (طويل)	أبو تمام	(٢) حبيبًا فما ترقًا لمن مدامع
٣١٥)	الفرزدق	لنا قمرها والنجوم الطوالع
١٢١)	ليبد	ولا بد يومًا أن تردّ الودائع
١٤٠ ، ٤٨)	النابعة	وإن خلّت أن المتأى عنك واسع
٢٤٤ ، ٢٢٤		
٢٤٨ ، ٢٤٧		
٢٥٤ ، ٢٥٢		
١٣٢)	أبو تمام	ولكنه في القلب أسود أسفغ
١٤١)	أبو الرئيس العنلى/وغيره	وهاب رجال حلقه الباب فمقوا
١٨٣ (كامل)	الأعشى	يزر والرهبان خلا له كرع
٧٩ (سريع)	أصم عمًا ساءه سمع
٢٢٨ ، ٢٢٥ (خفيف)	القاضى التنوخى	(٤) سنن لاح بينهن ابتداء
٢٢٩		
٣٥٣ (طويل)	الراعى	عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا
١٣٨ (كامل)	المتنى	يهدى إلى عينيك نورًا ساطعًا (١)
٣١٥))	فارتبى القمرين فى وقت ممّا
٣١٢)	بشر	(٢) بحديث وأبق الدرعا
٢٩١)	ابن الحجاج	(٣) قد مات ضيفه جميعا
٦٨ (رمل)	فاذا عسرت فقت السعّا
٣٩ (منسرح)	أوس بن حجر	(٢) تضيئت بالماء توكبا جدعا

(١) انظر قافية : « نورًا ناطبا » ، وهو الصواب .

٣٨٩ (منسرح)	ذو الإصبع العذواني	والدهرُ يعلو مُصمِّمًا جدًّا
٢١٣ (طويل)	ذو الرمة	جداولُ أمثال السيوف القواطع
١٢٥ ، ١٢٤)	معاذ العقيلي	على الماءِ خائنه فُروج الأصابع
٢١٧)	عمرو بن حُمّة الدوسي	(٢) وها أنا هذا أرتجي مرّ أربع
٢٢٩)	ابن طباطبا	نخاة من البأساء بعد وقوع
٣٦١ (وافر)	أبو تمام	كأن المجد يُدرّك بالصرّاع
٢٩١ (كامل)	إبراهيم بن المهدي	وحنين والهبة كقوس النازع
٢٩٨)	المتنبي	أتبعته الأنفاس للتشيع
٢٠٨)	أبو نواس	(٣) والماء في برك البديع
١٥٨ (طويل)	ابن بابك	(٢) له جُنوة من زيرج اللاذ لامة
١٩٨ ، ١٩٦ (سريع)	القاضي التنوخي	(٢) قدّامه في شامخ الرقعة
١٥٤ (متقارب)	الخليل بن أحمد	(٣) ولم يك بخلها بدعة
١٤٧ (طويل)	البحترى	بها وجدها من غادة وولوعها

٢٠٦ (كامل)	الحماني	(٥) يُكسِنَ أعلام المطارف
١٨ (طويل)	بعض المتأخرين	(٢) ثنائى على تلك العوارف وارف
٢١١)	المتنبي	يميل بها بدرٌ ويُمسِكها حِقْفُ
٢٠٢ (بسيط)	بكر بن النطّاح/وغيره	كما تعانق لأم الكاتب الألفا
٣٢١ (كامل)	أبو نواس	فإذا صرفت عنائه انصرفا
١٧ (طويل)	البحترى	صوادٍ إلى تلك الوجوه الصوادف
٣٤٢ (وافر)	فلا والله ما نطقت بحرف
٢١٧ (منسرح)	أبو نواس	(٢) شغواء تغلّو فرخين في لجف

- (٤) وللقوافي رُقي لطيفة ابن سُكرة (بسيط) ٣٤٤
- وهما ربيع مؤمل وخريفه البحرى ٣١٨ (كامل)
- عنا ، وبلر والصلود كسوفه » ٣٢٩
-
- وللسيف حدٌ حين يسطو وروثُ البحرى ١٤١ (طويل)
- (٢) مَدَاهِنُ دَرِّ حَشَوْنٍ عَقِيْقُ ابن المعتز ، ١٣٠ ، ٩٥ ، ٢١٦ ، ١٦٩ ، ٢٣٧ ، ٢٢٦
- (٢) يلبو ضئيلاً ضعيفاً ثم يتسرق محمد بن يزداد الكاتب ١٣٧ (بسيط)
- منها الشموسُ وليس فيها المشرقُ المتنبي ٣٠٤ (كامل)
- كما يُعرى الفرسُ الأبلقُ ابن بابك ١٧١ (سريع)
- كأنَّ الزمانَ له عاشقُ محمد بن وهيب ٢٧٩ (متقارب)
- صفاةُ الهدى من أن ترقَّ فخرقاً البحرى ٥٩ (طويل)
- أكلناه بالإيجاف حتى تمحفاً البحرى ٣١٣ (طويل)
- يتَّ يقال إذا أنشدته صدقاً حسان بن ثابت ٢٧١ (بسيط)
- (٤) وعسكرُ الحرِّ كيف انصاعُ مُنطلقاً القاضى التنوخي ٢٣٠
- بغير حجابِ دونه أو تملقُ جرير ١٤١ (طويل)
- إلى ملكٍ أظلافه لم تشققُ عُقْفَانُ بن قيس بن عاصم ٣٨
- (٢) ستا الشمس من أفقٍ ووجهك من أفقٍ البحرى ٣٠٤
- (٣) هلالٌ أوَّل شهر غاب في شفقٍ ابن المعتز ١٩٧ (بسيط)
- لما رأيتُ عليه عقدٌ مُنتطِقُ مترجم من الفارسية ٢٧٨
- يومُ النوى وفؤادٌ من لم يعسِقُ أبو طالب الرقي ٢٢٧ (كامل)
- (٣) دُرَّرَ نُيُزْنٌ على بساطٍ أزرقِ » ، ١٧٢ ، ١٥٩ ، ١٩٣ ، ١٧٣
- (٢) ... ق ، وإن سكنت إلى العناقِ أبو العباس الضبي ٢٧٨
- (٢) ميماثُ سطرٍ بغير تعريقِ ابن المعتز ١٦٧ (منسرح)

- (٢) مع قُرب عَهْد لِقَائِهِ مُشْتَاةً
الصاحب بن عباد (كامل) ٢٣٣
- (٤) ولا يشتهي الموت من ذاقه
المتنبي (متقارب) ٨١
-
- حَلَّتْ حِقَبَ حَزَنٍ لَهُ وَهُوَ حَائِكٌ
أبو تمام (طويل) ٣٨١
(٢) كَحِنْبَجِرٍ عَيَّارٍ صَنَاعَتُهُ الْفَتْكُ
ابن المعتز () ١٧٦
- (٤) وَقَدَّمْتُ الْهَوَى شَرِكَا
بشار بن برد (وافر) ٣١٠
ضحك المشيب برأسه فبكى
دعبل (كامل) ٢٩٤
- صِيَاخَ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيفِ اللِّوَالِكِ
ذو الرمة (طويل) ١٦٢ ، ٩١
(٢) كَأَنَّ سَطُورَهُ أَغْصَانُ سَوَاكٍ
ابن المعتز (وافر) ١٥٩
-
- نَسِيمُكَ مَسْرُوقٌ وَوَصْفُكَ مُتَّحِلٌ
ابن بابك (طويل) ٢٧٧
كَمَا سَلَّتْ مِنَ الْجِلْدِ الْمَنَاصِلُ
..... (وافر) ٢١٢
(٢) حُضِرَ الْحَرِيرِ عَلَى قَوَامٍ مَعْتَدِلٌ
أحمد بن سليمان بن وهب / سعيد بن حميد (كامل) ٢١٠
- (٢) لَاحِقُ الْأَطَالِ نَهْدٌ ذُو حُصَلٍ
امرأة من بني الحارث بن كعب (رمل) ٥٦
(٢) وَإِنَّمَا الْمَوْتُ سَوَالُ الرِّجَالِ
..... (سريع) ٨١ ، ٨٠
(٣) إِلَى أَنْ تَلَوْنَ مِنْهُ زُحْلٌ
أبو الحسن السلامي (متقارب) ٢٠٦
- (٢) لَهَا زُرْفٌ فَوْقَ الْأَنْامِلِ مِنْ عَلٍ
أوس بن حجر (طويل) ٢٠٧
(٢) إِذَا مَا انْقَضَى حَبْلٌ أُتِيحَ لَهُ حَبْلٌ
ابن الرومي () ١٨٨
(٢) فَمَثَلٌ كَثِيرٌ فِي الرِّجَالِ قَلِيلٌ
الصاحب بن عباد () ٣٤٥
شَمْسٌ تَرَجُلُ فِيهِمْ ثُمَّ تَرْتَحِلُ
البحترى (بسيط) ٣٢٠
مِنْ رَاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ
أبو تمام () ١٤٣
... أَنْتَ الصَّابُ وَالْعَسَلُ
..... () ٢٥٣
مَا فَائَهُ وَفَضْلُ الْعَيْشِ إِشْغَالُ
المتنبي () ١٣٤

١٢٧	(بسيط)	حُنْدُجُ بن حندج المَرِي	كأنما ليله بالليل موصول
٤٠	»	عبلة بن الطبيب	(٢) عند الصباح وهم قومٌ معازيل
١٤٢	(كامل)	المتنبى	من أنها عمَلُ السيفِ عواملٌ
١٣٧	»	ابن بابك	والبدرُ في شطر المسافة يكملُ
٣١٦	»	(٢) وبدا النهارُ لوقتِهِ يترجُلُ
٢٠٢	»	المتنبى	نصبِ أدقهما وضَمَّ الشاكلُ
٢٨٩-٢٩١	(منسرح)	السرى الرفاء	(٣) وغال شهرُ الصَّيَامِ مختالٌ
١٨	(خفيف)	البحترى	للأعداى ووقعها آجالُ
٢٨٧	(طويل)	أبو سعيد الرستمى	(٢) صحائفُ تيرٍ قد سُبِكَنَ جداولًا
٢١٣	»	ابن بابك	(٣) وبأسًا وباعًا في اللقاءِ ومقصدًا
٢١٣	(بسيط)	والطيرُ تسجعُ أهزاجًا وأرمالًا
٣٣٧	(وافر)	الفرزدق	(٣) كأنهمُ يروُنَ به هلالًا
١١٩	»	المتنبى	يجدُ مرًا به الماءُ الزلالًا
١٩٤	»	»	وفاحتُ عَنبرًا ورثتُ غزالًا
١٣٦	(كامل)	أبو تمام	(٣) لو أمهلتُ حتى تصيرُ شاملاً
٥٨	»	بكر بن النطاح	(٢) يومُ اللقاءِ ولا يراهُ جليلاً
٢٣١	»	أبو طالب المأمونى	(٢) لا تصدُقُ الأوهامُ فيها قيلاً
٢١٢	»	أبو فراس	(٢) ... حِ الروضِ في الشَّطَينِ فَصَلًا
٣٣٥	(منسرح)	الأعشى	يشربُ كأسًا بكفٍ من بَخَلًا
٣٠٣	»	ابن الرومى	(٥) ولا تبدلتُ بعدكمُ بدلًا
٣١٤ ، ٣٠٧	(متقارب)	العباس بن الأحنف	(٢) فغزَّ الفؤادُ عزاءً جميلاً
٢٠٧	»	عبد قيس بن حُفَاف	(٢) تسمعُ للسيفِ فيها صليلاً
٢١٥	»	»	(٢) ... تِ عِرْضًا بريفاً وعَضْبًا صمليلاً
٥	(طويل)	امرؤ القيس	قها تَبِكُ من ذِكْرِى حبيبٍ ومنزل
١٤١	»	»	بمجردِ قيد الأوابدِ هَبِكِل
٢٣٤ ، ١٦٨	»	»	تعرضُ أثناء الوشاحِ المفصل

- لَدَى وَتَحْمِهَا الْعُنَابُ وَالْحَسَنُفُ الْبَالِي
سَعَيْتَ وَأَوْضَعْتَ الْمَطِيَةَ فِي الْجَهْلِ
(٢) يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَجِلِ
إِنَّ الْقُتُوعَ الْغَنَى لَا كِتَابَ الْمَالِ
وَتَقْصُكَ إِذْ نَظَرْتَ إِلَى هَلَالِ
(٢) فَمُرْتَجِعَ بِمَوْتِ أَوْ زَوَالِ
فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَلَالِ
- كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالِ
(٢) لَطِيفٌ أَشْهَبَ مُلْقَى الْجَلَالِ
فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِيِ
فِيهِ بِنَاظِرُهَا ، حَدِيدُ الْأَسْفَلِ
يَوْمَ الْوَعَى مِنْ صَارِمٍ لَمْ يُصْقَلِ
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
وَمَحْسَنُ الضُّحُكَاتِ وَالْهَزْلِ
(٢) ... مِنْ وَفَى بَعْدَ الْمَنَالِ
مَرَّحَ الْبَلْقُ جُلْنَ فِي الْأَجْلَالِ
(٧) ... نَ وَيُونَانَ وَالْعَصُورَ الْخَوَالِيِ
- (٢) أَقَابِلُ بَدْرِ الْأَفْقِ حِينَ أَقَابِلُهُ
هَلَالٌ قَرِيبُ النُّورِ نَائٍ مَنَازِلُهُ
(٢) بَشْرٌ ، فَلَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
وَعَرَى أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَاحِلُهُ
لِكُلِّ خَطِيْبٍ يَقْمَعُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ
(٢) دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَائِلُهُ
- تَعَصْرُهُ مِنْ بِلَّةٍ بِلَّةً
- أمرؤ القيس
الفردق
الأخيطل
محمد بن يسير
أبو العتاهية
أبو الفتح البستي
المتنبى
ابن المعتز
أبو تمام
البيحترى
أبو تمام
أبو نواس
ابن الرومي
كثير
ابن نباتة
البيحترى
أبو تمام
الخطيبه
زهير بن أبي سلمى
أبو الطروق الضبي
ابن المعتز
أبو الفتح البستي
- (طويل) ١٩٢ ، ١٩٩
" ٤٩
(بسيط) ١٨٦
" ٨٣
(وافر) ٣١٢
" ١٦
" ١٢٣ ، ١٤٠
" ٣٤٧ ، ١٤٠
٣٤٩
" ١٤٠
" ١٧٠ ، ١٩٣
(كامل) ٢٦٧ ، ٢٧٦
" ١٢
" ٢٧٠
" ١٢٢
" ٤٩
(رمل) ٢٩١
(خفيف) ١٧١
" ١٣٨
(طويل) ٣٤١
" ٣١٣
" ٣٧
" ٢٨ ، ٤٧
" ٣٤٣
(كامل) ٩٦ ، ٩٧
(سريع) ١٦

١٢٠ (طويل)	الشافعي	أَثَرُ دُرًّا بَيْنَ سَارِحَةِ الْعَنَمِ
١٤٦ (كامل)	البحترى	عَنْ أَيْ نَعْرِ تَبْتَسِمُ
١٠٩ (سريع)	المرقش الأكبر	... نَيْرٌ ، وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَّمِ
٢٩٨ (طويل)	أبو تمام	وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالِدِرَاهِمُ
٣٤٣)	"	وَيَقْضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ
٥٧)	المتنبي	كَأِ ثِيْرْتِ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدِرَاهِمُ
٣٥٥)	وَتُتْرَكُ أَمْوَالٌ عَلَيْهَا الْخَوَاتِمُ
٣٣١ ، ٣٣٠)	البحترى	(٢) وَسَيْلٌ عَدَانِي فَيَضُهُ وَهُوَ مُفْعَمٌ
٢١٨ (بسيط)	علقمة	يَبْتُ أَطَافَتْ بِهِ خِرْقَاءُ مَهْجُومٌ
٢٦٥ (كامل)	المتنبي	حَتَّى يَرِاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
١٥)	أبو تمام	(٣) مِنْ حَائِثِهِنَّ فَلِإِنَّهِنَّ حِمَامٌ
٢٥٤)	"	حَتَّى ظَنَنْتَا أَنَّهُ مَعْمُومٌ
٢٠٩ (رمل)	كاتب المأمون	(٤) مِثْلُهُ لَيْسَ يَرَامُ
٢٥٣ ، ١٣٢ (خفيف)	المتنبي	... بَخٌ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ
٥٧)	أبو تمام	بِهِ مِثْلَمَا أَلْفَتْ عِقْدًا مِثْلَمَا
٢٤٥)	ابن طباطبا	بَعَثَتْ مَعِيَ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مِثْلَمَا
٢٢١)	ابن المعتز	رِدَاءٌ مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مِثْلَمَا
١٣٧)	أبو بكر الخوارزمي	مُقِيمًا ، وَإِنْ أَعْسَرَتْ زَرَتْ لِمَامَا
١٦ ، ١٥ (بسيط)	أبو تمام	(٣) لَمَّا تَحَرَّمَ أَهْلُ الْكُفْرِ مُحْتَرِمًا
٦٠ (كامل)	المتنبي	أَمْسَيْتُ مِنْ كِبْدِي وَمِنْهَا مُعْدِمًا
٢١٤)	ليلي الأحيلية	وَأَسْتَهْ زُرْقٌ تُخَالِ نَجْمِهَا
١٣٢ (خفيف)	أبو تمام	... سَتْ أَغْرَأُ أَيَّامَ كَنْتَ بَيْهِيمَا
٩٥ (مضارع)	ابن المعتز	(٢) فِي الْغُرُوبِ مَرَامَا
١٦٣ (طويل)	عمرو بن أحرر الباهلي	عَجَارِفُ غَيْبٍ رَائِحٌ مُتَهَيِّمٌ

٢٨٠ (طويل)	المتنى	لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي لِي مِنَ السُّقْمِ
٧٧ (بسيط)	ابن نباتة	تَيْلًا أَدَقُّ مِنَ الْمَعْلُومِ فِي الْعَدَمِ
٢٢١)	ابن المعتز	مِنَ الصَّبَاحِ طِرَارًا غَيْرَ مَرْقُومِ
١٩٥ (وافر)	البحترى	صُعُودَ الْبَرِّقِ فِي الْعَيْمِ الْجَهَامِ
٢٥٠ ، ٢٤٢ (كامل)	أبو تمام	وَالرُّجُحِ الْأَحْسَابِ وَالْأَحْلَامِ
١٤١)	قَطْرَى بِنَ الْفُجَاءَةِ	جَذَعِ الْبَصِيرَةِ قَارِحِ الْإِقْدَامِ
١٤٩ (خفيف)	ابن الرومى	(٢) ... سَرَى فَمَا زِدْتَنِي سِوَى التَّعْظِيمِ
٣٩٦ (متقارب)	وَلَيْلًا أَكَلْتُ بَلْبِلِ بَحْمِ
٤٥ (كامل)	لييد	(٣) إِذْ أَصْبَحْتَ بِيَدِ الشَّمَالِ زَمَامَهَا
. . .		
٢٨٨ (سريع)	ابن بابك	(٣) قَلَّتْ وَالشُّكُّ عَدُوُّ الْيَقِينِ
٢٩٧ (طويل)	أمية بن أبى الصلت	بِخَيْرِ وَمَا كَلَّ الْعَطَاءِ يَزِينُ
٣٧٠)	جميل	وَأَنْشُرُنْ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ
٢٠٤)	أبو نواس	إِذَا مَا مَنْحَتَاهُ الْعُيُونُ عَيُونُ
١٤٦ (مزج)	البحترى	وَسِرِّي فَيْكَ إِعْلَانُ
٢٩٨ (بسيط)	المتنى	كَمْ نَ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطَشَانَا
٣٦ (وافر)	صنع المؤلف	وَمَكْرَمَةٍ مَدَدَتْ لَهَا الْيَمِينَا
٢١٣ (كامل)	محمد بن الحارث التميمى المصرى	وَتَحَالَّ مَا طَعَمُوا بِهِ أَشْطَانَا
١٦٦ (طويل)	ابن المعتز	لَهَا حَدَقٌ لَمْ تَتَّصِلْ بِجُفُونِ
١٧٧))	تُطِيرُ غُرَابًا ذَا قَوَادِمِ جُونِ
١٦٣)	امرؤ القيس	سَنَا لَبِ لَمْ يَتَّصِلْ بِدِخَانِ
٣٦١ (وافر)	البحترى	إِلَيْهِ الْيَمِّ فِي يَدِكَ الْيَمِينِ
٣٨٢)	أبو دلامة	بِرَجْلَيْهَا ، وَتَحْنِزُ بِالْيَدَيْنِ
٣٨٢))	بِرَجْلَيْهَا ، وَتَحْنِزُ بِالْيَمِينِ

- (٣) كَفَانِي أَمْرَكُمْ وَكِفَاكُمُونِي
تَلْقَاهَا عَرَابَةٌ بِالْبَحْرِ
شَرَابًا صَفْوَهُ صَفْوُ الْيَقِينِ
هِيَ فِي رَقَّةٍ دِينِي
أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بَمَا أودَعَانِي
(٣) ... لِكَ وَقَدْ رُحْتُ عَنْكَ بِالْحِرْمَانِ
... سِيدٌ ، مَاءٌ جَارٍ مَعَ الْإِخْوَانِ
- سليمان بن قته العدوي (وافر) ٣٦٢
الشماع ٣٥٨ - ٣٦٢
..... ٢٣٢
أبو نواس (رمل) ٢٣٣
شمسويه البصري (خفيف) ١٧ ، ١٥ ، ٧
ابن طباطبا ٢٣١
..... ١٣٢
- البحترى (منسرح) ١٣٣
أبو هلال العسكري (كامل) ٢٨٦
.....
أبو إسحق الفارسي (؟) (بسيط) ٢٠٣
- إن غاب عنكم مُعْرَبًا بَدْنُهُ
(٢) حُسْتًا فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ
فَلَوْ رَأَتْنا عِيُونَ ما خَشِينَاهَا
- أبو تمام (كامل) ١٧
الصلتان العبدي (متقارب) ٣٧١ ، ٣٨٩
- يحيى لدى يحيى بن عبد الله
... سَرَّ كَرُّ الْعَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ
- المجنون (طويل) ٢٩٨
ابن نباتة (وافر) ٢٠٩ ، ٢٨٦
ابن المعتز (رجز) ١٧٦
- لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا
(٣) وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرِيَا
فِيهَا بَقَايَا غَالِيَا
- البحترى (بسيط) ٢٠٨
أبو المطاع بن ناصر الدولة (٣٠٦ ، ٣٠٧)
أبو نواس ٣٤١
- مثل الجواشين مصقولًا حواشيها
(٢) نَوْرٌ مِنَ الْبُرِّ أَحْيَانًا فُيْلِيهَا
إِلَى نَدَاكِ قَاسَتِهِ بِمَا فِيهَا

الألف المقصورة

(٢) جَزَى دَمَعَهَا فِي مُحَلُودِ الْقَرَى ابن المعتز (متقارب) ٢٠٥

.....

شطر بيت

والله لاطلعت شمسٌ ولا غربت (بسيط) ٣١١

جزء من بيت

يا ابنَ الليوثِ القُرِّ ٢٥٠

.....

(٥) فهرس الرجز

يتضمن الرجز من بحر الرجز ، والرجز من بحر السريع

٩٦ (سريع)	ابن المعتز ° ° °	(٧) لما تعرَّى أفق الضياءِ
٢٩٥	ابن المعتز	(٨) لَمَّا رَأَوْنَا فِي مَحْيِسٍ يَلْتَهَبُ
٢٩٢ (سريع)	ابن المعتز	حتى بدا الصبَّاحُ من نقابِ
٤٠٥	هند بنت أبي سفيان ° ° °	(٤) لأنكحني بيته
٢١٢ (سريع)	ابن المعتز ° ° °	(٧) أعددتُ للجارِ وللغفاةِ
٣١	العجاج ° ° °	(٤) وفاحمًا ومزينا مسرجًا
١٧٩ ، ١٧٨	أبو نواس	(٧) كأن عينيه إذا ما أتارًا
٢١٠	ابن المعتز	(٢) والصبح في طُرة ليلٍ مُسفرٍ
٢١٣	ابن الرومي	(٣) على حقايفِ جَدُولٍ مُسجورٍ
٢٠٥	ابن المعتز ° ° °	والأفحوانُ كالثَّشَايا القُرُ
٣٣٦		(٤) حتى إذا جنَّ الظلامُ واختلطُ
١٨٧ (سريع)	دعبل بن علي الخزاعي ° ° °	(٦) لم أرَ صفاً مثل صفِّ الرطِّ
٣٩٠ ، ٣٨٩	أبو النجم ° ° °	(٧) قد أصبحتُ أمَّ الخيَّارِ تدعى
٢١٧	أبو نواس ° ° °	(٥) لو كان حيًّا وإيلاً من الثَّلَفِ
١٦٦	ابن المعتز	(٤) بطارجِ النظرةِ في كلِّ أفقٍ
١٩٤	رؤية	(٢) فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلقُ

١٥٨	كشاجم	(٣) أَرِقَتْ أُمُ نِمَتْ لَضَوْءِ بَارِقِ
	•••	
١٨٠، ١٥٨	جِبَارُ بْنُ حِزْءِ بْنِ ضِرَارِ	وَالشَّمْسُ كَالْمَرَاةِ فِي كَفِّ الْأَشْتَلِ
٢٩٥	(٢) وَثَرَةٌ تَهْرَأُ بِالتَّصَالِ
٣٥٤	صَلْبُ الْعَصَا جَائِفٌ عَنِ التَّغْرُلِ
١٨٦	المتنى	يُقْعَى جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ الْمِصْطَلِي
٣١	أبو النجم العجلي	(٣) تَسْمَعُ لِلْمَاءِ كَصَوْتِ الْمِسْحَلِ
٢٢٠ (سريع)	ابن الرومي	(٢) جَبْرُ أَيْ حَفْصِ لُعَابِ اللَّيْلِ
	•••	
٢٣٠	ابن طباطبا	(٢) صَحْوٌ وَغَيْمٌ وَضِيَاءٌ وَظَلْمٌ
١٨٣	يَقْتَاغُهَا كُلُّ فَصِيلٍ مُكْرَمِ
٢٠١	وَالصَّبْحُ مِثْلُ غُرَّةٍ فِي أَدْهِمِ
٢٠٩	ابن المعتز	(٣) جَاءَ سَلِيلًا مِنْ أَبِي وَأُمِّ
١٣١	(٢) إِذَا أَنَاهَا طَالِبٌ يَسْتَأْمَهَا
	•••	
٤٠٠ (سريع)	(٢) إِضْمَامَةٌ مِنْ ذُودِهَا التَّلَاثِينَ
٥٢	رؤية	(٢) قَدْ رَفَعَ الْعِجَاجُ ذِكْرِي فَادْعُنِي
	•••	
٣٥	صَلْبُ الْعَصَا بِالضَرْبِ قَدْ دَمَّهَا
	•••	
٣٩٧	العجاج	تَلَفَّهُ الْأَرْوَاحُ وَالسُّمِيُّ
	•••	
	الألف المقصورة	
٧	حَتَّى نَجَا مِنْ خَوْفِهِ وَمَا نَجَا
٤٢٢		(٢) يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طَوَّلَ السُّرَى
	•••	

(٦) فهرس الشعراء

- ابن بابك : ١٣٧ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ٢١٢ ،
 ٢٣٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ،
 البَيْقَاء (أبو الفرج) : ٢٨١ ،
 البحتري : ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ،
 ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٥ ،
 ١١٦ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
 ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
 ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ،
 ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ،
 ٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٩ ،
 ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٤٠١ ،
 بشار بن بُرد : ١٧٤ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،
 ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ،
 ٣١٢
 بعض بني أسد : ٣٨٠ ،
 بعض العرب : ٣٤١ ،
 بعض المتأخرين : ١٦ ، ١٧ ،
 بَقِيلَة الأشجعي : ٢٧١ ،
 بكر بن خازجة : ٢٠٢ ،
 أبو بكر الخوارزمي : ٧٣ ، ١٣٧ ، ١٥٩ ،
 بكر بن عمرو ، مولى بني تغلب : ٥٨ ،
 أبو بكر الموسوس : ٢٠٢ ،
 بكر بن النطّاح : ٥٨ ، ٢٠٢ ،
- إبرهيم بن المهدي : ٢٩١ ،
 أحمد بن جعفر (جححظة) : ٣٤٤ ،
 أحمد بن سليمان بن وهب : ٢١٠ ،
 ابن أحمَر (عمرو بن أحمَر)
 الأخطيل (محمد بن عبد الله بن شعيب)
 ١٨٦ :
 أسامة بن الخارث الهذلي : ٣٥ ،
 أبو إسحق الفارسي : ٢٠٣ ،
 إسماعيل بن أحمد العامري (الشاشي)
 أشجع السلميّ : ٣١١ ،
 أعرابي من بني سعد بن زيد مناة : ٥٣ ،
 الأعشى : ١٨٣ ، ٣٣٥ ،
 أعشى باهلة : ٣٣٥ ،
 الأعلم الهذلي : ٣٩ ،
 الأعور الشنّي : ٣٦٤ ،
 الأفوه الأودي : ١٢١ ،
 امرؤ القيس : ٥ ، ١٤١ ، ١٦٢ ،
 ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ،
 ٢٣٤ ،
 امرأة من بني الخارث بن كعب : ٥٦ ،
 أمية بن أبي الصلت : ٢٩٧ ،
 الأنباري (محمد بن القاسم) (أبو الحسن)
 ٣٤٦ :
 أوس بن حجر : ٣٩ ، ٢٠٧ ، ٣٦٠ ،

- الخليل بن أحمد : ١٥٤ ،
 الخنساء : ٣٦٤ ،
 . . .
 أبو دؤاد الإيادي : ٣٢ ،
 دريد بن الصمة : ١٣٣ ،
 دعبل بن علي الخزاعي : ٢٩٤ ، ١٨٧ ،
 أبو دلامة : ٣٨٢ ،
 ابن الدمينة : ٢٤٢ ،
 . . .
 أبو ذؤيب : ١٠٧ ، ٣٥٥ ،
 ذو الإصبع العلواني : ٣٨٩ ،
 ذو الرمة : ٩١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،
 ١٧٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ،
 ذو القرنين (أبو المطاع الحمداني)
 الذهلول بن كعب العبدي : ٥٣ ،
 . . .
 الراعي الحميري : ٣٥٣ ، ٣٤١ ،
 رؤبة بن العجاج : ٥٢ ، ١٩٤ ،
 ابن الرومي : ٩٦ ، ١١٧ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ،
 ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،
 ٢٦٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ،
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،
 . . .
 زهير بن أبي سلمى : ٢٨ ، ٤٧ ،
 ٢٧١ ،
 . . .
 السري الرفاء : ٢٨٩ ، ٢٩١ -
 سعد بن ناشب المازني : ١٢٨ ،
- أبو تمام : ٧ ، ١٣ ، ١٥ - ١٧ ، ٥٧ ،
 ٧٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ،
 ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ٢٤٢ ،
 ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣١٣ ،
 ٣٣٣ ، ٣٤٣ ، ٣٨١ ،
 تميم بن أنس بن مقل : ١٦٢ ،
 . . .
 جبار بن جزء بن ضرار (ابن أخي
 الشماع) : ١٥٨ ، ١٨٠ ،
 جيباء الأشجعي (يزيد بن خيثمة)
 ٣٧ :
 جحظة (أحمد بن جعفر) : ٣٤٤ ،
 جرير : ١٤١ ، ١٥٣ ،
 جميل العنزي : ٣٧٠ ،
 . . .
 الحارث بن بدر : ٥٣ ،
 ابن أبي حازم : ٣٦٤ ،
 ابن الحجاج : ٢٩١ ،
 حسان بن ثابت : ١٩١ ، ٢٧١ ،
 أبو الحسن (الأنباري)
 الخطيعة : ٣٧ ، ٣٤٤ ،
 الحماني (علي بن محمد بن جعفر ،
 أبو إسحق العلوي) : ٢٠٦ ،
 حنبلج بن حنبلج المري : ١٢٧ ،
 . . .
 الخالدي : ١٥٤ ،

- ٢١٥
الصُّوَلِيُّ : ٢٧٩
° ° °
ضابىء بن الحارث البرجمي : ١٩٣
° ° °
أبو طالب الرُّقْمِي : ١٥٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،
٢٢٧ ، ١٩٣
أبو طالب المأموني : ٢٣١ ، ٢٩٧
ابن طَبَّاطِبَا (أبو الحسن العلوي الأصفاني)
(نقيب الأشراف بمصر) : ٢٢٩ -
٢٣١ ، ٢٤٥ ، ٣٠٥
أبو الطُّرُوق الضبي : ٣٤٣
° ° °
عامر بن الطُّفَيْل : ٢٦٣
العباس بن الأحنف : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
أبو العباس الضبي : ٢٧٨
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : ١٩١
عبد قيس بن حُفَّاف البرجمي : ٢٠٦
عَبْدَةُ بن الطيب : ٤٠
العَتَّابِي (كلثوم بن عمرو) : ١٧٤ ،
١٧٥
أبو العتاهية : ١٥٥ ، ٣١٢
العجاج : ٣١ ، ٥٢ ، ٣٣٦ ، ٣٩٧
عَدِي بن الرَّقَاع : ١٥٣
عُقْبَةُ بن كعب بن زهير بن أبي سلمى :
٢١
عُقْفَان بن قيس بن عاصم اليربوعي : ٣٨
- سعيد بن حُمَيْد : ١١٠ ، ٣١٤
أبو سعيد الرُّسْتَمِي : ٢٨٧
سعيد بن الشاه (ابن الشاه ، أبو النصر)
٢١١ :
ابن سَكْرَةَ : ٣٤٤
السُّلَامِي (محمد بن عبد الله ، أبو الحسن)
٢٠٦ :
سليمان بن قَتَّة العلوي : ٣٦١ ، ٣٦٢
سليمان بن معاوية المهلبِي : ١٤٩
° ° °
الشاشِي (إسماعيل بن أحمد العامري)
٢٨٢ :
الشافعي (محمد بن إدريس) : ١٢٠
ابن شاه (سعيد بن الشاه ، أبو النصر) : ٢١١
شُرَيْمَةُ بن الطفيل : ١٢٨
شَدَّاد بن إبراهيم الجزري : ٧
أبو الشَّعْب العبسي : ٩٠
الشماع بن ضرار : ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،
٣٦٢
شَمْسُونَةُ البصري : ٧
أبو الشَّيْص : ٣١١
° ° °
الصائِي : ٣١٠
الصاحب بن عباد : ٢٣٣ ، ٢٨٩ ،
٣٤٥
صالح بن عبد القدوس : ٩٧
الصَّلْتَان العبدى : ٣٧١
الصُّنُورِي : ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٨١ ،

- علبة (٢٢) : ٢٩٠ ، ٢٨٩
 عَلْقَمَةُ الفحل : ٢١٨
 على بن محمد بن جعفر (الجَمَانِي)
 ٢٠٦ :
 على بن محمد بن داود (القاضي التنوخي)
 عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :
 ٣٦٤
 عمر بن أبى ربيعة : ٣١٢
 عمر بن لَجَأ : ١٤٩
 عمرو بن أحمر الباهلى (ابن أحمر) :
 ١٦٣
 عمرو بن حُمَمَةَ اللوسى (كعب بن
 حممة) : ٢١٧
 عمرو بن مَسْعُودَة الصولى (كاتب
 المأمون) : ٢٠٩
 ابن العميد : ٣٠٣ ، ٢٢٨
 عنتره العسبى : ٢٠٥ ، ١٦٣
 ابن أبى عيينة (محمد بن أبى عيينة)
 ٥٥٥
 أبو الفتح البُستى : ١٧ ، ١٦ ، ٧
 أبو فراس الحمدانى : ٢٧٣ ، ٢١١ ، ٢٠٨
 الفرزدق : ١٩٨ ، ١٤١ ، ٤٩ ، ٣٦ ، ٢٠
 ١٩٩ ، ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣٣٧
 أبو الفضل الميكالى : ١٦
 ٥٥٥
 القاضي التنوخي (على بن محمد بن داود)
 ٢٢٥ ، ٢٠٥ ، ١٩٨ ، ١٩٦ :
 ٢٣٠ ، ٢٢٨
- القاضى الجُرْجَانِي : ٢٣٣ ، ١٣٣
 القَتَال الكلابى : ٥٤
 القُطَامِي : ١٣٩ ، ٦١ ، ٥٤
 قَطْرِي بن الفَجَاعَة المازنى : ١٤١
 أبو قيس بن الأست : ٢٣٤ ، ٩٥
 قيس بن الخطيم : ٩٥
 ٥٥٥
 كاتب المأمون (عمرو بن مسعدة الصولى)
 كُثَيْر عَزَّة : ١١٠ ، ٢١ ، ١٧١
 كُشَاجم : ٢٨٢ ، ٢١٢ ، ١٥٨
 كعب بن حُمَمَةَ اللوسى (عمرو بن حممة)
 كلثوم بن عمرو (العَتَانِي)
 ٥٥٥
 لَبِيد : ١٢٠ ، ٤٥
 ابن لُتَيْكَة : ١١٨ ، ١١٧
 ليلى الأَحْيَالِيَة : ٢١٤
 ٥٥٥
 المتسنى : ٩ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٨١ ،
 ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ،
 ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ،
 ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٢ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٥ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٧ - ٣٤٩ ، ٣٧٢
 مجنون ليلى : ١٢٤ ، ٢٩٨
 مُحْرَز بن المَكْعَمِر الضبى : ٣٣٨

٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ،

٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ -

٢٩٥ ، ٢٩٩

المهلبي (الوزير) : ١٨١

مهلهل : ٤٠١

٠٠٠

النابعة الذبياني : ٢٨ ، ٤٨ ، ١٤٠ ،

٢١١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،

٢٥٤ ، ٣٣٦

الناشيء الأكبر : ٢١٦

ابن نُبَاتَة : ٧٧ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ٢٠٩ ،

٢٨٦

أبو النجم العنجلي : ٣١ ، ٣٥٤ ، ٣٨٩ ،

٣٩٠

نُعَيْم بن الحارث بن يزيد السعدي : ٥٣

العنبري (محمد بن عبيد الله) : ٢١١

أبو نواس : ١٧٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ ،

٢٣٣

٠٠٠

أبو هلال المسكري : ٢٨٦

هند بنت أبي سفيان (رضى الله عنها)

٤٥ :

٠٠٠

الأواء الدمشقي : ١٣٣

الوزير المهلبي (المهلبي) : ١٨١

٠٠٠

يزيد بن خزيمة (جَبِيْهَاءُ الأشجعي)

يزيد بن الطَّوْبَرِيَّة : ٢١ ، ١٢٨ ،

٠٠٠

أبو عَمَلَم السعدي : ٥٣

محمد بن الحارث التميمي المصري : ٢١٣

محمد بن حازم بن عمرو الباهلي : ٣٦٤

محمد بن الربيع الموصل : ٢٦٤

محمد بن عبد الله ، أبو الحسن (السُّلَامِي)

محمد بن عبد الله بن شعيب (الأَحِيْطَل)

محمد بن عبيد الله (التَّمِيْرِي)

محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن

أبي صفرة) (ابن أبي عيينة)

٣٠٧ :

محمد بن أبي القاسم (الأنباري)

محمد بن وَهَيْب : ٢٢٣ ، ٢٢٧ ،

٢٧٩

محمد بن يزيد الكاتب المروزي : ١٣٧

محمد بن يسير الحميري : ٨٣

المرقش الأكبر : ١٠٩

مروان بن أبي حفصة : ١١٧ ، ١٤٣ ،

مزرد بن ضرار : ٣٧

مسلم بن الوليد : ٢٦٧

مُضَرِّس بن رَيْعِي الأسدی : ٥٦

أبو المَطَّاع (ذو القرنين) بن ناصر الدولة

الحمداني : ٣٠٦

معاذ العُقَيْلِي : ١٢٤

ابن المعتز : ٥٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦٤ ، ١٦٦ - ١٦٨ ، ١٧٠ ،

١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ،

١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٧ - ١٩٩ ،

٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ،

٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،

(٧) فهرس الأعلام

- أحمد بن إبراهيم الضبي (أبو العباس) : ٣٧
 أبو أحمد العسكري : ١١٣
 أحمد بن محمد بن عمر (شهاب الدين)
 (الخفاجي) : ٤
 الأخفش الصغير (علي بن سليمان)
 : ١٤٤ ، ١٥٤ ، ٢٨٢
 إسحق بن إبراهيم المصمبي : ١٦
 إسماعيل بن مسلم : ٧
 الأصمعي : ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٨
 أعرابي : ١٣
 بنو أمية : ٣٧
 أنس بن مالك رضي الله عنه : ٧٠ ،
 : ٧١ ، ٣٠٠

 بابك الخرمي : ١٤٣
 ببة (عبد الله بن الحارث بن نوفل)
 : ٤٠٥
 ابن بربي : ٥٣
 ابن ببيعة (محمد بن محمد بن ببيعة الوزير)
 : ٣٤٦
 البيضاوي (المفسر) : ٤

 تميم قريش (تميم بن مر بن كعب بن لؤي)
 : ٣٦٢

 الجاحظ : ٩ ، ١٠ ، ٦٧
 الجمحي : ٥١ ، ٥٢
 جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي
 : ١١٩
 ابن جنبي (أبو الفتح) : ٣١٥

 حسّان (اسم رجل) : ٣٣٦
 حسّان بن ثابت : ١٩١
 أبو الحسن (القاضي الجرجاني)
 أبو حفص الوراق : ٢٢
 حليلة بنت فضالة بن كلدة : ٣٦٠
 ابن حمولة (أبو علي) : ١٣٧

 الخاقاني (الوزير الخاقاني) : ٣٤٤
 خالد (ابن عم أبي ذؤيب الهذلي)
 : ١٠٧
 خالد بن صفوان الخطيب : ١٢
 الخرمية : ١٦
 الخزر : ١٣٦
 الخفاجي (أحمد بن محمد بن عمر)
 خلف الأحمر : ٢١٧
 الخنساء : ١٣٣
 الخوارج : ١٤١

 داود بن علي (العباسي) : ٢٥٨

- ابن دُرَيْد (أبو بكر) : ٣٩
 أبو دلف العجلي : ٥٨
 * * *
- رباط بن أبي الشَّعْب العيسى : ٩٠
 الروم : ٥٧
 * * *
- زيد بن علي بن الحسين بن علي بن
 أبي طالب : ٣٤٧
 * * *
- سابور بن أُرْدَشِير (أبو النصر الوزير)
 : ٣١٠
 سعد (حاجب الوزير الخاقاني)
 : ٣٤٤
 سعد بن عُبَّادَة رضی الله عنه : ١٢
 أبو سعید المُخْدری رضی الله عنه : ٦٨ ،
 ٣٨٥
 * * *
- الشَّيْبِي الصوفي : ٢٧٩
 شُرَيْر (صاحبة ابن المعتز) : ٢٨٣
 الشعبي : ٣٢١
 أبو الشَّعْب العيسى : ٩٠
 * * *
- الصاحب بن عباد : ١٣٧ ، ٢٨٢
 الصحابة (رضی الله عنهم) : ٢٦٣
 صفوان بن مُحَرَّر المازني : ١١٩
 صمصام الدولة : ١٣٥
 * * *
- عائشة أم المؤمنین : ٦٤
- عامر بن الطفيل : ٤٨
 ابن عباس (عبد الله) رضی الله عنهما :
 ١٢١
 أبو العباس (المبرِّد)
 عبد الله بن الحارث بن نوفل (بَيْتَة)
 : ٤٠٥
 عبد الله بن الزبير رضی الله عنه
 : ٣٦٤
 عبد الله بن سلام رضی الله عنه : ١٣
 عبد الله بن عمر بن الخطاب رضی الله
 عنهما : ١٣ ، ١١٣ ، ٢٦٤
 عبد الله بن عمرو بن العاص رضی الله
 عنهما : ٢٤٥
 عبد الرحمن بن حسان بن ثابت
 : ١٩١
 عبد القادر البغدادي : ٤ ، ٣٦
 عبد القاهر الجرجاني : ٨
 عدی بن حاتم رضی الله عنه : ٣٢١
 عرابة الأوسی (شعر الشماخ)
 : ٣٥٨ ، ٣٦٠
 عز الدولة بن بختيار : ٣٤٦
 عضد الدولة : ١٣٨
 أبو علي (ابن حَمَولَة)
 أبو عليّ الفارسی : ٣٠٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ،
 ٤١٩
 ابن أخت أبي علي الفارسی : ٣٥٣
 علي بن سليمان (الأخفش الصغير)
 علي بن سليمان الكلبي : ١٢٠

- كعب بن مامة الإيادي : ١٣٥
 كليب : ٤٠١
 ° ° °
 ابن لسان الحمرة : ٤٠
 ليث بن أبي سليم : ١٢٠
 ° ° °
 المازيار : ١٤٣
 المأمون : ٢٢٣
 المبرد (أبو العباس) : ٦١ ، ٦٢ ،
 ٢١٨ ، ٨٣
 المتوكل : ١٤٦ ، ١٤٧
 مثقال (مُثْقِل) (أبو جعفر محمد بن
 يعقوب) : ١٤٩
 المجوس : ٢٠٦
 محمد بن جابر السُّخَيْمِي : ١٢٠
 محمد بن محمد بن بقية الوزير (ابن بقية)
 المعتز بالله : ٣٦١
 المفضل : ٤٠
 الموفق (الخليفة) : ٢٨٧
 ° ° °
 النسابة البكري : ٥٢
 النعمان بن مُقَرَّن : ٤٠
 النعمان بن المنذر : ٣٨
 ° ° °
 هرون الرشيد : ٣١١
 أبو هريرة رضي الله عنه : ٦٤ ، ٨٦ ،
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٤ ، ٣٦٥
 الهند : ١٥
 علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ١٣ ،
 ٨١ ، ٢٦٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤
 علي بن عبد العزيز (القاضي الجرجاني)
 عمرو (صاحبة أبي ذؤيب) : ١٠٧
 عمرو بن العاص رضي الله عنه
 : ٣٨٨ ، ٣٨٩
 عمرو بن كلثوم : ١٧٥
 ابن العميد : ١٢
 عياض (القاضي) : ٤
 ° ° °
 أبو الفتح (ابن جني)
 فخر الدولة : ١٣٧
 الفرغ بن فضالة : ١٣
 الفرس : ٤٠
 فضالة بن كلدة الأسدي : ٣٩
 أبو الفضل الميكال : ١٦
 الفضل بن عيسى الرقاشي : ١٢
 ° ° °
 القاضي الجرجاني (علي بن عبد العزيز)
 (صاحب الوساطة) : ٥٢ ،
 ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ،
 ٢٣٣ ، ٣٢١ ، ٣٥٣
 القاضي عياض : ٤
 القرامطة : ١٣٥
 قيس بن سعد بن عبادة : ١٢
 ° ° °
 كثير بن أحمد (أبو منصور) : ٣٤٥
 كعب بن مالك : ٢٤٦

- هند بنت ألى سفیان رضی الله عنها
 ٤٠٥ :
 ٠٠٠
 واصل بن عطاء : ٣٤٣
 الوزير الخاقانی : ٣٤٤
 ٠٠٠
 یزید بن ألى سفیان : ٢٨٨
 یزید بن المهلب : ١٤٩
 یعقوب بن محمد (أبو یوسف الأعشى)
 أبو یوسف الأعشى (یعقوب بن محمد)
 ٦٤ :
 یونس بن بُعَا : ٣٦١
 ٠٠٠

(٨) فهرس الكتب

- التشبيهاً لابن عون : ٢٠٢ ، ٢١٠
 تفسير الطبرى : ٢١٧ ، ٢٢١
 تلخيص الحبير لابن حجر : ٦٤
 * * *
- الجامع الكبير للسيوطى : ٧٠ ، ٢٦٤
 جمهرة الأمثال لأبى هلال : ٧٩
 جمهرة اللغة لابن دريد : ٣٩ ، ٣٩٩
 * * *
- الحلية ، لأبى نعيم : ٢٦٥
 حماسة البحترى : ٢١٧
 حماسة ابن الشجرى : ٣٧ ، ١٥٦ ، ٢١٠ ،
 ٢٨١
 الحيوان للجاحظ : ١٠ ، ٣٧ ، ١٢٨
 * * *
- خزاة الأدب للبغدادى : ٥٦ ، ١٤١ ،
 ٣٨٩
 الخصائص لابن جنى : ٢١
 خلاصة الأثر : ٤
 * * *
- دلائل الإعجاز : ٧ ، ١٠ ، ١١٢ ، ١١٧ ،
 ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٥٦ ،
 ٢٢١ ، ٣٨١ ، ٣٩٩ ، ٤٠٧
 ديوان الشماخ : ١٥٨
 ديوان المعانى : ٢١١ ، ٢٣٠
 * * *
- الأزمنة والأمكنة للمرزوق : ١٢٨
 أسرار البلاغة لعبد القاهر : ١٥٩
 الأشباه والنظائر للخالدين : ٥٣
 الإصابة لابن حجر : ٢٧١
 الأصمعيات : ٣٢ ، ١٩٥
 الأغاني لأبى الفرج : ٣٦ ، ٩٥ ، ١٣٠ ،
 ٢٠٢ ، ٢٢٣ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ،
 ٣٨٩ ، ٣٠٧
 أمالى القتالى : ٥٨ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٩ ،
 ٢٠٢ ، ٢٤٢
 الأمثال لأبى الشيخ الأصفهاني : ١٢٠
 أمثال الحديث للرامهرمزي : ٦٨
 أنساب الأشراف للبلاذرى : ٣٦٤
 الأنواء لابن قتيبة : ٣٤٤ ، ٣٤٥
 إيضاح الملبس للخطيب البغدادى : ٦٨
 * * *
- البديع لابن المعتز : ٦
 البيان والتبيين للجاحظ : ٦ ، ١٢ ، ١٣ ،
 ١١٢
 * * *
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : ١٤٩
 تاريخ ابن خلكان (وفيات الأعيان) : ٣٤٦
 تاريخ الطبرى : ٢٥٨
 تاريخ ابن عساكر : ١٥٦
 الترغيب والترهيب للمندرى : ١٢٠

- رسالة النصارى للجاحظ : ٣٦٤
رسائل الجاحظ : ٣٦٤
.....
زهر الآداب : ١٣٧ ، ٢١٦
.....
سمط اللآلى لأبى عميد البكرى : ٥٨ ،
١٢٧ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،
٢٤٢
سنن الترمذى : ١٣ ، ١١٣ ، ٢٦٤
سنن أبى داود : ٢٦٤ ، ٣٥٧
سنن النسائى : ٣٥٧
سيبويه (الكتاب) : ٥٦ ، ١٩٥ ، ٢١٨ ،
٢٤٦ ، ٤٢٢
سيرة ابن هشام : ٢٦٤
.....
شرح أبيات المغنى للبغدادى : ٣٦ ، ٥٦
شرح أشعار المهذلين للسكرى : ٣٩
شرح حماسة أبى تمام للتبريزى : ٥٣ ،
٥٤ ، ٥٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
١٤١ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ٢٤٢ ،
٣٧١ ، ٤٠١
شرح شواهد الشافية للبغدادى : ٥٦
شرح المفضليات للأبى تبارى : ٤٠ ، ١٠٩ ،
٢١٥ ، ٢٠٧
شرح نهج البلاغة : ٨١ ، ١٥٦ ، ٢٥٨
شرح الواحدى (ديوان المتنبى) : ٣١٦
شعب الإيمان للبيهقى : ٢٦٥
.....
صنح الأعشى : ١٦٧
صحيح البخارى : ١٣ ، ٦٤ ، ٧١ ،
١١٣ ، ٢٤٥ ، ٣٢١ ، ٣٥٧
صحيح مسلم : ٣ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٨٦ ،
١١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٦ ، ٣٥٧ ،
٣٨٥ ، ٣٦٥
.....
طبقات ابن سعد : ١٢
طبقات الشافعية للسيبى : ١٢٠
طبقات الشعراء لابن المعتز : ٩٧ ، ١٨٦
طبقات فحول الشعراء : ٢٠
الطرائف الأدبية : ٣١ ، ١٢١ ، ١٥٣
.....
العقد الفريد لابن عبد ربه : ٢٠٢ ، ٣٦٤
العمدة لابن رشيق : ٣٦٤
عيون الأخبار لابن قتيبة : ١٥٤
.....
فتح البارى لابن حجر : ٦٤ ، ٧١ ، ١١٣ ،
٣٢١ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥ ، ٣٨٥
فتح القدير : ٢٦٥
فيض القدير للمناوى : ١١٢ ، ١٢٠ ،
٢٤٦
.....
الكامل لابن عدي : ٦٨ ، ٢٦٥
الكامل للمبرد : ٥٣ ، ٦١ ، ١٣٥ ،
١٤١ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢١٨ ،
٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٥٨ ، ٣٧١ ،
٣٨٨ ، ٣٨٩

- المعمرون للسجستاني : ٢١٧
مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني :
٣٤٧
الملاحن لابن دريد : ٣٨١ ، ٤٠٢
متنى الطلب : ١١٠ ، ٣٨٩
الموازنة للآمدى : ٣٨١ ، ٤٠١ ، ٤٠٢
الموشح للمرزبانى : ٨٣
٠٠٠
نقائض جرير والأخطل : ٦
نقائض جرير والفرزدق : ٤٩ ، ١٩٨ ،
٤٠٥
نهاية الأرب للنويرى : ١١٠
نوادير الأصول للحكيم الترمذى : ٢٦٤
٠٠٠
الواقى بالوفيات للصفدى : ٣٤٦
الوساطة للقاضى الجرجانى : ٥٢ ، ١٩٧ ،
٢٠٣ ، ٣٢١ ، ٣٩٩
وفيات الأعيان (تاريخ ابن خلكان) : ٣٤٦
٠٠٠
بييمة الدهر للثعاللى : ٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
١٣٧ ، ١٥٩ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ،
٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٧٨ ،
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،
٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ،
٣٠٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦
٠٠٠
- كليلة ودمنة لابن المقفع : ١٥
٠٠٠
لسان العرب لابن منظور : ٢١ ، ٥٣ ، ٧٩ ،
٢١٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥
٠٠٠
المؤتلف والمختلف للآمدى : ٢٧١
مجمع الأمثال للميدانى : ٢٨
مجمع الزوائد للهيتمى : ٧٠ ، ١١٩ ،
١٢٠ ، ٣٠٠
محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني : ٢١١
المختار من شعر بشار : ٣٤٤
مختارات البارودى : ٢٨٦
المستدرك للحاكم : ١٣
مسند أحمد بن حنبل : ١٢١ ، ٢٤٥ ،
٣٢١
مسند الشهاب للقضاعى : ٦٤ ، ٦٨ ،
مسند أبى يعلى : ٧٠
المعانى الكبير لابن قتيبة : ٣١ ، ١٢١ ،
١٥٣
معاهد التنصيص للعباسى : ٣٠٠ ، ٣٠٣ ،
٣٠٥
معجم الأدباء لياقوت : ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
٣٤٤
معجم الشعراء للمرزبانى : ٥٣ ، ١٢٤ ،
١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٨٦ ، ٢١٣ ،
٢١٧ ، ٢٢٣
المعجم الكبير للطبرانى : ١١٩ ، ١٢٠

(٩) فهرس الأماكن

- الأحذب : ٥٦
 الأشتر : ١٦
 بخارى : ٢٩٧
 بطن وجره : ٢٤٢
 بلنجر : ١٣٦
 البيضاء : ١٣٦
 الحذث (قلعة) : ٥٦
 الشام : ٣٨٨ ، ٣٨٩
 العراق : ١٣٦
 قران : ١٦
 الكوفة : ١٣٥
 مصر : ٢٢٩ ، ٢٦٨

•••

(١٠) فهرس الأيام

- حرب البسوس : ٤٠١
 ليلة السدق (ليلة وقود النار عند الجوس) : ٢٠٦

•••

- ٢ - (مقدمة المؤلف)
- ٤ - (اللفظ والمعنى) . البيان لا يقوم باللفظ وحده ، بل بتأليف الألفاظ وترتيبها
- ٥ - المراتب والمنازل في الجمل المركبة كقولنا : الاستفهام له صدر الكلام = والصفة لا تتقدم على الموصوف إلا أن تُزال عن الوصفية
- ٥ - إذا استحسن البصير بجواهر الكلام فأنى عليه بأنه « حلّو رشيق » ، فليس ذلك لأحوال ترجع إلى أجراس الحروف ، بل إلى أمر يقتدحه العقل من زناده
- ٦ - نمط واحد لاستحسان اللفظ : هو أن يكون غير وحشي غريب ، أو عامي سخيف
- ٦ - مواقع استحسان اللفظ

•••

- ٧ - (التجنيس) ، لا يستحسن التجنيس إلا بوقوع اللفظتين موقعًا من العقل
- ٧ - قُبِحَ التجنيس في بعض شعر أبنى تمام ، وحسنه في شعر غيره ، وذلك بنصرتة للمعنى دون اللفظ وحده
- ٨ - (الألفاظ تحم المعاني) . ترك المتقدمون العناية بالسجع . ولزموا سجية الطبع
- ٩ - المتأخرون وخطوهم في الحرص على « البديع » ، وأهل البيان يحرصون على سلامة المعنى ولا يتقيدون بالسجع أو التجنيس . خطب الجاحظ في أوائل كتبه
- ١١ - (التجنيس والسجع) ، لا يستحسن أحدهما حتى يطلبه المعنى ، وأمثلة ذلك
- ١٢ - السجع في كلام القدماء ، أمثلة منه
- ١٣ - السجع في حديث رسول الله ﷺ
- ١٣ - إنكار الأعرابي ، حين قال له العامل : « أو تسجع أيضًا » ، وذلك حين قال له : « خلقت ركابي ، وشققت ثيابي ، وضربت صحابي » ، وبيان صحة ما قاله الأعرابي
- ١٤ - إرسال المعنى على سجيته هو الذى يحسن التجنيس والسجع
- ١٥ - أبو تمام وإسائه في شعره بطلب التجنيس
- ١٧ - التجنيس المستوفى ، والتجنيس المرغوب ، فضلهما في حسن الإفادة
- ١٨ - التجنيس الناقص في اختلاف الكلمات من أولها ، وأمثلة
- ١٩ - قسمة التجنيس

•••

- ١٩ - (الحشو) ، إنما كره ورُدُّ لأنه تحلا من الفائدة (انظر ص : ٧)
- ٢٠ - (التطبيق و الاستعارة) ، وسائر أنواع البديع ، كَلَّها مرتبط بالمعاني
- ٢٠ - (الاستعارة) ضربٌ من التشبيه والتمثيل ، فهى معنوية
- (التطبيق) ، مقابلة الشيء بضئه ، وهذا معنى
- بيت الفرزدق المذموم : « وما مثله فى الناس إلا مملُكا » ، وبيان مذمته
- ٢١ - « استعارة » يشى عليها من جهة اللفظ ، ومرجع ذلك فى الحقيقة إلى جودة المعنى
- مثالها قول كثير : « ولما قضينا من منى كَلَّ حاجة » ، وبيان جودة هذه الأبيات
- ٢٥ - هذه الفصول التى قَدَّمها قضايا لا يكاد يخالف فيها عاقل . وقد يُذكر الأمر المتفق عليه ، ليبنى عليه المختلِّف فيه

•••

- ٢٦ - (غرض المؤلف) من هذا الأساس الذى وضعه وابتدأه ، أن يتوصل إلى بيان المعاني كيف تختلف وتتفق ، ومن أين تجتمع وتفترق ، ويفصل أجناسها وأنواعها . وكلامه هنا دال على أنه واضح هذا العلم ، وانظر أيضًا ص : ٢٧ ، ٢٨

•••

- ٢٧ - أحق ذلك بأن يستوفيه النظر : (التشبيه) و (التمثيل) و (الاستعارة) ، فهى الأصول الكبيرة التى يدور عليها البيان
- وصف ما كان يقوله العلماء قبله فى « الاستعارة » مثلاً ، وهو كلام موجز . غير مغن فى بيان حقيقة « التشبيه » و « التمثيل » و « الاستعارة »

•••

- ٢٩ - الواجب أن يُبدأ بالقول فى « الحقيقة » و « الهاز » ثم « التشبيه » و « التمثيل » ثم « الاستعارة » لأن « الهاز » أعمُّ من « الاستعارة » ، و « التشبيه » أصلٌ فى « الاستعارة » ، ولكن ههنا أمور اقتضت أن تقع البداية « بالاستعارة » ، دون « التشبيه » و « التمثيل »
- ٣٠ - (تعريف « الاستعارة ») ، وانقسامها إلى قسمين :
- (الاستعارة المفيدة) و (الاستعارة غير المفيدة)
- (الاستعارة غير المفيدة) ، وأمثلتها :
- وُضع أصحاب اللغة للعضو الواحد أسامى بحسب اختلاف أجناس الحيوان مثلاً ، نحو وضع

- « الشفة » للإنسان ، و« المشنفر » للبعير ، و« الجحفلة » للفرس ، وما شاكل ذلك من فروق ،
ربما وجدت في غير لغة العرب ، وربما لم توجد ، (ثم انظر رقم : ٦٤)
- ٣٢ - مثل استعارة « الشفة » للفرس ، وهذا لا يفيد شيئاً . وتفسير ما يدخل عندئذ من الشبهة على السامع
- ٣٢ - بيان معنى « الاستعارة المفيدة » ، ومثالها
- ٣٤ - بقية القول في « الاستعارة غير المفيدة »
- « الاستعارة المفيدة » ، شركة بين أجيال البشر ، غير خاصة بالعربية وحدها ، مثال ما يخص اللغة العربية . المعاني العامة والأمور المشتركة ، لا اختصاص لها بجيل دون جيل
- ٣٥ - ترجمة « الاستعارة » الخاصة بالعربية دون غيرها . أما غير الخاصة فيلزم المترجم أن يأتي بها على وجهها في اللغة الأخرى ، ومثال ذلك
- « الاستعارة اللفظية » الناظرة إلى « الاستعارة المعنوية » . وأمثلتها . كاستعمال « المشافر » و « الحافر » و « الأظلاف » للإنسان ، و « الثوب » للولد
- ٤٢ - « الاستعارة المفيدة » ، فضائلها وخصائصها ومزاياها ، وهي إشارات وتلميحات ، تنجلي حين يتكلم على التفاصيل

•••

- ٤٤ - (هذا فصل قسمت « الاستعارة » فيه قسمة عامية ، ومعنى « عامية »)
- كل لفظة دخلتها « الاستعارة المفيدة » لا تخلو أن تكون اسماً أو فعلاً
- « استعارة الاسم » على قسمين :
- الأول : أن تنقله عن مسماه الأصل إلى شيء آخر ثابت معلوم ، وبيان ذلك : « رأيت أسداً »
أى رجلاً شجاعاً
- الثاني : أن يؤخذ الاسم على حقيقته ، ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يُشار إليه ، يكون خليفة لاسمه الأصلي ، ومثاله قول لبيد في ذكر ربح الشمال :
- إذ أصبحت بيد الشمال زمامها .
- وقول البحترى يعنى النساء :
- لقد نأت بهواك آرامَ الظباء الغييد .
- ٤٧ - الفصل بين قسمي « الاستعارة المفيدة » في الاسم :
- فالأول : إذا رجعت إلى التشبيه ، وهو مغزى كل استعارة مفيدة ، أتاك عفواً

أما في الثاني : فهو لا يواتيك تلك المواتاة ، وإنما يتراءى لك التشبيه بعد أن تغير الطريقة ،
وتخرج عن الحنؤ الأول ، وتفسر ذلك وشواهدة وأمثله ، نحو قول زهير :

• وعُرِّيَ أفراسُ الصبَا ورَوَّاحِلُه •

وقول النابغة :

• فَإِنَّ مطيَّةَ الجهلِ الشبابُ •

وبيان ذلك وتفسيره :

- إغفال معنى « الاستعارة » على الوجه الثاني كانت سبباً في وقوع قوم في تشبيه الخالق سبحانه
بالمخلوق

- ٥٠ - أعلم أن إغفال هذا الأصل في قسمة « الاستعارة » ، قد يكون سبباً إلى أن يقع قوم في
« التشبيه » ، أي تشبيه الخالق سبحانه بمخلوقاته المحدثنة
- طريقة أخرى في بيان الفرق بين قسمي « الاستعارة »

• • •

- ٥١ - (استعارة الفعل) ، هل ينقسم إلى مثل القسمين في الاسم ؟ الفعل لا يتصور فيه أن
يتناول ذات شيء ، كما يتصور في الاسم ، ولكن شأن الفعل أن يثبت المعنى الذي اشتق منه
للشيء في الزمان الذي تدل عليه صيغته ، كما تقول : « أخرجتني أسارى وجهه بما في ضميره » ،
وبيان ذلك

- ٥٢ - وصف الفعل بأنه « مستعار » ، حكم يرجع إلى مصدره ، وإذا كان كذلك ، انقسمت
استعارة الفعل انقسام استعارة الاسم

- ٥٣ - استعارة الفعل « تكون تارة من جهة فاعله ، ومثاله ما مضى ، وتارة من جهة مفعوله ، كقول
ابن المعتز :

• قَتَلَ البُخْلَ وَأَحْيَى السَّمَاحَا •

وأثلة ذلك في المفعولين ، أو أحد المفعولين دون الآخر

• • •

- ٥٥ - « الاستعارة » تعتمد على « التشبيه » وسنلججها من الضعف إلى القوة

- « الاستعارة » القريبة من الحقيقة ، فيكون معنى الكلمة المستعارة موجودًا في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة وأمثله ، كاستعارة « الطيران » لغير ذى الجناح ، و« انقراض الكوكب » ، و« السباحة » للفرس في عدوه
- ٥٧ - استعارة « فاض الماء » لمركبة الفجر ، وهو غير « فاض » بمعنى الجود ، كقول البحترى :
- كالفجر فاضَ على نجوم الغيب •
- وأشبه ذلك ، كاستعارة « النثر » في شعر أى تمام والمتنبى لأجسام الناس ، وهو فى الأصل للأجسام الصغار
- ٥٨ - استعارة « النظم » لجمع الحاذق شخصين فى ربح ، كما فى شعر بكر بن النطاح :
- قالوا : وَيَنْظِمُ فارسين بِطَعْنَةٍ •
- ومما شابه ذلك
- ٥٩ - استعارة « خرق الثوب » فى الصفاة ، وليس منه « خرق الحشمة » ، لأنه ليس هناك شق وتفريق . واستعارة « مرق » لجماعة الناس ، لأنه تفريق
- ٦٠ - استعارة « القطع » فى تفريق جماعة الناس . وقولهم : « قطع كلامه » نوع آخر غير هذا
- ضرب آخر من الاستعارة القريبة من الحقيقة ، « أثرى من المجد » ، و « أفلس من المروءة »
- ٦١ - من هذا الباب : « كثر شوقه » ، و « أعدم من المال » ، وأشبه ذلك
- ٦٢ - استقصاء هذا الضرب من الاستعارة ، والبحث عن أسراره ، لا يمكن إلا بعد أن تُقَرَّر الضروب المخالفة له من الاستعارة

•••

- ٦٢ - (ضرب ثان من الاستعارة) : أن يكون الشبه من صفة موجودة فى كل واحد من المستعار والمستعار له نحو : « رأيت شمسًا » تريد إنسانًا يتהלل وجهه ويتلألأ كالشمس
- ٦٣ - وكذلك منه : « رأيت أسدًا » ، تريد رجلًا شجاعًا
- الفرق بين هذا وبين الجنس السالف من الاستعارة . واعتراضٌ ثم ردٌ عليه
- ٦٤ - استعارة اسم العضو نحو : « الشفة » و « الأنف » نحو قول المعجاج : « مرستنا مسرجًا » (انظر ما سلف رقم : ٣٦) ، واستعارة « الفرسن » من البحر للشاة نحو حديثه عليه السلام :

« لا تحقرن جارة لجارتها ولا فرسين شاة » ، ليس من ذلك ، لأنه لا تشبيه فيه

٦٥ - (الضرب الثالث من « الاستعارة ») ، وهو الصميم الخالص منها ، وحده : أن يكون الشبه مأخوذاً من الصور العقلية ، والفرق بينه وبين الضربين السابقين ، كاستعارة « النور » لليبان والحجة الكاشفة ، و « الصراط » للدين . وهو المنزلة التي تبلغ الاستعارة عندها غاية شرفها

٦٦ - لهذا الضرب الثالث أصول : الأول : أن يؤخذ الشبه من الأشياء المشاهدة المدركة بالحواس للمعاني المعقولة = الثاني : أن يؤخذ الشبه من الأشياء المحسوسة لئلا ، والشبه مع ذلك عقلي = الثالث : أن يؤخذ الشبه من المعقول للمعقول

- مثال الأصل الأول : « النور » لليبان والحجة = أو « الظلمة » للشبهة والجهل

٦٧ - استعارة « القسطاس » للعدل ، وأشباهه

- مثال الأصل الثاني : أخذ الشبه من المحسوس للمعقول ، ولكن الشبه عقلي : « إياكم وخضراء الدمن » ، و « هو غسل إذا يأسرته »

٦٩ - يخرج من هذا « الأصل الثاني » ، أصلاً ، ويُذهبُ بها في القياس والتشبيه مذهبين :

الأول : يُفضى إلى ما تناله العيون

الثاني : يُوسىء إلى ما تمكّله الظنون

فالأول : نحو قولهم في أصحاب رسول الله ﷺ : « هم نجوم الهدى » ، وبيان ذلك

الثاني : نحو قوله ﷺ : « مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام ، لا يصلح الطعام إلا بالملح » ،

فالشبه عقلي ، وبيان ذلك

٧١ - مثله أيضاً قولهم : « النحو في الكلام ، كالملاح في الطعام » ، بيان ذلك ، وفساد ظن من قال :

إن القليل من النحو يغنى ، والكثير منه يفسد الكلام ، كما يفسد الملح الطعام إذا كثر ، وفيه بيان

طويل جيد

٧٤ - مثال الأصل الثالث : وهو أخذ الشبه من المعقول للمعقول

الأول : تشبيه الوجود من الشيء بالعدم ، لما قل في المعاني التي يكون بها له قدر

الثاني : تشبيه العلم منه بالوجود ، لأنه فُقد ، ولكنه خلف آثاراً تذكر

- أما الأوصاف فمن طريقين :

- والدرجة الأولى : حيث يكون التشبيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة ، لخلوها من ثمرتها . وأمثلة ذلك كقولهم : « فلان لا يعقل » ، و « هو بهيمة أو حمار »
- ٧٦ - والقول الجامع في هذا أن تنزيل الوجود منزلة العدم ، إذ أريد المبالغة في حط الشيء والوضع منه ، وما يقع من المبالغة حتى يقعوا في ضرب من الهوس ، كقول أبي تمام :
- « وأنت أنزُرُ من لا شيء في العدد . »
- ٧٧ - ويتفرع على هذا : أن تريد المدح وإثبات المزية ، فتسلب غيره كُلَّ مزية ، فلا يعتد به : أو أن يكون التفضيل على توسط ، فتجعله على وجه القصد كقولك :
- « هنا شيء » ، أى داخل في الاعتداد
- تفسير قولهم : « هذا إما لا رجل » ، و « هذا هو الشعر فحسب »
- ٧٨ - التعبير المطلق عن نقص الصفة بوجود ضدها ، كقولك : « هو أعمى أصم » . أما إذا قيّد ، ثبتت له الصفتان جميعاً ، نحو : « أصمُّ عمًا ساءه سميعٌ »
- ٧٩ - الطريق الثانى من شبه المعقول للمعقول : أن لا يكون على تنزيل الوجود منزلة العدم ، ولكن على اعتبار صفة معقولة يتصوّر وجودها مع ضدّها ما استعرت اسمه ، كقولك : « لقي الموت » ، تعنى الأمر الأشدّ المكروه كراهة الموت ، وتفصيل ذلك وبيانه
- ٨٠ - ولكن ليس كل ما يعبر عنه بالموت ، يمكن أن يحمل هذا المحمل
- اعتراض في معنى : أن السؤال يكسبُ النذل ، وردّه عليه
- ٨١ - العبارة عن حمل الذكر بالموت ، قد يدخل في تنزيل الوجود منزلة العدم ، ولكنه يخالفه ، وبيان ذلك
- تسمية من لا يعلم « ميتاً » ، وبيان ذلك
- ٨٢ - ضرب آخر في تنزيل الوجود ومنزلة العدم ، كقولهم في البخيل الذى لا يتمتع بماله : « إن غناه فقر » ، وبيان ذلك
- ٨٣ - قولهم في « القناعة » إنها غنى ، يرجع إلى الحقيقة المحضة ، وإن كان في ظاهر الكلام كالتشبيه والتمثيل . والفرق بين « القنوع » و « القناعة » ، كما جاء في شعر محمد بن يسير الحميرى
- ٨٤ - جعلهم الكثير المال ، إذا كان شرهاً حريصاً على الأزدىاد ، فقيراً ، فمما يرجع إلى الحقيقة المحضة ، وإن كان في ظاهر الكلام كالتشبيه والتمثيل ، لأن الكثير المال لا تحصل له صفة

- الغنى ، ولا تزول عنه صفة الفقر ، مع بقاء حرصه . فقولهم : « إن القناعة هي الغنى لا كثرة المال » إخبارٌ عن حقيقة نُفِذتها قضايا العقول
- ٨٥ - على هذا الوجه جاء حديث رسول الله ﷺ : « أتدرون من المفلس ... » الحديث ، وبيان حقيقة معناه

* * *

- ٨٧ - تمتة القول في تنزيل الموجود منزلة العلم ، أو العلم منزلة الوجود ، ثم اعتراضٌ بأنه ليس من حديث « التشبيه » في شيء ، ثم الردّ عليه . ثم الانتقال إلى القول في « التشبيه » ، « التمثيل »

* * *

- ٩٠ - (« التشبيه » و « التمثيل ») ، والبدء في القول في « التشبيه »
- الأول : تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل ، واللون والهيئة والحركة والصوت وغير ذلك مما لا يجرى فيه التأول
- ٩٢ - الثاني : الضرب الذي يحدث بضرب من التأول ، وأمثلة ذلك
- ٩٣ - طريقة التأول تتفاوت تفاوتاً شديداً
- التأول القريب المأخذ في التشبيه
- ٩٤ - التأول البعيد المأخذ في التشبيه ، واحتياجه إلى فضل من الرُفْق والنظر كقول كعب الأشقرى في وصف أبناء المهلب : « هم كالحلقة المفرغة ، لا يُدْرَى أين طرفاها »

* * *

- ٩٥ - فصل في الفرق بين « التشبيه » و « التمثيل » ، فالتشبيه عام ، والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً ، وأمثلة ذلك
- ٩٧ - كل ما لا يصحُّ أن يسمّى « تمثيلاً » ، فلفظ « المثل » لا يستعمل فيه أيضاً

* * *

- ٩٨ - فصل ، في الذي أوجب أن ينقسم « التشبيه » قسمين : أن الاشتراك في الصفة يقع مرة في نفسها وحقيقة جنسها ، ومرة في حكم لها ومقتضى
- حقيقة معنى « التأول »

- ٩٩ - فالضرب الأول : ما تشابه فيه صفة الجنس في المشبه والمشبه به ، والجنس لا تتغير حقيقته ، وإنما يتصور فيه التفاوت بالكثرة والقلة ، والضعف والقوة
- والضرب الثاني : يحتاج إلى ضرب من التأويل والتقدير ، لتطلبه مقتضى الصفة لا جنسها ، وهو شبه عقلي لا عمالة

* * *

- ١٠١ - « والشبه العقلي » ربما انتزع من شيء واحد ، وربما انتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ، ثم يستخرج من مجموعها الشبه ، ومثال ذلك : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ)
- ١٠٢ - ما يجيء « التشبيه » فيه معقوداً على أمرين لا يتشابهان هذا التشابك ، كقولك : « هو يصفو ويكثر » ، والفرق بينه وبين السالف

* * *

- ١٠٤ - فصل . الشبه العقلي إذا انتزع من الوصف ، لم يخل من وجهين :
- أحدهما : أن يكون لأمر يرجع إلى نفسه كانتزاع الشبه للفظ ، من حلاوة العسل
- والثاني : وهو ما ينتزع فيه الشبه لأمر لا يرجع إلى نفسه ، ومثاله أن يتمدى الفعل إلى شيء مخصوص ، يكون له من أجله حكم خاص ، نحو : « هو كالقابض على الماء » فالشبه ههنا منتزع مما بين القبض والماء ، لا من القبض نفسه
- ١٠٥ - « الحمل » في آية : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ) ، فالشبه لا يرجع إلى حقيقة « الحمل » ، بل لأمرين آخرين : أحدهما : تعديبه إلى الأسفار ، والآخر : اقتران الجهل للأسفار به
- (اعتراض على هذا وردّه)
- ١٠٦ - من هذا الباب أمثلة : « أخذ القوس بارها » ، « ما زال يقتل منه في الذروة والغارب »
- ١٠٧ - وهذا الشبه حكمه واحد ، سواء أخذته ما بين الفعل والمفعول الصريح ، وما يجرى مجرى المفعول كالجواز والمجرور نحو : « الرقم في الماء » ، وكذلك الحال نحو قوله : « كالحادى وليس له بعير » . وكل ذلك « تمثيل »

* * *

- ١٠٨ - (التمثيل) ما بعد عن التشبيه الظاهر ، ولا تجده يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين

- أو أكثر ، ومثال ذلك من سورة يونس : ٢٤ (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فيها عشر جُمل دخل بعضها في بعض كأنها جملة واحدة ، كل جملة منها تُتَسَّقُ على التي قبلها
- ١٠٩ - أما الجمل التي لا يجب عليك أن تحفظ فيها نظامًا مخصوصًا متاسكًا يكون مجموعها صورة خاصة مقررة ، فليست من « التمثيل » في شيء
- ١١٠ - « التمثيل » الحاصل من جملتين أو أكثر ، قد يمكن أن تنفرد وتستعمل بنفسها تشبيهاً وتمثيلاً ، ثم لا يكون الأمر كذلك عند التأمل ، كقول الشاعر :

كَمَا أُبْرِقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةً فَلَمَّا رَجَّوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ

- ١١١ - وَرَأَى ذَلِكَ أَنَّ الشَّرْطَ وَالْجِزَاءَ جَمَلَتَانِ ، وَلَكِنْ حَكَمَهُمَا حَكْمَ جَمَلَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَصَارَ انْفِرَادٌ إِحْدَاهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْأَسْمِ الْمَفْرَدِ ، فِي امْتِنَاعِ أَنْ تَحْصَلَ بِهِ الْفَائِدَةُ
- ١ - اعترض في أمر الجملتين ، ورده ببيان الفرق بينهما)
- ١١٣ - يوهم كلام أبي أحمد العسكري أن يريد « بالمماثلة » شيئاً غير « المثل » و « التمثيل » ، وإزالة هذا الوهم

- « المثل » قد يضرب بجمل لا بُدَّ فيها من أن يتقدمها مذكورٌ يكون مشبهاً به ، ولا يمكن حذف المشبه به ، والاختصارُ على ذكر المشبه

- بيان ذلك قوله عنه : « الناس كإبل معة لا تكاد تجد فيها راحلة » ، فلو حذف المشبه به وقلت : « الناس لا تجد فيها راحلة » ، فسد الكلام

١١٤ - وكذلك قوله تعالى : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) ، فلو حذف « الماء » ، أردت ما لا تحصل منه على كلام يعقل

- والجملَةُ إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ الْمَشْبَهِ بِهِ لَمْ تَحُلْ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :

الأول : أن يكون المشبه به معبراً عنه بلفظ موصول كقوله تعالى : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا)

الثاني : أن يكون المشبه به نكرة تقع الجملة صفة له ، نحو : « الناس كإبل معة لا تكاد تجد فيها راحلة »

الثالث : أن تحيء الجملة مبتدأة ، وذلك إذا كان المشبه به معرفة ، ولم يكن هناك « الذي » ، كقوله تعالى : (كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)

- ١١٥ - فضيلة « التمثيل » إذا جاء في أعقاب المعاني
- ١١٦ - أمثلة على هذا وبيان له
- ١١٩ - أمثلة في « التمثيل » وأسباب تأثيره . كقول المتنبي :
- ومن يك ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ يجدُ مُرًّا به الماءُ الزُّلالًا
- ١٢٠ - وقول الشافعي :
- « أَأَنْتَرُ دُرًّا بَيْنَ سَارِحَةِ الْعَنَمِ .
- ١٢١ - أسباب تأثير « التمثيل » في نفس السامع ، أنس النفوس موقوت على أن تخرجها من خفى إلى جلى ، وتأتيها بصريح بعد مكنتى ، ونحو ذلك وبيانه
- (١٢٢) (اعتراض وجوابه) . المعاني التى يجيء « التمثيل » فى عقبها على ضربين :
- الأول : غريب بديع ، وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس فى الفضائل الخاصة به ، إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك الجنس ، فيحتاج لدعواه بما له أصل فى الوجود ، كقول المتنبي :
- فإن تَفَقَّى الأَنَامَ وَأنتَ منهم فَإِنَّ المِسْكَ بعضُ دَمِ العَزَالِ
- ١٢٣ - الثانى : أن يكون المعنى الممثل غريبًا نادرًا ، يُحتاج فى دعوى كونه إلى بَيِّنَةٍ وَحُجَّةٍ وإثباتٍ ، فيمثل له بما ليس بمنكر لا مستبعد ، كقول معاذ العقبلى :
- أَجْرَتِ فلم تَمْنَعْ ، وَكُنْتُ كقَابِضٍ عَلَى المَاءِ خَانَتِهِ فِرَوجِ الأَصَابِعِ
- ١٢٤ - سبب الأُتْسِ فى الضربِ الأَوَّلِ ، أن « التمثيل » يفيد الصحة وينفى الرُيب والشك
- سبب الأُتْسِ فى الضربِ الثانى ، أن « التمثيل » فيه يفيد صحة الصفة ، من جهة المقدار ، لأن مقاديرها فى العقل تختلف
- ١٢٦ - زيادة تأثير المشاهدة فى النفوس ، مع العلم بصدق الخبر ، وأمثله
- ١٢٧ - « التمثيل » بالمشاهدتم يزيدك أنسًا ، وإن لم يكن بك حاجة إلى تصحيح المعنى ، أو بيان مقدار المبالغة فيه ، وأمثلة ذلك
- ١٢٩ - مذهب آخر فى بيان السبب فى تأثير تصوير الشبه بين المختلفين فى الجنس ، وبيان ذلك
- ١٣١ - أصل : تصوير التشبيه بين المختلفين فى الجنس ، مما يحرك قوى الاستحسان
- و « التمثيل » أخصُّ بذلك ، وهو الإمام فيه ، ويعمل عمل السحر . بيان وجوه ذلك

- ١٣٤ - تصرّف « التمثيل » تصرّفًا يريك العلم وجودًا ، والوجود عمدًا ، ومثاله
- ١٣٥ - لطيفة أخرى في هذا المعنى ، وهو جعل الموت نفسه حياةً مستأنفة ، ومثاله
- ١٣٦ - « التمثيل » يأتيك من الشيء الواحد بأشباه عِدَّة . وأمثلة كثيرة على ذلك
- ١٣٩ - « التمثيل » أسلوب آخر منه ، يتجلى بعد طلبه بالفكر ، وموقعه في النفس لذلك أحلى
- الفرق بين « التمثيل » الغامض المعقد ، و« التمثيل » المخرج إلى الفكر ، وأمثلة « التمثيل » المخرج إلى الفكر
- ١٤٢ - « التمثيل » المعقد ، ومثاله
- أحق أصناف التعقد بالذمّ وما يحدثه في نفس سامعه أو قارئه
- ١٤٣ - تعسّف أى تمام وتعقيده
- صفة الكلام المتوقف على دقة الفكر
- ١٤٤ - المعاني الشريفة اللطيفة لا بد فيها من بناء ثانٍ على أوّل ، وردّ تالي إلى سابق
- ١٤٥ - ما لا يدرك إلا بالفكر في تحصيله والغوص إليه
- ١٤٦ - البحترى يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل والتقريب ، ما لا يبلغ الماهر مبلغه ، وليس كل ما يقوله كذلك ، لأنه في شعره للمتوكل قد فارق طريقه ، لأن المتوكل كان يأنس بالشعر النازل
- ١٤٧ - المعقد من الشعر ليس بما تقع حاجة فيه إلى الفكر ، بل هو مما يقسم الفكر ويوغر مذهبه
- أما الملتصّبّين ، فهو يفتح للفكر الطريق ويهدده ، وبيان ذلك
- ١٤٨ - ليس تقرير الشبه بين الأشياء المشتركة في الجنس ، وإنما الصنعة والحذق أن تجمع المتنازعات المتباينات في نسب واحد . وهو يبيّن في كل الصناعات التي تحتاج إلى الدقة
- هذا الأصل هو القضية في « التمثيل » وبيان ذلك
- ١٥٠ - دقة المسلك إلى استخراج الشبه ولطف المذهب ، هو الذي يوجب التقديم
- ١٥١ - القيد في تأليف شيء يبعد عنه في جنس هو أن تصيب بين المختلفين في الجنس شيئًا صحيحًا
- ١٥٢ - والحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفين ، هو أن تجد مشابهاً خفية يندق المسلك إليها
- إذا لطف « التشبيه » الصريح بين متباعين ، فذلك لاتفاق كان ثابتًا بين المشبه والمشبه به ،

ولكنه كان خفياً لا ينجلى إلا بعد التأنيق في استحضار الصور وعرض بعضها على بعض ،
ومثال ذلك

١٥٥ - كون الشيء من الأفعال سبباً لضده ، ومثاله

•••

١٥٧ - (فصل) . هذا فن آخر يجمع « التشبيه » و « التمثيل » جميعاً

- معرفة الشيء من طريق الجملة ، غير معرفته من طريق التفصيل
- وضع القوانين ، وبيان التقسيم في كل شيء ، وتبيين العبارة في الفروق ، فائدة لا ينكرها المميز
- المعنى الجامع في سبب غرابة « التشبيه » ، أن يكون الشبه المقصود مما لا يتسرع إليه الخاطر
- تفصيل القول في غرابة « التشبيه » و « التمثيل » وبيان ذلك وأمثاله
- ١٦٠ - بعض « الشبه » يكون على الذكر أبداً ، وبعضه يكون كالعائث = وبعضه كالبعيد لا يُقال إلا بعد قطع مسافة إليه

- عبرتان في أمر « التشبيه » ، تعلم بهما السبب في سرعة بعضه إلى الفكر ، وإباء بعض أن يكون له ذلك الإسراع

- العبة الأولى : أنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر . وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس ، وبيان ذلك

١٦١ - فإذا كان هذا في المشاهدة وسائر الحواس ، فالأمر في القلب كذلك

- وتتفاوت الحال في الحاجة إلى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته في حد الجملة وحد التفصيل

- الاشتراك في الصفة من جهة الجملة ، بحيث لا يشوبها تفصيل ، فيقل أن تحتاج فيه إلى قياس وتشبيه ، فإن دخل في التفصيل ، احتجت بعد ذلك إلى إدارة الفكر . وبيان درجات هذا ، وشواهد كقول ذي الرمة :

وسِقِطِ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَزْتُ صُحْبَتِي أَبَاهَا ، وَهَيَّانَا لِمَوْضِعِهَا وَكُرَا

وبقية الشواهد

١٦٢ - المقابلات التي تترك الفرق بين الجملة والتفصيل كثيرة ، كالمقابلة بين قول عنترة :

يُتَابِعُ لَا يَبْتغِي غَيْرَهُ بِأَبْيَضَ كَالْقَبَسِ الْمُتَلْتِبِ

وقول امرئ القيس :

جَمَعْتُ رُدُنِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

١٦٥ - العربة الثانية : يقتضى كون الشيء على الذكر ، أن يكثر دورانه على العيون وتدركه الحواس = وعكسه : يُعَدُّ ذلك الشيء عن الخاطر ، وإنما يحسُّ في التُّلْدرة

- فإذا كان هذا لاشكُّ فيه ، فالشبهه الراجع إلى ما تبصره أبداً ، فالتشبيهه المعقود عليه نازل مبتدل = أما ضدهُ في مخالفته ، فالتشبيهه المردود إليه غريب نادر ، ثم تتفاضل التشبيهات

١٦٦ - « التفصيل » ، عبارة جامعة ، فأنت تنظر في الأوصاف وتفصل بعضها عن بعض ، وتنظر في الشيء الواحد إلى أكثر من جهة ، وهو يقع من ثلاثة أوجه ، وإن كانت دقائقه لا تكاد تضبط :

- الوجه الأول : أن تفصل ، بأن تأخذ بعضاً وتدع بعضاً ، وأمثاله ، كقول ابن المعتز :

فَجَاءَتْ بِهَا فِي كَأْسِهَا ذَهَبِيَّةٌ لَهَا حَدَقٌ لَمْ تَتَّصِلْ بِجُفُونِ

- (بيان معنى : العراقة والتعريق في الخط) ، وانظر ص : ١٧٨

١٦٧ - الوجه الثاني : أن تنظر في المشبه به وفي أموره واحداً واحداً ، ثم تجعلها فصلاً فصلاً ، ثم تجمعهما في تشبيهك على مجموع أوصاف المشبه به ، وبيان ذلك ومثاله :

... قول امرئ القيس :

إِذَا مَالِ الثَّرِيًّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَنْثَاءِ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ

١٦٨ - الوجه الثالث : أن تفصل بأن تنظر في خاصية في الصوت مثلاً ، ليست في كل صوت

١٦٩ - مما يكثر فيه « التفصيل » ، في « التشبيه المركب » من شيئين أو أكثر ، وهو ينقسم قسمين :

- « القسم الأول » ، أن يكون شيئاً يقدره المشبه وبضعه ولا يكون ، وذلك أن يكون التشبيه مركباً من أمور مجتمعة ، لو أخللت بواحد منها لم يحصل الشبه ، ومثال ذلك قول ابن المعتز :

مَدَاهُنْ دُرٌّ حَشْوُهُنَّ عَقِيقٌ .

١٧٠ - القسم الثاني ، أن تعتبر في التشبيه هيئةً تحصل من اقتران شيئين ، وهذا الاقتران مما يوجد

ويكون ، ومثاله قول ابن المعتز :

غَدَا وَالصُّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَطِرْفِ أَشْهَبِ مُلْقَى الْجِلَالِ

وبيان ذلك ، وأمثلة أخرى

والفرق بينه وبين القسم الأول

١٧٢ - وهذا القسم الثاني ، مما يدخل في الوجود يتفاوت ، فمنه ما يتسع وجوده ، ومنه ما يوجد في النادر ، بيان ذلك ، ومن أمثله قول أبي طالب الرق :

وَكَانَ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَّرَ نُثْرَنَ عَلَى بَسَاطِ أَرْزِقِ

- « التشبيه المركب » ، بقسميه وصلتهما بالعبرتين السالفتين ، في ص : ١٦٠ ، ثم ص : ١٦٥ ، وبيان ضبط هذا التشبيه ، وبيان فضل كل منهما

١٧٤ - تفاوتت « التشبيه »

- « العبرة الثانية » ، وهى مرور الشيء على العيون ، معنى واحد لا يتكرر ، ولكنه يضعف ويقوى

- و « العبرة الأولى » ، هى « التفصيل » ، لأنها فى حكم الشيء يتكرر ، وينضم فيه الشيء إلى الشيء ، وبيان ذلك وشواهد ، كقول بشار :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

وبيان ذلك

١٧٦ - استقصاء « التشبيه » ، وبيانه وشواهد

١٧٧ - أبلغ الاستقصاء فى « التشبيه » وشواهد ، كقول ابن المعتز :

كَأَنَا وَضَوْءُ الصُّبْحِ يَسْتَعْجِلُ الدُّجَى نُطِيرُ غُرَابًا ذَا قَوَادِمِ جُونِ

١٧٨ - مثال آخر فى استقصاء « التشبيه » ، وهو قول أبى نواس يصف البازى وعينه :

كَأَنَّ عَيْنِي إِذَا مَا أَتَارَا .

وبقية الرجز

- (« التعريق » فى الخط) ، انظر ص : ١٦٧

١٧٩ - جملة القول : أنك متى زدت فى التشبيه على مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة ، فقد

دخلت فى « التفصيل » و « التركيب » ، وضحت باب التفاضل

- ١٨٠ - « التشبيه » في الهيئات التي تقع عليها الحركات
 - « الهيئة » المقصودة في التشبيه على وجهين :
 - الأول : أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون وغيرها
 - الثاني : أن تجرّد هيئة الحركة حتى لا يتراد غيرها
 - الوجه الأول : شاهده قول جبار بن جزة بن ضرار :
 • والشمسُ كالمرآة في كَفِّ الأَسْتَلِّ .
- ١٨١ - من عجيب ما جمع بين الشكل وهيئة الحركة ، قول الصنوبري :
 كَانَ فِي عُذْرَانِهَا حَوَاجِبًا ظَلَّتْ تُمَطُّ
- ١٨٢ - الوجه الثاني ، وهو هيئة الحركة مجردة من كَلِّ وصف في الجسم ، فيقع فيها التركيب ، بأن يكون للجسم حركات في جهات مختلفة ، ومثاله قول ابن المعتز في وصف حركة المصحف :
 • فَأَنْطَبَاقًا مَرَّةً وَأَنْفَتَاحًا .
- ١٨٣ - « التشبيه » المقعود على تجريد هيئة الحركة ، ثم صار لطيفًا غريبًا لما فيه من التفصيل والتركيب ، وأمثله ، منها قول الأعشى يصف السفينة في أمواج البحر :
 يَقْصُ السُّفِينُ بِجَانِبِيهِ كَمَا يَنْزِرُ الرِّبَاحُ خَلَا لَهُ كَرَعٌ
- ١٨٤ - هذه الهيئات يغلّب عليها الحكم المستفاد من العبارة الثانية ص : ١٦٥ ، وهو قلة رؤية العيون له ، كقول المتنبي في صفة الكلب :
 • يُقْعَى جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ الْمُصْطَلِيِّ .
- ١٨٥ - كما تعتبر هيئة الحركة في « التشبيه » فكذلك تُعتبر هيئة السكون ، ومثاله إذا وقع فيه تركيب وتفصيل
- ١٨٦ - أمثلة لما لطف لكتابة التفصيل فيه
- ١٨٨ - الموازنة بين التشبيين ، وحاجة أحدهما إلى زيادة من التأمل
- ١٨٩ - شيوع التشبيه وابتداله ، لا يمتنع أن يسبق الأول إلى تشبيه يلفظ بحسن تأمله ، ثم يشيع ويتسع حتى يخرج إلى حدّ المبتدل ، ويجرى مع ما فيه من دقة التفصيل إلى الابتدال . وبيان ذلك

١٩١ - حديث عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، حين لسمه زنبور فوصفه لأبيه حسان ، فقال :
« قال ابني الشعر ورب الكعبة » ، حين قال في وصف زنبور لسمه : « كأنه مُتَقَفٌ في
بُرْدَى جِبْرَةَ »

١٩٢ - (فصل) ، في « التشبيه المتعدد » ، والفرق بينه وبين « التشبيه المركب »

- تشبيه شيعين بشيعين ، لا يداخل أحدهما الآخر في الشبه ، يعنى أن أحد التشبيحين ليس
موقوفًا على الآخر في الفائدة ، وهذا مخالف لحكم « التشبيه المركب » ، ومثاله قول امرئ
القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ ، رَطْبًا وَيَابَسًا ، لَدَى وَكْرهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

١٩٢ - قد يكون من « التشبيه المركب » ، ما إذا فضضت تركيبه ، وجدت أحد طرفيه يخرج عن أن
يصلح تشبيهاً ، ومثاله

١٩٣ - وقد يكون الشيء منه إذا فُضَّ استوى التشبيه في طرفيه ، إلا أن حاله تتغير ، ويذهب ما كان
فيه من الإحسان ، ومثاله وبيانه ، قول أبى طالب الرق :

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَّرَ نُثْرَنَ عَلَى بَسَاطِ أَرْزِقِ

١٩٤ - أسباب فضيلة « التركيب » في بيت امرئ القيس « كأن قلوب الطير » هو في اختصار اللفظ
وحسن الترتيب ، لا لأن للجمع فائدة في عين التشبيه ، وأمثلة ذلك ، منها قول المتنبي :

بَدَّتْ قَمْرًا ، وَمَاسَتْ حُحُوطَ بَابِ ، وَفَاحَتْ عُنْبَرًا ، وَرَنْتْ غَزَالًا

وبيان بقية الأمثلة

- بيان « التشبيه المركب » في بيت بشار « كأن مثار النقع » ، موضوع على أن يرهك المهية
والحركات المختلفة ، كما يوجه الحال في الجلال

- العطف بالواو أحيانًا يراد به ، لا مجرد الجمع ، بل يراد به الشبه في اجتماع شيئين معًا :
كقول رؤبة :

فِيهَا خَطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَيَلْتَقِ كَأَنَّهَا فِي الْجِلْدِ تَوَلِيْعُ الْبَهَقِ

١٩٥ - بيت للبحتري ، فيه التشبيه الذى لا يراد به الانفراد ، بل الهيئة الخاصة الحاصلة من المخاطلة ، وهو قوله :

ترى أحجاله يصعدن فيه صعودَ البرق في الغيم الجَهم

- « الواو » فى بيت بشار : « كأن مثار النقع » بمعنى « مع » ، وهى عندئذ تقتضى أن لا يكون فى معطوفها الانقطاع ، بل هما كاسم واحد

١٩٦ - « التشبيه » المعقود على الجمع دون التفريق ، لا يتصور إفراد أحدهما بالذكر ، وألا فسد التشبيه ، وأمثله ، منها قول ابن المعتز :

كأته وكأن الكأس فى فمه هلال أول شهر غاب فى شفق

١٩٧ - (كلمة للقاضى الجرجانى فى « التشبيه المركب »)

١٩٨ - فى « التشبيه المركب » يكون أحد المشبهين فى الأعم ، قد ذكر فى صلة الآخر ، ولم يعطف عليه ، وبيان ذلك وشواهد ، منها قول الفرزدق :

والشيب ينتهض فى الشباب كأنه ليل يصيح بجانيبه نهار

١٩٩ - « كما » ومعناها فى الطرف الثانى من « التشبيه المركب » ، أقعد فى التشبيه ، معنى العطف بالواو فى بيت امرئ القيس : « كأن قلوب الطير »

٢٠٠ - ضرب آخر من « التشبيه المركب » ، على حدّ الجمع بين شيعين بالواو فى التشبيه ، والتشبيه فى الحقيقة لأحدهما . وهى « الواو » فيه ولا بدّ بمعنى « مع » ، شاهده وبيانه قول الشاعر :

إنى وتزىنى بمدحى معشراً كمعلق ذراً على خنزير

٢٠١ - مثل فى « التشبيه المركب » ، ظاهره من جنس التشبيه المفرق ، ولكن ثمة شىء فيه كالجمع وضرب من الخصوصية ، وهو قول الشاعر :

وحتى حسيت الليل والصبح إذ بدا حصائين مختالين جونا وأشقرأ

٢٠٢ - « تشبيه مركب » يؤدى إلى شكل مخصوص لا يتصور فى كل واحد من المذكورين على الانفراد بوجه من الوجوه ، ومثاله قول المتنبي : الآتى بعد هذا

٢٠٣ - رأى للقاضي الجرجاني في بيت المتنبي :

دُونَ التَّعَانِقِ نَاحِلِينَ كَشَكَلَتِي نَصَبٍ أَدَقُّهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلُ

وبيان الفرق بين قول المؤلف فيه وقول القاضي

•••

٢٠٤ - (فصل) . هذا فنٌ غير ما تقدم في الموازنة بين « التشبيه » و « التمثيل » ، مع إعلامي إياك

أن كَلَّ تمثيل تشبيه ، وليس كَلَّ تشبيه تمثيلاً ، وَبَيَّنَّتْ وجه الفرق بينهما

- (قَلْبَ طَرْفِي الْقَضِيَّةِ) ، وهذا أصْلٌ إذا اعتبرته ، فيجىء في « التشبيه » مجيئاً حسناً

مُقَادِّاً لك ، ثم تصادفه لا يطاوعك في « التمثيل » تلك المطاوعة . فعندئذ يظهر لك نوع من

الفرق بينهما ، ويفتح لك باب إلى دقائق وحقائق

- (عكس التشبيه) وذلك جعل الفرع أصلاً ، والأصل فرعاً ، وهذا

هو المسمى عكس التشبيه وقلبه ، في التشبيهات الصريحة

- من أظهر ذلك أنك تقول في النجوم : « كأنها مصابيح » ، ثم تقول في حالة أخرى في

المصابيح : « كأنها نجوم » ، ومن ذلك : تشبيه الروض المنور بالوشى ، ثم يشبه الوشى بأنوار

الرياض = وتشبه العيون بالنرجس ، ثم يشبه النرجس بالعيون ، ومثاله

٢٠٥ - وكذلك تشبيه الثغر بالأقاحى ، ثم تشبيهها بالثغر = وتشبيه السيوف عند الانتضاء بعقائد

البروق ، ثم يعودون فيشبهون البرق بالسيوف المنتضاه ، وأمثلة ذلك كله

٢٠٧ - ويشبهون الدروع بالغدير تضربه الريح فيتكسر ، ثم يشبهون العُدران بالدروع ، وأمثله

٢٠٨ - وتشبه أنوار الرياض بالنجوم ، ثم تشبه النجوم بالنور ، وأمثله

٢٠٩ - وتشبه غرّة الفرس الأدهم بالنجم أو الصبح ، ثم يُعكس فيشبه النجم أو الصبح بالغرّة في

الفرس ، وأمثله

٢١٠ - وتشبه الجوارى في قُدودهن بالسرو ، ثم يُشبه السرو بالنساء ، وأمثله

٢١١ - ويُشبه بُدئ الكواعب بالرمان ، ثم يُشبه الرمان بالثدي ، وأمثله

٢١٢ - وتشبه الجداول والأنهار بالسيوف في استطالتها

٢١٣ - ثم يشبهون السيوف بالجداول ، وأمثله

٢١٤ - وتشبه الأستة بالنجوم

٢١٥ - ثم تشبه الكواكب بالأستة ، وأمثله

- والدموع تشبه إذا قطرت على خلود النساء بالطلّ والقطر على ما يُشبهه خلود الرياحين

- ٢١٦ - ثم يعكس هذا التشبيه ، ومثالهما
 - وفنٌ آخر خارج عن جنس ما مضى = يشبهُ الشيخُ أفناه الهرمَ وحناءَ القِدمِ ، حتى يدخل
 رأسه في منكبيه ، كما قال عمرو بن حُمَمة الدوسِي في شعره
- ٢١٧ - ثم يعكسه أبو نواس فُيشبهُ الفرخَ بهذا الشيخ
 ٢١٨ - ويشبهُ الظليمُ في حركة جناحيه مع إرسالِهما بالخباءِ المقوَّضِ ، كما قال ذو الرمة :
- ويبيضُ رفَعنا بالضُّحَى عَنْ مُتُونِها سَمَاوَةَ جَوْنِ كَالخِباءِ المُقَوَّضِ
 هَجُومِ عَلَياها نَفْسُهُ ، غَيرَ أَنَّهُ مَتى يُرَمُّ فِي عَينِهِ بالشَّيخِ يَنْهَضُ
- وبيان معناه
- ٢١٩ - ثم يعكسه ابن المعتز بقوله :
- ورَفَعنا خِباءَنا تَضْرِبُ الرِّيدَ حُ حَشاءُ كالجَواذِفِ المَقْصُوصِ
- ما يمنع عكس التشبيه ، لسبب يعرض في البين
- ٢٢٠ - أقوى ذلك أن يكون بين الشيعين تفاوتٌ شديد في الوصف الذي لأجله تُشبهُ ، ثم قصدت
 أن تُلحق الناقصَ منهما بالزائد ، مبالغةً
- فمن ذلك ، أصولٌ في شدة السواد ، كخافية الغراب ، والقارِ ، فإذا شَبِهت شيئاً بها كان
 طلبُ العكس في ذاك عكساً لما يُوجبُه العقل ، وبيان ذلك
- ٢٢١ - (اعتراض) :
- فإن قلت : ينبغي على هذا أن لا يجوز تشبيه الصُّبحِ بقرّةِ الفرسِ ، وذلك لأن الصُّبحَ أظهر
 وأبلغ ، والتفاوت بينهما كالتفاوت بين خافية الغراب وما يشبهه به
- (فالجواب) :
- أن تشبيه غرة الفرس بالصبح ، لم يقع من جهة المبالغة في وصفها بالضيء ، وإنما قصد به
 وقوع مُنبر في مُظلم ، وحصولُ بياض في سوادٍ ، وبيان ذلك وأمثاله
- ٢٢٢ - (القاعدة) : متى لم يُقصد ضَرْبُ من المبالغة في إثبات الصفة - واقتصر على الجمع بين
 الشيعين في مطلق الصورة واللون ، أو جَمع وصفين على وجهٍ يوجد في الفرع على حدّه في
 الأصل ، فإن العكس يستقيم . ولكن متى أُيِّد شيء من ذلك لم يستقيم

٢٢٣ - (جعل الفرع في الصفة أصلاً) ، ومثاله قول محمد بن وهيب :

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجَهُ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

فجعل وَجَهُ الخليفة أعرف وأشهر وأتم في النور من الصَّبَاح ، فاستقام بحكم هذه التَّيَّة . وبيان ذلك ، أنه يُوقَع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ، لأنه وضع كلاته وَضَع مَنْ يقيس على أصل متَّفِقٍ عليه

٢٢٥ - (التمثيل ، وجعل الفرع أصلاً ، والأصل فرعاً)

- مثال ، جعل الفرع أصلاً في التمثيل ، قول القاضي التنوخي :

وَكَاَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهِ سُنَنِ لَاحٍ بَيْنَهُنَّ آبْتِدَاعُ

والشبه فيه عقلي ، وبيان الفرق بينه وبين التشبيه

٢٢٦ - (العكس في التمثيل لا يجيء على حدّه في التشبيه الصريح) ، لأنه يبنى على ضرب من « التأويل » ومثاله وبيانه

٢٢٧ - مثال آخر في قول أبي طالب الرق ، وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وقواد من لم يعشق

وتفسير هذا المثال

٢٢٩ - ومثال آخر ، لابن طباطبا ، من تشبيه المحسوس بالمعقول :

كَأَنَّ أَنْتِضَاءَ البَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمَةٍ نَجَاءً مِنَ البَأْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِ

وبيانه

٢٣٠ - مثال آخر قول ابن طباطبا ، من التشبيه المحسوس بالمعقول :

صَحْوٌ وَغَيْمٌ وَضِيَاءٌ وَظُلْمٌ مِثْلُ سُورٍ شَابِهٍ عَارِضٌ غَمٌّ

- أمثلة أخر من تشبيه المحسوس بالمعقول . في شعر القاضي التنوخي ، وابن بابك ، وأبي طالب المأموني ، وابن طباطبا ، وابن المعتز

٢٣٢ - بيان ما كان حقيقة في المحسوسات ، وبجائزاً في المعقولات

٢٣٣ - مثال على عكس التمثيل في شعر القاضي الجرجاني

٢٣٤ - مقابلة للفرق بين جعل الفرع أصلاً في « التمثيل » ، وبينه وبين التشبيه الظاهر ، وذلك لاحتياج « التمثيل » إلى التأويل ، ولا كذلك في التشبيه الظاهر

٢٣٥ - الفرع لا يخرج عن كونه فرعاً على الحقيقة ، ويبان ذلك

٢٣٦ - بيان في الفرق بين « التشبيه » الواقع فيما يدركه الحس ، وبين « التمثيل » الذي هو تشبيه من طريق العقل والمقاييس التي تجمع بين شيئين في حكم تقتضيه الصفة المحسوسة ، لا في نفس الصفة

- لطيفة أخرى تعطيك للتمثيل مثلاً من طريق المشاهدة ، وذلك أنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة واحدة ، إلا أنه تارة يراها في المرأة ، وتارة على ظاهر الأمر = وأما في التشبيه الصريح ، فإنك ترى صورتين على الحقيقة ، ويأته ببيان جيد

٢٣٨ - (الفرق بين الاستعارة والتمثيل)

- « الاستعارة » حدّها أن يكون للفظ اللغوي أصل ، ثم يُنقل عن ذلك الأصل ، ثم يُستعمل في غير ذلك الأصل ، ويُنقل إليه نقلاً غير لازم ، فيكون كالعارة
- أما « التمثيل » فهو أصل في كونه مثلاً أو تمثيلاً ، من تشبيه منتزع من مجموع أمور ، لا يُحصّله إلا جملة من الكلام أو أكثر ، والألفاظ جارية على أصولها وحقائقها في اللغة

٢٣٩ - (اعتراض) ، كيف تكون « الاستعارة » ، من أجل التشبيه ، والتشبيه يكون ولا استعارة ؟

- (الجواب) : أن التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه المبالغة ، وعلى وجه الإيجاز ، فهي ليست التشبيه على الحقيقة = وكذلك لا تكون التمثيل على الحقيقة ، لأن التمثيل تشبيه إلا أنه تشبيه خاص = فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً

٢٤٠ - إذا كان الشبه بين المستعار منه والمستعار له من المحسوس ، فيقال إنها تتضمن التشبيه ، ولا يقال إن فيها تمثيلاً . فإذا كان الشبه عقلياً جاز إطلاق التمثيل فيها ، كقولنا : « ضربَ النورُ مثلاً للقرآن »

- « المستعير » ينقل اللفظ عن أصله في اللغة للتشبيه والمبالغة والاختصار ، و« ضارب المثل » يقصد إلى تقرير الشبه بين الشيين .

- « الاستعارة تكون اسماً أو فعلاً ، فإن كانت « اسماً » كان اسم جنس أو صفة ، فإن كان اسم جنس ، فهو بين أن يكون للأصل أو للفرع ، يفصيل لك أحد القرضين شاهد الحال ، فهو بين احتالين

٢٤١ - فإن كان فعلاً أو صفةً ، فيُحتمل أن يكونا واقعين على الحقيقة ، وأن يكونا واقعين على المجاز - وفي الفعل والصفة شيء آخر : أن تدعى معنى اللفظ المستعار للمستعار له - أما « المثل » فلا هو يقتضى تردّد اللفظ بين احتالين = ولا أن يُدعى معناه للشيء ، ولكنه يدعُ اللفظ مستقراً على أصله

•••

٢٤٢ - (أصل آخر) : وذلك أن الاستعارة تعتمد على التشبيه والتمثيل . وهو تشبيه عقل = لكن من شأنها أن تُسقط المشبه وتطرّحه ، وتدعى له الاسم الموضوع للمشبه به لقصد المبالغة . ويقع ذلك في الاسم المستعار حيث يكون فاعلاً أو مفعولاً ، أو مجروراً بحرف الجرّ ، أو مضافاً إليه . وأمثلة ذلك

٢٤٣ - فإذا كان اسم المشبه مذكوراً ، وكان مبتدأ ، واسم المشبه به واقماً في موضع الخبر ، فهل يستحق الاسم في هذه الحالة أن يوصف بالاستعارة أم لا ؟ في هذا شبهة ، وكلام سيأتي في ص : ٣٢١ ، وما بعدها

•••

٢٤٣ - (لا يصلح كلّ تشبيه للاستعارة)

- ليس كل شيء يبيء مشبهًا به بكافٍ ، أو بإضافة « ومثل » إليه ، يجوز أن تسلط عليه « الاستعارة » ، حتى تنقله عن صاحبه وتدعيه للمشبه ، كقولك : « أهديتُ نوراً » ترهد علمًا = وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشئين قريباً ، وفي الحال دليل على معرفة المقصود من الشبه

- أما إذا تعذر معرفة المقصود من الشبه ، إلا بعد ذكر « الجمل » التي يعقد بها « التمثيل » ، فإن « الاستعارة » لا تدخله

٢٤٤ - مثال ذلك . وشرحه وتفسيره ، بيت النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلئت أن المنتأى عنك واسعُ

فلا تستطيع إسقاط ذكر الممدوح ، كما تقول : « رأيتُ أسداً » ، ولا تجد له مذهباً . والأمر لا يخلو من أحد أمرين : إما أن تحذف الصفة وتقتصر على ذكر الليل فتقول : « إن فررتُ

أظننى الليل ، ، وهذا محال = وإن لم تحذف الصفة تعسفت إلى الاستعارة ، إذ لو قلت :
« إن فررت منك وجدت ليلاً يدركنى » ، وهذا لا تقبله الطباع

٢٤٥ - أمثلة أخر ، للتشبيه الصريح الذى لا يصلح أن يكون استعارة ، قول رسول الله ﷺ :
« الناس كإبل مفة ، لا تجد فيها راحلة » = وقوله : « مثل المؤمن كمثل الثخلة = أو مثل
الحامة » ، فلا بد من المحافظة على ذكر المشبه به ، وهو « الإبل » ، فلا تستطيع أن تقول :
« الناس لا تجد فيهم راحلة » على حد قولك فى « رأيت رجلاً كالأسد » : « رأيت أسداً » ،
وانظر ما مضى فى « الفرق بين التشبيه والتتميل » من ص : ٩٥ - ١١٥

•••

٢٤٦ - (التشبيه الصريح يكون المشبه به معرفة لا نكرة) ، كقولك : « هو كالأسد » ،
ولا يكاد يحنى نكرة ، فتقول : « هو كأسد » ، إلا أن يُخصص بصفة فتقول : « هو كأسيد
ضار »

•••

(٢٤٧) رجوع إلى قول النابغة (:

• فإنك كالليل الذى هو مدركى •

وبقية الأمثلة ، يجوز أن تحذف « الكاف » أو « مثل » على تقدير مضاف محذوف ، فتقول :
« إنك الليل الذى هو مدركى » ، تجعل الأصل : « إنك مثل الليل .. » ، وانظر ص :
٢٤٤ ، ٢٥٢

- نكتة فى الفرق بين هذا الضرب الذى لا بد للمجرور بالكاف ونحوها من وصفه بجملة من
الكلام ، وبين التشبيه الصريح نحو : « زيد كالأسد » = إنك إذا حذف الكاف فقلت :
« زيد الأسد » ، فالقصد المبالغة فى التشبيه ، وأما فى : « فإنك كالليل الذى هو مدركى » ،
فإنك إذا حذف الكاف ، لم تقصد المبالغة ، بل أبقيت المعنى على حاله ، وحذفت الكاف
أو مثل فقط ، وأبقيت المعنى على حاله

•••

٢٤٨ - (ما يصلح فيه التشبيه الظاهر ، ولا تصلح فيه المبالغة ، وجعل الأول الثانى) ،
نحو قوله تعالى : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلْنَا مِنْ السَّمَاءِ) ، لو قلت : « إنما الحياة
الدنيا ماءً أنزلناه من السماء » لم يكن للكلام وجه إلا على تقدير حذف « مثل »

٢٤٩ - (وهذا موضع فى الجملة مُشْكِلٌ ، ولا يمكن القطع فيه بحكم على التفصيل) ،
ولكن لا سبيل إلى جحد أنك تجد الاسم فى الكثير وقد وُضِعَ موضعاً فى التشبيه بالكاف ،

لو حاولت أن تخرجه في ذلك الموضع بعينه إلى حد الاستعارة والمبالغة ، وجعل هذا ذلك ، لم يتقد لك ، كالنكرة التي هي « ماء » في الآية السالفة

•••

٢٤٩ - (اعتراض) :

فإن قلت : لا يبد من أصل يرجع إليه في الفرق بين ما يحسن أن يصرف إلى الاستعارة والمبالغة ، وما لا يحسن فيه ذلك

٢٥٠ - (الجواب) : لا يمكن أن يقال فيه قول قاطع . ولكن إذا كان الشبه وصفًا معروفًا في الشيء ، وكان أصلًا فيه يقاس عليه كالنور والحسن في الشمس ، فاستعارة الاسم على معنى ذلك الشبه ، تحيىء سهلة منقادة . وإن أردت من الشمس الاستدارة ، لم يجز أن تدل عليه بالاستعارة ، ولكن إن أردتها من الفلك جاز ، فإن قصدتها من الكرة كان آيين . ومتى صلحت الاستعارة في شيء ، فالمبالغة فيه أصلح

•••

٢٥١ - (تفسير « الاستعارة » و « المبالغة »)

بقولنا : « جعل هذا ذلك » ، و « جملة الأسد » و « ادعى أنه الأسد حقيقة » في قولنا : « زيد هو الأسد » فجملة : « هو هو » وذلك على معنيين : أحدهما : أن يكون للشيء اسمان يعرفه المخاطب بأحدهما دون الآخر ، فتريد أن تعرفه أن أحدهما هو الآخر فتقول مثلًا : « زيد هو أبو عبد الله » = والثاني : أن يراد تحقيق التشابه بين الشئين ، ونفى الاختلاف والتفاوت بينهما بلا فرق ، وهذا المعنى الثاني فرع على الأول

•••

(٢٥٢) - (عود إلى بيت النابغة) :

فإنك كالليل الذي هو مدركي .

والرد على من يحمله على طريق المبالغة ، ويجعل الصفة هي ظلمة الليل ، وأنه قصد شدة سخطه ، وراعى حال المسخوط عليه ، وتوهم أن الدنيا تظلم في عينيه (انظر ص : ٢٤٤ ، ٢٤٧) ، فالرد عليه أن يحتمل والكلام على ظاهره ، وحرف التشبيه داخل على الليل كما في البيت ، فأما إذا أردت المبالغة ، فلا يتسنى ذلك ، لأن الصفات المذكورة لا يواجه بها الملوحدون

٢٥٣ - لا تستعار الأسماء الدالة على هذه الصفات المكروهة التي لا يواجه بها الملوحدون ، إلا بعد أن يتدارك وتقرن إليها أضدادها من الأوصاف المحبوبة ، كقولك له : « أنت الصاب والغسل »

ولا تقول وأنت تمدح : « أنت الصَّابُ » وتسكتُ ، وكذلك فعل المتنبي حين قال :
حَسَنٌ ، في وُجوهِ أعدائِهِ أَقْدُ سَبْحُ من ضَيِّفِهِ ، رَأَتْهُ السَّوَامُ
وبيان ما في بيت المتنبي :

٢٥٤ - والتهاون في الاحتراز من هذا ، جرَّ على أبو تمام بسط لسان القادح فيه والمُنْكَر لفضله ، كقوله
للممدوح :

وَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتُ رِشَاءً وَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتُ قَلْبِيًّا

وصكَّ وجه الممدوح بأنه رشاءٌ وقلبيٌّ . وقوله أيضًا :

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ

فجعلهُ يَهْدِي وجعل عليه الحُمَى = فهذه قضيتك في اقتراحك علينا أن نسلِّك بالليل طريق
المبالغة في بيت النابغة ، على تأويل السُّخْطِ

٢٥٤ - (عودٌ إلى بيت النابغة) : وقول المعترض : أَقْرَى أن تأتي هذا التقدير أيضًا في البيت ،
حتى يُقصر التشبيه على ما تفيدُه الجملةُ الجارية في صلة « الذي » ، من قوله : « الذي هو
مدركي » ؟

- (فالجواب) : أن هذا هو الوجهُ ، كالذي جاء في الخبر : « لِيَدْخُلُنَّ هَذَا الدِّينُ مَا دَخَلَ
عليه الليلُ »

٢٥٥ - فلما تجرَّد المعنى هنا للحكم الذي هو الليل من الوصول إلى كُلِّ مكان ، ولم يكن لاعتبار
ما اعتبروه من شبه ظلمته وجهٌ ، كذلك يجوز أن يتجرَّد في البيت لهذا المعنى . وبيان هذا
المعنى أيضًا من أن النهار بمنزلة الليل في وصوله إلى كُلِّ مكان . وقول العباس بن الأحنف :

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ بَثَّتِ الإِشْرَاقَ فِي كُلِّ بَلَدٍ

فلو أن العباس ضرب المثل « بالليل » ووصله إلى كُلِّ بَلَدٍ ، لكان قد أخطأ خطأ فاحشًا ،
وبيان أن ما ليس بمحبوب ، كالليل ، فَيَحْسُنُ أن يُعْرَضَ عنه صَفْحًا .

٢٥٦ - أما ترك النابغة أن يمثَّلَ بالنهار ، وإن كان بمنزلة الليل فيما أراده ، فلأنه كان مخاطبُ الملك
بالنهار ، وبيان ذلك

- وجه آخر في ضعف تجريد وصف الممدوح بالسُّخْطِ ، الذي استخرجه من « الليل » في
البيت ، وهو تفصيلٌ جيِّدٌ

- ٢٥٨ - (فصل) : في الفرق بين « التمثيل » و « الاستعارة »
- الاسم يقع في نظم الكلام موقفاً يقتضى كونه مستعاراً ، ثم لا يكون مستعاراً ، لأن التشبيه المقصود منوطٌ به مع غيره ، وليس له شبهةٌ ينفرد به
- مثال ذلك قول داود بن علي حين آلت الخلافة إلى بنى العباس : « الآن أخذ القوس ببارها » ، فالقوس كناية عن الخلافة ، والبارى كناية عن المستحق لها ، ولكن لا يقال إن القوس مستعارٌ للخلافة ، وبيان ذلك
- ٢٥٩ - وكذلك قول من سمع كلاماً حسناً من رجلٍ ذميم : « غسل طيب في ظرفٍ سوء » ، وبيان ذلك
- الأصل الذى يجب أن تحافظ عليه : أن الشبه إذا كان موجوداً في الشيء على الانفراد ، فالاسم مستعارٌ لما أخذ الشبه منه ، كالنور للعلم = فإذا لم تمكن نسبة الشبه إلى الشيء على الانفراد ، وكان مركباً مع غيره ، فليس الاسم بمستعار ، ولكن مجموع الكلام « مثل »

* * *

٢٦٠ - (التمثيل) و « التشبيه » و « الاستعارة » ()

- تستدعى جُملاً من القول يصعب استقصاؤها ، وشعباً من الكلام لا يستين لأول النظر أنحاءها = فهذه الأمور التى قصدت البحث عنها أمورٌ كأنها معروفةٌ مجهولة = فهى معروفةٌ على الجملة لا يتكرر قيامها في نفوس العارفين بجيد الكلام وربيته = ومجهولةٌ من حيث لم يتفق فيها أوضاع تجرى القوانين التى ترجع إليها في استخراج العلل لحسن الحسن وقبح القبيح
- فإن قلت : « ما الحاجة إلى كل هذه الإطالة ، وإنما يكفى أن يقال : « الاستعارة » مثل كذا ، فتشدد أبحاثاً ، = وهكذا يكفينا المؤونة في « التشبيه » و « التمثيل » يسيرٌ من القول » وردّ عبد القاهر على هذا الاعتراض ، وهو دالٌّ على أنه منشىء هذا العلم البلاغى كُله ، وضرب المثال في ذلك من النحو في مسألة « الخير » = وفي الاسم مثل : زيد وعمرو ، ويقول الفلاسفة : « شيء » ، وهذا كلام نفيس

* * *

٢٦٣ - (فصل في الأخذ والسرقعة ، وما في ذلك من التعليل ، وضروب الحقيقة

- والتخييل) ، (ثم انظر ص : ٣٣٨ وما بعدها)
- الحكم على الشاعر أنه أخذ أو سرق ، يوجب أن نتكلم أولاً على المعانى ، وهى تنقسم قسمين :
- « العقلى » ، وجمراه في الشعر والكتابة والخطابة مجرى الأدلة التى تستنبطها العقلاء ، وأكثه منتزع من القرآن ، وحديث رسول الله ﷺ ، وكلام الصحابة ، وآثار السلف ، والأمثال

القديمة والحكم المأثورة ، كقول عامر بن الطفيل :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَبْنَى سَيِّدِ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمَهْدَبِ
لَمَّا سَوَّدْتَنِي عَامِرٌ عَنِ وِرَاثَةِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمَّ وَلَا أَبِ

فهو معنى صريح يشهد له العقل بالصحة ، ويوجد له أصل في كل لسان ولغة ، وأجلها قول الله تعالى : (إِنْ أَكْرَمْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ) ، وقول النبي ﷺ : « من أبطأ به عمله ، لم يُسرع به نسبه »

٢٦٥ - ومثله قول المتنبي :

• وكل أمرىء يُولى الجميل محبب •

معنى صريح ليس للشعر في جوهره نصيب ، وإنما له ما يُنسب من اللفظ والمباراة والاختصار ، وأصله قول النبي ﷺ : « جِيلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا »

- وكذلك قول المتنبي أيضاً :

لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

فهو معنى معقول لم يزل العقلاء يَقْضُونَ بصحته

٢٦٦ - وكذلك قول المتنبي أيضاً :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّفِيمَ تَمَرَّدَا
وَوَضِعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى مُضِرٌّ ، كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

•••

٢٦٧ - (أما « التخيل ») :

فهو الذى لا يمكن أن يقال إنه صدق ، وإن ما أثبتته ثابت وما نفاه منفي . وهو مفتن المذاهب ، لا يكاد يُحصَر ولا يُحاط به تقسيماً وتبويهاً ، وهو على طبقات ودرجات ، فمنه المصنوع الذى استعين عليه بالرفق ، حتى أُعْطِيَ شَبْهًا من الحق والصدق ، بالاحتجاج والقياس ، كقول أبى تمام :

لَا تُنْكَرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

فهو قياس تخيل وإيهام

- وأقرب منه أن يُظَنَّ حقاً وصدقاً ، وهو على التخيل ، كقول مسلم بن الوليد :

الشَّيْبُ كُرَّةٌ ، وَكُرَّةٌ أَنْ يَفَارِقَنِي أَعْجَبَ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَعْضَاءِ مَوْدُودِ

فالكراهة والبغضاء لاحقة للشيب على الحقيقة = فأما كونه مُرادًا ومودودًا ، فمُتخيلٌ فيه ،
وليس بحق ، بل المودودُ الحياة والبقاء ، ولكنه صيرها كأنها محبةٌ للشيب
٢٦٨ - ومن ذلك صنيعهم إذا أرادوا تفضيل شيءٍ أو نقصه ، تعلقوا ببعض ما يشاركه في أوصاف
ليست هي سبب الفضيلة والنقيصة ، لا تصحح ما قصده من التزيين والتجهين على الحقيقة ،
كما قال البحرى في باب الشيب والشباب :

ويَبَاضُ البَازِيُ أَصْدَقُ حُسْنًا إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ العُرَابِ

وليس إذا كان البياضُ في البازي أبقى في العين من السواد في الغراب ، وجب لذلك أن لا يُنمَّ
الشيبُ ولا تَغيرَ منه الطباع ، لأن الفوائى ما أعرضت عنه وصدّت ، لتحوّل اللون من السواد
إلى البياض ، وما أنكرت ابيضاض اللون لذاته ، بل لذهاب بهجة الشباب وإدباره في حياة
الإنسان بظهور البياض ، وتام بيان في هذا المعنى
٢٦٩ - وكذلك قول البحرى أيضًا في الشيب والشباب :

والصَّارِمُ المَصْفُوقُ أَحْسَنُ حَالَةً يَوْمَ الوَغَى مِنْ صَارِمٍ لَمْ يُصْفَلْ

احتجاج أيضًا على فضيلة الشيب باللون وحده ، وأن سواد شعر الشباب كالصدا على صفحة
سيف لم يُصْفَلْ ، فادعى لذلك علةً عقلية لحكم إرادته ، وهو ليس كذلك في مقتضيات
العقول ، وعلى هذا مجرى الشعر والخطابة ، فُتسَلِّمَ له مقدمته التى اعتمدها

٢٧٠ - واستطرد في احتجاج البحرى نفسه على من كلفه التزام حدود المنطق في الشعر بقوله :
كَلَّفْتُمُونَا حُدُودَ مَنطِقِكُمْ فِي الشُّعْرِ ، يَكْفِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهُ

أراد : كلفتمونا أن نُجرى مقاييس الشعر على حدود المنطق ، حتى لا ندعى إلا ما يقوم عليه
من العقل برهانًا يقطع به = ولم يُردْ بالكذب إعطاء المدبوح حظًا من الفضل ليس له ، لأنَّ
هذا الكذب لا يبيِّنُ بالحجج المنطقية والقوانين العقلية ، وإنما يكذبُ قائله بالرجوع إلى حال
المدبوح ، والكشف عن معرفة محلّه ومرتبته في الرفعة أو الخساسة

٢٧١ - (قول من قال : « خير الشعر أكذبه »)

فهذا المراد منه كما بيناه في قول البحرى = لا أن يتحلل الشاعرُ الوضيعُ صفةً من الرفعة هو
منها عارٍ ، ثم انظر ص : ٢٧٥

- (وأما قولٌ من قال في معارضة هذا : « خير الشعر أصدق ») ، كما قال الشاعر :

وإنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيِّتٌ يُقَالُ إِذَا أُنْشِدْتَهُ صَدَقًا

فكأنه يُراد أن خير الشعر ما دلَّ على حكمةٍ يقبلها العقل ، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال = وقد يُنحَى بها نحو الصدقِ في مدح الرجال = والأوَّلُ أولى

٢٧٢ - فمن قال : « خيره أصدقه » ، كان أحبَّ إليه تركُ الإغراق والتجوز إلى التحقيق والتصحيح ، واعتمادُ ما يجري من العقل على أصل صحيح

ومن قال : « خيره أكذبه » ، فقد ذهب إلى أن الصنعة إنما تُمدُّ بأعها ويتسع ميدانها ، حيث يُعتمد على الاتساع والتخييل ، ويُدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتشليل ، وحيث يُقصد التلطف والتأويل . فمن هذا الباب يجد الشاعر سبيلاً إلى الإبداع والاختراع ، ويكون كالمغترف من بحر لا ينقطع

أما الأوَّل ، « خيره أصدقه » ، فهو كالمقصور المُداني قَيْدُهُ ، والذي لا تتسع كيف شاء يَدُهُ ، فيسرد معاني معروفة ، وأصولاً وإن كانت شريفة ، فإنها كالجواهر تُحفظ أعدادها ، ولا يترجى ازديادها

٢٧٣ - هذا الذى مضى يمكن أن يُتعلق به في نصرة « التخييل » وتفضيله . ومع ذلك فالعقل يُقدِّم القبيل الأوَّل = وهو « خيره أصدقه » = وما كان العقلُ ناصراً ، فهو العزيز جانبُهُ . وفوق ذلك فمن الذى يسلم أن المعاني المُعرَّقة في الصدق ، في حكم الجامد الذى لا يتجنى ولا يزداد . وإن أردت معرفة بطلان هذه الدُّعوى ، فانظر إلى قول أبى فراس ، في مدح سيف الدولة قاتد الجيوش :

وكنَّا كالسُّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا

فهذا عقلٌ عريقٌ في نسبه ، مُعترَفٌ بقوة سببه . ومع ذلك فهو من فوائده أبى فراس التى هو أبو عُذْرِيهَا ، والسابقُ إلى إثارة سيرها

٢٧٣ - (« الاستعارة » لا تدخل في قبيل « التخييل »)

لأن المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة ، وإنما يعمد إلى إثبات شبهة هناك

٢٧٤ - وه الاستعارة « كثيرة في التنزيل كقوله تعالى : (وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) ، ليس المعنى على

إثبات الاشتعال ظاهراً ، وفي قول رسول الله ﷺ : « المؤمنُ مرآة المؤمن » ، وقوله : « إياكم وحضرة الدُّمن » ، ليس المقصد إثبات ظاهر اللفظين ، ولكن الشبهة الحاصل بينهما

- وبان لك بهذا أن لك مع لزوم الصدق والحق ، الميدان الفسيح ، وأن ليس الأمر على ما ظنّه ناصر الإغراق والتخييل

- ٢٧٥ - مراد المؤلف (بالتخييل) ، هو ما يثبت فيه الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلاً ، ويدعى دعوى لا سبيل إلى تحصيلها ، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويؤيها ما لا ترى
- (أما « الاستعارة ») ، فسيبيلها سبيل الكلام المهنوف ، إذا رجعت إلى أصله ، وجدت قائله يثبت أمرًا عقلياً صحيحاً ، ويدعى دعوى لها سينخ في العقل
- وستمربك ضرور من « التخييل » هي أظهر في البعد عن الحقيقة ، وأنه خداع للعقل ، وضرور من التزيق ، وستمجد كلاماً في الفرق بين ما يدخل في حيز قولهم : « خير الشعر أكذبه » ، وبين ما لا يدخل فيه ، ممّا يشاركه في أنه اتساع وتعمور
- (وقولهم : « خير الشعر أكذبه ») ، لم يزهوا به الكلام العفّل الساذج الذى يكذب فيه صاحبه ويفرط ، نحو أن يصف الحارس بأوصاف الخليفة ، ولكن أرادوا ما فيه صنعة وتدقيق في المعاني يحتاج إلى فطنة وفهم وغوص شديد ، (وانظر ص : ٢٧١)

- ٢٧٥ - (عوداً إلى الفصل بين المعنى الحقيقي وغير الحقيقي)
- (التخييل الشبيه بالحقيقة) ويتضمن (التعليل التخييل) ، (ينتهى عند ص : ٣٠١) ، وذلك أن يكون دعوى أصل وعلّة في حكم من الأحكام ، مما كذلك ما تركزت المضايقة إلى المسامحة ، ويُظنّ فيه إلى الظاهر ، وهو المخطّ العالى في الآداب والحكم البيهية من الكذب
- ٢٧٦ - (الأمثلة) ، منها قول أبى تمام ، وذكر « الرّبي » و « الوهاد » : (وتنتهى الأمثلة عند ص : ٢٩٥)

إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يُهَى
فَلِهَذَا يَجِفُّ بَعْدَ أَحْضِرَارِ
بِدَى الرَّزَايَا إِلَى ذَوَى الْأَحْسَابِ
قَبْلَ رَوْضِ الْوَهَادِ رَوْضُ الرَّوَابِي

ثم قوله :

لَزِمُوا مَرَكَزَ النَّدى وَذُرَاهُ
غَيْرَ أَنَّ الرَّبِي إِلَى سَبَلِ الْأَنْ
وَعَدْتْنَا عَنْ مِثْلِ ذَاكَ الْعَوَادِي
هَوَاءِ أَدْنَى ، وَالْحَطُّ حَطُّ الْوَهَادِ

لم يقصد من « الرّبي » ههنا إلى العلو ، ولكن إلى الدنو فقط = ولم يؤدّ بالوهاد الضمّة

والتسفل والهبوط ، ولكن أراد أن الوهاد ليس لها قُرب الرُبي من فيض الأنواء
- (ومن هذا النمط) في أنه تمثيلٌ شبيهة بالحقيقة ، وأن ما تعلق به من العلة موجود على ظاهر
ما ادعى ، منه قول أبي تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ
فاستأر السماء بالغيث ، هو سبب رجاء الغيث الذي يُعدُّ في العادة جُودًا منها ونعمة
كما قال ابن المعتز :

مَا تَرَى نِعْمَةَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ وَشُكْرَ الرِّيَاضِ لِلْأَمْطَارِ

٢٧٧ - (نوع آخر منه) ، وهو دعوام في الوصف هو خِلقة في الشيء وطبيعة بل واجب .
وأصل

- وأصل ذلك التشبيه ، ثم يتزايد فيبلغ هذا الحد ، ولهم فيه عبارات ، منها قولهم : « إن الشمس
تستعير منه الثور ، أو تتعلم منه الإشراق والإضاءة » ، وألطف من ذلك أن يقال : « تسرق »
كقولهم : « اليسك يسرق من غزفه » ، ثم قول ابن بابك :

أَلَا يَا رِيَاضَ الْحَزَنِ مِنْ أَبْرِقِ الْجَمَى نَسِيْمُكَ مَسْرُوقٌ وَوَصْفُكَ مُتَّحَلٌ
حكييت أبا سَعِيدٍ ، فَتَشْرُكُ نَشْرَهُ وَلَكِنْ لَهُ صِدْقُ الْهَوَى ، وَلِكَ الْمَلَلُ

٢٧٨ - (ونوع آخر منه) ، أن يدعى في الصفة الثابتة للشيء ، أنه إنما كان لعله يضعها الشاعر
ويخلقها ، لتعظيم أمر من الأمور ، فمن ذلك ترجمة بيت فارسي (ترجمة المؤلف) :

لَوْ لَمْ تَكُن نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ
فليس هذا مما أصله التشبيه ، ثم أهد به التناهي والإغراق في المبالغة

- ومن هذا الفن قول المتنبي :

لَمْ تَحَلِكِ نَائِلِكَ السَّحَابُ ، وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصِيْبُهَا الرَّحْضَاءُ
لأنه وإن كان أصله التشبيه ، فإنه وَضَعَ المعنى وضعا وصوره صورة خرج معها إلى ما لا أصل
له في التشبيه

- (وقريب منه) في أن أصله التشبيه ، ثم باعده بالصنعة وخلع عنه صورة التشبيه خلعا ،
قوله ، وهو المتنبي أيضا :

وَمَا رِيحُ الرِّياضِ لَهَا ، وَلَكِنْ كَسَاها دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طِيبًا

- ومن لطيف هذا النوع ، قول أبي العباس الضبي ، في تعظيم شأن الفراق :

لا تَرَكْنَ إلى الفِراقِ وَإِنْ سَكَنْتَ إلى العِناقِ

فالشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِها تَصْفَرُّ من فَرَقِ الفِراقِ

ادعى أن الشمس يرق نورها بدنوها من الأرض ، إنما هو لأنها تفارق الأفق الذي كانت فيه ، والناس الذين طلعت عليهم وأنست بهم

٢٧٩ - (نوع آخر منه) من إنشاد الشبل الصوفي ، وأخذه من قول بعض الصوفية وقيل له :

لِمَ تَصْفَرُّ الشَّمْسُ عِنْدَ الغُروبِ ؟ ، فقال : « من حَذَرِ الفِراقِ » :

قَضِيبُ الكَرِّمِ نَقَطُهُ فَيَبْكِي ولا تَبْكِي وقد قَطَعَ الحَبِيبُ

٢٧٩ - (ومن لطيف هذا الجنس) قول الصولي :

الرِّيحُ تَحْسُدُنِي عَليكَ ، ولم أَخْلُها في العِدا

لَمَّا هَمَمْتُ بِقُبُلَةِ رَدَّتْ عَلي الرِّجِّهِ الرِّدا

فقد ادعى أن الريح من الحسد والغيرة على المحبوبة ، حالت بينه وبين أن ينال وجهها

- (وفي هذه الطريقة) ، قول محمد بن وهيب :

وَحَارَتَنِي فِيهِ رَيِّبُ الزَّمانِ كَأَنَّ الزَّمانَ لَهُ عاشِقُ

- فلم يضع علة ولا معلولاً من طريق النمر ، بل أثبت محاربة من الزمان ، ثم جعل دليلاً على عنتها ، جواز أن يكون شريكاً له في عشق صاحبه

٢٨٠ - وهذا البيتان السالفان في ادعاء المحاربة ، فالأول جعل الريح حاسدة محاربة ، والآخر جعل

العشق علة للمحاربة ، ولكنهما لا يتناسبان من طريق الخصوص والتفصيل . فالأول وضع رد

الريح الرداء من الحسد له علة غير معقولة ، لأن رد الرداء من شأن الريح ، أما الآخر فجعل

الزمان عاشقاً ، والعشق علة للمعاداة في المحبوب ، علة معقولة معروفة . فلا يُنظر في تلاق

المعاني إلى جمل الأمور ، وإلى الإطلاق والعموم ، بل ينبغي تدقيق النظر في التناسب من

طريق الخصوص والتفاصيل ، (ثم انظر ص : ٢٨١)

- فيث ابن وهيب ادعى صفة غير ثابتة ، هي إذا ثبتت اقتضت مثل العلة التي ذكرها = وبيت
الصول ذكر صفة غير ثابتة على الحقيقة ، ثم ادعى لها علة من عند نفسه وضماً واختراعاً
- وانظر قول المتنبي :

مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السَّقَمِ
فَلَوْ لَمْ تَعْرِ ، لَمْ تَزُو عَنِّي لِقاءِكُمْ وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَصْمِي
الدعوى في إثبات الخصومة ، والغيرة والمشاركة في عشق الحبيب ، تثبت غير مفتقرة إلى وضع
واختراع

- ٢٨١ - (وما يلحق بهذا الفن) قول أبي الفرج البيهقي :

بِنَفْسِي مَا يَشْكُوهُ مَنْ رَاحَ طَرْفُهُ وَنَرَجِسُهُ مِمَّا دَهَى حُسْنَهُ وَرَدُّ
أَرَأَيْتَ دَمِي عَمْدًا مَحَاسِنُ وَجْهِهِ فَأَضْحَى فِي عَيْنَيْهِ آثَارُهُ تَبْلُو

لأنه قد أتى لحمرة العين بعلّة يعلم أنها مخترعة موضوعة ، وأصله من قول ابن المعتز :

قَالُوا : أَشْتَكْتُ عَيْنَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ : مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَصْبُ
حُمْرُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلَتْ وَالِدُهَا فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبٌ

وبين هذا الجنس وبين « الریح نخسُدنی » (ص : ٢٧٩) ، فرق ، فأمر الریح وريدها الرداء
على الوجه ، فعل لما ثبت ، فأدعى علّة من عند نفسه . وأما هنا ، فإن حمرة العين صفة
موجودة ، فتأولت أنها صارت للعين من غيرها . فليس معك هنا إلا معنى واحد ، وأما في
شأن الرداء ، فمعك معنيان : أحدهما : موجود معلوم ، والآخر : مدعى موهوم

- ٢٨٢ - (ومما يشبه هذا الفن الذي هو تأوّل في الصفة فقط من غير أن يكون معلول

وعلة) ، ما تراه من تأوّلهم في الأمراض والخمى أنها ليست بأمراض ، ولكنها فطن ثابتة
وأذهان متوقّدة ، من ذلك قول الشاشي في مرض الصاحب بن عباد :

وَحَوْشِيَّتْ أَنْ تَضْرِبِي بِجَسْمِكَ عِلَّةً أَلَا إِنَّهَا تَلِكُ الْعَزُومُ التَّوَابُ

وقول كشاجم في مرض علي بن سليمان الأحمش :

وَلَقَدْ أَخْطَأَ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّهَا مِنْ فَضْلِ بَرْدٍ فِي الْعَصَبِ
هُوَ ذَاكَ الدَّهْنُ أَدْكِي نَارَهُ ، وَالْمِرْجَاحُ الْمُفْرِطُ الْحَرُّ الْكَنْهَبُ

وأما قول المتنبي في ذكر الحمى :

وَمَنَازِلُ الْحُمَى الْجُسُومُ ، فَقُلْ لَنَا : مَا عُدُّهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا
أَعْجَبَتْهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لِتَأْمَلِ الْأَعْضَاءِ لَا لِذَاتِهَا

فليس من الأول في شيء بأكثر من أن كلا القولين في الحمى ، فهو اشترك في الغرض والجنس ، فأما في عمود المعنى وصورته الخاصة ، فلا ، وهو تصريح ما اقتصر فيه على التعجب في قوله :

أَيُّدْرِى مَا أَرَايَكَ مَنْ يُرِيبُ ؟ وَهَلْ تَرْتَقِي إِلَى الْفَلَكَ الْخَطُوبُ ؟
وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَاءٍ فَقُرْبُ أَقْلُهَا مِنْهُ عَجِيبُ !

إلا أن ذلك الإيهام في الأول ، أحسن من هذا البيان ، وذلك التعجب الموقوف

٢٨٣ - (ومن واضح هذا النوع وجيده) قول ابن المعتز :

صَدَّتْ شُرَيْرٌ وَأَزْمَعَتْ هَجْرِيٌّ وَصَعَتْ ضَمَائِرُهَا إِلَى الْغَدْرِ
قَالَتْ : كَبَّرَتْ وَشَبَّتْ أَقْلَتْ لَهَا : هَذَا غُبَارٌ وَقَائِعِ الدُّهْرِ

فراى الإنكار والاعتصام بالجحد أقرب إلى نفي العيب ، فلم يثبت المشيب ، ثم يمنع العائب أن يعيب ، كقول البحرى فيما مضى : « وبياضُ البازي » (ص : ٢٢٧)

٢٨٤ - ومثله إذا تأولوا الشيب بأنه نور العقل والأدب ، كقول أبى تمام :

وَلَا يُرْوَعُكَ إِيمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ

٢٨٤ - (باب التشبيهات)

قد حظى من طريقة « التخييل » و « التعليل » بضرب من السحر لا تأتى الصفة على غرابته ، وضرب لذلك مثلاً بأبيات لابن الرومى ، أولها :

خَجَلْتُ خَلُودَ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدُهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ

فإنه عمل أولاً على قلب طرُق التشبيه ، كما مضى في فصل التشبيهات ، (ص : ٢٠٤) ، وما بعدها) ثم يتناسى ذلك ويتخذ عنه نفسه أن حمرة الخجل من خجل على الحقيقة ، ويطلب لذلك الخجل علة ويحتج لها . ويبان ما في ذلك من لطف الصنعة

٢٨٦ - وشبهه بأبيات ابن الرومي في لطف الصنعة قول أبي هلال العسكري :

رَعِمَ الْبَنْفَسُجُ أَنَّهُ كَعِدَارِهِ حُسْنًا ، فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ
لَمْ يَظْلِمُوا فِي الْحُكْمِ إِذْ مَثَلُوا بِهِ ، فَلشُدْمًا رَفَعَ الْبَنْفَسُجُ شَانَهُ

- وقد اتفق للمتأخرين من المُحدِّثين في هذا الفن نُكَّتْ ولطائف ، منها قول ابن ثبَّاتة في صفة فرس أغر مُحَجَّل :

وَأَذْهَمُ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ وَتَطَّلِعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِيًّا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكُ طَيًّا
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْفَوْتِ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالْقَوَائِمِ وَالْمُحَيَّا

٢٨٦ - وأحسن منه وأحكم قوله في قطعة أخرى في صفة هذا الفرس :

فَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَأَقْتَصَّ مِنْهُ وَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

أي خاض الفرس بقوائمه في أحشاء الصباح ، وذكر بقية القطعة

٢٨٧ - ومما له التفضيل وحسن الإبداع مع السلامة من التكلف ما قاله أبو سعيد الرستمي :

وَمَاءٍ عَلَى الرُّضْرَاضِ يَجْرِي كَأَنَّهُ صَحَائِفُ تَبْرٍ قَدْ سُبِكَنَ جَدَاوِلًا
كَأَنَّ بِهَا مِنْ شِدَّةِ الْجَرِيِّ جِنَّةٌ وَقَدْ أَلْبَسْتَهُنَّ الرِّيَّاحُ سَلَاسِلًا

ثم أتمَّ الجِدْقُ بأن جعل للماء صفة تُقْتَضَى أن يُسَلْسَلُ ، وهي الجنون ، وشدة الحركة من صفات الجنون ، كما أن التمهُّل من أوصاف العقل

- ومن هذا الجنس قول ابن المعتز في صفة سيف الخليفة الموفق من أبيات :

فِي كَفِّهِ عَضْبٌ إِذَا هَزَّهُ حَسِيَّتُهُ مِنْ خَوْفِهِ يَرْتَعِدُ

فاخترع لمرَّة السيف عِلَّةً ، فجعلها رِعْدَةً تناله من خوف الخليفة الموفق

٢٨٨ - وقد نظر ابن بابك إلى قول ابن المعتز فقال :

فَإِنْ عَجَمْتَنِي نِيُوبُ الْخَطُوبِ وَأَوْهَى الزَّمَانُ قُوَى مُتْنِي
فَمَا أَضْطَرِبُ السَّيْفُ مِنْ خِيفَةٍ ، وَلَا أُرْعِدُ الرَّمْحُ مِنْ قِرَّةٍ

فمكس القضية ، وأبي أن تكون صفة المرتعد في الرمح للعلة التي لمثلها تكون في الحيوان .
وأما ابن المعتز فقد حقق كَوْنَهَا في السيف على حقيقة العلة التي لها تكون في الحيوان

- وقد أعاد ابن بابك هذا الإرتعاد على ما وصفت فقال من أبيات :

ولا آرتعادُ السَّيفِ من قِرَّةٍ ولا آنعطافُ الرِّيحِ من قَرْطِ لِينِ

٢٨٩ - وما هو طرازُ في هذا النوع قول البحترى في الرماح :

يَتَعَثَّرْنَ فِي التُّحُورِ وَفِي الْأَوْجِهِ سَكْرًا لَمَّا شَرِبْنَ الدَّمَاءَ

فطلب للتعثُرُ عِلَّةً ، وهي السكر من شرب الدماء

- ومن هذا الباب قول صاحب بن عبَّاد :

وَكأن السَّمَاءُ صَاهَرَتِ الْأَرْضَ فَصَارَ النَّارُ مِنْ كَافُورِ

وقول أبي تمام :

كَأنَّ السَّحَابَ العُرِّيَّ تَحْتَهَا حَبِيبًا ، فَمَا تَرَقَّا لَهُنَّ مَدَامِعُ

وقول السرى في صفة هلال سُؤال :

كَأنَّهُ قَيْدُ فِضَّةٍ حَرَجَّ فُضٌّ عَنِ الصَّائِمِينَ فَأَخْتَالُوا

٢٩٠ - فكل واحد من هؤلاء الثلاثة خدع نفسه عن التشبيه وغالطها ، ولم يقتصر على دعوى حصول

الشبه ، حتى نصب له عِلَّةً وشاهدًا . والتشبيه في بيت الصاحب وبيت أبي تمام معتاد عامي ،

وأما تشبيه الهلال بالقيد فغير معتاد ، إلا أن نظيره من حيث الصورة موجود ، وهو تشبيه الهلال

بالسَّوَارِ المُنْقَصِمِ ، كما قال :

حَاكِيًا نِصْفَ سِوَارٍ مِنْ نُضَارٍ يَتَوَقَّدُ

إلا أنه ساذج لا تعليل فيه

٢٩١ - قال : ورأيت بعضهم ذكر بيت السرى :

كَأنَّهُ قَيْدُ فِضَّةٍ حَرَجَّ .

مع أبيات جمعها إليه ، مثل قول ابن الرومي :

يَا شَبِيهَ البَدْرِ فِي الحُسْنِ مِنْ وَفِي بُعْدِ المَنَالِ

جُدُّ فَقَدْ تَنفَجَرُ الصِّدِّ خَرَّةٌ بِالمَاءِ الزُّلَالِ

فلا يستقيم الجمع بينه وبين ما أنشده

٢٩٢ - وما هو نظير لبيت السرى قول ابن المعتز :

سَقَانِي وَقَدْ سَلَّ سَيْفُ الصَّبَا ح ، وَاللَّيْلُ مِنْ خَوْفِهِ قَدْ هَرَبَ

فإنه حقق دعواه أن هناك سيفاً مسلولاً ، وجعل نفسه كأنها لا تعلم أن ههنا تشبيهاً ، فتوصل إلى ذلك بأن جعل الظلام كالمتموه المنهزم الذي سلَّ السيف في قفاه ، فهو يهرب مخافة أن يضرب به . وقد أخذه الخالدئ أخذاً فقال :

وَالصَّبْحُ قَدْ جُرِّدَتْ صَوَارِمُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ هَمَّ مِنْهُ بِالْهَرَبِ

٢٩٣ - ولابن المعتز من قطعة هذا البيت :

وَالْوَرْدُ يَضْحَكُ مِنْ نَوَاطِرِ تَرْجِسٍ قَدِيَّتْ ، وَأَذَنَ حَيْهًا بِمَمَاتِ

و« الضحك » في الورد مشهور ، ولكنه علله في هذا البيت ، بأنه يشمت بالترجس ضاحكاً ، لئلا أمارات الفناء عليه ، وكرر هذا المعنى في شعره

٢٩٤ - وما يشوب « الضحك » فيه نوعٌ من التعليل ، قول ابن المعتز أيضاً :

مَاتَ الْهَوَى مِثْلَ مِثْيَ وَضَاعِ شَبَابِي وَقَضِيَّتْ مِنْ لَذَاتِهِ آرَآيَ
وَإِذَا أَرَدْتُ تَصَايِيًا فِي مَجْلِسِ فَالشَّيْبُ يَضْحَكُ بِي مَعَ الْأَحْيَابِ

فجعل المشيب يضحك متعجباً من تعاطى الرجل ما لا يليق به ، ولاشك أن لهذا « الضحك » زيادةً معنى ليست للضحك في بيت دعبل :

ضَحِكُ الْمَشْيِبِ بِرَأْسِهِ فَبَكَى .

٢٩٥ - وهكذا قول ابن المعتز في إخفاء صورة التشبيه ، وأخذ النفس بتناسيه :

لَمَّا رَأَوْنَا فِي خَمِيْسٍ يَلْتَهَبُ فِي شَارِقِ يَضْحَكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ

فإن تَفَهِي العلة ، إشارة إلى أنه من جنس ما يُعلل ، وأنه ضحك قطعاً وحقيقة = ولو رجعت إلى صريح التشبيه فقلت : « هيئته في تَلَأُوهُ كهية الضاحك » ، ثم قلت : « من غير عجب » ، قلت قولاً غير مقبول

٢٩٦ - (فصل ، هذا نوعٌ آخر في التعليل)

- وهو أن يكون للمعنى أو الفعل علة مشهورة من طريق العادات والطباع ، ثم يجيء الشاعر

فيمع أن تكون له العلة المعروفة ، ويضع له علة مُدعاة ، كقول المتنبي ، يعنى سيف الدولة :
مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذُّنَابُ
فالمُتعارف أن الرجل يقتل أَعَادِيهِ إرادة إهلاكهم ودفع مضارهم ، وقد ادعى المتنبي أن علة
قتلهم غير ذلك

- لا يبد أن يكون في استئناف هذه العلة المُدعاة غير المعروفة ، فائدة تؤثر في المدح أو الذم ،
كما هو ظاهر في بيت المتنبي

٢٩٧ - (التعمق في ادعاء العلة ، ربما أُخِلُّ بالمعنى)

وشاهده قول أبي طالب المأموني :

مُفْرَمٌ بِالثَّنَاءِ ، صَبَّ بِكَسْبِ الْـ مَجِيدِ ، يَهْتَزُّ لِلسَّمَا حِ آرْتِيَا حَا
لَا يَذُوقُ الْإِغْفَاءَ إِلَّا رَجَاءً أَنْ يَرَى طَيْفَ مُسْتَمِيحِ رَوَا حَا
وبيان ما فيه ، ثم ما يدفع عنه الاعتراض

٢٩٨ - وأصل بيت « الطيف المستميح » من قول الجنون :

وَلَأْتِي لِأَسْتَعْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا

وهذا الأصل غير بعيد أن يكون أيضًا من باب ما استؤنف له علة غير معروفة

- ومنه أيضًا قول المتنبي :

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرَحَلَتِي فَكَأَنِّي أَتْبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ

فعلل تصعد الأنفاس بهذه العلة الغريبة ، وترك ما هو مشهور من السبب والعلة فيه

٢٩٩ - ومما ينتظم في مسلكه قول ابن المعتز :

عَاقِبْتُ عَيْنِي بِالدَّمْعِ وَالسَّهْرِ إِذْ غَارَ قَلْبِي عَلَيْكَ مِنْ بَصَرِي
وَآحْتَمَلْتُ ذَاكَ وَهِيَ رَاجِحَةٌ فِيكَ ، وَفَارَزَتْ بِلَذَّةِ النَّظْرِ

فادعى أن علة السهر غيرة القلب منها على الحبيب

- ولابن المعتز أيضًا في عقوبة العين بالسهر ، من أبيات :

إِنْ رَزَتْ عَيْنُهُ بِغَيْرِكَ فَأَضْرِبْهَا بِطُولِ السُّهَادِ وَالِدَّمْعِ حَدًّا

٣٠٠ - وهذا بيت يقصر عن الأول ، وأطرف منه هذه الصنعة قول القائل :

تقول ، وفي قولها حشمة : أتبكي بعين ترائي بها ؟
فقلت : إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديها

ولكن الأستاذية ظاهرة في بيت ابن المعتز

والى هنا انتهى ما بدأه في التعليل التخييل في ص : ٢٧٥

٣٠٢ - (فصل ، في تخييل بغير تعليل)

- هذا نوع من « التخييل » يرجع إلى ما مضى من تناسي « التشبيه » ، وصرف النفس عن توهّمه ، إلا أن ما مضى معلل ، وهذا غير معلل

- بيان ذلك أنهم يستعمرون الصفة المحسوسة للأوصاف المعقولة ، كأن حديث « الاستعارة » لم يجر منهم على بال . كاستعارة « العلو » لزيادة الفضل ، ثم يضمنون الكلام وضع من يذكر علواً عن طريق المكان ، كقول أبي تمام ، يمدح رجلاً :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنُّ الْجَهْلُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

فتناسى التشبيه وصم على إنكاره ، فجعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية

٣٠٣ - وذكر شاهدين من شعر ابن الرومي أبلغ من هذا ، يقول في أحدهما لبنى نوبخت :

شَافَهُتُمُ الْبَدْرَ بِالسُّوَالِ عَنِ الْـ سَأْمِرِ إِلَى أَنْ بَلَغْتُمُ زُحَلًا

- وهكذا الحكم إذا استعاروا اسم شيء بعينه ، نحو « شمس » فيصوغون الكلام صياغة تفضى بأن لا تشبيه هناك ولا استعارة ، كقول ابن العميد ، يذكر امرأة :

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

فلولا تناسي الاستعارة والجاز ، يجعلها شمساً على الحقيقة ، لما كان لهذا التعجب معنى

٣٠٤ - وكذلك قول البحتری في ممدوحه :

طَلَعَتْ لَهُمْ وَقَّتِ الشُّرُوقُ فَعَايَنُوا سَنَا الشَّمْسِ مِنْ أَفِقٍ وَوَجَّهَكَ مِنْ أَفِقٍ

وما عَايَنُوا شَمْسِينَ قَبْلَهُمَا أَلْتَقَى ضِيَاؤُهُمَا وَقَفَا ، مِنَ الْعَرَبِ وَالشَّرْقِ

فأخرج السامع إلى التعجب لرؤية ما لم يره قط . وثم له التعجب ، حين تناسى مجترأ على

الدعوى جراءة من لا يخشى إنكار منكر

- ومدارُ هذا الأمرُ كُلُّه على « التعجب » فهو صانعٌ سيخره . وصورة شعر البحرى غير صورة شعر ابن العميد ، ولكنهما اتفقا في التعجب
- وهكذا قول المتنبي ، له أيضاً صورة غير صورة الأوكلين ، والاشتراك بينهما عامي لا يدخل في باب « السرقة » :

كَبُرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَّتْ منها الشُّمُوسُ وليسَ فيها المَشْرُقُ

٣٠٥ - وكذلك قول المتنبي :

ولم أرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى البَدْرُ نَحْوَهُ ولا رَجُلًا قَامَتْ تُعَانِقُهُ الأَسَدُ
هو على هذا الحد من « التعجب » ، فالمعجب أن يمشى البدر إلى آدمي ، وأن تُعانق الأسد رجلاً

- وفي هذا النوع مذهبٌ آخر ، هو عكس مذهب « التعجب » ونقيضه
- وهو أن ينظر إلى خاصية ومعنى دقيق في المشبه به ، ثم يثبت تلك الخاصية ، ويتوصل إلى ذلك بليهام أنه قد تناسى التشبيه ، ويُقام منه شبه الحجّة على أن لا تشبيه ولا مجاز ، وذلك كقول ابن طباطبا :

لَا تَعَجَّبُوا مِنْ بَلَى غِلَالَتِهِ قد زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى القَمَرِ

فجعل المعاملة مع القمر نفسه ، ومن شأن القمر أن يُسرِعَ في بَلَى الكَثَانِ . فتناسى التشبيه ، وجعله كما قال أبو على الفارسي في « الطرف » : « إته شريعةً منسوخة » . وهذا هو وضع الاحتجاج ، وهو موضع في غاية اللطف

٣٠٦ - وقال آخر في هذا المعنى ، إلا أن لفظه لا ينبيء عن القوة التي للبيت السالف :

تَرَى الثِّيَابَ مِنَ الكَثَانِ يَلْمَحُهَا نُورٌ من البدر أحيانًا فيئليها
فكيف تُنكر أن تبلى معاجرها ، والبدر في كل وقتٍ طالعٌ فيها

٣٠٧ - ومما ينظر إلى قوله : « قد زَرَّ أَرْزَارُهُ على القمر » ، في أنه ادعى المجاز حقيقةً ، واحتج به كما يُختجُّ بالحقيقة ، قول العباس بن الأحنف ، في امرأة :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الفؤادَ عِزَاءً جَمِيلًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ التُّزُولًا

فقد جحد التشبيه جملة واحدة ولم يصرح به ، كما فعل المتنبي في هذا المعنى فقال :
 كأنها الشمسُ يعنى كف قابضيه شعاعها ويراه الطرفُ مقتربا

•••

٣٠٨ - (اعتراض) :

فهذا من قولك يؤدى إلى أن يكون الغرض من ذكر الشمس ، بيان حال المرأة في القرب
 والبعد ، دون المبالغة في وصفها بالحسن . وهذا خلاف المعتاد ، وما يسبق إلى القلب

٣٠٩ - (فالجواب) :

إن الأمر كما قلت ، فليس الغرض من ذكرها هو الحسن ، ولكنه أراد بيان أمر غير الحسن ،
 يُعقل من طريق العرف ، وعلى سبيل التبع ، فقول المتنبي : « كأنها الشمس » غرضه أن
 يُصيب لها شبها في كونها قريبة بعيدة ، فأما حديث « الحسن » فدخل في القصد على حد
 ما مضى (ص : ٢٥٥) في قول العباس بن الأحنف :

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ بَشَّتِ الإِشْرَاقَ فِي كُلِّ بَلَدٍ

فلم يضع كلامه لجعل النعمة كالشمس في الضياء ، ولكن عن أنها عمت كما نعم الشمس
 بالإشراق . وأما العباس بن الأحنف (ص : ٣٠٧) فإنه قال محتجا : « إنها إنما كانت بحيث
 لا تُنال ، لأجل أنها الشمس » ، فهذا فرق واضح

٣١٠ - ومما هو على طريقة العباس في الاحتجاج ، وإن خالفه في شيء آخر ، قول الصائى ، في
 أبى نصر سابور بن أردشير ، الوزير ، من أبيات :

صَحَّحَ أَنَّ الوَازِرَ بَدْرًا مُنِيرٌ إِذِ تَوَارَى كَمَا تَوَارَى البُدُورُ

فسمى الوزير بدارا على الحقيقة ، واحتججه به قوله : « صحح » ، فهذا وجه الموافقة ، وأما وجه
 المخالفة فادعاء العباس الشمس نفسها ، وادعى الصائى « بدارا » (نكرة) ، لا البدر على
 الإطلاق

- وممن ادعى صاحبه الشمس على الإطلاق بشار في قوله :

أَتَنَتْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرِحُ الفَلَكََا

٣١١ - وممن جمع بين التعريف والتكثير ، فاختلفت الطريقتان ، أشجع في رثاء الرشيد :

غَرَبَتْ بِالمَشْرِقِ الشَّمْسُ فقلُّ للعين تَدْمَعُ
 مَا رَأَيْنَا قَطُّ شَمْسًا غَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ تَطَّلَعُ

عرف ثم نكر ، ففتر أمر التخييل ، وادعاء الحقيقة في الجواز

٣١٢ - ويحيى « التنكير » في القمر والهلل على هذا الحد . فمنه قول بشار :

أُمَلِي لَا تَأْتِ فِي قَمَرٍ لِحَدِيثٍ وَأَتَّقِ الدُّرْعَا

وقول عمر بن أبي ربيعة :

وَعَابَ قَمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوْمٌ سَمَرٌ

يوهم هذا أنه مثل قولك : « جاعى رجل » في التنكير ، وليس كذلك في الحقيقة ، لأن الاسم لا يكون « نكرة » حتى يعم شيئين وأكثر ، وليس ههنا شيان يعمهما اسم القمر

- وهكذا قول أبي العتاهية :

تُسْرٌ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى هَلَالٍ وَتَقْصُكُ إِذْ نَظَرْتَ إِلَى الْهَلَالِ

ليس المنكر غير المعروف ، وللهلل في هذا التنكير فضل تمكن

٣١٣ - ومن لطيف التنكير قول البحتري :

وَيَذَرِينَ أَثْضِينَاهَا بَعْدَ ثَالِثٍ أَكَلْنَاهُ بِالْإِيجَافِ حَتَّى تَمَحَّحًا

- ومما جاء مستكرها نايًا قول أبي تمام :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ هِلَالٌ قَرِيبُ الثَّوْرِ نَائِي مَنَازِلُهُ

لأنه أوهم أن ههنا أهلة ليس لها هذا الحكم ، أن ينأى مكانه ويدنو ثوره ، فهو محال ، وله حيلة : أن أقول : « كأنه هلال » ، وأسكت ، ثم أخذ في الحديث عن شأن الهلال ، ولكنه ساء الملاءمة

- والذي يستقيم عليه الكلام أن يُوقَى به مُعَرَّفًا كقول البحتري :

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبٍ

•••

٣١٣ - (وأعود إلى حديث الجواز وإخفائه ، ودعوى الحقيقة وحمل النفس عليها) :

٣١٤ - قطعتان لسعيد بن حميد ، يذكر صاحبه ، فجعلها « بدرًا » يعده الزيارة ليلاً ، في الأولى ،

وجعلها في الثانية « شمسًا » تعده الزيارة نهارًا ، فظاهر الأمر أنهما ضدان ، ولكن من حيث جوهر الشعر ، فهما مثلان ، وليس بضد ولا نقيض

- الموازنة بينهما وبين ما تقدّم من قول العباس بن الأحنف : « هي الشمس مسكنها في السماء » (ص : ٣٠٧) ، فشاب سعيد بشعره الإنكار بالاعتراف ، فذكر « البدر » معرّفًا ، فخيّل إليك أنها البدرُ نفسه ، ثم قال : « هكذا الرسم في طلوع البدر » ، بالجمع . فالتفت إلى « بدر » ثان ، فأعطاك الاعتراف ببدر ثانٍ ، وكذلك قال في الثانية : « أنا شمس » ، ثم قال : « إنما تطلع الشمس بُكرةً » ، فالتفت إلى شمس ثانية

٣١٥ - وأما قول المتنبي :

وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَنِي الْقَمَرِينَ فِي وَقْتِ مَعَا

فلا يستقيم إلا على دعوى الحقيقة ، أراد : فأرتني الشمس والقمر ، ثم غلب اسم « القمر » ، فلولا أنه يُخيّل إليك أنها الشمس نفسها ، لم يكن لتغليب اسم القمر والتعريف بالألف واللام ، معنى

٣١٥ - وقول أبي الفتح بن جنى أنه هنا يشبه قول القائل :

وَإِذَا الْغَزَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَرَفَّعَتْ وَبَدَأَ النَّهَارُ لَوْقَتِهِ يَتَرَجَّلُ
أَبَدَّتْ لَوْجَهُ الشَّمْسِ وَجْهًا مِثْلَهُ تَلْقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا تَسْتَقْبِلُ

فإنه تشبيه على الجملة ، أما الصورة الخاصة التي حدثت بالصنعة في شعر المتنبي ، فإنه لم يعرض لها

٣١٦ - ومما له طبقة عالية في هذا الباب قول الفرزدق بن غالب بن صعصعة في جدّه :

أَبِي أَحْمَدُ الْعَيْثِينَ صَعْصَعَةُ الَّذِي مَتَى تُخْلِفُ الْجُوزَاءُ وَالذَّلُؤُ يُمَطِّرُ
أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يُجِرُّ عَلَى الْمَوْتِ ، يُعَلِّمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفِرِ

فقوله : « العيثين » بعقد التننية ، فجعله « غيثًا » على الحقيقة ، يتعدّر خروج اللفظ عنها إلى معنى التشبيه

٣١٧ - وأما قول الآخر ، في أمير :

قَدْ أَقْحَطَ النَّاسُ فِي زَمَانِهِمْ حَتَّى إِذَا جَمَّتْ جَمَّتْ بِالذَّرْرِ
عَيْثَانِ فِي سَاعَةٍ لَنَا اتَّفَقَا ، فَمَرْحَبًا بِالْأَمِيرِ وَالْمَطَرِ

فلا يبلغ منزلة بيت الفرزدق ، لم يدع كما ادّعى الفرزدق أنه الغيث على الحقيقة

- ٣١٨ - (فقد حصل من هذا الباب أن الاسم المستعار كلما كان قدّمه أثبت في مكانه ، وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى التشبيه ، فأمر التخيل فيه أقوى ، وأتم)
- وأما قول البحرى في مملوحين :

غَيْثَانِ إِنْ جَدَّبْتَ تَتَابِعْ أَقْبَلَا وَهَمَا رَبِيعُ مُؤَمِّلٍ وَخَرِيفُهُ

فليس من هذا الباب ، وإنما أراد تشبيها بالغيث ، والذي نحن فيه هو أن يضمّ الجاز إلى الحقيقة في عقّد الثنية ، ولو ضمنت إليه قول البحرى أيضاً :

فلم أرَ ضِرْغَامِينَ أَصْدَقَ مِنْكُمْ عِرَاكًا ، إِذَا هَيَّابَةُ النِّكْسِ كَذَّبَا

كان لك ذلك ، لأن أحد الضرغامين حقيقة ، والآخر مجاز

- (اعتراض) :

هنا شيء يردك إلى ما آتته من بقاء حكم التشبيه في جعل الفرزدق أباه غيثًا ، لأن الذي يقرئه إلى أبيه هو « الغيث » على الإطلاق ، وإذا كان « الغيث » على الإطلاق ، لم يبق شيء يستحق هذا الاسم إلا ويدخل تحته ، فعندئذ لا يكون أبو الفرزدق « غيثًا » على الحقيقة ، كما قلت

٣١٩ - (الجواب) :

ليس ذلك كما توهمته ، ولكن على أصل في التشبيه ، وهو أن يقصد إلى المعنى الذي من أجله تشبه الفرع بالأصل ، وينحى سائر الأوصاف جانبًا . وذلك المعنى في « الغيث » هو النفع العام ، فكان جنس « الغيث » كأنه شيء واحد ، فكان ضمُّ أبى الفرزدق إليه بمنزلة ضمِّك إلى الشمس رجلًا أو امرأة ، مبالغة في وصفهما بأوصاف الشمس ، كما تمجده في قول أبى الطيب :

فَلَيْتَ طَالَعَةَ الشَّمْسِينَ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِينَ لَمْ تَعِبِ

٣٢٠ - (فصل في الفرق بين التشبيه والاستعارة) :

- الاسم إذا قصِدَ إجراؤه على غير ما هو له لمشابهة بينهما ، كان ذلك على وجهين :
الوجه الأول : أن تُسقط ذكر المشبّه ، حتى لا يُعلم أنك أردته ، كقولك وأنت تعنى امرأة :
« عثت لنا ظبية » ، لم ترد ما الاسم موضوع له في أصل اللغة بدليل الحال وما يتلوه

من الأوصاف ، كقول البحترى :

تَرْنَعُ الشَّرْبُ وَأَعْتَالَتْ حُلُومَهُمْ شَمْسٌ تَرَجُلُ فِيهِمْ ثُمَّ تَرْتَجِلُ

فاستدللت بذكر الشرب واغتيال الحلوم والارتحال ، أنه أراد قينة . ولو قال : « ترجلت همس » لم يُعقل قط أنه أراد امرأة

مثال ذلك ما اشبهه على عدى بن حاتم في آية سورة البقرة : (حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَبِيثَ الْأَيْبُضُ مِنَ الْخَبِيثِ الْأَسْوَدِ) حين حمله على ظاهره

٣٢١ - الوجه الثاني : أن تذكر المشبه والمشبه به ، وقد ذكرت آنفاً في إطلاق الاستعارة على هذا

الضرب بعض الشبهة ، ووجدتُك كلاماً يجيء فيه ، هذا موضعه (انظر آخر رقم : ٢٠٣)
فقولك : « زهد أسد » ، لا يقال فيه : استعار له اسم الأسد ، ولكن : شبهه بالأسد .

أما في الوجه الأول : « عنت لنا ظبية » ، تقول فيه : هو استعارة بلا توقف . ولو قلت : إنه تشبيه كنت مصيباً ، من حيث تحير عما في نفس المتكلم وأصل الغرض . ولكن إن أردت تمام البيان قلت : أراد تشبيه المرأة بالظبية ، فاستعار لها اسمها مبالغة

٣٢٢ - (اعتراض) :

فكذلك فقل في : « زهد أسد » ، أراد تشبيهه بالأسد ، فأجرى اسمه عليه ، فما الفرق بين الحالين ؟

(الجواب) :

إن الفرق بين . فقد عزلت في الوجه الأول الاسم الأصلي ، وجعلته كأنه ليس باسم له ، وجعلت الآخر هو الواقع عليه ، فصار قصدك التشبيه أمراً مطوياً في نفسك . وجعلته كأنه الاسم الموضوع له في اللغة = أما في الوجه الثاني ، فإنك صرحت بذكر الشبه فلا يصح لك أن تتوهم أنه من جنس المشبه به ، وأكثر ما يمكن أن يُدعى تحيُّله في هذا : أن يقع في نفسك حال الأسد في جرائته وإقدامه ، فأما أن يقع في وهمك أنه رجلٌ وأسدٌ معاً بالصورة والشخص ، فمُحالٌ

٣٢٢ - (الفصل بين التشبيه والاستعارة)

وهو فصل جيد ، يصعب اختصاره في أسطر قليلة

٣٢٤ - (حقيقة الاستعارة في اللغة والعادة) :

وتأمل ذلك يُفضى إلى وجوب الفرق بين الوجهين السالفين . وذلك أن من شرط المستعار أن يحصل للمستعير منافع على الحدّ الذى يصلح للمالك . وإنما يفضلهُ مالك الثوب في أن له أن يتلّف الشيء جملةً ، وليس للمستعير ذلك

٣٢٥ - فإذا قلت : « زيدٌ » علم أنك تريد أن تخبر عن شخص معلوم ، وإذا قلت : « لقيتُ أسدًا » ، علم أنك علفت اللقاء بواحد من هذا الجنس . وإذا كان الأمر كذلك ، ثم وجدنا الاسم في قولك : « عنت لنا ظبية » ، يُعقل من إطلاقه أنك قصدت الجنس المعلوم . ولا يعلم أنك قصدت امرأةً ، فكان ذلك بمنزلة أن المستعير ينتفع بالمستعار انتفاع مالكه ، حتى يعتقد من ينظر إلى الظاهر أنه له

•••

٣٢٥ - (فصل آخر يبيّن وجوب الفرق بين الوجهين ، من طريق وضع الكلام)

٣٢٦ - الحالة التى يُختلف في الاسم إذا وقع فيها ، أيسمى استعارة أم لا يسمى ؟ هى الحالة التى يكون الاسم فيها خبر مبتدئ أو منزلاً منزله ، أى أن يكون خبر « كان » أو مفعولاً ثانياً لباب « علمت » ، لأن أصلها مبتدأ وخبر = أو يكون حالاً ، لأن الحال زيادة في الخبر = وتفسير هذه الجملة

٣٢٦ - الحالة الأخرى التى يكون الاسم فيها استعارة بلا خلاف ، هى إذا وقع الاسم فيها غير مُجتلب لإثبات معناه للشيء ، لأن هذا حكم لا يكون إلا إذا كان الاسم في منزلة الخبر من المبتدأ ، فأما إذا كان مبتدأ بنفسه ، أو فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه ، فأنت واضع كلامك لإثبات أمر آخر غير ما هو معنى الاسم ، وبيان ذلك ، ومُجمل ذلك أنك إذا قلت : « زيد أسدٌ » فالاسم مقصود به إيقاع التشبيه وإيجابه = وأما إذا قلت : « عنت لنا ظبية » ، وأنت تعنى امرأةً ، فأما تثبت الشبه من طريق الرجوع إلى الحال ، والبحث عن تحيىء في نفس المتكلم ، وهو أنه ادعى أنه من الجنس الذى وُضع له الاسم في أصل اللغة

٣٢٨ - وجوب الفرق ، إذن ، بينهما في العبارة والاصطلاح ، فوجب أن تفرق بينهما ، فُسمى ذلك « استعارة » ، وهذا « تشبيهاً »

- (إطلاق الاستعارة لا يكون في كلّ موضع) ، وهو فصل لطيف جداً ، لا تنتصيف منه إلا باستعانة الطبع عليه ، ولا يمكن توفية الكشف حقه بالعبارة ، لدقة مسلكه ، وقد بين فيه الفصل بين المعنيين في حال التعريف والتكثير ، كقولك : « هو الأسد » معرّفًا ، وقولك : « هو أسدٌ » منكرًا ، فإن قلت : « هو كالأسد » ، فحسب إدخال الكاف للتشبيه ، فإن قلت في الآخر : « هو كأسد » كان كلامًا نازلًا ، فإن أدخلت « كأن » وما يجرى مجراها

قللت : « كأنه أسد » و « تخالُه أسداً » ، صار حسناً . ثم بيان فروق كثيرة ، أتى عليها بالشواهد ، وهو فصل مهم جداً

٣٣٢ - يتصل بهذا البيان السالف أن « الاستعارة » الصحيحة ما لا يحسن دخول كَلِم التشبيه عليه ، وذلك إذا قَوِيَ الشبه بين الأصل والفرع . حتى يتمكن الفرعُ في النفس بمدخلة ذلك الأصل والاتحادِ به ، كَوْنَه إياه

٣٣٣ - (فرق شافٍ بين التشبيه والاستعارة) :

بين قولك : « زيد أسد » ، و « رأيت أسداً » ، واستشهد فيه بقول أبي تمام :

وَكَانَ الْمَطْلُ فِي بَدْيِ وَعَوْدٍ دُخَانًا لِلصَّنِيْعَةِ وَهِيَ نَارٌ

ويبين ما فيه بياناً شافياً

٣٣٤ - (بيان آخر) :

في اعتراض من يعترض فيقول : ما تقول في نحو قولهم : « لقيتُ به أسداً » ؟

٣٣٥ - (الجواب) :

لا وجه لتسمية مثل هذا استعارة . ألا تراهم قالوا : « لئن لقيتُ فلاناً لَلَيْقِيْنِكَ منه الأسد » ، فاتوا به معرفة على حدّه إذا قالوا : « احذر الأسد » ، وكذلك قول أعشى باهلة :

أخو رَغَائِبٍ يُعْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا يَا بِي الظُّلَمَةَ مِنْهُ التَّوْفَلُ الرَّفْرُ

بمعنى : هو النهاض بأعباء السيادة ، ولا يتصور فيه التشبيه

وكذلك قول الأعشى الكبير :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطْيُ وَلَا يَشْرَبُ كَأَسَا بَكْفٍ مَن بَخِلَا

لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى : أنه ليس يخيل

٣٣٦ - (ما لا يجوز أن يسمى استعارة) :

إنما يُتصَوَّرُ الحكم على الاسم بالاستعارة ، إذا جرى بوجهٍ على ما يُدعى أنه مستعار له . والاسم في قولك : « لقيتُ به أسداً » أو « لقيتُ منه الأسد » ، لا يُتصَوَّرُ جُزْئُهُ على المتكور بوجه ، لأنه ليس بحجر عنه ، ولا صفة له ، ولا حال ، وإنما هو بنفسه مفعول « لقيتُ » ، وفاعل « لقيتُ »

وكذلك قول النابغة :

تُبْتُ أَنْ أبا قَابُوسَ أُوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ

لا يكون استعارة = لأنَّ الأسد هنا واقع على حقيقته ، ولو قلت : « ولا قرارَ على زارٍ مَنْ هو كالأسد » ، كان فيه من العيِّ والفجاجة شيء غير قليل

٣٣٧ - وقول الفرزدق :

قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالًا

لا يُتَوَقَّعُ أَنْ « هِلَالًا » استعارة لسعيد ، لأنَّ الحكم على الاسم بالاستعارة ، مع وجود التشبيه الصريح ، محال

٣٣٨ - (فصل في الاتفاق في الأخذ والسرقه والاستمداد والاستعانة) ، (وانظر ما سلف ص : ٢٦٣ وما بعدها)

- اتفاق الشاعرين : إما اشتراكهما في الغرض على الجملة والعموم ، وإما في وجه الدلالة على ذلك الغرض

- (اشتراكهما في الغرض على العموم) ، فهو أن يقصد كل واحد منهما وصف المملوح .
مثلاً ، بالشجاعة والسخاء ، وما شابه ذلك

- (وأما اشتراكهما في وجه الدلالة على الغرض) ، فهو أن يأتي بما يستدل به على إثباته له الشجاعة والسخاء مثلاً ، وينقسم ذلك أقساماً

- القسم الأول : التشبيه بما يوجد الوصف فيه على الوجه البليغ والغاية البعيدة

- القسم الثاني : ذكر هيات تدل على الصفة ، كوصف الرجل بالابتسام في حال الحرب وسكون الجوارح وقلة الفكر ، كقوله :

كَأَنَّ ذَنَائِبَهُ عَلَى قَسِمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقاءً

٣٣٩ - أو كوصف الجواد ، بالتهلُّ للعفاة ، والارتياح لرؤية المُجتدين = ووصف البخيل بالعبوس ، مع سعة ذات اليد

- (أما الاتفاق في عموم الغرض) ، فلا يكون الاشتراك فيه داخلياً في الأخذ والسرقه والاستمداد والاستعانة . ويقع الغلط فيه ممن لا يحسن التحصيل والتأمل ، ويدعى أن أحد الشاعرين عيال على الآخر ادعاءً ، وأما أن يقوله صريحاً ، فلا

- (وأما الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض) ، فإن كان مما اشترك الناس في معرفته ، فحكمه حكم العموم الذي تقدم ، كالتشبيه بالأسد في الشجاعة ، لأن هذا مما لا يحتاج فيه إلى روية واستنباط

٣٤٠ - وإن كان مما ينتهي إليه المُتَكَلِّم بنظر وتدبُّر واجتهاد ، وكان من دونه حجابٌ يحتاج إلى خرقه بالنظر ، فهذا الشرط ممكن أن يُدعى فيه الاختصاصُ والتقدّم ، وأن يُقضى بين القائلين فيه بالتفاضل

- والمشارك العمى الذى قلتُ أنّ التفاضل لا يدخله ، إنما يكون كذلك ما كان صريحاً ظاهراً لم تلحقهُ صنعة ، فأما إذا رُكِبَ عليه معنى ، ودُخِلَ إليه من باب الكناية والتعريض والرمز والتلويح ، فقد صار بما غيّر من طريقته ، واستجدّ له من المعرّض ، داخلاً في قبيل الخاص الذى يتوصّل إليه بالتدبُّر والتأمل وذلك كقولهم ، وهم يريدون التشبيه : « سَلَبْنَ الطَّيَّابِ العيونَ » ، كقول الشاعر :

سَلَبْنَ طَيَّابَ ذى نَفْرِ طَلاها وَتَجَلَّ الأَعْيُنِ البَقَرِ الصُّورا

وأمثلة أخرى ذكرها في شعر أبى نواس والمنتبى والبحترى ، فهذا كله في أصله وحقيقته تشبيهية ، ولكن كُنِيَ لك عنه وخادعك فيه ، فالخصوص الذى تراه تنفى الاشتراك وتبأه ، لأنه جعل التشبيه مدلولاً عليه بأمر آخر ليس من قبيل الظاهر . وتعمّد إخفاء الظاهر ، حتى لا يُعرف إلا اختصاراً وامتحاناً

٣٤٢ - والاحتفالُ والصنعةُ التى تُرَوِّق وتُروِّع ، تفعل فعلاً شبيهاً بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التى يُشكّلها الحُذَّاق بالتخطيط والنقش

٣٤٣ - (صنعة الشعر الساحرة) ، بما يصنعه من الصور ، من جعل الجماد الصامتة في صورة الحى الناطق ، والمعلوم المفقود في حكم الموجود المشاهد ، (كما قدمت في باب التمثيل ص : ٨٠ ، وما بعدها) ، حتى يكسب الدنى رِفعةً ، والغامضُ القدرَ نباهةً ، وعكس ذلك مما يُعْضُّ من شرف الشريف

٣٤٤ - كما فعل الحطيفة في شأن قبيلة « أنف الناقة » ، حيث قال :

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْناَبُ غَيْرُهُمُ ، وَمَنْ يُسَوِّى بِأَنْفِ الثَّاقَةِ الذَّبَّابِ

وما قاله جحظة في « سعد » حاجب الوزير الخاقانى ، وقول الشاعر في « كثير بن أحمد »

٣٤٥ - ومن عجيب ذلك ما قاله ابن المعتز في ذم القمر ، فاعتذر بالبيان على تقييده ، وهى آياته الصادقة

٣٤٦ - ومن عجيب ذلك ما فعله الأنبارى في قصيدته التى رثى بها ابن بقرية وزير عز الدولة بن بختيار ، حين ظفر به عضد الدولة ، فرماه تحت أرجل الفيلة ، ثم صلبه ، فقلب الأنبارى جملة

ما يستنكر من أحوال المصلوب إلى ضدّها ، وتأوّل فيها تأويلات أراك فيها العَجَب ، وهى التى
أولّها :

عُلُوٌّ فى الحياةِ وفى المماتِ بحقِّ أنتِ إحدى المعجزاتِ

وساق القصيدة كلها ، وروعتها تغنى عن بيان ما فيها .

٣٤٧ - وما هو من هذا الباب ، إلا أنه احتجاج عَقْلِي صحيح ، قول المتنبي فى رثاء أخت
سيف الدولة :

وَمَا التَّائِيْتُ لَأَسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّدَكِيرُ فخرٌ للهِلالِ

وبيان ذلك ، والتفسير الصحيح لهذا البيت

٣٥٠ - (فصلٌ فى حَدِّى الحقيقةِ والمجازِ)

- (حدُّ الحقيقةِ والمجازِ إذا كان الموصوف به المفرد ، غير حدّه إذا كان الموصوف
به الجملة) . (وانظر حدّ الجملة فى الحقيقةِ والمجازِ ص : ٣٦٦ وما بعدها)

- (شرطٌ فى حدِّ « الحقيقةِ ») : كلُّ كلمةٍ أُريد بها ما وقعت فى وَضْعٍ واضعٍ (أو :
مواضعاً) = وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره ، فهى « حقيقة »

- وإنما اشترطت هذا الشرط ، لأن وصف اللفظة بأنها « حقيقة » أو « مجاز » ، حُكِمَ فيها من
حيث أنّ لها دلالة على الجملة ، لا من حيث هى عربيةٌ أو فارسيةٌ ، أو سابقةٌ فى الوضع
أو مُحدثةٌ مُؤَلَّدةٌ

- نظير ذلك حدُّك « الخبر » بأنه : « ما احتمل الصدق والكذب » ، ممّا لا يخصُّ لسائناً دون
لسانٍ = وهذا أحدُ ما غفل عنه الناس ، ودخل عليهم اللبس فيه ، حتى ظنّوا أنه ليس لهذا
العلم قوانين عقلية ، وأن مسأله مُشْبِهةٌ باللغة ، فى كونها اصطلاحاً يُتَوَهَّمُ عليه النقل والتبديل

٣٥١ - (أما المَجازُ : فكلُّ كلمةٍ أُريد بها غيرُ ما وقعت له فى وضعٍ واضعها للملاحظة بين
الثانى والأوّل ، فهى : « مجازٌ »)

٣٥٢ - ومعنى « الملاحظة » هو أنها تستند فى الجملة إلى غير هذا الذى تريده بها الآن ، إلا أن هذا
الاستناد يقوى ويضعف ، كقولك : « رأيت أسداً » ، تريده رجلاً شبيهاً بالأسد ، فلا شبهة
فى حاجة الثانى إلى الأوّل ، إذ لا يتصوّر أن يقع الأسد للرجل إلا بعد أن تجعل كونه اسماً

للأسيد أمام عينيك . فهذا استنادٌ تعلمه ضرورةً

- (جعل « اليد » للنعمة)

أما ما عدا ذلك ، فلا يقوى استناده هذه القوة ، لجملك « اليد » للنعمة ، لو تكلف متكلفً فزعم أنه وضع مستأنف ، أو في حكم لغة مفردة ، لم يمكن دفعه إلا برفق واعتبار خفى ، لأننا لا نوقع هذه اللفظة على ما ليس بينه وبين هذه الجارحة التباسٌ واختصاص . هذا هو الدليل الأول

والدليل الثانى : أنك تقول : « اتسعت النعمة فى البلد » ، ولا تقول : « اتسعت اليد فى البلد » ، وتقول : « جلت يده عندى » ، و« كثرت أياديه لدى » ، فتعلم أن الأصل : صنائع يده وفوائده الصادرة عن يده

٣٥٣ - وكذلك قولهم فى صفة راعى الإبل : « إن له عليها إصبعا » ، أى أثرًا حسنًا ، كقول الراعى : ضِعِيفُ الْعَصَا ، بَادِى الْعُرُوقِ ، تَرَى لَهُ عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبِعًا وَضئُهُ فى اللفظ قول الآخر :

• صُلْبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دَمَّاهَا •

أى جعلها كالدمى فى الحُسن ، فهما يرجعان إلى غرض واحد

٣٥٤ - فلاشك أن « الإصبع » مشارٌ بها إلى إصبع اليد ، وأن وقوعها بمعنى : الأثر الحسن ، ليس على أنه وضعٌ مستأنف فى إحدى اللغتين ، بل لأن الأعمال الدقيقة ، والحذق فى عمل اليد ، مستفادٌ من حُسن تصريف الأصابع

٣٥٥ - فملاحظة « الإصبع » لأصلها ، هو كملاحظة « اليد » للنعمة

•••

٣٥٥ - وبشبه « الإصبع » و « اليد » ، وضعهم الخاتم ، موضع « الختم » وكذلك « الطابع » يقولون : « عليه خاتم الملك » و « عليه طابع من الكرم » ، أى أثر الخاتم والطابع ، كقول القائل : وَقَلَنْ : حَرَامٌ قَدْ أَحْلَى بَرِينًا وَتَرَكْ أَمْوَالَ عَلَيْهَا الْخَوَاتِمُ وَقول أبى ذؤيب :

إِذَا فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا وَفُكَّتْ يُقَالُ لَهَا دَمُ الْوَدَجِ الذَّبِيحِ

وتقدير الشيخ أبى على الفارسى فى هذين البيتين حذف المضاف ، أى : « وترك أموال عليها نقش الخواتم » ، و « إذا فُضُّ خواتمها » ، فهو بيان لما يقتضيه الكلام من أصله ، دون أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرت من جعل أثر الخاتم خاتمًا . وبيان ذلك

٣٥٦ - ومثله قولهم : « ضربه سوطاً » ، لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسمه ، وجعلوا أثر السوط سوطاً

• • •

٣٥٦ - (عودٌ إلى مجاز « اليد » إذا أهد بها القدرة) :

- فإنك لا تكاد تجد ما تُراد معها القدرة ، إلا والكلام مثل صريح ، أو تلويح بالمثل ، ومعنى القدرة منتزَعٌ من « اليد » مع غيرها ، وبيان ذلك بالتفصيل

- فمن ذلك قولهم : « فلانٌ طويل اليد » يراد به فضل القدرة ، ولو وضعت القدرة هنا في موضع « اليد » أحلت = وكذلك قوله ﷺ وقد قالت له نساؤه : « آتينا أسرع لحاقاً بك يا رسول الله ؟ » فقال : « أطولكنُ يدًا » ، يراد السخاء والجود ، فلو وضعت موضع « اليد » شيئاً مما أهد به الكلام ، خرجت عن المعقول ، لأن الشبه مأخوذٌ من مجموع الطول واليد

٣٥٧ - وكذلك قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)

- وكذلك قوله ﷺ : « المؤمنون تنكأوا دماؤهم ، ويسئى بذمتهم أدانهم ، وهم يدٌ على من سواهم » ، لا تقول : إن « اليد » هنا بمعنى « العون » حقيقة ، فاليد لا تقع على أفرادها على شيء

• • •

٣٥٨ - (« اليدُ » ، و« اليمين » ، و« القبضة »)

يطلقون القول في « اليمين » أيضاً بمعنى القدرة ، ويجعلونها تجرى مجرى اللفظ وضع لمعنيين في قوله تعالى : (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) ، وكذلك في قول الشاعر :

إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِحْدِ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

فقال أبو العباس المبرد ، نقلًا عن أصحاب المعاني ، معناه : بالقوة ، وهذا تفسيرٌ على الجملة ، وقصدٌ إلى نفى الجراحة بسرعة ، خوفًا على السامع من خطراتٍ تقع للجبال وأهل التشبيه ، جلَّ الله عن شبه المخلوقين ، وإذا تأملت علمت أنه على طريق المثل (ثم انظر ص : ٣٦٠)

٣٥٩ - وكذلك قوله في صدر الآية السابقة : (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، محمول المعنى

على القدرة عن طريق التأويل والمثل ، ولا يجوز أن تجعل « القبضة » اسمًا للقدرة

- وإذا قلت للمخلوق : « الأمر بيدك » ، أردت المثل ، وأن الأمر كالشيء يحصل في يده من حيث لا يمتنع عليه

- إذن ، فما معنى التوقف في أن « اليمين » مثل ، وليست باسم للقدرة ، وكاللغة المستأنفة ؟
فإنك لا تقدر أن تقول : « هو عظيم اليمين » أى عظيم القدرة

٣٦٠ - وكذلك القول في بيت الشماخ (ص : ٣٥٨) ، فإنك لا تستطيع إلا أن تأخذه من طريق
المثل ، وأن تأخذ المعنى من مجموع التلقى واليمين ، ومثله قول أوس بن حجر ، في حليلة بنت
فضالة ، حين صرعه ناقه ، حين أخذته فتولت تمرضه :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءَ ثَوِيَّهَا حَلِيمَةٌ ، إِذْ أَلْقَى مَرَّاسِي مُقْعِدِ
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانَتِي وَمَلَّ بِفَلْجٍ فَالْقِنَافِدِ عُوْدِي

ثم تفصيل آخر في قول الشماخ « تلقاها عرابة باليمين »

٣٦٢ - وما يبيِّن موضوع بيت الشماخ ، إذا اعتبرت به ، قول الخنساء :

إِذَا الْقَوْمُ مَلُّوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَجْدِ ، ثُمَّ مَضَى مُصْعِدًا

فلن نجد فرقاً بين أن يمدَّ إلى المجد يدًا ، وبين أن يتلقى رايته باليمين

- (والغلط من هذا الضرب ، جنائته على معاني ما شُرف من الكلام عظيمة ،
وهو مادة للمتكلمين في التأويلات البعيدة ، والأقوال الشنيعة)

٣٦٣ - مجاز « القلب » :

مثل من تَوَقَّفَ في التفات هذه الأسمى ، (اليد ، واليمين ، والقبضة) ، إلى معانيها الأول ،
وظنَّ أنها مقطوعة عنها قطعاً يرفع الصلة بينها وبين ما جازت إليه ، مَثَلُ مَنْ إِذَا نَظَرَ فِي قَوْلِهِ
تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) فرأى المعنى على الفهم والعقل ، وقال :
« القلب ههنا بمعنى : العقل » فأخذه ساذجاً ، وترك أن يأخذه من جهته ، ومن طريق المَثَلِ ،
وبيان ذلك

- غرضي من هذا الباب الذى ابتدأته (ص : ٣٥٠ وما بعدها) أن تعرف أن من عدل عن
الطريقة في الحفى ، أفضى به الأمر إلى أن يُنكر الجلى ، وصار من دقيق الخطأ إلى الجليل ،
ومن بعض الانحرافات إلى ترك السبيل

- والذي جَلَبَ التخليط والحبط في هذا الفن ، أن الفرق بين أن يكون الشبه مأخوذاً من الشيء وَحْدَهُ ، وبين أن يُؤخذ ما بين شيئين ومجموع كلام ، كما مضى في الفرق بين الاستعارة والتشليل (ص : ١٩٨ وما بعدها) ، وهو بابٌ تدخل فيه الشبهة على الإنسان من حيث لا يعلم

٣٦٤ - وأنت ترى أن الرجل يوافقك في الشيء منه على أنه مَثَلٌ ، حتى إذا صار إلى نظيره له تَخَلَّطَ :
إمّا في أصل المعنى ، وإمّا في العبارة

- فالتخليط في أصل المعنى هو ما قلت لك في تأوّل « اليمين » على القوة ، وأن « القلب » في الآية بمعنى العقل

- والتخليط في العبارة ، كنحو ما ذكره بعضهم في قول الأعور الشنّتي :

هُوَ عَلِيكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا

فقال : « الكفّ هنا بمعنى السلطان والمُلك والقدرة ، وقال : وقيل : الكفّ هنا بمعنى النعمة » ، فأوهم أن « الكفّ » بهذا الإطلاق على الانفراد ، بمعنى ما ذكر ، ولكنه أراد المثل فأساء العبارة

٣٦٥ - وخلاف من خالف في « اليد » و « اليمين » وسائر ما هو مجاز ، لا يقدح فيما قدّمته من حدّ الحقيقة والمجاز . فإن جعل « اليمين » على انفرادها تُفيد القوّة ، فقد جعلها حقيقةً مُستغنية عن الاستناد في دلالتها على شيء = وإن اعترف بضرب من الحاجة إلى الجارحة والنظر إليها ، فقد وافق في أنها مجاز ، وكذا القياس في الباب كلّه

٣٦٦ - (فصل في المجاز العقلي والمجاز اللغوي ، والفرق بينهما)

- (حدّ الجملة في الحقيقة والمجاز) ، (وانظر ما سلف في أول ص : ٣٥٠)

- أصل ينبغي أن تعرفه ، وهو المعنى الذي من أجله انتخبت الجملة بالفائدة ، ولم يُجزّ حصوها بالكلمة الواحدة

- علّة ذلك أن مدار الفائدة على الإثبات والنفي . كالخبر ، وهو أول معاني الكلام وأقدمها ، وهو ينقسم إلى هذين الحكمين : الإثبات والنفي

- « الإثبات » يقتضى مُثَبِّتًا ومُثَبِّتًا له ، و « النفي » يقتضى منفيًا ومنفيًا عنه ، كالمبتدأ والخبر ، والفعل والفاعل . وقيل للمثبّت والمنفى « مُسْنَدٌ » و « حديثٌ » = وللمثبت له والمنفى عنه « مُسْنَدٌ إليه » و « محدث عنه »

٣٦٧ - ولكل واحد من حكمي الإثبات والنفي ، حاجة إلى أن تُقيده مرتين ، وتعلّقه بشيئين

- تفسير ذلك : أنك إذا قلت : « ضرب زيد » ، فقد قصدت إثبات الضرب لزيد = فقولك : « إثبات الضرب » ، تقييد للإثبات بإضافته إلى الضرب = ثم لا يكفيك هذا التقييد حتى تقيده مرة أخرى فتقول : « إثبات الضرب لزيد » ، فقولك : « لزيد » تقييد ثانٍ وإضافة ثانية . وكذا لا يتصور أن يكون ههنا إثبات مطلق غير مقيد = أى أن يكون إثبات ولا مُثَبَّت له ، كذلك لا يتصور أن يكون إثبات مقيد تقييدًا واحدًا ، نحو إثبات شيء فقط ، دون أن تقول : « إثبات شيء لشيء » = والنفي أيضًا بهذه المنزلة ، فلا يتصور نفي مطلق ، ولا نفي شيء فقط ، بل تحتاج إلى قيدين ، كقولك : « نفي شيء من شيء »
- هذه هي القضية المثيرة التي تزول الراسيات ولا تزول
- ثم لا تنظر إلى قولهم : « فلانٌ يُثَبِّتُ كذا » أى يدعى أنه موجودٌ = و« ينفي كذا » أى : يقضى بعدمه = لأن الذى قصدته هو الإثبات والنفي فى الكلام

٣٦٧ - (وههنا « أصل »)

أعلم أن فى الإثبات والنفي ، بعد هذين القيدين ، حكمًا آخر . هو كتقييد ثالث = وذلك أن للإثبات والنفي جهة ، ومعنى ذلك أنك تُثَبِّتُ الشيء مرةً من جهة ، وأخرى من جهة غير تلك الجهة الأولى

- ٣٦٨ - تفسير ذلك ، تقول : « ضرب زيد » فثبت الضرب فعلاً لزيد = وتقول : « مرض زيد » ، فثبت المرض وصفًا لزيد ، وهكذا سائر ما كان من أفعال الغرائز والطباع ، نحو : « كرم ، وظرف ، وطلال ، وقصر » . وقد يتصور فى الشيء أن تُثَبِّتَهُ من الوجهين جميعًا ، وهو ككل فعل يفعله الإنسان فى نفسه ، نحو : « قام » و« قعد » ، فقد أثبت القيام فعلاً له ، وأثبتَه أيضًا وصفًا له ، من حيث أن تلك الهيئة ، « القيام » و« القعود » = موجودةٌ فيه ، من حيث هى وصفٌ موجودٌ فيه

- وههنا « أصل » آخر ، وهو أن الأفعال على ضربين : « متعدٌ » و« غير متعدٌ » = ضربٌ يتعدى إلى شيء هو مفعولٌ به ، كقولك : « ضربتُ زيدًا » ، لأنك فعلت به الضرب ولم يفعله بنفسه = وضربٌ يتعدى إلى شيء هو مفعول له ، نحو : « صنع ، وعَمِلَ ، وأنشأ ، وأوجد » فى كونه معنًى عامًا غير مشتق من معنى خاص ، فهو ليس « كضرب » ، لأنه مشتق من « الضرب » ، وهو جنسٌ من المعانى

- ٣٦٩ - وهذا الضربُ الثانى ، المنسوب فيه مفعولٌ مطلقٌ لا تقييد فيه ، فمن المحال أن يكون معنى :

« خلق الله العالم » : « فَعَلَّ الخَلْقَ به » ، كما في قولك : « ضربتُ زيدًا » ، حتى يكون معنى :
« فعل القيام » هو : « فعل شيئًا بالقيام » ، فهذا من شنيع المُحَال

٣٦٩ - والإثبات في هذا « الضرب الثاني » ، لا يصحُّ أن تثبت المفعول وصفًا البتة ، وتوهمُ ذلك خطأً عظيم وجهل ، فإذا قلت : « فعل زيدُ الضرب » ، كنت قد أثبت الضربَ فعلًا لزيد ، كما تثبتُ « العالم » خلقًا لله تعالى في قولك : « خلق الله العالم »

- وأما « الضربُ الأول » ، وهو الذي منصوبه مفعولٌ به ، كقولك : « ضربتُ زيدًا » ، فإنك تثبتُ الضربَ فعلًا لنفسك ، ولا يُتصورُ أن يلحق الإثباتُ مفعوله ، لأنه إذا كان مفعولًا به ، استحال أن تثبته فعلًا لك ، وإثباته وصفًا أبعد في الإحالة

- وقولنا : « ضربتُ زيدًا » ، فإنك تثبتُ زيدًا مضروريًا ، لأنه يرجع إلى أنك تثبتُ الضربَ واقعًا به منك = فأما أن تثبت ذات زيد لك ، فأمرٌ لا يتصور ، لأن الإثبات كما مضى (ص : ٣٦٧) لا بدُّ له من جهة ، ولا جهة ههنا = وكذلك إذا قلت : « أحيا الله زيدًا » ، فأنت قد أثبت الحياةَ فعلًا لله تعالى في زيد ، فأما ذاتُ زيد فلم تثبتها فعلًا لله بهذا الكلام ، وإنما يتأتى ذلك بكلامٍ آخر نحو أن تقول : « خلق الله زيدًا » ، وهو ممَّا لا يُستحق من معنى خاص كالحياة والموت

٣٧٠ - لقد تقررَت هذه المسائل ، فإذا أردت أن تقضى في الجملة بمجازٍ أو حقيقة ، فانظر إليها من جهتين :

الأولى : أن تنظر إلى ما وقع بها من الإثبات : أهو في حقه وموضعه ، أم زال عن الموضع الذي ينبغي أن يكون فيه ؟

الثانية : أن تنظر إلى المعنى المُثَبَّت ، أى ما وقع عليه الإثبات ، كالحياة في قولك : « أحيا الله زيدًا » ، أثابت هو على الحقيقة ، أم قد عُديل عنها ؟

٣٧٠ - مثال ما دخله المجاز من جهة الإثبات دون المُثَبَّت قولٌ جميل :

وَشَيْبَ أَيَّامِ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي وَأُنْشِرْنَ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ

وقول الصُّلْتَانِ العَبْدِيِّ :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ رَرَ كَرُّ الْعَدَاةِ وَمُرُّ الْعَشِيِّ

المجاز واقع في إثبات الشيب فعلاً للأيام ولكر الليالي . إذ ليس يصح إثبات الشيب لغير الله سبحانه = وأما المثبت ، وهو الشيب ، فلم يقع فيه مجاز ، لأنه موجود كما ترى

* * *

- ٣٧١ - مثال ما دخله المجاز في المثبت دون الإثبات ، قوله تعالى : (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) ، فجعل العلم والهدى حياةً للقلوب . فالجواز في المثبت ، وهو « الحياة » . فأما الإثبات فواقع على حقيقته ، لأن العلم والهدى فضل كائن من عنده تعالى وكذلك قوله تعالى : (فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) ، فجعل حاضرة الأرض بما يظهره الله تعالى فيها من النبات حياة لها ، فهو مجاز في المثبت ، فجعل ما ليس بحياة حياة على التشبيه ، فأما نفس الإثبات فمحض الحقيقة ، لأنه إثبات لما ضرب الحياة مثلاً له فعلاً لله تعالى ، ولا حقيقة أحق من ذلك

* * *

- ٣٧٢ - وقد يدخل المجاز الجملة من الطرفين جميعاً ، وذلك أن يشبه معنى بمعنى وصفة بصفة ، فيستعار لهذه اسم تلك ، ثم ثبت فعلاً لما لا يصح الفعل منه ، فيكون في الإثبات والمثبت مجاز ، نحو قولك : « أحييتي رؤيتك » ، فجعلت المسرة الحاصلة بالرؤية حياةً أولاً ، ثم جعلت الرؤية فاعلة لتلك الحياة
- شبيه بهذا قول المتنبي :

وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا تُحْيِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا

- ونوع منه : « أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارُ وَالذَّرْهُمُ » ، جعل الفتنة هلاكاً ، ثم أثبت الهلاك فعلاً للدینار ، وليساً مما يفعلان ذلك

* * *

- ٣٧٣ - وهذا المنهاج في الفرق بين دخول المجاز في الإثبات ، وبين دخوله في المثبت ، وبين أن ينظمهما ، يدل على أنه إذا وقع المجاز في الإثبات ، فهو متلقى من العقل ، وإذا عرض المجاز في المثبت فهو متلقى من اللغة

- وذلك أن الإثبات إذا كان من شرطه أن يقيد مرتين ، (انظر ص : ٣٦٧) وذلك لا يحصل إلا بالجملة ، فأعلم أن مأخذه العقل ، وهو القاضى فيه دون اللغة = لأن اللغة لم تأت لتحكم بحكم أو لتثبت وتنفي ، وما يعترض على دعوئك من تصديق أو تكذيب ، فهو اعتراض على المتكلم ، وليست اللغة من ذلك بسبيل

- وأما إذا كان المجاز في المُثَبِّت ، كقوله تعالى : (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ) (انظر ص : ٣٧٢) ، فإنما مأخذه اللغة ، لأجل أن طريقة المجاز بأن أجرى اسم الحياة على ما ليس بحياة ، تشبيهاً وتمثيلاً ، وإذا نُجُوزَ في الاسم ، وهو « الحياة » فأجرى عليها ، فالحديث مع اللغة لا مع العقل

•••

٣٧٤ - (اعتراض ، على ما قاله الشيخ عبد القاهر) :

إن المجاز يقع تارةً في « الإثبات » ، وتارةً في « المُثَبِّت » ، فإذا وقع في « الإثبات » فهو طالع من جهة العقل ، وإذا عَرَّضَ في « المُثَبِّت » فهو آتٍ من جهة اللغة = يقول المعارض : ما قولك إن سَوِّيتُ بين المسألين ، وأدعيتُ أن المجاز بينهما جميعاً في « المُثَبِّت » ، بيان ذلك : « الفعل » الذى هو مصدرُ « فَعَلَ » وُضِعَ في اللغة للتأثير في وجود الحادث ، كما أن « الحياة » موضوعة للصفة المعلومة . فإذا قيل : « فَعَلَ الربيعُ الثَّورَ » ، جُعِلَ تعلقُ الثَّورِ في الوجود بالربيع من طريق السبب والعادة « فَعَلًا » ، كما تُجَعَلُ حُضْرَةُ الْأَرْضِ « حياة » . وإذا كان كذلك ، كان المجازُ في أن جعل ما ليس يفعلُ فعلًا ، وأُطْلِقَ اسم « الفعل » على غير ما وُضِعَ له في اللغة ، كما جُعِلَ ما ليس بحياة « حياة » وأجرى عليه اسمها . فإذا كان ذلك مجازًا لغويًا ، فينبغى أن يكون ذلك كذلك

- (ردُّ الاعتراض) (يستغرق رد هذا الاعتراض من ص : ٣٧٤ إلى ص : ٣٩١)

إن الذى يدفَعُ الشبهة ، أن تنظر إلى مدخل المجاز في المسألين . فإن كان مدخلهما من جانب واحد ، فالأمر كما ظننت . وإن لم يكن ، استبان لك خطأ ظنك

٣٧٥ - يبين ذلك أنك لو قلت : « أثبتُّ الثَّورَ فعلًا » ، لم تقع في مجاز ، لأنه فعل الله تعالى ، وإنما تصيرُ إلى المجاز إذا قلت : « أثبتُّ الثَّورَ فعلًا للربيع » ، وذلك بالإضافة ، لا بنفس الاسم . أما في مسألة « الحياة » ، فتحصلُ على المجاز بإطلاق الاسم من غير إضافة ، وذلك قولك : « أثبت بهجة الأرض حياةً » ، فظهر المجاز في « الحياة » من غير إضافتها إلى شيء

وبين ذلك ، أنك إذا عبرت بالنفى في مسألة « الفعل » قلت : « جعل ما ليس بفعل للربيع فعلًا له » ، وتقول في « الحياة » : « جعل ما ليس بحياة حياةً » وتسكت . ولو قلت : « جعل ما ليس بحياة للأرض حياةً للأرض » ، وهو كلام لا معنى له ، لأنه يقتضى أنك أضفت حياة حقيقة إلى الأرض ، وجعلتها مثلًا تحيا بحياة غيرها . وهذا بين الإحالة

•••

- ثم قال : « من حقَّ المسائل الدقيقة أن تُتأمل فيها العبارات التى تجرى بين السائل والمجيب ،

فإن ذلك يكشف عن الغرض ، ويبين جهة الغلط « ثم بين ذلك بيانا مهما لا منلوحة عن قراءته كاملا كما أورده

٣٧٦ - ثم قال : « وما يجب ضبطه في هذا الباب : أن كل حُكْمٍ يجب في العقل وجوبًا لا يجوز خلافه ، فإضافته إلى دلالة اللغة وجعله مشروطًا فيها ، مُحالٌ » وبين ذلك بيانا لا غنى عن قراءته كما هو

٣٧٧ - ثم جاء ببيان آخر فقال : « أعلم أنك إن أردت أن ترى المجاز وقد وقع في نفس « الفعل » و« الخلق » من حيث هما ، لا إثباتهما وإضافتهما ، فالمثال في قولهم للرجل يُشفي على الهلكة ثم يتخلص منها : « هو إنما يُخلق الآن » ، فأنت تثبت خلقًا من غير أن يعلم ثابتًا على الحقيقة ، بل على تأويل وتنزيل = ولا يمكنك أن تقول في : « فعل الربيع الثور » بمثل هذا التأويل ، فتزعم أنك أثبتت فعلًا وقع على الثور من غير أن يكون ثمة فعلٌ ، ومن غير أن يكون الثور مفعولًا . ثم بين ذلك بيانا شافيا

٣٧٨ - ثم قال : ويقال للمعترض : « هَبْكَ تعالطنا بأن مصدّر « فعل » يُقبل أولًا عن موضعه في اللغة ، ثم اشتق منه » ، قل لنا : ما تصنع بالأفعال المشتقة من معاني خاصة ، نحو : « نسج » و« صاغ » و« وشى » ، أقول إذا قيل « نسج الربيع » أو صاغ أو وشى : إن المجاز في مصادرها ، أم تعترف أن في إثباتها فعلًا للربيع ؟ وكيف تقول : « إن في أنفسها مجازًا » ، وهي موجودة بحقيقتها . وبين ذلك بيانا شافيا

٣٧٩ - وههنا أيضًا ما لا وجه لدعوى المجاز في المصنر ، كقولك : « سرني الخبر » ، فإن السرور بحقيقته موجودٌ ، والكلام مع ذلك مجازٌ ، ومعلوم ضرورة ليس المجاز إلّا في إثبات السرور فعلًا للخبر . ويعلم كل عاقل أن المجاز لو كان من طريق اللغة ، لجعل ما ليس بالسرور سرورًا = فأما الحكم بأنه فعلٌ للخبر ، فلا يجري في وهم أن يكون من اللغة بسبيل

٣٧٩ - قال المعترض : « النسج فعلٌ معنى ، وهو المضامة بين أشياء ، وكذلك الصوغ فعلٌ الصورة في الفضّة ونحوها ، فأنا أقدر أن لفظ الصوغ مجازٌ من حيث دلّ على الفعل والتأثير ، وهو حقيقة من حيث دلّ على الصورة = كما قدرت أن في « أحيا الأرض » ، أن « أحيا » من حيث دلّ على معنى فعلٌ حقيقة ، ومن حيث دلّ على الحياة مجازٌ »

- (رد الاعتراض) : قال : « ليس لك أن تحيى إلى لفظ أمرين ، ففرق دلالتة وتعمله منقولاً عن أصله في أحدهما دون الآخر . لو جاز هذا لجاز أن تقول في « اللطم » الذى هو ضرب باليد ، أنه يُجْعَل مجازاً من حيث هو ضرب ، وحقيقة من حيث هو باليد . فذلك محال = لأن كون الضرب باليد لا ينفصل عن الضرب ، فكذلك كون الفعل فعلاً للصورة لا ينفصل عن الصورة ، وليس الأمر كذلك في قولنا : « أحيا الله الأرض » ، وبيان ذلك
- ٣٨٠ - وجه آخر في رد اعتراض المعترض

•••

- ٣٨١ - (فصل ، في بيان معنى كلام لأبى القاسم الأمدى في كتاب الموازنة في قول البيهترى) :

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تَبْرِ وَمِنْ وَرِقٍ وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشِيٍّ وَدِيَايَاجٍ

قال الأمدى : صوغ الغيث التبت وحوكه ، ليس باستعارة بل هو حقيقة ، ولذلك لا يقال : « هو صائغ » ولا « كأنه صائغ » ولا « هو حائك » و« كأنه حائك » على أن لفظه « حائك » في غاية الركاكة ، إذا أخرج على ما أخرجه عليه أبو تمام في قوله :

إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسَجَهُ خَلَّتْ أَنَّهُ خَلَّتْ حِقَبٌ حَرَسٌ لَهُ وَهُوَ حَائِكٌ

فهذا قبيح جداً

قال الشيخ : فمنع أن تُطلق الاستعارة على « الصوغ » و« الحوك » ، وقد جعلاً فعلاً للربيع ، واستدل على ذلك بامتناع أن يقال : « كأنه صائغ » و« كأنه حائك » . ثم بين ذلك بياناً شافياً

- ٣٨٢ - وأنت إذا شُبِّهت شخصاً بشخص تقول : « كأن زيداً الأسد » ، فهذا التشبيه الصريح ، أما غير الصريح فإسقاطه المشبه به من الذكر فتقول : « رأيت أسداً » ، تريد رجلاً شبيهاً بالأسد ، فتعير اسمه مبالغة وأنه أسد على الحقيقة

أما تشبيه فعل بفعل ، فمثاله أن تقول : « كأن تزيينه لكلامه نَظْمٌ دُرٌّ » ، تشبيهاً صريحاً ، ثم تقول : « إنما ينظّم دُرّاً » تجعله كأنه ناظم دُرٌّ على الحقيقة . ثم ساق أمثلة أخرى

- ٣٨٣ - ثم بين ذلك فقال : « إذا كان لا تشبيه حتى يكون معك شيان ، وكان معنى الاستعارة أن تُعير المشبه لفظ المشبه به ، ولم يكن معنا في « صاغ الربيع » إلا شيء واحد ، وهو « الصوغ » كان تقدير الاستعارة فيه مُحَالاً جارياً مجرى تشبيه الشيء بنفسه ، وذلك بين الفساد

•••

٣٨٣ - (اعتراض آخر) :

أليس الكلام على الجملة معقولاً على تشبيه الربيع بالقادر ، في تعلق الصوغ والنسج به ؟
فكيف لم يُجز دخول « كأن » من هذه الجهة ؟

- (رد الاعتراض) :

هذا التشبيه ليس هو التشبيه الذى يُعقد في الكلام ، ويفاد بكأن والكاف ونحوهما ، وإنما هو عبارة عن الجهة التى راعاها المتكلم حين أعطى الربيع حُكْمَ القادر في إسناد الفعل إليه . وكلاهما في تشبيه مَقُول منطوق به ، وأنت في تشبيه معقول غير داخل في النطق . وإن يكن ههنا تشبيه ، فهو في الربيع لا في الفعل المسند إليه ، واختلافنا في « صاغ » و « حاك » هل يكون تشبيهاً واستعارة أم لا ؟ وإذن فلا يلتقى التشبيهان

٣٨٤ - هذا هو القول على الجملة إذا كانت حقيقة أو مجازاً . فكل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه العقل ، فهى حقيقة ، ولن تكون كذلك حتى تُعزى عن التأول

- ومثال وقوع الحكم المفاد موقعه من العقل على الصحة واليقين والقطع ، قولنا : « خلق الله تعالى الخلق » ، فهذه أحق الحقائق وأرسخها في العقول

- وأما مثال أن توضع الجملة على أن الحكم المفاد بها واقع موقعه من العقل ، وليس كذلك ، إلا أنه صادر عن اعتقادٍ فاسدٍ وظنٍ كاذب ، فمثل ما جاء في التنزيل حكاية عن الكفار : (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا اللَّهُ) ، فهنا ونحوه من حيث لم يتكلم به قائله على أنه مُتَأَوَّل ، بل أطلقه بجهله لإطلاق من يضع الصفة في موضعها ، لا يوصف بالمجاز ، ولكن يقال : « عند قائله أنه حقيقة ، وهو كذبٌ وباطل لا يصححه العقل »

٣٨٥ - وللفضل بين ذلك : أن تعرف حدَّ « المجاز » ، وحدَّ « المجاز هو : أن كل جملة أخرجت الحكم

المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول . فهى مجازٌ . ومثاله ما جاء ما مضى من قولهم : « فعل الربيع » ، وقوله ﷺ : « إِنْ مِمَّا يُبَيِّنُ الرَّبِيعَ مَا يَقْتُلُ حَبِطًا أَوْ يُلِمُّ » ، فقد أثبت الإنبات للربيع ، وذلك خارج عن موضعه من العقل ، لأن إنبات الفعل لغير القادر لا يصح في العقول ، إلا أن ذلك على سبيل التأول ، إذ كان سبباً أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله كأنه فاعلٌ

٣٨٦ - وهذا الضرب كثير في القرآن ، كقوله تعالى : (تُوْتِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا) ، ومعلوم

أن النخلة لا تُحدث الأكل ، ولكن إذا حدثت فيها الحركة بقدره الله ، ظهر ما كُتِبَ فيها

- وإذا ثبت ذلك ، فالمبطل والكاذب لا يتأول في إخراج الحكم عن موضعه وإعطائه غير المستحق دون أن يشبهه ، بل يثبت القضية من غير أن ينظر فيها من شيء إلى شيء ، ويؤد فرعاً إلى أصل ، فهذا يظن ما ليس صحيحاً صحيحاً ، وما لا يثبت ثابتاً ، وليس هو من التأول في شيء
- والمجاز لم يكن مجازاً لأنه إثبات الحكم لغير مستحقه ، بل لأنه أثبت لما لا يستحق ، تشبيهاً ورداً له إلى ما يستحق ، وأنه ينظر من هذا إلى ذلك ، وإثباته ما أثبت للفرع الذي ليس بمستحق ، يتضمن الإثبات للأصل الذي هو المستحق
- فلا يتصور الجمع بين شيئين في وصف أو حكم من طريق التشبيه والتأويل ، حتى يبدأ بالأصل في إثبات ذلك الوصف والحكم له . فأنت لا تقدر أن تشبه الرجل بالأسد في الشجاعة ، ما لم تجعل كونها من أخص أوصاف الأسد وأغلبها عليه . فكذلك لا يتصور أن يثبت المثبت الفعل على أنه سبب ، ما لم ينظر إلى ما هو راسخ في العقل من أن لا فعل على الحقيقة إلا للقادر

* * *

- ٣٨٧ - ومن أوضح ما يدل على أن إثبات الفعل للشيء على أنه سبب ، يتضمن إثباته للمسبب ، من حيث لا يتصور دونه = أن تنظر إلى الأفعال المسندة إلى الأدوات والآلات ، كقولك : « قطع السكين » ، فإنك تعلم أنه لا يقع في النفس من هذا الإثبات صورة ، ما لم تنظر إلى إثبات الفعل للمُعْمِلِ الأداة والفاعل بها . فلو فرضت أن لا يكون ههنا قاطع بالسكين ، أعياك أن تعقل معناه بوجه من الوجوه . وهذا واضح لايشك فيه عاقل

* * *

- ٣٨٨ - وأعلم أنه لا يجوز الحكم على الجملة بأنها مجاز إلا بأحد أمرين :
- الأول : أن يكون الشيء الذي أثبت له الفعل مما لا يدعى أحد أنه مما يصح أن يكون له تأثير في وجود المعنى الذي أثبت له ، وذلك كقولك : « محبتك جاءتني إليك » ، وقول عمرو ابن العاص في كلمات قالها يزيد بن أبي سفيان : « هن مخرجاتي من الشام »
- الثاني : أن يكون علم من اعتقاد المتكلم أنه لا يثبت الفعل إلا للقادر سبحانه ، ولم يكن ممن يعتقدون الاعتقادات الفاسدة كقول المشركين : (وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)

- ٣٨٩ - فإذا سمعنا الصلتان العبدى يقول : (وانظر ما مضى ص : ٣٧١)

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْتَى الْكَبِيرَ
سَرَ كَرُّ الْعَدَاةِ وَمُرُّ الْعَشَى

وذو الإصبع المدوانى يقول :

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعًا وَالذَّهْرُ يَغْلُو مُصَمَّمًا جَدَعًا

كان طريق الحكم عليه بالهجاز ، أن تعلم اعتقادهم التوحيد ، إما بمعرفة أحوالهم السابقة ، أو بأن نجد في كلامهم من تعيد إطلاق هذا النحو ، ما يكشف عن قصد الهجاز فيه ، كما صنع أبو النجم في رجزه ، حين نسب ما أصابه من الصلح إلى « الليالى » فذكر أن سببه :

جذُبُ اللَّيَالِي : أَبْطِئِي أَوْ أُسْرِعِي

ثم فسّر ذلك وكشف عن وجه التأويل ، وأنه بنى أول كلامه على التخيل فقال :

أَفْتَاهُ قَيْلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ أَطْلَعِي حَتَّى إِذَا وَاوَاكِ أَفْقُ فَارْجِعِي

فبين أن الفعل لله تعالى

٣٩٠ - وأعلم أنه لا يجوز أن يكون قول الكفار : (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الذَّهْرُ) ، من باب التأويل والهجاز ، لأن الله تعالى قال بعد ذلك : (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) ، والمتجوز في العبارة لا يوصف بالظن ، فهم قد أثبتوا الدهر فاعلاً للهلاك ، فأنكر ذلك الاعتقاد عليهم ومع ذلك ، ففي نص القرآن ، ما جرى فيه اللفظ على إضافة فعل الهلاك إلى الريح مع استحالة أن تكون فاعلة ، وذلك قوله تعالى : (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَنَّهُ) ، وأمثال ذلك كثير

٣٩١ - (مسألة مهمة) : « ومن قدح في الهجاز ، وهم أن يصفه بغير الصدق ، فقد خبط خبطاً عظيماً ، وبهرق بما لا يخفى »

٣٩١ - من حق العاقل ، فكيف بطالب الدين ؟ أن يتوفر على البحث عن حقيقة « الهجاز » والعناية به ، حتى يحصل ضروبه ، ويضبط أقسامه ، فإن للشيطان من جانب الجهل مداخل خفية يأتي منها صاحب الدين ، فيسرق دينه من حيث لا يشعر ، ويلقيه في الضلالة من حيث يظن أنه مهتد . فيقتسمه البلاء من جانبيين : « الإفراط » و « التفریط » . فمن مغرور مغرور بنفى الهجاز والبراعة منه ، فيرى أن لزوم الظاهر فرض لازم = وآخر يغلو فيه ويفرط ويتجاوز حدّه ، فيعدل عن الظاهر ، ويسوم نفسه التعمق في التأويل ، ولا سبب يدعو إليه

٣٩١ - أما « التفريط » ، فما تجدد عليه قومًا في نحو قوله تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) ، وقوله : (وَجَاءَ رَيْكُ) ، و : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ، فإذا قال لهم أهل التحقيق : « الإتيان » و « المجيء » ، انتقل من مكان إلى مكان ، و « الاستواء » إن حُمِلَ على ظاهره لم يصحح إلا في جسم يشغل حيزًا ومكانًا ، والله عز وجل خالق الأمكنة والأزمنة = وأن المعنى على : « إلا أن يأتيهم أمر الله » ، و « جاء أمر ريك » = نعم إذا قلت ذلك للواحد منهم ، رأيتُه أعطاك الوفاق بلسانه ، وقلبه يتردد في الحياة ، ولا يُجرِّيه مُجرى قوله تعالى : (وَاسْتَبَلَّ الْقَرْيَةَ) على الظاهر ، لأجل علمه أن الجماد لا يُسأل . وكان من حقه أن لا يُجِئِمَ هنا على الظاهر ، مع ما فيه ، إن أُخذ على ظاهره ، من التعرض للهلاك والوقوع في الشرك

٣٩٣ - وأما « الإفراط » ، فما يتعاطاه قومٌ يُحيون الإغراب في التأويل ، وينسون أن احتمال اللفظ شرطٌ في كل ما يُعدَّل به عن الظاهر ، فيُعرضون عنه حُبًّا للتشوف ، أو قصدًا إلى التويه وذهابًا في الضلالة

٣٩٤ - وأقل ما كان ينبغي أن تعرفه الطائفة الأولى ، المتكرون للمجاز ، أن التنزيل ، كما لم يقلب اللغة في أوضاعها المفردة عن أصولها ، ولم يخرج الألفاظ عن دلالتها = كذلك لم يقض بتبديل عادات أهلها ، ولم ينقلهم عن أساليبهم وطرقهم ، ولم يمنعمهم ما يتعارفونه من « التشبيه » و « التمثيل » و « الحذف » و « الاتساع »

- وكذلك كان من حق الطائفة الأخرى ، المحبة للإغراب في التأويل ، باستكراههم الألفاظ على ما لا تُقَلُّه من المعاني = أن تعلم أنه عز وجل لم يرض لنظم كتابه ، ما هو عند القوم المخاطبين خلاف البيان ، وفي حدِّ الإغلاق والبعاد عن البيان ، وهو شيء يخرج عن كل طريق ويؤين كل مذهب ، وكان الألفاظ تنقلب عن سجيَّتها ، وتؤدى ما لا يوجب حُكمها أن تؤدِّيه

٣٩٥ - (هذا كلام في ذكر « المجاز » ، وفي بيان معناه وحقيقته)

- معنى « المجاز » ، وذلك إذا عُبدل باللفظ عما يوجب أصل اللغة ، يوصف عندئذ بأنه « مجاز » على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي ، (أى : تعلَّوه) ، أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أولاً

- وإطلاق « المجاز » على اللفظ المنقول عن أصله يقتضى شرطاً : وهو أن نقله على وجه لا يتغير معه من ملاحظة الأصل ، ومعنى « الملاحظة » ، أن الاسم يقع لما تقول إنه « مجاز » فيه ، بسبب بينه وبين الذى تجمله حقيقة فيه

- مثال ذلك : « اليد » ، التى تقع للنعمة ، وأصلها الجارحة ، لأن من شأن النعمة أن تصدر عن « اليد » الجارحة ، ومنها تصل إلى المقصود بها

- ثم « اليد » ، إذا أريد بها القوة والقدرة ، لأن « اليد » الجارحة هى التى يكون بها البطش والأخذ والدفع والضرب والقطع وما يخبر عن وجوه القدرة ، ولذلك لا تجدهم يربطون باليد شيئاً لا ملاسة بينه وبين هذه الجارحة

٣٩٦ - ولذلك لم يجز استعمال « المجاز » فى الألفاظ التى يقع فيها اشتراك من غير سبب يكون بين المشتركين ، وذلك كمثل « الثور » يكون اسماً للقطعة الكبيرة من الأيط ، و« النهار » اسم لفرخ الحبارى ، و« الليل » لولد الكروان . فإن القطعة من الأيط ليس بينها وبين الحيوان المعلوم سبب ، وكذلك فرخ الحبارى ، وولد الكروان ليس بينه وبين ضوء الشمس والظلام ، سبب أذاه إليه وساقه

٣٩٦ - وقولنا : « المجاز » ، يعنى أن نبين اللفظ أصلاً مبدوءاً به فى الوضع ، وجره على الغرض الثانى إنما هو على سبيل الحكم يتأدى إلى الشئ من غير

- ولذلك لم ترهم يطلقون « المجاز » فى الأعلام ، وإنما يطلقون عليه « النقل » ، ويقولون : « العلم منقول ومرتل » ، كمثل اسم جنس على من يسمى أسداً وثوراً ، أو صفة ، كعاصم وحارث ، أو فعل ، كيزيد ويشكر . وكل ذلك لا التباس فيه بين الأصل ، وبين اللفظ المشترك

وليس بين هذه الألفاظ المشتركة ، ما كان بين « اليد » للنعمة ، و« الراوية » بمعنى المزايدة ، وهى فى الأصل اسم للبعير الذى يحملها = وليس أيضاً كنعو الجزء من الشخص وبين جملة الشخص ، كقولهم للريفة : « عيناً » ، وتسميتهم الناقة : « نأياً » وليس بينها أيضاً ما بين النبات والغيث ، والسماء والمطر . ففى هذا كله تأول ، هو الذى أفضى بالاسم إلى ما ليس بأصل فيه

٣٩٧ - وهذه الأسباب الكائنة بين المنقول والمنقول عنه ، تختلف فى القوة والضعف والظهور ، فهذه الأسماء التى ذكرتها ، فقولهم للشاة التى تُذبح عن الصبي « عقيقة » ، وذلك إذا حُلقت عقيقته (أى : شعره) ، فهذه أقوى من قولهم : « العقيقة » للصوت فى قولهم : « رفع عقيقته » ، وذلك أنه شئ جري اتفاقاً ، ولا معنى يصل بين الصوت وبين الرجل المعقورة

- هذا ، على أن القياس يقتضى أن لا يسمى هذا « مجازاً » ، ولكن يُجرى مُجرى الشيء يُحكى بعد وقوعه ، لم يقصد فيها إلى قياس أو تشبيه
- (ومقصودنا الآن غير ذلك ، لأن القصد في هذا الفصل أن أبين أن « المجاز » ، أعم من « الاستعارة » ، وأن الصحيح من القضية : أن كُلَّ استعارة مجازٌ ، وليس كُلَّ مجاز استعارة)
- ولذلك نرى أن العارفين بعلم الخطابة والشعر ، والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع قالوا : إن « الاستعارة » نقل الاسم عن أصله إلى غيره ، للتشبيه على حدّ المبالغة

* * *

- ٣٩٩ - قال القاضي أبو الحسن الجرجاني صاحب كتاب الوساطة : « ملاكُ الاستعارة ، تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار للمستعار منه » ، ويعلونها في أقسام البديع ، لأنها دخلت فيه بقيد ، وهو نقل الاسم بشرط التشبيه على المبالغة . وهذا شرط ليس في « المجاز » = يبين ذلك أن « الاستعارة » إن كانت تُسأوقُ « المجاز » وتجرى مجراه ، حتى تصلح لكل ما يصلح له ، فيذكرها في أقسام البديع يقتضى أن كل موصوف بأنه « مجازٌ » فهو بديع عندهم ، حتى يكون إجراء « اليد » على النعمة ، و« الناب » على الناقة ، و« العين » على الربيعة ، و« العقيقة » على الشاة ، بديعاً كله ، وهذا بين الفساد

* * *

- ٣٩٩ - وأما ما تجده في كتب اللغة ، من إدخالهم ما ليس طريق نقله التشبيه في « الاستعارة » ، كما فعل ابن دُرَيْد في الجمهرة ، فابتدأ باباً فقال : « باب الاستعارات » ، ثم ذكر « الوَعَى » وهو اختلاط الأصوات ، ثم كثر فصارت الحرب « وَعَى » = و« رَعَيْنَا الْغَيْثَ وَالسَّمَاءَ » ، وذكر « الراوية » وهى المزايدة ، و« العقيقة » = ثم ذكر فيما بين ذِكْرِهِ لهذه الكلم ، أشياء هى استعارة على الحقيقة ، لأنه قال : « الظمأ » العطش وشهوة الماء ، ثم كثر ذلك حتى قالوا : « ظمئتُ إلى لقاائك »

- ٤٠٠ - والسبب في ذلك ، من إطلاق « الاستعارة » على ما هو تشبيه ، وعلى ما ليس من التشبيه في شيء ، ولكنه نقل اللفظ عن الشيء إلى الشيء بسبب اختصاص وملابسة بينهما ، وما كان من الخلط بينهما = هو أنهم نظروا ما تعارفه الناس في معنى « العارية » ، ولم يراعوا عرف أهل العلم بالشعر . وهذه طريقة عامية

- ٤٠١ - وليس هذا بالمذهب المرضي ، بل الصواب أن تُقصر « الاستعارة » على ما نقله نقل التشبيه

للمبالغة ، لأن هذا نقلٌ مُطَرِّدٌ على حدِّ واحد . وله فوائد عظيمة شريفة ، فالتطفُّلُ به على غيره في الذكر ، وتركه مغموراً بين أشياء ليس في نقلها مثل نظامه أو فوائده ، ضعفٌ من الرأى

٤٠١ - وقد يقع في كلام العلماء بالشعر ، ذكر « الاستعارة » بهذه الطريقة العامية ، ولكن لا يكون ذلك منهم عند ذكر القوانين ، وحيث تُقرَّرُ الأصول

- مثال ذلك . ما قاله أبو القاسم الأمدى في الموازنة ، في فصلٍ يجيب فيه عن شيءٍ اعترض به على البحرى في قوله :

فَكَانَ مَجْلِسُهُ الْمُحَجَّبَ مَحْفِلٌ وَكَانَ خَلْوَتَهُ الْخَفِيَّةَ مَشْهَدٌ

ثم قال : « إن المكان لا يسمى مجلساً إلا وفيه قومٌ واستدلَّ على ذلك بقول مهمل :

وَأَسْتَبَّ بِعَدِكَ يَا كَلْبِيبُ الْمَجْلِسُ .

على الاستعارة . وليس « المجلسُ » إذا وقع على القوم من طريق التشبيه ، بل على معنى الكثرة والملابسة . ثم ذكر ما قاله الأمدى في موضع القوانين في أن « الاستعارة » من البديع

٤٠٢ - ثم بين حقيقة اللفظ المنقول من أجل التشبيه على المبالغة ، وبين ذلك بياناً شافياً في معنى « العارية »

٤٠٣ - ثم قال : « وأما ما كان منقولاً لأجل التشبيه ، كاليد في نقلها إلى النعمة ، (انظر ما سلف ص : ٣٩٥) ، فلا يوجد فيها إرادة التشبيه ، لا مبالغاً ولا غير مبالغ . ولو ادعى مدَّع أن تكون « اليد » اسماً وُضع للنعمة ابتداءً ثم نقلت إلى الجارحة ، لم يكن ذلك مستحيلاً »

٤٠٤ - عبارة أخرى في بيان « العارية » ، و« الاستعارة » ، ونقل « اليد » إلى النعمة

٤٠٤ - « الاستعارة غير المفيدة » ، سبب ذكرها في أول الكتاب (ص : ٢٩ - ٣٢) في

« الاستعارة » ، فاعتذر بأنه يضمنُ باسمها أن يقع هذا الموقع ، وقال : « ولكنى رأيتهم قد خلطوه بالاستعارة وعثوه معدّها ، فكرهتُ التشدّد في الخلاف ، ونهت على ضعف أمرها بأن سمّيتها : استعارة غير مفيدة » ، ثم ذكر أن إطلاق الاستعارة على نقل « اليد » إلى معنى النعمة وأشباهاها كالراوية للزيادة والعين للريفة - إطلاقٌ بعيد

٤٠٥ - ثم قال : لو كان اللفظ يستحق الوصف بالاستعارة بمجرد النقل ، لجاز أن توصف الأسماء

المنقولة من الأجناس إلى الأعلام بأنها مستعارة ، فيقال : « حَجَر » ، مستعار في اسم الرجل =
وذلك ارتكأب قبيح ، وفرطُ تعصُّبٍ على الصواب

- ٤٠٦ - بيان آخر : إن جعلنا « الاستعارة » من صفة اللفظ فقلنا : « اسم مستعار » ، فإننا نشير به إلى المعنى ، من حيث قصدنا باستعارة الاسم ، أن نُثبِتَ أحص معانيه للمستعار له
- فقولنا في « زَيْدٌ أَسَدٌ » ، « جعله أسداً » ، يدلُّ على أن استعارة الاسم للشيء تتضمن استعارة معناه له . ولولا ذلك لما كان لهذا الكلام معنى
- (جَعَلَ) = فإن « جعل » لا يصلح إلا حيث يراد إثبات صفة للشيء ، كقولنا : « جعله أميراً » ، وجعله لصاً » ، نريد أنه أثبت له الإمارة واللصوصية
- و« حُكِمَ » جعل « إذا تعدى لمفعولين ، حُكِمَ « صير » ، فكما لا تقول : « صيرته أميراً » إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة ، كذلك لم تقل : « جعله أسداً » ، إلا على أنه أثبت له معنى من معاني الأسود

- ٤٠٦ - تمام تفسير « جعل » . فإن قوله تعالى : (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا) إنما جاء على الحقيقة التي وصفها ، وذلك أنهم أثبتوا للملائكة صفة الإناث ، واعتقدوا وجودها فهم = وليس المعنى أنهم وضعوا لها لفظ الإناث أو البنات من غير اعتقاد معنى وإثبات صفة . هذا محال لا يقوله عاقل . وهو بيان مهم

- ٤٠٨ - (« فصل » في تقسيم « المجاز » إلى اللغوي والعقلي = واللغوي إلى « الاستعارة » وغيرها)

- « المجاز » على ضربين :

« مجاز » من طريق اللغة

و« مجاز » من طريق المعنى والمعقول

- فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة ، كقولنا : « اليدُ ، مجازٌ في النعمة » و« الأسد مجازٌ في الإنسان وكلُّ ما ليس بالسبع المعروف » ، كان حُكْمًا أجزيناهُ عليه من طريق اللغة ، إنما تشبيهاً ، وإنما لصلة وملاسة بين المنقول إليه والمنقول عنه

- ومضى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام ، كان « مجازاً » من طريق المعقول دون اللغة ، وذلك لأن أوصاف الجمل لا يصح ردها إلى اللغة ، وذلك لأن التأليف هو إسناد فعل إلى اسم ، أو اسم إلى اسم ، وذلك شيء يحصل بقصد المتكلم . فلا يصير « ضرب » خبر عن « زيد » بواضع اللغة ، بل عن قصد إثبات الضرب فعلاً له . وتعيين ما يثبت له ، يتعلق بمن أراد ذلك ، صادقة كانت الدعوى أو كاذبة = ومُجرأة على صحتها أو مزالّة عن مكانها = ومطلقة بحسب ما تأذن به العقل = أو معدولاً بها حتى تنتظم في سلك التخيل ، وسلوكاً بها في مذهب التأويل

٤٠٩ - بيان ذلك ، إذا قلنا : « حَطَّ أحسنُ ممَّا وشَّاه الربيعُ أو صنَّعه الربيع » ، فقد أدعينا في ظاهر اللفظ أن للربيع فعلاً ، وأنه شارك الحى القادر في صحة الفعل منه . وذلك تجرؤ من حيث المعقول لا من حيث اللغة ، فلو قلنا : « إنه مجازٌ من حيث اللغة » ، صرنا كأننا نقول : إن اللغة هى التى أوجبت أن يختصَّ الفعل بالحى القادر دون الجماد ، وأنها لو حكمت بأن الجماد يصحُّ منه الفعل والصنع ، لكان ما هو مجازٌ الآن حقيقةً ، ولعاد ما هو متأولٌ معدولاً فيما هو حقُّ مُحصل ، وذلك محالٌ

- وإنما يُصوَّر مثل هذا القول فى الكلم المفردة ، نحو : « اليد » للنعمة ، فيصح أن يقال : لو كان واضح اللغة وضع « اليد » أولاً للنعمة ، ثم عدَّها إلى الجارحة ، لكان حقيقة فيما هو الآن مجازٌ ، ومجازاً فيما هو حقيقة

•••

٤١٠ - (اعتراض) :

فإن قلت : فإن اللغة سمت أن يكون لإثبات الفعل للشيء كما زعمت ، ولكننا إذا قلنا : « فَعَلَ الربيعُ الوشَى » ، فإننا نريد بذلك معنى معقولاً ، وهو أن الربيع سببٌ فى كون الأنوار التى تشبه الوشَى . فقد نقلنا الفعل عن حُكمٍ معقول وُضع له ، إلى حكمٍ آخر معقولٍ شبيه بذلك الحكم = فصار كقول « الأسد » عن السبع إلى الرجل الشبيه به فى الشجاعة . أقول : « الأسد » على الرجل مجازٌ من حيث المعقول ، لا من حيث اللغة ، كما قلت فى صيغة : « فَعَلَ » = مسندة إلى ما لا يصحُّ أن يكون له فَعَلَ = : إنها مجازٌ من جهة العقل لا من جهة اللغة ؟

- (فأقول) : بينهما فرق ، وإن ظننتهما متساويين . وذلك أن « فَعَلَ » موضوع لإثبات الفعل للشيء على الإطلاق ، والحكم فى بيان من يستحقُّ هذا الإثبات وتعيينه إلى العقل . أما « الأسد » فموضوع للسبع قطعاً ، واللغة هى التى عيّنت المستحقَّ له ، ولولا نصُّها

لم يُتصوّر أن يكون هذا السبّح بهذا الاسم أوّلَى من غيره = فأما استحقاق الحَيِّ القادر أن يُبَيّن الفعل له واختصاصه بهذا الإثبات دون كلِّ شيءٍ سواه ، فيفرض العقل ونصّه ، لا باللغة ، فقد نقلت « الأسد » عن شيءٍ هو أصلٌ فيه باللغة لا بالعقل = وأما « فَعَلٌ » فلم تنقله عن الموضوع الذى وضعت اللغة فيه ، لأنه موضوع لإثبات الفعل للشيء ، وهو فى قولك : « فَعَلٌ الربيع » باقٍ على هذه الحقيقة غير زائلٍ عنها . ولن يستحقّ اللفظ الوصف بأنه « مجازٌ » ، حتى يجرى على شيءٍ لم يُوضَع له فى الأصل = وإثبات الفعل لغير مستحقّه ، ولما ليس بفاعل على الحقيقة ، لا يُخرِج « فَعَلٌ » عن أصله ، لأن الذى وُضِعَ له « فَعَلٌ » هو إثبات الفعل للشيء فقط ، فخارجٌ عن دلالاته ، وغير داخلٍ فى الموضوع اللغوى ، بل لا يجوز دخوله فيه ، لما قدّمْتُ قبل من استحالة أن يقال (ص : ٤٠٩) : « إنَّ اللغة هى التى أوجبت أن يُختصَّ الفعل بالحَيِّ القادر دون الجماد » ، وما فى هذا القول من الفساد العظيم

•••

٤١١ - (نُكْنَةُ جَامِعَةٍ) :

- وهى أن « المجاز » فى مقابلة « الحقيقة » ، فما كان طريقاً فى أحدهما من عقل أو لغة ، فهو طريقٌ فى الآخر . فإذا كان كون « الأسد » حقيقة فى السبع ، هو من طريق اللغة دون العقل ، وجب أن تكون اللغة أيضاً هى الطريق فى كونه « مجازاً »
- وإذا علمت أن طريق الحقيقة فى إثبات الفعل للشيء هو العقل ، فينبغى أن تعلم أيضاً أنه هو الطريق إلى المجاز فيه . فكما أن العقل هو الذى ذلك حين قلت : « فَعَلٌ الحَيِّ القادر » ، أنك لم تتجوّز ، بل أنت واضعٌ قدمك على محض الحقيقة ، كذلك ينبغى أن يكون هو الدال إذا قلت : « فَعَلٌ الربيع » ، على أنك تجوّزت ورزئت عن الحقيقة

•••

٤١١ - (اعتراض آخر ، على تقسيم المجاز إلى لغوى وعقلى) :

فيقول المعترض : كان سياق هذا الكلام يقتضى أن طريق « المجاز » كلّه العقل ، وأن لاحظت للغة فيه . وذلك أنّا لا نُجرى اسمَ الأسد على المشبه بالأسد ، حتى ندعى له الأسمية ، وحتى نُوهِم أنه حين أعطاك من البسالة والبطش ، ما تجده عند الأسد = صار كأنه واحدٌ من الأسود . وقد قدّمت أنت فيما مضى ما بيّن أنك لا تجوّز فى إجراء اسم المشبه به على المشبه ، حتى تُخيل إلى نفسك أنه هو بعينه . فقولك : « رأيت أسداً » ، متجوّزٌ من طريق العقل ، كما تقول فى : « فعل الربيع » . وكذلك يصير المجاز فيها جميعاً عقلى . فكيف قسمته قسمين : لغوى وعقلى ؟

٤١٢ - (ردّ الاعتراض) :

- هذا الذى زعمت من أنك لا تُجرى اسمَ المشبّه به على المشبّه حتى تدعى أنه صار من ذلك الجنس ، نحو أن تجعل الرجل كأنه فى حقيقة الأسد = صحيح كما زعمت ، لا يدفعه أحد ، بل عليه المعول فى كون التشبيه على حدّ المبالغة ، وهو الفرق بين « الاستعارة » و « التشبيه المُرسَل » ، إلا أنك قد أغفلت أن تجوزك هذا الذى الذى طريقه العقل ، يُفضى بك إلى أن تُجرى الاسم على شيء لم يُوضَع له فى اللغة . فمن هنا جعلنا طريقه اللغة

٤١٢ - (اعتراض ثالث) :

- يقول : لا أسلم أنه جرى على شيء لم يوضع له فى اللغة ، لأنك إذا قلت : « لا تُجرى على الرجل حتى تدعى له أنه فى معنى الأسد » ، لم تكن قد أجرته على ما لم يُوضَع له ، وإنما كان يكون جارياً على غير ما وُضِع له ، أن لو كنت أجرته على شيء لتفيد به معنى غير الأسمية . وذلك ما لا يُعقل ، لأنك لا تُفيد بالأسد فى التشبيه أنه رجلٌ مثلاً ، أو عاقل ، أو على وصيف لم يوضع هذا الاسم للدلالة عليه ألبتة

٤١٣ - (ردّ الاعتراض) :

فأقول له : قصارى حديثك هذا أنا أجرينا اسم الأسد على الرجل المشبّه بالأسد ، على طريق التخييل والتأويل ، أفليس على كُُلِّ حال قد أجريناه على ما ليس بأسدٍ على الحقيقة ؟ أو لسنا قد جعلنا له مذهباً لم يكن له فى أصل الوضع ؟

- وهبنا أدعينا للرجل الأسمية حتى استحقّ بذلك أن تُجرى عليه اسم الأسد ، أترانا نتجاوز فى هذه الدعوى حديث الشجاعة ، حتى ندعى للرجل صورته وهيبته البادية للعيون ؟ واللغة لم تضع الاسم للشجاعة وحدها ، بل للجئة كُُلِّها . ولو كانت وضعته لتلك الشجاعة وحدها ، لكان صفة لا اسماً ، ولكان كُُلُّ شيء يُفضى فى شجاعته إلى ذلك الحدّ ، مستحقاً للاسم استحقاقتاً حقيقياً ، لا على طريق التشبيه والتأويل .

- وإذا كان كذلك ، فإننا وإن كنا لم ندلّ به على معنى لم يتضمّن اسم الأسد فى أصل وضعه ، فقد سلبناه بعض ما وُضِع له ، وجعلناه للمعانى التى هى باطنة فى الأسد وغيرة ، مجردة عن المعانى الظاهرة التى هى الجئة أو الهيبة ، وفى ذلك كفاية فى إزالته عن أصل وقع له فى اللغة ، ونقله عن حدّ جزئه فيه إلى حدّ آخر مخالف له

٤١٤ - وليس فى « فَعَلَ الربيع » ، إذا تُجوز فيه ، شيء من ذلك ، لأننا لم نسلبه لا بالتأويل ولا غير التأويل ، شيئاً وضعته اللغة له ، لأنه لإثبات الفعل للشيء . وإذا كان كذلك ، كان الذى

أرادت اللغة به موجودًا ثابتًا = ثبوته في قولك : « فعل الحَيِّ القادر » ، لم ينقص منه شيء ، ولم يُزل عن حدِّ إلى حدِّ

٤١٤ - (اعتراضٌ رابع) :

قال : قد عَلِمْنَا أَنَّ طريق « المجاز » ينضمُّ الى لغوي وعقلي = وَأَنَّ « فَعَلَ الربيع » طريقه المعقول ، وَأَنَّ « الأسد » إذا استُعِيرَ لغير السبع من طريق التشبيه ، طريق مجاز اللغة = فيقول أن نعلم لِمَ حَصَّصْتَ « المجاز العقلي » بأن توصف به الجملة دون الكلمة الواحدة . وهَلَّا جَوِّزْتَ أَنْ يكون « فَعَلَ » على الانفراد موصوفًا به ؟

- (ردُّ الاعتراض) :

سبب ذلك أن المعنى الذي وُضِعَ له « فَعَلَ » لا يُتصوَّر الحكمُ عليه بمجازٍ أو حقيقة ، حتى يُستند إلى الاسم ، لأنه موضوع لإثبات الفعل للشيء = فما لم تُبين ذلك الشيء الذي تُثبته له ، لم يُعقل أن الإثبات واقع موقعه ، أم قد زال عنه وجازه إلى غيره

٤١٥ - وقولك : « هَلَّا جَوِّزْتَ أَنْ يكون « فَعَلَ » على الانفراد موصوفًا به » ، مُحَالٌ ، بعد أن ثبت أن لا مجاز في دلالة اللفظ ، وإنما المجاز في أمر خارج عنه

٤١٥ - (اعتراضٌ خامس) :

- عاد المعارضُ فقال : أردتُ : هَلَّا جَوِّزْتَ المجازَ إلى معناه وحده ، وهو إثبات الفعل ، فيقال : « هو إثباتُ فعلٍ إلى سبيلِ المجاز »

- (ردُّ الاعتراض) :

ذلك لا يتأتى أيضًا إلا بعد ذِكرِ الفاعل ، لأنَّ « المجاز » أو « الحقيقة » إنما يَظْهَرُ ويُتصوَّر من المُثَبِّتِ والمُثَبَّتِ له ، والإثباتُ = وإثباتُ الفعل من غير أن يُقَيَّدَ بما وقع الإثبات له ، لا يصحُّ الحكم عليه بمجازٍ أو حقيقة = لا يمكنك أن تقول : « إثبات الفعل مجازٌ ، أو حقيقة » ، هكذا مرسلًا ، إنما تقول : « إثباتُ الفعل للربيع مجازٌ ، وإثباته للحَيِّ القادر حقيقة »

- وإذن ، فقد علمتُ أن لا سبيل إلى الحكم بأن ههنا مجازٌ أو حقيقة من طريق العقل ، إلا في جملة الكلام ، ووزانُ الحقيقة والمجاز العقليين ، ووزانُ الصدق والكذب . يستحيل وصف الكلم المفردة بالصدق والكاذب : « رجلٌ = على الانفراد = كذبٌ أو صدقٌ » ،

فكذلك يستحيل أن يكون ههنا حكم بالجاز أو الحقيقة ، وأنت تنحو نحو العقل ، إلا في الجملة المفيدة . (وهذا أصل كبير فأعرفه)

٤١٦ - (فصل في الحذف والزيادة ، وهل هما من الجواز أم لا ؟)

- الكلمة كما توصف بالجاز لنقلك لها عن معناها ، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها ، إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها

- مثال ذلك : أن المضاف إليه يكتسى إعراب المضاف في نحو قوله تعالى : (وَسئَلِ الْقَرْيَةَ) ، فالأصل : « وَسئَلِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ » ، فالأصل وعلى الحقيقة جر « القرية » ، والتصنب فيها مجاز

٤١٦ - ولا ينبغي أن يقال : « وجه الجواز في هذا ، الحذف » ، فإن « الحذف » إذا تجرد عن تغيير حكم من أحكام ما بقي بعد الحذف ، لم يُسمَّ مجازًا ، كقولك : « زيدٌ منطلقٌ وعمرو » ، بحذف الخبر ، لأن الحذف لم يؤدِّ تغيير حكم فيما مضى من الكلام . فإن معنى الجواز : « أن تجوزَ بالشيء موضعه وأصله » ، فالحذف بمجردُه لا يستحق الوصف بالجاز

٤١٧ - وإذا امتنع أن يكون مجرد الحذف مجازًا ، دون أن يحدث هناك بسبب الحذف تغيير حكم على

وجه من الوجوه = فإن « الزيادة » في هذه القضية كالحذف ، فلا يقال في قوله تعالى : (فِيمَا رَحْمَةٍ) في زيادة « ما » ، أن جملة الكلام مجاز ، لأن ذلك محال ، لأن « الجواز » أن يُراد بالكلمة غير ما وُضعت له في الأصل ، أو يُرادَ فيها ، أو يُوهَم شيء ليس من شأنها ، كإيهامك بظاهر التصب في « القرية » أن السؤال واقع عليها

- فأما غير الزائد من أجزاء الكلام الذي زيد فيه ، فإن حدث بسبب ذلك الزائد حكم تزول به الكلمة عن أصلها ، جاز أن يوصف ذلك الحكم بأنه مجاز ، كقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ، فالجر في « المثل » مجاز ، لأن أصله التصب ، والجر حكم عرض لها من أجل زيادة « الكاف » . وبيان ذلك

٤١٨ - (اعتراض) :

- إن قلت : « الجواز على أقسام ، والزيادة من أحدها »

- (رد الاعتراض) :

فيقال : هذا لك ، إذا حدت الجواز بمحد تدخل الزيادة فيه = ولا سبيل إلى ذلك ، لأن قولنا :

« الجواز » يفيد أن تجوز بالكلمة موضعها في أصل الوضع ، وتقلها من دلالة إلى دلالة

- فإنه لا يُعقل من « المجاز » أن تُسَلَبَ الكلمة دلالتها ثم لا تعطىها دلالة على وجه من الوجوه =
ووصف اللفظ بالزيادة ، يُفيد أن لا يراد بها معنى ، وأن تُجعل كأن لم يكن لها دلالة قط

٤١٩ - (اعتراض) :

أو ليس يقال : إن الكلمة لا تُعزى من فائدة ما ، ولا تصير لِقَوًا على الإطلاق ، حتى قالوا :
إن « ما » في قوله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) ، تفيد التوكيد ؟

- (رد الاعتراض) :

- أقول : إن كون « ما » تأكيدًا ، نقل لها عن أصلها ومجاز فيها ، فإن ذلك لا يقدح فيما أردت
تصحيحه ، لأنه لا يُتصور أن تصف الكلمة من حيث جعلت زائدة بأنها مجاز ، ومتى ادعينا
لها شيئًا من المعنى ، فإننا نجعلها من تلك الجهة غير مزيدة . ولذلك يقول الشيخ أبو على
الفارسي = في الكلمة إذا كانت تزول من وجه ولا تزول من آخر = : « مُعْتَدٌ بها من وجه ،
غير مُعْتَدٌ بها من وجه »

- وكذلك توصف « لا » في قولنا : « مررت برجل لا طويل ولا قصير » ، بأنها مزيدة ، ولكن على
هذا الحد ، فيقال : « هي مزيدة غير مُعْتَدٌ بها من حيث الإعراب ، ومُعْتَدٌ بها من حيث
أوجبت نفي الطول والقصر عن الرجل ، ولولاها لكانا ثابتين له »

٤٢٠ - وتطلق الزيادة على « لا » في قوله تعالى : (لِفَلَا يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ) ، لأنها
لا تفيد النفي فيما دخلت عليه ، ولا يستقيم المعنى إلا على إسقاطها . ثم إن قلنا إن « لا »
هذه المزيدة تُفيد تأكيد النفي الذي يجيء من بعد في قوله : (أَنْ لَا يَقْدِرُونَ) ، فإننا نجعلها
من حيث أفادت هذا التأكيد غير مزيدة ، وإنما نجعلها مزيدة من حيث لم تُفد النفي الصريح
فيما دخلت عليه

- وإذا ثبت أن وصف الكلمة بالزيادة ، نقيض وصفها بالإفادة ، علمت أن الزيادة من حيث
هي زيادة ، لا توجب الوصف بالمجاز

٤٢٠ - (اعتراض) :

فإن قلت أيها المعارض : تكون سببًا لنقل الكلمة عن معنى هو أصل فيها ، إلى معنى ليس
بأصل

- (جواب الاعتراض) :

أقول : كدت تقول قولاً يجوز الإصغاء إليه ، وذلك ، إن صحَّ ، نظيراً ما قدّمت من أن الحذف أو الزيادة قد تكون سبباً لحذوٲ حُكْمٍ في الكلمة تدخُل من أجله في المجاز ، كنصب القرية « في الآية وجِر « المثل » في الآية الأخرى ، (انظر ص : ٤١٦ ، ٤١٧)

٤٢٠ - (أصل من أصول هذا الباب) :

- أن من حقِّ المحذوف ، أو المزيد ، أن يُنسب إلى جُملة الكلام ، لا إلى الكلمة المجاورة ، فتقول في قوله تعالى : (وَسَمِّلِ الْقَرْيَةَ) في الكلام حذف ، والأصل : « أهل القرية » ، تعنى حُذِف من بين الكلام

- وكذلك تقول في : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ، « الكاف » زائدة في الكلام ، والأصل : « ليس مثله شيءٌ » = ولا تقول : « هي زائدة في مثل » = ولو جاز غير ذلك ، لجاز أن يكون خير المبتدأ إذ حُذِف في : « زيد منطلق وعمرو » أنه محذوف من المبتدأ نفسه ، على حدِّ حذف اللام من : يَد ، ودم ، وذلك ما لا يقوله عاقل

- وكذلك تقول في : « وَسَمِّلِ الْقَرْيَةَ » : « حُذِف المضاف من الكلام » ، ولا تقول : « حذف المضاف من المضاف إليه »

- وهذا أوضح من أن يخفى ، ولكنى استقصيته ، لأنى رأيتُ في بعض العبارات المستعملة في المجاز والحقيقة ، ما يُوهِم ذلك

٤٢٠ - (وما يجب ضبطه هنا أيضاً) :

- أن الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حَذِف ، أو إسقاط مذكور ، كان على وجهين :

الأول : أن يكون امتناعُ تركه على ظاهره ، لأمرٍ يرجعُ إلى غرض المتكلم ، ومثاله الآيتان المتقدمتان ثلاثهما . فأنت إذ رأيت : « سَلِ الْقَرْيَةَ » في غير التنزيل ، لم تقطع بأن ههنا محذوفاً ، وذلك لجواز أن يكون كلامٌ رجُلٍ مرٌّ على قريةٍ قد تحرّبت وباد أهلها ، فأراد أن يقول لك واعظاً ومذكراً : « سلِ القرية عن أهلها ، وقُل لها ما صنعوا » ، على حدِّ قولهم : « سَلِ الْأَرْضَ مَنْ شَقَّ أَهْزَاكَ ... » ، (انظر ص : ١٢)

- وكذلك إذا سمعت من يقول : « ليس كمثل زيد أحدٌ » ، لم تقطع بزيادة الكاف ، وجوزت أن يريد : « ليس كالرجل المعروف بمائلة زيد أحد »

الوجه الثاني : أن يكون امتناعُ تركِ الكلام على ظاهره ، ولزوم الحكم بحذف أو زيادة ، من أجل الكلام نفسه ، لا من حيث غرض المتكلم ، وذلك كنعو أن يكون المحذوف أحد جزئى الجملة ، كقوله تعالى : (فَصَبِّرْ حَبِيبًا) ، لا بُدَّ من تقدير محذوف ، ولا سبيل إلى أن يكون له معنى دونه ، سواء كان في التنزيل أو في غيره = وذلك أن الداعي إلى تقدير المحذوف هنا هو : أن الاسم الواحد لا يُفيد ، والصفة والموصوف حكمهما حُكم الاسم الواحد ، و « جميل » صفةٌ « للصبر »

- وتقول للرجل : « مَنْ هذا » ، فيقول : « زيدٌ » ، أى : « هو زيد » ، فهذا الإضمار واجب ، لأن الاسم الواحد لا يفيد = وكيف يفيد الاسم الواحد ، ومدارُ الفائدة على إثبات أو نفي ، وكلاهما يقتضى شيئين : مُثَبِّتٌ ومُثَبِّتٌ له ، ومُنْفَىٌ ومنْفَىٌ عنه ؟

• • •

٤٢٣ - وأما وجوبُ الزيادة لهذه الجهة ، فنحو قولهم : « بحسبك أن تفعل كذا » ، وقوله تعالى : (كَفَى بِاللَّهِ) = إن لم تقض بزيادة « الباء » ، لم تجد للكلام وجهًا تصرفه إليه ، فلا بُدَّ لك من أن تقول : إن الأصل : « حَسْبُكَ أن تفعل » ، و « كَفَى اللَّهُ » ، وذلك أن « الباء » لتعدية الفعل إلى الاسم ، وليس في : « بحسبك أن تفعل » ، فَعَلَّ تُعَدِّيهِ الباء إلى « حسبك » . وكذلك الأمر في « كفى » أو أقوى ، لأن الاسم الداخِل عليه الباء في « كفى بالله » ، هو فاعل كفى ، ومحالٌ أن تُعَدَّى الفعل إلى الفاعل بالباء أو غير الباء

• • •

٤٢٣ - ما في آخر المخطوطة من النصّ على الفراغ من كتابتها يوم الثلاثاء ، بعد العصر ، السابع عشر من شهر جمادى الآخرة من سنة ستمئة وستين بدمشق

• • •

٤٢٤ - فراغى أنا قارىء الكتاب في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٩ من الهجرة ، والله الحمد والمثنة

• • •

٤٢٥ - الفهارس

• • •

٤٧٢ - فهرس كتاب « أسرار البلاغة »

• • •